

طبع بأمر من صاحب الجلالة الأمير المؤمنين الملك محمد السادس نصره الله

المملكة المغربية  
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

# الطريق إلى الجانية في المغرب والسودان الغزني

خلال القرن التاسع عشر الميلادي

الجزء الثالث

تأليف  
الأستاذ أحمد الأزمي

1421 هـ - 2000 م



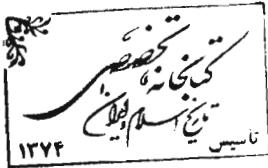
طبع بأمر من صاحب الجلالة الأمير المؤمنين الملك محمد السادس نصره الله

المملكة المغربية  
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

# الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي

خلال القرن التاسع عشر الميلادي

الجزء الثالث



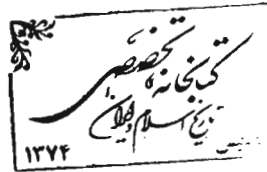
تأليف  
الأستاذ أحمد الأزمي

1421 هـ - 2000 م



## الفصل الثاني

قيام الزاوية التجانية  
ونجاح مؤسسها في تكوين امبراطورية  
إسلامية بالسودان الغربي





بعد أن تطرقنا في الفصل السابق من هذا الباب إلى محاولة التعريف بالخريطة الجيو سياسية للإطار الجغرافي الذي شكل مجال اشعاع تعاليم الطريقة التجانية ومنطقة نفوذ مؤسسها الحاج عمر الفتوي، ننتقل في هذا الفصل إلى محور آخر يشكل في نظرنا النواة الصلبة لأطروحتنا في شطرها المتعلق بالسودان الغربي.

وتظهر أهميته من كونه يعالج قيام الزاوية من جهة، وما ترتب عن ذلك من نشأة دولة إسلامية تجانية من جهة أخرى. لذلك سنركز تحليلنا في هذا الفصل على جانبين أساسيين يتعلق الأول منهما بتقديم الخطوط العريضة للأسباب والعوامل التي ساعدت على قيام الزاوية التجانية بالسودان الغربي لنتطرق في ثانيهما إلى موضوع نشأة الامبراطورية التجانية. وهنا يصعب الفصل بين ما هو سياسي صرف وما هو ديني صوفي صرف عند محاولتنا معرفة ما إذا كان الحاج عمر امتطى صهوة التصوف للأخذ بناصية السلطة الزمنية.

إن محاولة الإجابة على هذا التساؤل هي التي قادتنا في النهاية كما سيأتي إلى القول بأن قيام الامبراطورية التجانية بالسودان الغربي كان ثمرة للخروج بتعاليم التصوف من مفاهيمها النظرية إلى دالاتها التطبيقية. فالتحديات التي كانت تعج بها أقاليم السودان الغربي الشاسعة الأطراف متنوعة وخطيرة وأهمها:

- الانحراف الخطير الذي أصاب تطبيق تعاليم الشريعة بالمنطقة على

المستوى الرسمي والشعبي<sup>1</sup>.

- وجود دول وثنية عتيدة تبيع خدماتها لفئة من الحكام المسلمين لترجيح كفة بعضهم ضد البعض الآخر، ناهيك عن الاعتداءات التي كانت تلجأ إليها ضد نفس الدول، إما لتوسيع حدودها أو بغية السلب والنهب فقط<sup>2</sup>.

- الخطر المسيحي كمشروع تتبناه الدولة الفرنسية في إطار مخطط كبير يهدف إلى احتلال غرب إفريقيا وتمسيحها<sup>3</sup>.  
هذه التحديات هي التي كانت وراء قيام الدولة الإسلامية التجانية ذات المرجعية الصوفية. وهي المرجعية التي وجد فيها الحاج عمر، ما هو في حاجة إليه من النظريات والتعاليم والدروس المفيدة نظريا وعلميا لانجاز مشروعه الاصلاحى الكفيل برفع التحديات المشار إليها. وإذا كان الأمر كذلك فما المانع في تصورنا من توظيف القيم الدينية والمثل العليا التي هي موضوع التصوف في نصرة كلمة الله وإحياء سنة نبيه وتطبيق نموذج الخلافة الإسلامية المثلى بالسودان الغربي؟

---

1-Ly Tall(M), op. cité; pp. 45 à49.

2-Ibid.

3 -Bathily(A.), la onquête Française du Haut-fleuve(Sénégal), op.cité pp. 67 et ss.

-Kamara(CH.M.), <Histoire du Boundou>, traduction et annotation-par Moustapha Ndiaye, Bulletin de l'I. F. A. N,T. 37, serie B, No 4, 1975, pp. 784et ss.



ألم يصرح الحاج عمر نفسه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسرّ إليه في العديد من مشاهداته مناما أنه من أحبائه وخلفائه في الأرض؟ إن ما يهمننا من هذا الكلام ليس موضوعيته أو دعم موضوعيته، فهذا ليس بمقدورنا تحقيقه، وإنما أوردناه لنقيم الدليل على أن الحاج عمر الفوتي، وهو يعمل لنشأة دولته كان يستحضر هذا التكريم الذي خصه به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قبله سيدي احمد التجاني وتلميذه محمد الغالي. وقبل أن نفصل القول في نشأة الامبراطورية التجانية نعود لبسط القول في الشطر الأول من هذا الفصل.

## I - نشأة الزاوية التجانية وانتشار تعاليمها: الأرضية والوسائل:

### 1 - قيام الزاوية في ظل شروط موضوعية ملائمة:

إن الفترة الزمنية المحددة ما بين 1840، تاريخ وصول الحاج عمر إلى فوتاجلون بعد عودته من المشرق، وسنة 1850<sup>1</sup> تاريخ إعلانه عن

---

1- هذا التقدير ورد في دراسة مادي نالي Madina Ly Tall انظر: Ly Tall(M), op. cité; p136.

لكن فيرنان ديمون Fernand Dumont أورد تقديرا آخر يتراوح ما بين 1838 و1848. وكما نلاحظ فالفرق بين التقديرين ليس كبيرا. أما المدة الزمنية التي استغرقتها الاعداد للجهاد بين==

انطلاق عملية الجهاد المقدس في أعلى نهر السنغال، هي التي انكب خلالها على إنشاء زاويته ونشر تعاليم الطريقة التجانية، مع ملاحظة أن إشعاع هذه الأخيرة لم يتوقف بعد التاريخ المذكور، بل استمر يرافق العمل العسكري، ويتنقل مع تنقل جيش الجهاد واتساع مناطق نفوذ شيخ الطريقة التجانية على ضفاف نهري السنغال والنيجر. لكن دون إغفال أن العمل الأول الذي بذل في فترة السلم أي قبل انطلاق الجهاد، بخصوص التعريف بالتجانية على أوسع نطاق انطلاقاً من زاويتها، كان مركزاً وحاسماً وعلى أسسه قامت الانجازات المهمة وتحققت النتائج المرجوة من الحركة الإصلاحية التي رهن الحاج عمر حياته من أجلها. وأهم ما يشد انتباه الباحث في قيام هذه الزاوية حسن اختيار موقعها الذي تم على ما يبدو بشكل مدروس بدراية الخبير بطبغرافية المنطقة وجغرافيتها الطبيعية والبشرية ومكوناتها السياسية والعسكرية.

لقد اختار الحاج عمر أن يؤسس زاويته في بلاد فوتاجلون وتحديدًا في القرية التي تحمل اسم جيكونكو<sup>1</sup> Jégunko لأنها كانت تحتل مكانة خاصة في قلبه، فهي الأرض التي شب فيها واستكمل دراسته بها وموطن أساتذته وأصدقائه وشيخه في الطريقة التجانية عبد الكريم الناقل. لقد تردد

---

= = مدينتي جيكونكو Jégunko ودينكراي Dinguiray، فتقدر بعشر سنوات، سواء في

المصدر الأول أو الثاني. انظر: Dumont(F), L'Anti-Sultan..., op. cité, p. 95.

1-Robinson(D), op. cité, P. 110.

عليها كثيرا بعد إنهاء دراسته كما شكلت آخر بلد من بلدان سينغامبيا Sénégambie وطأتها قدماء عندما كان في طريق رحلته إلى الديار المقدسة خلال نهاية عشرينيات القرن 19 ، مثلما كانت أول بلد فتح أحضانه له عند عودته إلى غرب إفريقيا.

ونظرا لاعتزاز فوتاجلون بالدين الاسلامي الذي اختاره سكانها عقيدة لهم منذ قرون<sup>1</sup>، ولازدهار العلوم الإسلامية بها بشكل ملفت على يد أساتذة مرموقين ، فإن حلول الحاج عمر بها عند عودته حاجا وخليفة للطريقة التجانية بالسودان الغربي ، شكل حدثا بارزا ابتهج له خاصة الناس وعامتهم ، وفي مقدمة المرشحين به إمام البلاد وحكامها بكار Bakar<sup>2</sup> من أسرة الفاياAlfaya.

ومن الأمور المهمة التي تجعل من فوتاجلون المكان المفضل لقيام الزاوية بامتياز ، بعدها عن فوتاتورو مسقط رأسه ، وعن سان لوي Saint Louis قاعدة الفرنسيين اعداء البلاد ، وموقعها المتوسط بين ملتقى طرق

---

1-Marty(P), L'Islam en Guinée(Fouta Diallon),op.cité, pp.69 et ss.  
-Diallon ( T), La mission du Dr Bayol au Futa Djalou(1881), op.  
cité, pp. 118 et ss.

2 - هكذا ورد اسم إمام البلاد الذي تخضع له جيكونكو Jugunko في دراسة روبنسون  
انظر: Robinson(D), op. cité, P. 110.

- في حين نجد بعض الزيادة في هذا الاسم في مصدر آخر بحيث نقرأ فيه بوبكار Bu-bakar عوض بكار Bakar انظر: Ly Tall(M), op. cité; p135.

القوافل التجارية، شرقا ومدينة فريطاون Freetown على مصب نهر غامبيا بالمحيط الأطلسي غربا<sup>1</sup>.

وتوضيح ذلك أن الحاج عمر كان شديد الحرص على تنفيذ مخططاته في غفلة من أئمة فوتا وفقهائها القادرين الذين كانوا ينظرون بعدم الرضا لكل حركة إسلامية تروم الإصلاح خوفا من فقدان مصالحهم الاقتصادية<sup>2</sup>. وقد ذهب بهم هذا الخوف إلى حد التحالف مع الفرنسيين، ناهيك عن عدم الاستقرار الذي تعرفه البلاد بسبب الصراع على السلطة والدسائس الفرنسية والحملات التي تشنها القبائل الشنقيطية انطلاقا من الشمال<sup>3</sup>. وبالنظر إلى كل هاته العوامل فهو كان يفضل الإقامة بعيدا عن أبناء وطنه لبعض الوقت، وعلى العكس من ذلك فإن قربه من مدينة فريطاون Freetown<sup>4</sup> التي يحتلها الانجليز، كان يتيح له ولجماعته الحصول على موارد مالية مهمة وقارة بفضل الوساطة التجارية التي كانوا يقومون بها انطلاقا من جيكونكو Jégunko، بين الانجليز بالمحيط الأطلسي من جهة والقوافل التجارية الآتية

---

1 - انظر الخريطة 14 .

2-Ly Tall(M), op. cité; pp 79 et 81.

3-Hardy (G), la mise en valeur du Sénégal de 1817 à 1854, Paris Emile Larose, 1921, p. 97

4-Robinson(D), op. cité, P. 57

من السودان النيجيري من جهة ثانية. غير أن الأهم من هذا كله هو أنهذا القرب من فريطاون وبفضل الأموال المحصلة من النشاط التجاري كان الحاج عمر يقتني ما يريد من الأسلحة الضرورية لإعداد جيش الجهاد.

هذه الاعتبارات وغيرها، هي التي حملت الحاج عمر على النزول بقرية جيكونكو بشمال شرق فوتاجلون مع أفراد أسرته وجماعة من أنصاره، وعلى أرضها بنى أول زاوية له بالسودان الغربي لنشر تعاليم الطريقة التجانية وإعداد جيش من الأنصار التجانيين في أفق إعلان الجهاد المقدس لإصلاح الأوضاع الفاسدة في المنطقة.

تقع جيكونكو Jégunko في منطقة جبلية مطلة على سهول فسيحة يصعب على العدو اقتحامها بسهولة، كما أن طبيعتها المتضرسة هذه حالت دون تكاثر سكانها، وهي عوامل كانت تستجيب لمتطلبات نشأة مؤسسة الحاج عمر من توسع عمراني واستغلال فلاحى وتجاري كنتيجة طبيعية لتكاثر عدد الأنصار من مريدين وطلبة ومعجبين وساخطين على الأوضاع من كل حذب وصوب. وقد أشرف إمام البلاد بوباكار Bubacar على بناء المسجد إلى جانب الحاج عمر بعد أن رخص له باستعمال المجال الترابي (القطعة الأرضية) المعد لهذا الغرض. وكان بناء المسجد هو أول معلمة دشن بها شيخنا سلسلة الإنجازات العمرانية التي شملت زاويته، ولم يفارق إمام البلاد ضيفه الشيخ الفوتي التجاني إلا بعد أن تمت أعمال

## بناء المسجد<sup>1</sup>.

وبعد الصلاة فيه لقن الحاج عمر مضيّفه الإمام بوبكر ورد الطريقة التجانية، وعينه مقدما لمنح أوراد الطريقة وتلقينها لمن يرغب في ذلك. وبعد بناء المسجد تحول، البناءون والعملة للاشتغال في بناء منزل الشيخ مع المرافق المحيطة به، في مكان مرتفع، من حيث يكون باستطاعته أن يرى من بعيد الزوار المتوافدين عليه بكثرة رغم وعورة المسالك<sup>2</sup>. ومع تزايد الأنصار والمحبين من المنخرطين في الطريقة بالزاوية التجانية بجكونكو التي بدأت تتعالى منها أصوات المرتلين للقرآن الكريم والذاكرين الله، مع إشراف الحاج عمر بنفسه على تعليم الناس تعاليم الدين الإسلامي، لبست هذه القرية حلة من الوقار والقدسية، وعمتها الأنفاس العطرة، مما كان له أطيّب الآثار على قلوب الناس ووجدانهم.

وأمام هذه التجليات الربانية كان الإمام بوبكر Bubacar لا يتردد في حضور الاحتفالات الدينية وصلوات الجمعة والأعياد. وخلال شهر رمضان كان يغادر عاصمة حكمه ليستقر بجكونكو حيث يقضي أيام الصيام إلى جانب الحاج عمر الفوتي، في أجواء من الطهر والقرب من الله ولا يغادر

---

1-Ly Tall(M), op. cité; p135.

-Dumont (F), op. cité, p 93.

2-Ly Tall(M), op. cité; p135-136.

الزاوية إلا بعد انتهاء مراسيم الاحتفال بعيد الفطر. ولذلك كان يشجع رعاياه على التشبث بالقيم الإسلامية. وفي هذا الصدد أورد دافيد روبانسون David Robinson نصا جاء فيه : « أمر الإمام بوبكار Bubacar الفولانيين بالإقامة إلى جانب الحاج عمر، وكان يحب أن يكون معه ... فبسبب الدين، دين الله الحق كان الإمام بوبكار يتبعه <sup>1</sup> ».

وظل الإمام بوبكار من أسيرة الفاي Alfaيا يساند الحاج عمر إلى أن أطيح به سنة 1843، ثم وفاته بعد ذلك سنة 1845 <sup>2</sup>، كما استمر أفراد أسرته وعشيرته وأنصاره يقفون إلى جانب الشيخ التجاني بعد تنحية قريبه (بوبكار) من الحكم بالقوة بسبب موقفه النبيل عندما استنكر تجارة العبيد ووقف ضدها. ولما كانت قوى الضغط المعارضة لموقفه هذا أقوى منه وعلى رأسها أسرة الصوريا Soriya الراغبة في السلطة وهي مسلمة أيضا، فقد أرغم على التخلي عن الحكم لصالح العائلة المنافسة له <sup>3</sup>.

ونظرا لحصافة الحاج عمر وبعد نظره، يمكن القول أن هذا التغيير لم يلحق به ويزاويته ضررا على المدى القريب على الأقل، بسبب الخدمات التي أسداها للنظام الجديد مثل الدعوة إلى تجنب العنف واللجوء إلى الحلول

---

1-Robinson(D), op. cité, P. 111.

2-Ibid.

3- Arcin (A), Histoire de la Guinée Française, op cité, pp. 95 et ss.

السلمية أو قيامه شخصيا بمساعي حميدة غالبا ما كانت تأتي أكلها مما كان يرتاح له الإمام الجديد عمر Umar من أسرة الصوريا Soriya<sup>1</sup>. لكن هذا التعايش كما تتحدث عنه المصادر المحلية كان ظاهريا ومؤقتا فقط. ومرد ذلك إلى ما يشكله الحاج عمر ومجده المتنامي من رمز للنظام السابق الذي أزره حتى اشتد عوده، فأوا فيه بذلك سيفاً ذا حدين في حالة تعاظم قوته: فإما أن يطلب الحكم لنفسه أو يساعد أولياء نعمته القديما على استرجاع حكمهم. كانت هذه هي قناعة أسرة الصوريا، لكنهم ظلوا متحفزين تجاه وضعية الحاج عمر ولم يعلنوا عن موقفهم الحقيقي إلا في الوقت المناسب كما سنرى. أما المكونات البشرية لمجتمع الزاوية التجانية بجيكونكو Jégunko فكانت تتكون من العناصر الآتية:

- جماعة كبيرة من شمال نيجيريا التحق أفرادها بالحاج عمر منذ أن كان في سكوطو وتعلقوا بخدمته والانخراط في طريقته خلال ثلاثينيات القرن 19. وهي الجماعة الأكثر نفوذا في زاوية جيكونكو Jégunko.
- عناصر من برنوربطت مصيرها بمصير الشيخ عمر بعدما تعرفوا عليه خلال إقامته ببلادهم.

---

1- Hayacinte(H), Voyage sur la côte et dans l'intérieur de l'Afrique occidentale, Paris, 1855, pp. 341 à 345.

-Guebhard(P), <l'histoire de Fouta Djallon et des Almamys>, B. C. A. F/RC (1909), pp. 85 et ss.



- جماعات من النبلاء والبسطاء من السكان المحليين ومن خارج فوتاجلون، وعلى الخصوص الوافدون منهم من فوتاتورو، وبوندو Bundu بعد سماعهم بشعارات العدل والمساواة التي كان يرفعها هذا الشيخ.

- مجموعة كبيرة من العبيد في خدمة الشيخ التجاني، موزعة على أعمال الجندية والأشغال المنزلية والبناء والفلاحة.

- أعداد كبيرة من النساء تتكون من حريم الأسرة الحاكمة ونساء وأخوات وبنات النازحين إلى جيكونكو Jégunko للاستقرار بها<sup>1</sup>. غير أن أهم هاته العناصر النسوية من زوجات الحاج عمر من برونو وشمال نيجريا وغيره من الأقاليم السودانية، اللائي أنجبن العشرات من الأبناء، شكلت فيما بعد عشيرة وعصبية زادت من حصانة المؤسسة العمرية ومناعتها.

- جماعة من التلاميذ الذين يتابعون دراستهم بالزاوية، وأكثرهم عددا أبناء رعايا فوتاجلون الوافدون من كل الأقاليم والمدن مثل فوكومبا Fu-gumba وتيمبو Timbou عامة ومن جيكونكو Jégunko خاصة وبعض العناصر من إقليم لابي Labé إلى الشمال الغربي من فوتاجلون.

- وجود تلاميذ من بلاد كانكان Kankan الواقعة إلى الجنوب وهي البلاد التي أوت الحاج عمر ورحبت به قبيل حلوله بفوتاجلون لوجود ملك

---

1-Robinson(D), op. cité, P. 111 à113.

مسلم على رأسها هو مامادو كابا Mamadu Kaba<sup>1</sup> وتحيط به مجموعة من العلماء والفقهاء المسلمين.

- جماعة مهمة من المريدين والتلاميذ اليوروبا Yoruba النازحين من مدينة فريطاون Freetown<sup>2</sup>.

ونظرا لأهمية هذه الجماعة العددية ولحدثة عهدهم بالإسلام ولظروف انتقالهم من فريطاون إلى الزاوية التجانية بجيكونكو Jégunko، نقترح تقديم لمحة موجزة تعرف بها. فقد اعتنق هؤلاء اليوروبا النيجيريون الإسلام خلال عشرينيات القرن 19 بعد قرار ابريطانيا بإطلاق سراح عدد كبير من المسلمين النيجيريين الذين استعبدوا وأسروا في خضم الأحداث التي تلت أفول أويو<sup>3</sup> Oyo، وعلى إثر عمليات الجهاد الإسلامي التي قادها عثمان فودي انطلاقا من شمال نيجيريا في اتجاه الجنوب.

بعد قرار التحرير الذي شملهم استقر هؤلاء اليوروبا بفريطاون، قادمين إليها من ضفاف نهر النيجر الأسفل عبر الأراضي المحادية للشاطئ، وعاشوا بها كإثنية مسلمة منغلقة على نفسها خوفا من ذوبان هويتها الإسلامية، لها تنظيمها الديني والسياسي الخاص، يقودهم

---

1 -Caillé (R), op. cité; T1, pp. 385 à 417.

-Person (Y), Samori. Une Révolution Dyula, Dakar, Mémoire I.F.AN, 1986 -75, T1, P. 157.

2-Robinson(D), op. cité, P. 113.

3 - مدينة نيجيرية تقع إلى الشمال من لاكوس Lagos.

جميعا إمام.

ومن مكان إقامتهم كانوا يرسلون أحسن طلبتهم إلى مدارس فوتاجلون<sup>1</sup>. ونظرا لتشبث هذه الأقلية في فريطاون بالدين الإسلامي، وحرصها على تعليم أصوله لأبنائها وعشيرتها، وكل من تأثر بها ودار في فلكها، ومحاربتها للعقائد الأخرى، فقد ألبت عليها المبشرين المسيحيين بغرب إفريقيا الذين تضايقوا منها، وعبروا عن اشمئزازهم الكبير تجاهها، بل نجدهم في سنة 1840 يضغطون على حاكم المدينة لكي يصدر تعاليمه بتهديم عدد من المساجد وإبعاد عشيرة اليوروبا المسلمة من البلاد، وبعد سنوات بلغ هذا العداء مداه عندما صرح والي فريطاون بأن المسلمين اليوروبا يشكلون دملا Pustules في وجه المجتمع<sup>2</sup>.

وأمام هذه المضايقات وجدت جماعة اليوروبا المسلمة أن أحسن حل لوضعيتها، هو القيام بالحج إلى الزاوية التجانية للالتقاء بشيخها، قصد التعرف عليه والانخراط في طريقته والنهل من بركاته وطلب سند أعدائهم بفريطاون. وقد أنجز وفد يمثلهم هذه المهمة بنجاح خلال سنة 1841، وفي شأنهم يقول الحرازم «قضى الحجاج<sup>3</sup> بدنكراي Dinguiray عدة

---

1- Al Harazim (Saïf ud-Din), <the origin and progress of Islam in Sierra leone>, S. L. S, old series, 21 (1939), pp. 19-20.

2-Ibid.

3 - المقصود بهم جماعة اليوروبا الذين حجوا لزيارة زاوية الحاج عمر وتحصيل العلوم الإسلامية على يده.

شهور<sup>1</sup>، بل أقام بعضهم لمدة ثلاث سنوات من أجل دراسة القرآن والتوحيد Théologie، وبعض الأشعار والمؤلفات العربية، وأكثر من هذا وذاك، حملوا معهم الطريقة التجانية<sup>2</sup>.

وبعد هذا التاريخ وحتى نهاية القرن 19 حافظ المسلمون اليروبا (الأكو<sup>3</sup> Aku) بفريطاون على علاقات منتظمة مع الحركة العمرية في مرحلة فوتاجلون وبعدها، لأنهم رأوا في الحاج عمر عالما مسلما فذا ووليا صالحا وقائدا إسلاميا لا يزيد نجمه إلا سطوعا، فوجدوا في ذلك فرصة لا تعوز لإرسال البعثات الطلابية إلى جيكونكو Jégunko قصد التحصيل والدراسة لعدة سنوات كانوا يعودون بعدها إلى بلادهم أساتذة أكفاء لتعليم الدين الإسلامي ونشر تعاليمه وقيمه وحضارته.

وانطلاقا من أهمية هذا المستوى العلمي والروحي والعمران البشري، الذي أصبحت عليه الزاوية التجانية بفوتاجلون، خلال أربعينيات القرن 19، فإن المصادر الفرنسية المعاصرة للشيخ عمر لم تبالغ عندما صورت جيكونكو Jégunko كمدينة ذات مجتمع تراتبي مزدهر، منهمك في مراكمة الأسلحة والعبيد وممارسة أعمال تجارية مربحة لا يجد أية صعوبة

---

4 - Dinguiray هي البلدة التي سيهاجر إليها الحاج عمر، بعد إقامته في جيكونكو Jégunko، وتوجد دينكراي إلى الشمال الشرقي من جيكونكو عند منابع نهر النيجر.

2-Al Harazim (S.D), op. cité; pp. 21 et ss.

3 - الأكو<sup>3</sup> Aku، يشكلون أحد مكونات اثنية اليوروبا Yoroba.

في الحصول على بعض السلع المستوردة مثل ورق الكتابة، بفضل شبكة فوتاجلون التجارية المنتشرة في كل الجهات وخصوصا في اتجاه الموانئ الأطلسية القريبة منها مثل فريطانون<sup>1</sup>.

هذه إذن هي أهم العوامل التي ساهمت في قيام الزاوية التجانية ب فوتاجلون خلال أربعينيات القرن 19 ووطدت نفوذ الحاج عمر في المنطقة وجعلته قاب قوسين أو أدنى من الإعلان عن قيام حركته الإصلاحية الجهادية المؤطرة بتعاليم الطريقة التجانية لرفع راية الإسلام بالسودان الغربي والقضاء على بؤر الشرك والوثنية بها. لكن قبل انطلاق هذه الحركة ركز الحاج عمر جهوده بعد قيام زاوية جيكونكو، على نشر تعاليم الطريقة التجانية خارج فوتاجلون لتعم كل بلاد سينغامبيا Sénégalie أولا بطرق سلمية، قبل أن تمتد بعد ذلك مكتسحة بلدان ضفاف نهر النيجر الأوسط والغربي، مستفيدة في ذلك من انتصارات جيش الجهاد العمري. فما هي إذن الوسائل الموظفة لنشر تعاليم الطريقة في المرحلة السلمية؟

## 2 - انتشار تعاليم الطريقة: العوامل المساعدة والوسائل المسخرة لذلك.

يمكن تقسيم العوامل المساعدة على انتشار الطريقة التجانية ونجاح حركة الحاج عمر في السودان الغربي حوالي منتصف القرن 19 إلى ما هو بنيوي وظرفي:

---

1-Robinson (D), op. cité, p. 114.

البنوي من هذه العوامل يتعلق بطبيعة أنظمة الحكم الارستقراطية التقليدية بالدول السينغامبية الإسلامية منها وغير الإسلامية التي كانت تستند إلى الاستبداد واستغلال الشعب في الأشغال الفلاحية والأعمال التجارية، مع إجبارها على أداء ضرائب ثقيلة في تغيير هذا الوضع الثورات الإسلامية على امتداد القرنين 17 و 18 وبداية القرن 19 في فوتاتورو والمناطق المحيطة بها والقرية منها، لاصطدام كل هذه الثورات بمعارضة المتضررين من أي تغيير محتمل يروم إرساء قواعد المساواة والعدالة الاجتماعية بين الناس. وكانت هذه القوى المعارضة غالباً ما تحقق أهدافها بتواطؤها مع قوى خارجية مثل فرنسا التي لم تكن تنتظر أحسن من مثل هذه الفرص.

وكان يتساوى في هذا الجشع رجال الدين المسلمون وغير المسلمين من حكام ورجال أعمال لا يتورعون عن ركوب أية مطية لتحقيق أهدافهم الاقتصادية. وما يقال عن كنفدرالية فوتاتورو الإسلامية ينطبق على بلدان أعلى نهر السنغال ذات الاقليات الإسلامية إذا ما استثنينا بلاد بوندو Bundu. فهذه البلدان الغنية بثرواتها الطبيعية والبشرية كما علمنا، لم تعرف كاياناتها وحدة سياسية متراسة تساعد على التقدم.

وبفعل هذا الواقع كانت ضعيفة المناعة سهلة الاكتساح من قبل الأعداء. ومن المعلوم أن أعتى عدو بجوار هاته البلدان الغنية من جهة الشمال الشرقي هو دولة كارطا الوثنية التي إما أنها كانت تستعرض عضلاتها فتوسع حدودها كما تشاء أو أنها كانت تتدخل لصالح هذا الحاكم

أو ذاك لترجيح كفته ضد عدوه<sup>1</sup>، ومثل هذا التدخل كان يساعد على إبقاء ما كان على ما كان، من ضعف ناتج عن الاتحاد والوحدة داخل البلد الوحيد. وهذه الحالة المزمنة من عدم الاستقرار واستغلال الحكام للمحكومين، وسيادة أنظمة سياسية وأنماط انتاج فيودالية أساسها تجارة الرقيق والاسترقاق وعجز الطريقة القادرية<sup>2</sup> عن تغيير الواقع المتردي، وما رافق ذلك من تدخل أجنبي في الشؤون الداخلية، في جل بلدان سينغامبيا SÉNÉGAMBIE، هذه الحالة هي التي ولدت الشعور باليأس وعدم الرضى لدى كل الفئات الشعبية التي تعيش في ظل هذه الأنظمة، مما جعلها تتطلع إلى التغيير للعيش في ظروف أحسن.

ودون أن نستمر في تمطيط الكلام بخصوص هذا الموضوع الذي نرى أننا أوليناه ما يستحق من العناية في الفصل الخاص بالتعريف بالإطار الجيوسياسي والبشري للمنطقة، نخلص إلى القول، إن مثل هذه العوامل

---

1 - من أجل اطلاع أوسع على هيمنة كارطا على مجاورها من أقاليم واستعمالها القوة ضد كل من ناصبها العداء، وكذا تقديمها السند والعون لمن دفع إليها أكثر، يمكن الرجوع إلى:  
- Mody Cissoko ( S), Contribution à l'histoire politique des Royaumes du Khasso dans le Haut Sénégal, des origines à la conquête Française 17e à 1890, Doctorat d'Etat, Université de Paris, 1979.  
وخصوصا القسم الخامس من هذه الأطروحة.

-Monteil (ch.), les Bambara de Ségou et du Karta, op. cité, pp. 116 et ss

2-Ly Tall(M), op. cité, p. 81.

البنوية ساعدت الحاج عمر على نشر تعاليم الطريقة التي رأى الكثير من شعوب المنطقة أن فيها من الوعود والفضائل ما يحقق سعادة الفرد في الدارين، فتخلّى الكثير منهم عن الطريقة القادرية لهذا السبب وراحوا يلتمسون الانخراط في المذهب الصوفي الجديد إسوة بباقي الناس الذين عبروا عن رغبتهم في ولوج تجربة التصوف لأول مرة.

ومن العوامل الظرفية التي ساعدت على انتشار تعاليم الطريقة، سمعة التجانية وشيخها سيدي احمد التجاني والصدى الطيب الذي كان يصل عنها من الزاوية التجانية بفاس ومن الجنوب المغربي ببلاد شنقيط، التي لا تفصلها عن المنطقة التي ندرسها سوى نهر السنغال. والحالة هذه أن قبيلة إدا وعلي الشنقيطية كما مر بنا هي التي يرجع إليها الفضل في التعريف بالتجانية بعد المجهود الذي بذله شيخها الأول محمد الحافظ الذي أخذ مباشرة عن سيدي احمد التجاني بفاس، وعاد إلى بلاده يحمل لقب خليفة التجانية والاذن في اعطاء أورادها.

بل نجد شيوخا في الطريقة من السنغال أخذوا أورادها إما من فاس مباشرة أو من بلاد شنقيط أو من كلاهما معا، مثل مولود فال قبل أن يتعرف الحاج عمر على هذه الطريقة، مما يعني أن بلدان كنفدرالية فوتاتورو وسنغامبيا لم تكن تجهل كل شيء عن التجانية. وهذه كلها عناصر نعتقد أنها كانت من بين العوامل الظرفية التي ساعدت على انتشار تعاليم الطريقة، إلى جانب سكونية الطريقة القادرية وركون شيخوها إلى الاستفادة من الأوضاع السائدة مكتفين بالتوسط لحل بعض النزاعات وإصدار بعض



الفتاوي من حين لآخر في أحسن الأحوال<sup>1</sup>.

الأطماع الفرنسية في غرب إفريقيا عامة والسنغال خاصة كانت أيضا وراء تدمير السكان وشعورهم بالإحباط من رؤية بلادهم تخضع للاستغلال البشيع من قبل الفرنسيين أمام عجز حكامهم المزمّن الذين مهروا في ممارسة شتى أنواع الذل والمهانة عليهم، وعوض أن يقوم هؤلاء الحكام بما من شأنه أن يوقف تقدم العدو في البلاد دخلوا معه في سلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات على امتداد عدة عقود تقضي بإطلاق يد العدو في أراضي نهر السنغال الأسفل والأوسط<sup>2</sup>، بما يترتب عن ذلك من استغلال للخيرات الطبيعية والطاقات البشرية مقابل ضرائب عرقية في

1-Hampaté(B.A.) et Daget (J), op. cité; pp. 273 à 285.

-Webster (J.B)and Bohen (A.A)With Idowu (H.O.), History of-West Africa, New York, 1972, P. 22.

2 - ما أكثر المعاهدات التي أبرمها أئمة فوتاتورو Futa Toro مع سلطات سان لوي

الفرنسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ونكتفي بذكر أهمها:

- معاهدة 31 مارس 1785.

- معاهدة 3 ماي 1804.

- معاهدة 4 يونيو 1806.

- معاهدة فاتح ابريل 1808.

- معاهدة 31 غشت 1830.

غير أن أخطر هذه المعاهدات هي معاهدة 10 أبريل 1859 ثم معاهدة 26 مارس 1863، تقضي الأولى بفصل إقليم طورورو Toro عن إقليم فوتا لإضعاف التكتلات السياسية والعسكرية، بينما قضت الثانية بضم إقليم تورو إلى سان لوي ليصبح بذلك خاضعا للسلطات الفرنسية انظر: - Saint Martin(Y); l'Empire Toucouleur et la France; op. cité; pp. 50, 51; 53, 57, 58.

شكل هدايا عينية كان المستفيد منها الحكام ومساعدوهم ومن دار في  
فلكهم من الطغمة البيروقراطية التي لا تبقى ولا تذر.

وإذا كان الحضور الفرنسي بسان لوي قد خدم قضية الحاج عمر من  
خلال تدخله في المنطقة بشكل غير مباشر فإن الأنجليز هم الآخرون  
شكلوا ورقة رابحة لشيخنا الذي استفاد من تنافسهم مع الفرنسيين على  
المنطقة ومن المتاجرة معهم في فريطاون Freetown واقتناء ما هو في  
حاجة إليه من أسلحة وكماليات وسلع متنوعة.

هذه باختصار هي أهم العوامل الهيكلية والطرفية التي سهلت انتشار  
تعاليم الطريقة التجانية وسطوع نجم الشيخ عمر الفوتي بالسودان الغربي.  
فما هي إذن الوسائل وأهم الآليات التي سخرها هذا الشيخ بشكل  
موضوعي وعملي لنشر تعاليم طريقته واعداد العدة لانطلاق حركته  
الاصلاحية بعد الانتهاء من مرحلة تأسيس الزاوية؟ باستطاعتنا التمييز في  
هذه الوسائل بين ما هو ميداني وما هو فكري.

أ- الاجراءات الميدانية: يمكن إجمال أهمها في سلسلة الأسفار  
والزيارات الميدانية التي قام بها الحاج عمر خارج فوتاجلون ابتداء من  
حوالي سنة 1846 في اتجاه معظم بلدان سينغامبيا وما رافق ذلك من  
تجمعات كان يعقدها مع أعيان الأقاليم التي كان يحل بها لاطلاعهم على  
طبيعة دعوته وتعاليم طريقته<sup>1</sup>، ومن تنظيم دروس في الوعظ والإرشاد

---

1-Kamara(C.M), Histoire du Boundou, traduction et annotation par =

وتوعية الناس بأمور الدين الإسلامي وتبسيط ما استعصى على الناس بخصوص ممارسة الاذكار والأوراد وحيث ما مر كان يترك جماعة من مريديه مكلفة بالسهر على مواصلة العمل في عين المكان بغية توسيع دائرة إشعاع الطريقة التجانية<sup>1</sup>، منبها إياهم إلى ضرورة التزام حسن المعاملة مع الناس والسير بسير ضعفائهم في التلقين وعدم اللجوء إلى العنف مهما كانت الأسباب لافتا إنتباههم بالمناسبة إلى الحادث الذي وقع له، وهم معه مع مجتمع الجاخانكي Jakhanke الإسلامي خلال زيارتهم له ببلدة طوبا Tuba والذين عبروا له عن تحفظهم تجاه دعوته، فرحل عنهم دون وقوع مشاكل بين الطرفين<sup>2</sup>. وقد ترك هذا السلوك أحسن الأثر في الرأي العام المحلي الذي أبدى تعاطفا مع الشيخ بعد مغادرته للبلدة، ومن الإجراءات الأخرى خلال سفره الطويل الاستكشافي والدعوة عبر سينغامبيا علاوة على ماسبق، تعيين المقدمين من بين أهالي المناطق التي يزورها بعد تكوينهم والبرهنة عن أهليتهم، كما لجأ إلى استقطاب أهم العناصر النافذة وإرسال البعثات والرسائل إلى أماكن وشخصيات معينة

---

= = Moustapha Ndiaye, Bulletin de l'I.F.A.N, serie B No 4, 1975, pp. 21 et ss.

1 - كان تلاميذه يسبقونه إلى الأماكن التي يريد زيارتها، حاملين معهم نسخا من كتاب

رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم الذي يشتمل على كل تعاليم الطريقة التجانية . انظر :

-Ly Tall(M), op. cité, p.161.

2-Robinson(D), op. cité, P. 117.

يدعوهم فيها إلى العودة إلى الإسلام الصحيح<sup>1</sup> والوقوف إلى جانبه لتحقيق هذا الهدف الذي لا يمكن أن يتحقق في نظره إلا بتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية الصحيحة، وهو أمر لن يتأتى إلا إذا عرف الإنسان ربه وأحس بالقرب منه، وآمن بأن الوحي حق وأن الرسالة المحمدية مستمدة من إرادة الله الذي أراد من خلالها الخير لعباده أحياء وأمواتا.

وكسبيل للوصول إلى هذه الغاية النبيلة يقترح الحاج عمر من خلال مبعوثيه ورسائله على مخاطبيه الانخراط في الطريقة التجانية التي من شأن المبادئ التي تتضمنها تعاليمها أن تحقق السمو الروحي للمخلصين من مريديها. وبما أن هذا السمو يؤدي إلى حب الله ورسوله، فإن الجماعة التي يخصصها الله بهذه النعمة سوف لن تألو جهدا في الذود عن شرع الله ونصرته على أرض الواقع بتطهيرها من كل مظاهر الشرك والوثنية مهما كلف ذلك من ثمن. وبذلك يتضح أن التجانية شكلت الاطار والسلاح الإيديولوجي لعمله الاصلاحى الجهادي الذي يعد له.

بعد هذه النظرة الإجمالية لأهم ما قام به الحاج عمر خلال رحلته الدعوية خارج فوتاجلون من أجل نشر تعاليم الطريقة نعود لمحاولة التفصيل في بعض مضامينها. تجعل المصادر الفرنسية خروج عمر من فوتاجلون في بداية رحلته إلى بلدان سينغامبيا في سنة 1846 والتي

---

1-Ly Tall(M), op. cité, pp.161-162 .

ستقوده إلى بلاده التي لم يزرها منذ حوالي عشرين سنة<sup>1</sup>. وكانت أول مرحلة في سفره بعد هذا الخروج من جيكونكو هي بلاد توباTuba في الشمال الغربي من فوتاجلون، وهي بلدة تضم عددا كبيرا من العلماء المس'ين من أصل الجاخانكي Jakhanke المعروفين بتدينهم مع رفضهم للتدخل في الشؤون السياسية، بما في ذلك تبني الجهاد كوسيلة لنشر الإسلام، وهم بموقفهم هذا يشبهون شيوخ القادرية المختارية الكنتية، فغادر الحاج عمر توبا في هدوء، مخلفا وراءه صدى طيبا رغم فشل مهمته. وإلى الغرب من توبا Tuba وعلى بعد بضعة مراحل من بلاد جولوف<sup>2</sup> Djolof حط في أرض باكواPakaw التي وجد بها استجابة كبيرة لدعوته من قبل أهاليها الذين يدين أغلبيتهم بالإسلام، لكن يرجع الفضل في هذا النجاح الذي لقيته دعوته إلى الانخراط في التجانية، إلى أحد علماء هذه البلدة المدعو محمد الفكاوي Mohammed Alfakawi الذي كان يعتبر أهم أستاذه لتدريس قواعد الشريعة الإسلامية وعلوم الدين وأحد أعيان باكواPakaw النافذين، مما جعل أعدادا كبيرة من الطلبة والمهتمين يقصدون مدرسته يوميا للاستفادة من معارفه<sup>3</sup>. ومع مرور السنين صار له تلاميذ

1-Dumont (F.), l'Anti-sultan; op. cité; p. 99.

-Ly Tall(M), op. cité, p.161 .

-Robinson(D), op. cité, P. 117.

2 - إقليم يقع جنوب شرق مدينة سان لوي.

3-Kamara (C.M.),la vie d'El Hadji Oumar; traduite et Annotée par Amar Samb; Bulletin de l'I.F.A.N, serie B, No 1, 1970, P. 64.

واتباع كثيرون، وذاع صيته في كل أرجاء باكوا Pakaw. وبعد أن اجتمع هذا الفقيه بالحاج عمر وانصت إليه، وتعرف على الخطوط العريضة لدعوته أقسم ولاء الاخلاص للشيخ التجاني، وقبل التجانية طريقة فاقته به كل تلاميذه وعدد من زملائه وذويه. وقبل أن يغادر الحاج عمر هذه البلدة التي أحسن إليه أهلها، عين الفقيه محمد الفاكاوي مقدما للطريقة التجانية مانحا إياه الإذن بإعطاء الأوراد والأذكار بالشروط المعروفة لمن يرغب فيها.

وعندما عزم الحاج عمر على الرحيل إلى بلاده جولوفا Djolof في اتجاه الغرب وإلى الجنوب من فوتاتورو كمرحلة جديدة من سلسلة مراحل سفره، ونظرا لمعرفة الفقيه الفاكاوي Alfakawi على ما يبدو، بموقف ولوف المتحفظ من الاسلام وخوفه على مضيعته من الأذى، فقد عرض على الشيخ التجاني فرقة من الجند ترافقه لحمايته حتى فوتاتورو<sup>1</sup>، فاعتذر الحاج عمر عن قبول هذا العرض بأدب، وطلب منه مضيعته أن يسمح لابنه فقط بمرافقته بعد علمه بموقف الولوف المعادي له ليكون شاهدا على الكرامات التي ينعم الله بها عليه.

وهنا تختلط الأسطورة بالواقع عندما تتحدث بعض المصادر عن أن الولوف أعدوا العدة فعلا لاغتيال الحاج عمر ونصبوا له كمينا، لكن تمكن مع ذلك من المرور بجانب المتآمرين عليه سالما، حسب نفس المصدر بسبب

---

1-Robinson(D), op. cité, P. 118.

ما أصابهم من النوم<sup>1</sup>. ودون ذكر خبر الكرامة هذا وتعرضت مصادر أخرى لما يشبه هذا الحدث عندما ذكرت أن الحاج عمر وهو في طريقه إلى فوتاتورو أحرز في سينغامبيا بعض النجاح رغم معارضة بعض القادة لدعوته<sup>2</sup>، وقد يكون هذا البعض هو الذي يعنيه خبر الكرامة السابق.

وبغض النظر عن هذا الحادث فإن الأمور سارت على أحسن ما يرام بالنسبة لصاحبنا الذي نجح في تكوين رصيد مهم من الأنصار بعد مغادرة باكاو Pakaw، على طول المسافة التي قطعها قبل الوصول إلى بلاده فوتاتورو. وهؤلاء الأنصار كانوا يتشكون من إثنيات فولانية، مالينكية وولوفية وغيرها، وأين ما حل كان يترك جماعة، صغيرة من التجانيين قبل الرحيل لتتكب على خدمة التجانية ونشر تعاليمها، وإطلاع الرأي العام على المشروع الإصلاحى الكبير الذي يعد له شيخهم لتخليص البلاد والعباد من المآسى التي تتخبط فيها.

وعندما وصل الحاج عمر مع جماعته إلى مشارف فوتاتورو، بلده ومسقط رأسه، كلف أحد طلبته المسمى جيوو أوسمان Jewo Usman<sup>3</sup> Samba صامبا بأن يسبقه في الدخول ليعلن خبر وصوله إلى الفوتين،

---

1-Kamara (C.M), la vie d'El Hadji Oumar; op. cité, pp. 64-65.

2-Le Chatelier(A), l'Islam dans l'Afrique Occidentale; Paris, 1899 pp 172 et ss.

3-Ly Tall(M), op. cité, p.172 .

وقد تعتمد هذه الخطة ليعلم بوصوله أكبر عدد ممكن من الفوتين، الذين هو في أمس الحاجة لإنجاح خطته ومشاريعه، فهو في الوقت الذي يدعو فيه الناس إلى الدخول أفواجا في الطريقة التجانية، يهدف من خلال ذلك في نفس الوقت إلى كسب مزيد من التلاميذ والمريدين والأنصار، الذين سيتكون منهم جيش الجهاد، أطرا وجنودا عاديين بعد خضوعهم لما يلزم من إعداد للخدمة العسكرية. وكانت أول بلدة فوتية حط الرحال بها: حلوار<sup>1</sup> Halwar بطبيعة الحال مسقط رأسه وقرية آبائه وأجداده التي لم يزرها منذ حوالي عقدين من الزمن، فحل بها ضيفا على أعمامه، وباقي أقاربه، وفي الوقت الذي كان فيه ينشر تعاليم الطريقة ويستنهض الهمم، كان يبث المخبيرين والجواسيس هنا وهناك، للاطلاع على أخبار كونفدرالية فوتاتورو وأوضاعها العامة، فاتضح له أن المنطقة برمتها تنن تحت عدة ضربات: ضغط الشناقطة من الشمال، وأطماع الفرنسيين من جهة الغرب، وطغيان وثنبي كارطا من الحدود الشرقية، ثم فساد الطبقة الحاكمة من المسلمين الذي أدى إلى التفكك السياسي بين بلدان كنفدرالية فوتاتورو. وهذا يعني أن الوضعية قابلة للانفجار بسبب حالة اليأس القاتلة

---

1-Mage(E), Voyage dans le Soudan occidental; op. cité; pp.143 à 146

-Carrère(F) et Holle (P.), de la Sénégalie Française, op. cité, pp. 195 -194

-Kamara (C.M), la vie d'El Hadji Oumar; op. cité, pp



التي وصل إليها السكان، مما يبعث على الاعتقاد أن قابلية هؤلاء الآخرين للانخراط في الجهاد متوفرة، الشيء الذي جعل الحاج عمر الفوتي يقوم بعدة مساعي للوصول إلى غايته من بينها:

- بعثه بعدة رسائل ومبعوثين إلى كل مجلس من مجالس كنفدرالية فوتاتورو يحثهم من خلالها على الدخول في الطريقة التجانية وقبول الانخراط في الجهاد<sup>1</sup>.

- قيامه شخصيا بإعطاء دروس في حلوار Halwar وبلدات أخرى في تعميق معرفة الناس بالدين الإسلامي وتعاليم الطريقة التجانية<sup>2</sup>.

- لفت انتباه الناس من خلال التجمعات التي كان يعقدها معهم إلى أهمية الجهاد في التشريع الإسلامي، وإلى الجزاء الأوفى الذي وعد الله به الشهداء الذين يضحون في سبيله<sup>3</sup>، علاوة على فوائده الدنيوية التي تتلخص في إسقاط الطغاة والمستبدين أعداء المساواة والعدالة الاجتماعية.

- قيامه بزيارة لبلاد شنقيط لمدة قصيرة للتعريف بمشروعه من جهة، ولإضعاف الجماعة القادرية النشيطة في الضفة الجنوبية لنهر

---

1-Ly Tall(M), op. cité, p.172 - 173 .

-Robinson(D), op. cité, P. 119.

2-Ibid.

3-Dumont (F.), l'Anti-sultan; op. cité; p. 98 à 116.

السنغال<sup>1</sup> ، بقيادة سيديا الكبير تلميذ الكنتيين من جهة ثانية<sup>2</sup> .

- ترتب عن هذه المساعي ب فوتاتورو، نتائج ملموسة في مقدمتها سقوط بعض الأئمة، مثل الإمام بابالي Babaly إمام جابا Jaba القادري الطريقة بإقليم هيبيابي Hébiabé<sup>3</sup>، واستقطابه لعدد كبير من الأنصار الذين كانوا مخيرين بين الالتحاق به مباشرة أو انتظار توصلهم بتعليمات في وقت لاحق تتعلق بالموضوع .

وتؤكد المصادر ان العناصر التجانية القليلة السابقة للوجود كانت نشيطة جدا في التعاون مع هذا الشيخ، ولعبت دورا بارزا في تكاثر الأنصار حوله. وأسفرت اتصالاته وإقامته التي دامت حوالي ستة أشهر بموطنه، بفضل هذا التجاوب الكبير الذي لقيته دعوته عن نتائج أخرى بالغة الأهمية بسبب الإسهام الذي ستقدمه في نجاح المشروع الإصلاحي الجهادي التجاني بالسودان الغربي. ونقصد بذلك تمكنه من التحالف مع بعض الأسر النافذة بالعلم والمال والسلطة مثل أسرة وان Wan ب مبومبا Mbumba، وأسرة جيراي Giray، وهي أسر أرسقراطية، كانت تغدق العطاء للشيخ وتدعم بيت ماله اقتصاديا، وهي تقدم هدايا نقدية وعينية أهمها الخيول والدواب والعبيد<sup>4</sup> .

---

1-Kamara (C.M), la vie d'El Hadji Oumar; op. cité, pp. 66-67.

2-Robinson(D), op. cité, P. 119.

3 - Hébiabé وهو إحدى بلدات إقليم فوتاتورو.

4-Yaya(W),<De Hawlar à Dégembérée ou L'itinéraire islamique =

ومن بين هذه الأسر من أقسم يمين الولاء له، ونذر نفسه وذويه وأملاكه لخدمة الإسلام والتجانية بالمنطقة. وتقديرا لإخلاصهم ونظراً لما برهنوا عنه من كفاءة بمعرفة الإسلام واثقان لممارسة أذكار الطريقة، عين نخبة منهم مقدمين في الطريقة وضباطا كبارا في جيشه وأبرزهم:

- الفا عمر تييرنو بايلا Alpha Omar Thierno Baïla، وهو من قرية هايري بفوتاتورو<sup>1</sup>.

- الفا عمر تييرنو مولي Alpha Omar Thierno Mullé، أحد زعماء بوصيا Bosséa، التقى بالحاج عمر في هوريفوندي Horéfondé<sup>2</sup>.

- الفا عباس Alpha Abbas، أحد زعماء بوصيا Bosséa أيضا.

- أحمد علي جيليا Ahmed Ali Jeliya: عالم موريطاني على رأس مجموعة من الرجال الأفاضل<sup>3</sup>.

كل هذه الشخصيات وغيرها أذعننت للحاج عمر، وقدمت له فروض الطاعة رغم ما بلغته من العلم والجاه بسبب ما وجدوه في شيخهم الجديد من سمات الكمال المعرفي والسمو الروحي وحب الخير للجميع.

---

= deShaykh Umar Tall>, B. I. F. A. N, serie B(1969), PP. 447 et ss.

-Ly Tall(M), op. cité, p.173 .

1- <De Hawlar à Dégembérée...>op. cité, p. 447 et ss.-Yaya(W)

2-Ly Tall(M), op. cité, p.173 .

3-Tyam(M.A), la vie d'El Hadji Omar, op. cité; 29 et ss.

قبل أن ننتقل للحديث عن ما تبقى من مراحل رحلة الحاج عمر في طريق عودته إلى فوتاجلون مروراً ببلدان أعالي نهر السنغال، نحاول الإجابة على سؤال يفرض نفسه. ويتعلق بموقف صاحبنا<sup>1</sup> من الحضور الفرنسي بسان لوي Saint Louis وفوتاتورو، وبمعرفة ما إذا كان هناك اتصال بين الطرفين أم لا؟ وما نتيجة ذلك؟

تطرقت أكثر من دراسة ميدانية لهذا الموضوع، وأكدت حصول لقاءات بين الحاج عمر والفرنسيين، خصوصاً دراسات كارير وبول هول Carrère et P.Holle وماج Mage ودولافوس Delafosse، التي تفيد بشكل عام أن الحاج عمر، التقى مرتين على الأقل بالسلطات الفرنسية وبممثلي تجار سان لوي، المرة الأولى قرب بودور Podor وحلوار Hawar في نهاية سنة 1846، والثانية في صيف سنة 1847 في باكل Bakel<sup>2</sup>.

وتبعاً لنفس المصادر، فإنه في كل لقاء كانت تجري بين الطرفين محادثات، يعبر من خلالها الحاج عمر عن رغبته في إقامة مملكة سياسية يزدهر فيها العدل والأمن والتجارة. وقد رحب الموظفون والتجار

---

1 - نقصد به الحاج عمر.

2-Carrère(F) et Holle(P), de la Sénégalie Française, op. cité, pp.194-195  
-Mage(E), Voyage dans le Soudan occidental; op. cité; pp. 144Æ-145.

-Delafosse (M),Haut Sénégal. Niger, Pris, 1912; T1,p.357et ss.

الفرنسيون بمشروع الحاج عمر، ولم يبدوا أي اعتراض ضده، بل كانوا يقدمون إليه هدايا ثمينة. ومما يؤكد حقيقة هذا اللقاء مع الفرنسيين، الرسالة التي بعث بها الحاج عمر إلى والي السنغال دوكرامون-De gram mont الذي تسلمها بتاريخ 25 يونيو 1847، جاء فيها: « لي معكم روابط محبة وثقة، وسأعمل على صيانتها على الدوام، إني مهتم بشؤونكم، وستعلمون إن شاء الله عندما سأعود إلى سينغامبيا، أنني رجل يمكن الاطمئنان إليه، وستعلمون ان الناس الذين يهتدون بهدي محمد صلى الله عليه وسلم لا يحدون عن كلمتهم»<sup>1</sup>. إنها المرونة التي تتطلبها المواقف السياسية الصعبة والأسلوب الدبلوماسي الذي لا خيار عنه رغم أن صاحبنا من رجال التصوف، عندما يكون رجل الساعة في مرحلة بحث عن التوازن المطلوب. ومما شجعه على نهج هذا الأسلوب المرن، المعاملة الطيبة التي خصه بها الفرنسيون وموقفهم الإيجابي منه<sup>2</sup>، ورغبته في الحصول على مساعدتهم أو حتى حيادهم أو هما معا في الفترة السابقة لبناء أسس دولته على الأقل.

---

1-Robinson(D), op. cité, P. 120.

وقد أشار المؤلف إلى وجود هذه الرسالة محررة بالعربية ومعها ترجمة لها بالفرنسية

وأحال على: A. N. S, 13 G, pièce 16.

2 -Webester(J.B) and Bohen (A.A) With Idowu (H.O), op, cité,.p.

هذا النوع من الوفاق بين العدو المسيحي والشيخ الفوتي التجاني، يبدو غير منطقي للوهلة الأولى، خصوصا وأن أحد أهداف الحاج عمر في حركته الإصلاحية الجهادية بالسودان الغربي هو محاربة التغلغل المسيحي والقضاء على أسبابه.

ويمكن فهم هذا التعارض بسهولة عندما نعلم، أن موقف الشيخ الفوتي المداري للفرنسيين كان مرحليا «تكتيكيا» فقط كما سنبسط ذلك فيما بعد، وسنرى كيف انقلبت المجاملة والمداراة إلى صرامة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، الخاصة بوضعية الذميين في المجتمعات الإسلامية. وهذا ينطبق على الفرنسيين عندما سيكون جيشه بصدد حصد الانتصارات تلو الأخرى في أعالي نهر السنغال خلال خمسينيات القرن 19.

من جهة أخرى انضم عدد من ممثلي تجارة سان لوي Saint Louis المسلمين على إثر هذه اللقاءات إلى جماعة الحاج عمر، بأموالهم وخبرتهم وأسرارهم عن نقط ضعف الفرنسيين، وربطوا مصيرهم بهذا الشيخ ورهنوا أنفسهم بذلك بخدمة الطريقة التجانية<sup>1</sup>.

كانت هذه بشكل موجز هي حصيلة عمل الحاج عمر الفوتي بفوتاجلون وهي حصيلة حافلة بالنتائج الإيجابية التي شجعت على المضي قدما في البحث عن مزيد من الدعم، وهذا ما سيعمل من أجله خلال مروره

---

1-Robinson(D), op. cité, P. 120.

ببلدان أعالي نهر السنغال، في طريق عودته إلى فوتاجلون، فزار أهم المراكز الإسلامية بها وأهمها كاجاكا Gajaga وبوندو Bundu التي اتصل فيها بأسرة السيسبي Sisebbe التي أسست دولة إسلامية بهذا البلد منذ القرن 17، ثم بلاد خاسو Khasso وبلاد كونجورو Gunjuru. وفي كل هاته البلدان التي سبقته أخباره إليها، كان يترأس التجمعات لتبليغ رسالته الطرقية والجهادية، مع ما يرافق ذلك من تقديم شروح وأجوبة على الأسئلة وتلقين الأوراد واختبار قدرات الناس واستعداداتهم الفكرية، ليتسنى له بعد ذلك تعيين المتقدمين في الطريقة التجانية واختيار الأطر العليا الذين سيرافقونه. وفي الوقت نفسه كان يعمل على دراسة طبغرافية الميدان والمواقع الإستراتيجية لهذه البلدان التي تأوي المتعاطفين معه من أعيان الأهالي، إذ لا تخفى أهمية هذه الأقاليم من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية كما فصلنا القول في ذلك في فصل سابق.

بزيارة بلدان نهر السنغال الأعلى ختم الحاج عمر جولته الاستطلاعية الدعوية الاعدادية لمرحلة الإصلاح والجهاد التي شملت كل بلدان سنغامبيا تقريبا. وفي نهاية سنة 1847 أخذت قافلته الشبيهة بمدينة متحركة طريقها عائدة إلى جيكونكو<sup>1</sup> حيث ترك أفراد عائلته منذ حوالي سنة. كانت هذه القافلة تتضمن مكونات بشرية وحيوانية متعددة: رجال، ونساء، وعبيد،

---

1-Kamara (C.M), la vie d'El Hadji Oumar; op. cité, pp. 67-68.

-Dumont (F.), op. cité; p. 94.

وجمال ودواب أخرى تحمل علاوة على عليّة الناس والحريم كميات كبيرة من المؤن والأمتعة والهدايا...

عودة الحاج عمر محفوفا بالحرس والجنود والعبيد إلى جيكونكو، أرهبت ملك فوتاجلون الإمام عمر وجعلته يلتزم الحيطة والحذر تجاهه بعد أن تحولت وضعيته من رجل دين عادي إلى ملك غير متوج، يحيط نفسه بكل مقومات الملك وأسباب المنعة في وقت يصعب فيه التكهن بنواياه الحقيقية ومراميه من هذه التعبئة الملفتة للنظر<sup>1</sup>. وحسما لكل تردد قرر إمام فوتاجلون المتحفظ أصلا من هذا الشيخ الذي دخل البلاد في ظل أسرة الفاي المتنحية عن السلطة، منع الحاج عمر من دخول البلاد، مظهرا بذلك عداؤه السافر ضده<sup>2</sup>. فكيف إذن سيكون رد فعل صاحبنا تجاه هذا القرار البالغ الضرر بالنسبة له؟

في انتظار الجواب على هذا السؤال في الشطر الثاني من هذا الفصل، نمر الآن للحديث عن بعض الوسائل الفكرية التي وظفها لنشر تعاليم الطريقة التجانية.

### ب - الإجراءات الفكرية:

لم يدخر الحاج عمر جهدا كما مر بنا في إعطاء الدروس من أجل

---

1-Dumont (F.), op. cité; p. 94-95.

-Ly Tall(M), op. cité, p.176.

2-Yaya(W)<De Halwar à Dégembérée.....>, op. cité, p. 449 et ss.



التوعية الدينية على طول رحلته. وفي كل البلدان التي كان يتوقف بها. كانت هذه الدروس التي يساعده تلاميذه تركّز أساساً على تعليم الناس ما يجب أن يعرفه المسلم بالضرورة وتصحيح بعض الممارسات التي كان يقوم بها الأهالي، ولا تمت للإسلام بصلة، ولم تكن تتعارض هذه الدروس في مضامينها مع أهداف وتعاليم الطريقة التجانية التي كان يلقيها للناس، باعتبار أن تعاليم التصوف السني بشكل عام وعبر العصور الإسلامية، كانت ولا زالت تهدف إلى صيانة العقيدة الإسلامية والابتعاد بها عن التشوّه والانحراف وهو شيء لا يمكن تحقيقه إلا بالممارسة اليومية للشعائر الدينية، قلباً وروحاً على المستويين النظري والعلمي، بعد معرفة كيفية تحقيق هذه الممارسة على وجهها الصحيح بإرشاد خبراء في التربية الروحية. وهو الدور الذي لعبه الحاج عمر في السودان الغربي بنجاح، رغم أنه خرج عن المسار الذي رسمه شيوخ التصوف التقليديون، عندما تطلعت همته إلى تأسيس كيان سياسي.

لقد عمل الحاج عمر بفعالية وإخلاص واقتدار في إعطاء هذه الدروس، مما جعل الكثير من الفقهاء والعلماء بالمنطقة يحنون أمامه، اعترافاً له بعلو كعبه في مختلف العلوم الإسلامية، وإظهاراً لحاجتهم في النهل من مدده الروحي.

غير أن المجهود الفكري الأبلغ أثراً والأكثر شهرة بخصوص نشر الطريقة التجانية في السودان الغربي على يد هذا الشيخ هو الذي تحقق

بواسطة الكتب التي ألفها الحاج عمر في هذا الموضوع وأهمها:

- رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم.

- سيوف السعيد.

- سفينة السعادة.

- تذكرة الغافلين.

- تذكرة المسترشدين.

- المقاصد السنية.

كل هذه الكتب وغيرها، ألفها صاحبها في الطريقة التجانية للتعريف بتعاليمها وتفصيل القول فيها بشكل مبدع وبأسلوب مبسط وأفكار واضحة، حتى يستفيد منها أكبر عدد ممكن من المطلعين عليها. ونظرا لتشابه المعلومات الواردة في كل هذه الكتب وتكرار بعضها البعض الآخر في كثير من الأحيان، وبناء على أن بابا خاصا سنفرده للتعريف بالإنتاج الفكري التجاني في السودان الغربي لا حقا، فإننا ارتأينا التركيز في هذا المحور على أجود هذه الكتب وأحسنها قيمة علمية وذيوعا والأكثر مقروئية على الإطلاق بالمنطقة ويتعلق الأمر بكتاب:

### **\* حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم.**

أنهى الحاج عمر تأليف هذا الكتاب المكون من جزئين سنة 1261 / 1845 كما صرح هو نفسه بذلك «...وتم والحمد لله يوم الأحد المبارك وقت الضحى وذلك بعد ثلاث مضي من شهر الله رمضان عام 1261 من

## الهجرة النبوية...<sup>1</sup>

ومن المعلوم أن هذه السنة كان يوجد خلالها فو تاجلون-Futa Djal lon منذ عدة سنوات، على إثر عودته من المشرق كما علمنا، فهل أنجز كتابه برمته بعد هذه العودة إلى أرض الوطن، أم قبل ذلك، بحيث اقتصر عمله في جيكونكو Jégunko على الترتيب والتبويت فقط؟ خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار كون كتابه سيوف السعيد<sup>2</sup>، المؤلف في فترة إقامته بسكوطو يشكل مختصرا لكتاب الرماح، وما أشيع من أن أحد أسباب الخصومة بين الحاج عمر وخليفة ماسينا شيخو أحمدو ترجع إلى تمكن بعض المقربين من السلطان الماسيني، من وضع يدهم على مسودة من كتاب الرماح. ونظرا للضخامة التي ظهر بها الكتاب، ولكثرة فصوله وتنوع مواده، وتميز الجهد الذي بذله صاحبه من أجل كتابته ومراعاة أيضا لكثرة الأشغال والتحركات التي أخذت من وقت صاحبنا للتعريف بنفسه وبدعوته إلى غرب افريقيا، فإننا نرجح من جهتنا أن يكون تأليفه تم في معظمه خلال الفترة التي استغرقتها عودته من الديار المقدسة وهي فترة تميزت

---

1 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم، م.س، ج II، ص 282

2 - سيوف السعيد المعتقد في أهل الله كالتجاني على رقبة الشقي الطريد المعتقد الجاني، مخطوط رقم 2135 د ضمن مجموع من ص 1 إلى 101، كما توجد نسخة منه بالخزانة الوطنية بباريس تحمل رقم 5401 من الورقة 1 إلى 39 ضمن مستندات أرشينا Archinard الخاصة بمخطوطات غرب افريقيا.

بخصوصية كبيرة في انتاج الحاج عمر الفكري.

بعد البسملة والصلاة والسلام على الرسول ﷺ نقرأ في أول صفحة من هذا الكتاب الذي يشتمل على حوالي 546 ص «...أما بعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد عمر بن سعيد الفتوي الطوري الكدوي الراجي فضل الحميد، هذا كتاب سميته: «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم». وضعته لنفسه ولإخواني في الطريقة ثم لمن شاء الله نفعه به من أهل الشريعة والحقيقة ورتبته على مقدمة وخمسة وخمسين فصلاً...»<sup>1</sup>.

هذا الكتاب كما قدمه صاحبه يعالج بالفعل الكثير من القضايا المتعلقة بالعقيدة الإسلامية بشكل عام، وخصوصاً ما يتعلق منها بكيفية الحصول على القرب من الله، وهو القرب الذي لا يتحقق إلا بامتثال العبد لأوامر ربه وابتعاده عن نواهيه، كما ينص على ذلك القرآن والسنة النبوية.

وبما أن المسلمين في العالم بصفة عامة وفي إفريقيا جنوب الصحراء بصفة خاصة، يؤمنون بالتعاليم الواردة في هذين المصدرين من غير الالتزام بتطبيق مضامينها بالشكل الذي يحقق القرب من الله، فإن الدروس التي يقدمها الحاج عمر من خلال كتابه تهدف إلى تحسين مستوى أداء الفرد المسلم لواجباته الدينية. وبذلك يمكن القول إن الطريقة التجانية هي

---

1 - عمر بن سعيد الفتوي، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، م.س، ج.1، ص 2-3.

وسيلة للتبليغ فقط ومنهج عملي مبسط لتطبيق أركان الشريعة الإسلامية، مركزة في ذلك على قاعدة مهمة في حياة الشخص، وهي السلوك الذي ركز الحاج عمر معظم مجهوده العملي والنظري عليه باعتبار أن النجاح في توجيه سلوك المسلم إلى محبة الله ورسوله سيؤدي به حتما إلى الإخلاص في عمله ومعاملاته اليومية، لأن محبته لخالقه تمنع عليه القيام بما لا يرضيه مما يؤدي في النهاية إلى خلق مواطن صالح.

كتاب الرماح إذن ليس كتابا دعائيا لطريقة صوفية معينة بقدر ما هو كتاب داعية، جامع للكثير من النوازل والإشكاليات الدينية، يشهد على هذا القول العدد الكبير من مصادر الفكر الإسلامي المتنوعة والأصيلة التي اعتمدها في انجاز كتابه، فعلاوة على القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين شكلا مصدري عمله الأساسيين، نجده يحيل على الكثير ممن سبقه من العلماء من فقهاء ومتصوفة أمثال مالك بن أنس، والترمذي، والزمخشري، والتفتازاني، والأجهوري، واللقاني، والزرقاني، وابن أبي زيد القيرواني، والفشني، والغزالي، وابن العربي، والحافظ بن حجر، والجنيدي، والبسطامي، وزروق، والخازن، وعبد القادر الفاسي، والبناني، والمختار الكنتي، وأحمد التجاني، وعبد العزيز الدباغ، وابن فودي، وغيرهم كثير، بمعنى أنه لا يصدر حكما أو يرجح رأيا على آخر في قضية من القضايا الفقهية إلا إذا وجد في ذلك مبررا شرعيا من الكتاب والسنة.

وحتى لا نشغل على القارئ، نقتصر فيما يلي على التعريف بأهم

فصول الكتاب الخمسة و الخمسين، خصوصا تلك التي نقدر أنها لعبت دورا مؤثرا في نشر تعاليم الطريقة التجانية بالمنطقة، مع محاولة التعقيب على كل فصل بغية التعرف على مراميه.

| الفصل و موضوعه                                                                                                                                       | لجزء و الصفحة          | التعقيب                                                                                                                                                                                                                  |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الفصل 2 : في ترغيب الإخوان في الإنتساب إلى أولياء الله تعالى و التعلق بهم و بمحبتهم و خدمتهم                                                         | ج I ص 18<br>و ما بعدها | لأنه من أحب أولياء الله أحب الرسول صلى الله عليه وسلم و من أحب الرسول أحبه الله و أسكنه فسيح جناته، كما يفهم من تفاصيل الفصل الممتدة على حوالي عشرة صفحات، وهذا ما يستوجب الإنقياد للحاج عمر.                            |
| الفصل 5 : في إعلامهم أن زهد الكمل ليس بخلو اليدين، وإنما هو بخلو القلب و لا يتحقق لهم كمال المقام إلا بزهدهم فيما في أيديهم و تحت تصرفهم من غير حائل | ج I ص 42-50            | كان الحاج عمر و هو يواجه الناس و يفسر لهم تعاليم الطريقة كثيرا إلتصاق بواقع مخاطبيه الذين يحبون متاع الدنيا و زخرفها، ولذلك كان يشرح لهم أن الاستغراق في الذكر و عبادة الله، لا يعني بأي حال التخلي عن الواجبات الدنيوية |

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |                         |                                                                                            |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>التي تضمن عيش الإنسان واستمراريته وكرامته كما سنلاحظ ذلك في فصل لاحق من فصول هذا البحث.</p>                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |                         | <p>== بينهم وبينه.</p>                                                                     |
| <p>مثل هذا الكلام كان يوجهه الحاج عمر لكبار فقهاء من أنصاره ومريديه الذين يفسرونه لباقي الناس. و مرامي هذا الفصل بالغة الأهمية بالنسبة للداعية، فالولي الذي يفهم وينطق بنور الله لا يتقيد بتفسير علماء الظاهر، لكن في شروط وحدود معينة ودون أن يحدث عدم التقيد هذا أي خلل فيما هو معروف من أركان الإسلام الخمسة مما من شأنه أن يحدث البلبلة بين المسلمين، وأهم شيء يميز العارف والولي الفقيه العالم بظاهر الشريعة أن الأول يعلي الله شأنه في الدنيا بإظهار كرامات عليه تخرس الألسن، وقد عمل الحاج عمر بعدم التقيد هذا على غرار شيخه سيدي أحمد التجاني.</p> | <p>ج I ص 96 إلى 98.</p> | <p>الفصل 10 : في إعلامهم أن الولي المفتوح عليه لا يتقيد بمذهب معين من مذاهب المجتهدين.</p> |

|                                                                                                                                                                                                                |                              |                                                                                                                                                                                                              |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>و هذا يعني ضرورة الانخراط في الطريقة التجانية و طلب مساعدة شيخ الوقت و خليفة التجانية في المنطقة ، الحاج عمر.</p>                                                                                           | <p>ج I من ص 101 إلى 103.</p> | <p>الفصل 12 : في إعلامهم أنه يجب على كل عاقل يريد تخليص نفسه من الرذائل النفسانية و الشيطانية طلب شيخ مرشد.</p>                                                                                              |
| <p>هذا ركن من أهم أركان الطريقة التجانية و القاضي بأن الراغب في الدخول فيها عليه أن يتخلى عن الطريقة التي ينتمي إليها أصلا ، و قد ركز الحاج عمر على هذا الركن الذي أفاده في كسب المزيد من الاتباع إلى صفه.</p> | <p>ج I من ص 108 إلى 109.</p> | <p>الفصل 14 : في إعلامهم أنه يجب على كل من تعلق به التلاميذ و المريدون لطلب التربية و الإرشاد و التعلم إذا من الله تعالى عليه بوجود من هو أعلم و أكمل منه أن ينسلخ عنهم و يتبع هو و هم ذلك الأعم الأكمل.</p> |
| <p>أطال الحاج عمر الكلام في هذه الفصل كما نلاحظ ، لما ينطوي عليه من أهمية تتعلق بسلوك المريد الظاهري و الباطني.</p>                                                                                            | <p>نفسه ص 112 إلى 121.</p>   | <p>الفصل 16 : في إعلامهم أن أول قدم يضعه المريد على هذا الطريق ، الصدق.</p>                                                                                                                                  |



|                                                                                                                                                                                        |                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>الفصل 18: في إعلامهم<br/>أن الشيخ و هو الولي<br/>الكامل في قومه كالنبي<br/>في أمته و أن مبايعته<br/>كمبايعة النبي صلى الله<br/>عليه وسلم.</p>                                       | <p>نفسه من ص<br/>126 إلى 131.</p> | <p>هذه القاعدة الصوفية خدمت إلى<br/>حد كبير أهداف الشيخ عمر ومراميه</p>                                                                                                                                                                                                                             |
| <p>الفصل 19 : في<br/>تحذيرهم من مخالفة<br/>الشيخ بعدم امتثال<br/>أوامره حاضرا كان<br/>أو غائبا و الإعتراض<br/>عليه سرا و جهرا.</p>                                                     | <p>نفسه ص 132<br/>إلى 139.</p>    | <p>و هذا ما يفرض على المريدين الطاعة<br/>والإنصياع لشيخهم و تنفيذ أوامره<br/>دون مناقشة إن أرادوا الفوز برضى<br/>الله في الدارين، فاستفاد الشيخ عمر<br/>كثيرا من هذا التحذير و هو يجمع<br/>الأنصار و يكون جيش الجهاد.</p>                                                                           |
| <p>الفصل 22 : في إعلامهم<br/>بأنه لا بد لكل مريد<br/>صادق أن يقتصر على<br/>قدوة واحدة و لا<br/>يتشوف و لا يلتجئ<br/>إلى غيره و لا يزور<br/>وليا من الأولياء<br/>الأحياء و الأموات.</p> | <p>ج I من ص 153<br/>إلى 160.</p>  | <p>هذه القاعدة الصوفية في الطريقة<br/>التجانية معروفة و منصوص عليها<br/>في كتاب جواهر المعاني، و في<br/>الافادة الأحمدية و غيرهما من الكتب،<br/>و قد ركز عليها الحاج عمر في كتابه<br/>كما نرى لأنها تجانية أولا، صادرة عن<br/>أعلى سلطة تجانية قبله، و لكونها<br/>وسيلة فعالة لاستقطاب الأتباع.</p> |

|                                                                                                                                                                                                                           |                                |                                                                                                                                                           |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>هذه قاعدة صوفية معروفة أيضا. أسهب الحاج عمر في الحديث عن فضائلها كما نرى، لما يترتب عن النجاح في إقناع الناس بالإيمان بها، من إقبال مكثف على الطريقة التجانية.</p>                                                     | <p>نفسه ص 161 إلى 171.</p>     | <p>الفصل 23 : في أعلامهم بأن الوالد المعنوي الذي هو الشيخ أرفع رتبة وأولى بالبر والتوقير وأحق رعاية وأكد دراية وأقرب حسبا وأوصل نسبا من الوالد الحسي.</p> |
| <p>يقدم الحجة و الدليل في هذا الفصل على أنه تجاني، محب للشيخ سيدي أحمد التجاني ومتفان في الإخلاص له ولطريقته.</p>                                                                                                         | <p>نفسه ص 190 إلى 194.</p>     | <p>الفصل 28 : في ذكر سندننا في الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية.</p>                                                               |
| <p>الهدف في تفصيل القول من هذا الفصل حسبما نرى ، هو محاولة إقناع الناس بالحجة و الدليل أنه عين خليفة للتجانية بالسودان الغربي، وليس مقدما وهي مرتبة لم يصل إليها أحد قبله من الدعاة والمرابطين بإفريقيا جنوب الصحراء.</p> | <p>نفسه ص 195 إلى 205. = =</p> | <p>الفصل 29 : في إعلامهم أن سيدي محمد الغالي رضي الله عنه و عنى به، صرح لي مشافهة أنني خليفة من خلفاء</p>                                                 |

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>و هذه المحاولة من قبل الحاج عمر للتمييز عن غيره، تظهر من خلال الفصلين الآتيين مباشرة أيضا.</p>                                                                                                                                                                                                                                                              |                            | <p>== الشيخ رضي الله تعالى عنه و أرضاه وعنى به لا من المقدمين.</p>                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| <p>علاوة ، إذن، على تصدره في الطريقة بالسودان الغربي، كما أراد ذلك الشيخ أحمد التجاني، و خليفته بالحجاز محمد الغالي بمباركة الرسول صلى الله عنه كما علمنا في ذلك في فصل سابق، فإن الله أنعم على الحاج عمر بما هو أئمن وأسمى عندما أطلعته على إسمه الأعظم ومعلوم أن الاسم الأعظم عند المتصوفة: إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى (بغية المستفيد ص 237).</p> | <p>نفسه ص 206 إلى 209.</p> | <p>الفصل 30 : في أعلامهم أن الله تعالى من علي بمعرفة اسمه الأعظم الكبير للحدث بالنعمة، وأنه موجود عند المحققين من أهل الله تعالى وأنه مضروب عليه حجاب وأنه لا يطلع الله عليه إلا من اختصه بالمحبة و اصطفاه بالعناية الأزلية، وأن من عرفه وترك القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واشتغل به يخاف عليه من الخسران دنيا وأخرى، وأنه لا يصلح للدنيا و لا لطالبها.</p> |

|                                                                                                                         |                              |                                                                                                                                                                                                                                                                                |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>الفصل 31 : في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأنه يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه.</p> | <p>نفسه ص 210 إلى 221.</p>   | <p>كل كبار الصوفية و العارفين متفقون على إمكان وقوع هذا. و هم يقدمون أدلة من الكتاب والسنة لتأكيد ذلك، وقد وجد الحاج عمر في إخبار الناس بهذا الفضل ما ساعده على ازدياد الناس تعلقا به لشوقهم إلى مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم والإرتقاء في أحضان من يجالسه ويراه يقظة.</p> |
| <p>الفصل 37 : في بيان أن من أعمال البر ما يقتضي غفران الذنوب للكبائر والصغائر.</p>                                      | <p>ج الثاني ص 36 إلى 45.</p> | <p>توسع الحاج عمر في هذا الموضوع كما نرى لأنه مرتبط بالسلوك الذي يرضي الرب الذي يبارك أعمال المتفانين في إعلاء كلمته بشتى الوسائل، و منها الجهاد الذي يشغل بال الحاج عمر المنهمك في الإعداد له.</p>                                                                            |
| <p>الفصل 39 : في ذكر فضل الأذكار اللازمة للطريقة على التفصيل ودلائلها في الكتاب و السنة.</p>                            | <p>نفسه ص 56 إلى 93.</p>     | <p>أذكار الطريقة التجانية اللازمة كثيرة و قد تطرقنا إليها في فصل سابق ، و قد ضمنها الحاج عمر كتابه ليطلع عليها تجانيو السودان الغربي.</p>                                                                                                                                      |

|                                                           |                            |                                                                                                                                                                                                                                            |
|-----------------------------------------------------------|----------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>الفصل 47 : في إعلامهم أنه يجب عليهم طاعة المقدمين.</p> | <p>نفسه ص 195 إلى 197.</p> | <p>ركز الحاج عمر في كتابه كثيرا و عبر عدة فصول على الطاعة و الانضباط باعتبارهما أساس السلوك، التعاليم التجانية نفسها صارمة في هذا الصدد، و هذا ماساعده على صنع رجال يمكن الإعتماد عليهم لإنجاز المهام الخطيرة الشأن كالجهاد و الإصلاح.</p> |
|-----------------------------------------------------------|----------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

هذه باختصار هي أهم فصول كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم الذي حرص الحاج عمر على تلقين مضامين تعاليمها التجانية إلى مريديه و أتباعه، مركزا في ذلك على الجانب السلوكي بالدرجة الأولى.

و علاوة على هذه الفصول السبعة عشر التي قدمناها لإبراز العناصر التي ارتكز عليها المؤلف بالدرجة الأولى لنشر الطريقة التجانية في سينيغامبيا Sénégambe خاصة السودان الغربي عامة فإن الفصول الثمانية و الثلاثين الباقية لا تقل أهمية عن سواها. و السبب الذي جعلنا نعمل على عدم التركيز عليها هو اشتغال نصوصها على كل تعاليم الطريقة التجانية التي جمعها الشيخ علي حرازم برادة في كتابه جواهر المعاني، الذي فصلنا القول في شأنه ضمن الباب الخاص بالتجانية في المغرب، مع ملاحظة وجود بعض الإضافات و الإجتهدات في هذه النصوص التي تجعل من تجانية السودان الغربي تجانية عمرية لها خصوصيتها إلى حد

ما نسبة إلى الحاج عمر صاحب الفضل في ضمان نشر إشعاعها في إفريقيا جنوب الصحراء<sup>1</sup>. و من بين فصول تعاليم الطريقة التجانية التي نقرأها في جواهر المعاني و رماح حزب الرحيم بشكل متطابق في المضمون، وهذا أمر طبيعي، تلك التي تحمل العناوين الآتية :

- في تحذيرهم و تنفيرهم من الإنكار على الأولياء و معاداتهم.

- في ذكر آداب الذكر و ما يراد منه.

- في ذكر فضل شيخنا رضي الله عنه.

- في فضل المتعلقين بالشيخ سيدي أحمد التجاني.

- في شرح معاني الأذكار اللازمة للطريقة.

- في جواب الشيخ سيدي أحمد التجاني عن مسائل متفرقة.

- في بعض كلامه ووصاياه رضي الله عنه.

- في ذكر بعض ما يكفر الذنوب.

هذا الكتاب<sup>2</sup> الذي أتى أكثر تفصيلا و توثيقا<sup>3</sup>، حول كل ما يتعلق بتعاليم الطريقة التجانية يعكس قوة شخصية مؤلفه و اتساع أفق فكره

---

1- Marty (P.), Etude sur l'Islam maure, Collection de la Revue du Monde Musulman, Paris, 1916, PP 275 à 360.

2 - نعني به رماح حزب الرحيم...

3 - مقارنة مع كتبه الأخرى.

في علمي الظاهر و الباطن. و نظرا لاطلاع الحاج عمر الواسع و خبرته بعقلية أبناء منطقته فقد أتى مضمون الكثير من فصول هذا الكتاب بشكل مرتب و مبسط، راعى فيه صاحبه على ما يبدو الخصوصية المحلية فيسر و لم يعسر، و أقنع في تقديم أفكاره و لن يستبد برأيه، مقدما من أجل ذلك عند الضرورة سيلا من الاستشهادات المستمدة من الكتاب والسنة، مما يبعث على الاعتقاد أنه أفرغ كل ما في جعبته في هذا الكتاب استعدادا لمعركة الجهاد، إضافة إلى أن عدد المثقفين و المستنيرين حوله من التلاميذ و الطلبة و الأنصار أصبحوا من الكثرة بمكان مما يسمح للرماع بكثرة التداول من قبل الطلبة و المريدين و المتعاطفين.

و مع تكاثر نسخ الرماح و ذيوها في مختلف أنحاء نهري النيجر و السنغال ستمكن الطريقة التجانية من إدخال تعاليمها لكل المدن و القرى. و هذا ما كان الحاج عمر في أمس الحاجة إليه.

ظل كتاب الرماح في شكله المخطوط إلى أن عملت مطبعة الإستقامة بالقاهرة سنة 1927 على نشر النص الكامل للرماع بجزءيه على هامش كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم برادة<sup>1</sup>، ثم ظهرت له طبعات أخرى، و بنفس الشكل منها طبعة دار الكتاب العربي ببلبنان عام 1973. و النسخة التي نتوفر عليها صادرة عن دار الجيل ببيروت سنة 1988. و أول دراسة

---

1- Awad (M.), Un Fondateur de Confrérie religieuse Maghrébine, Sidi Ahmed Al-Tijani. op. cité, pp.252 et 254.

جزئية لكتاب الرماح تمت بجامعة دكار Dakar باللغة الفرنسية سنة 1967 أنجزها موريس بويش<sup>1</sup> Maurice Puech لنيل دبلوم الدراسات العليا في ترجمة و دراسة لم تنشر حسب ما نعلم. و قد شملت عشرة فصول فقط من أصل الخمسة والخمسين فصلا التي يتضمنها الكتاب. والفصول العشرة التي ترجمها بويش Puech وركز عليها في دراسته هي:

– الفصل الخامس : الزهد<sup>2</sup> : Le renoncement

– الفصل العاشر : حرية الشيخ<sup>3</sup> La liberté du Saint

– الفصل الثاني عشر : المرشد<sup>4</sup> (الشيخ) Le Guide

– الفصل الثالث عشر : الناسك<sup>5</sup> L'Ascète

الفصل الثامن عشر : الشيخ في قومه كالنبي<sup>6</sup> في أمته... Le Saint... dans sa Communauté

– الفصل العشرون : طريقتنا هذه طريقة شكر و محبة<sup>7</sup> ... Voie

d'Amour et de louanges و أهلها لا يشتغلون بالتشوف إلى ما

---

1- Les Rimah : Un Traité de Sciences religieuses musulmanes, écrit en Arabe par le Cheikh El Hadj Omar, traduit par Maurice Puech, Dakar, 1967 (Dactylographié),

2-Ibid, pp 53 à 69.

3- Ibid, pp 70 à 76.

4- Ibid, pp. 77 à 83.

5- Ibid , pp. 84 à 92.

6- Ibid, pp. 93 à 105.

7- Ibid, pp . 106 à 116.



يشغل عن الله تعالى.

– الفصل التاسع والعشرون : الحاج عمر يعين خليفة للطريقة  
التجانية بالسودان الغربي<sup>1</sup>.

– الفصل الواحد والثلاثون : النبي والولي<sup>2</sup> Le Prophète et le  
Saint.

– الفصل الرابع والأربعون : الخلوة و شروطها<sup>3</sup>.

– الفصل الخامس والأربعون : الخلوة الروحية<sup>4</sup> La retraite Spiri-  
tuelle.

في مقدمة دراسته هذه، لفت موريس بويش Maurice Puech  
الإنباه إلى أن نص الرماح المنشور على هامش كتاب جواهر المعني، لا  
يعني بأي حال أن الأول تعقيب على الثاني، واعتبر بذلك عمل الحاج عمر  
الفوتي عملاً مستقلاً، متكاملاً وأصيلاً له طابعه الخاص<sup>5</sup>، وهو بذلك  
يشكل ميثاق الطريقة التجانية بإفريقيا السوداء رغم ما فرضته تعاليم  
الطريقة التجانية من تقاطع و تطابق في أفكار المؤلفين مما يعتبر أمراً

---

1-IBID, PP. 117 à 136.

2- Ibid, pp. 137 à 157.

3-Ibid, pp . 158 à 172.

4- Ibid , pp. 173 à 177.

5- Ibid.

عاديا بسبب وحدة المرجعية.

و أضاف بأنه في كتاب الرماح عملا متميزا جعل صاحبه الذي دخل التاريخ من بابه الواسع بفضل أعماله الحربية و السياسية في المنطقة، يعد من أحد أبرز مفكري عصره بما تركه من تأثير ككاتب على معاصريه والأجيال التي أتت بعده من مثقفي بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الإسلامية. و من الطبيعي في هذه الحالة يضيف نفس المصدر أن يمتد إشعاع الطريقة التجانية جنبا إلى جنب مع اتساع نفوذ الحاج عمر وانتشار تعاليم رماحه في ربوع إفريقيا جنوب الصحراء، نتيجة لغزو هذا الكتاب لكل البيوت بالمنطقة<sup>1</sup>، و لإقدام ثلثة من الكتاب على تأليف عدد من المراجع انطلاقا من تعاليمه و فقهياته كما فعل الحاج موسى دوم El Hadj Moussa Dom الذي ألف كتاب ضياء النيران<sup>2</sup>.

و من بين الكتاب و الدارسين الآخرين الذين أصدروا أحكام قيمة بخصوص أهمية كتاب الرماح، نذكر إيف ماركت Yves Marquet الذي رأى في الرماح استمرارية للكتابات الصوفية الإسلامية في المشرق والمغرب<sup>3</sup>، مضيفا أن هذا الكتاب يعتبر حجة باعتبار تعدد طبعاته في

---

1- Ibid. p 23.

2- Ibid.

3- Marquet (Y.). "Des Ikhwan al Safa à Al Haj Umar". Arabica, Revue d'Etudes Arabes, Txv. facicule I. 1968. P 7 et ss.

مصر على هامش جواهر المعاني، أما فيرنان ديمون Fernand Dumont فقد أشاد بدوره بكتاب الرماح، عندما صرح بأن مؤلفه عالِم موضوعاته بشكل شامل و معمق معتمدا في ذلك في غالب الأحيان على كثير من المصادر والمراجع، مضيفا أن قراءة كتاب الرماح تترك الانطباع بأن صاحبه على مستوى عال من الفكر و قدرة على التحليل جديرة بالإحترام<sup>1</sup>، و هو بذلك يعتبر بحق مجدد الفكر الصوفي و ناشره بشكل ساعده جدا على انتشاره في إفريقيا، و نفس الانطباع عبر عنه جون رولفس و يليس John Rolph Willis عندما أبدى إعجابه بكتاب الرماح<sup>2</sup>. لقد ساهمت تأليف الحاج عمر المتنوعة في التصوف عموما وكتاب الرماح خصوصا في نشر تعاليم الطريقة التجانية بشكل كبير في إفريقيا جنوب الصحراء، إلى جانب المجهودات التي بذلها ميدانيا لنفس الغاية كما علمنا.

و إذا أخذنا بعين الاعتبار هذه المعطيات المتعلقة بالتعريف بهذه الطريقة بسينيغامبيا SÉNÉGAMBIE من قبل الحاج عمر و النشاط الملحوظ الذي قام به لنفس الغرض، و هو في طريق عودته من الديار المقدسة إلى موطنه في كل من برنو Borno و سكوطو و ماسينا، يمكن القول

---

1- Dumont (F), L'Anti Sultan, op. cité, pp 79-80 et 88-89;

2- Ralph Willis (John), the Writings of al Hajj Umar al Futū and Shaykh Mukhtar ben Wadi at Aallah literary themes sources, and Influences, op. cité. pp. 184 et ss.

بكل تأكيد أن تعاليم الطريقة التجانية نجحت في غزو كل البيوت والأسر بالسودان الذي ينحصر نظريا بين المحيط الأطلسي غربا و بحيرة تشاد شرقا و تخوم الصحراء الجنوبية شمالا، و نطاق غابة السفانا جنوبا. وحققت بذلك تقدما ملحوظا على الطريقة القادرية الكنتية، مما جعل شيخها أحمد البكاي يكن العداء للحاج عمر، و يكون وراء كل المحن والملاحقات و الإضطهادات من سجن و تهديد بالقتل وقت مروره ب برنو و شمال نيجيريا و ماسينا بسبب ما حققته دعوته إلى الإنخراط في التجانية من نجاح بتلك الأقطار التي كان الكنتيون يعتبرونها إلى وقت قريب إقطاعا خاصا بالقادرية، لا تستطيع أية حركة النيل منها، و لا يحق لها ذلك. و هذا ما سيفضي بالتجانية إلى الدخول في حروب طاحنة سعيًا وراء تحقيق التصدر والزعامة بالمنطقة كما سنوضح ذلك.

و مع ذلك فإن المجهودات المسخرة لنشر تعاليم التجانية بالسودان الغربي، لم تنحصر في ما سبق ذكره، بل شكلت فقط مرحلتها السلمية باعتبار أن استمرار اتساع إشعاعها و ازدياد الإقبال عليها سار جنبا إلى جنب مع الزحف العسكري و الإنتصارات التي حققتها جيوش الحاج عمر في إطار حركة الجهاد التي أعلنها ضد أعداء الاسلام من الوثنيين والمسيحيين و المنافقين و المذبذبين من المسلمين ببلدان أحواض نهري السنغال و النيجر. هذا الفصل الجديد من نشاط الزاوية التجانية العسكري بالسودان الغربي، بقيادة مؤسس هذه الزاوية الحاج عمر الفوتي، هو الذي

سيكلانشاءامبراطورية إسلامية تجانية خلال النصف الثاني من القرن 19، وهو الأمر الذي اعتبرناه في تقديرنا تجسيدا للتصوف العملي.

## II - قيام الإمبراطورية التجانية بالسودان الغربي كتجسيد للتصوف العملي.

### 1 - تساؤلات حول حقيقة شخصية الحاج عمر:

قبل الانطلاق في بسط الخطوط العريضة المتعلقة بموضوع الإمبراطورية التجانية نود التوقف بعض الشيء لنتساءل عما إذا كانت لمؤسس الزاوية التجانية بالسودان الغربي أطماع سياسية شكلت برنامجا لعمله، و كانت وراء سفره إلى الديار المقدسة للبحث عن المشروع ليعود بعد الحصول عليها، و بعد احتكاكه بالتجارب السياسية في برنو و سكوتو، و ماسينا، متوفرا على كل الآليات المادية و المعنوية التي تسعفه على إقامة نظام سياسي، ساعده في تشييده حالة البؤس و السخط العام التي كانت تعيشها شعوب سينغامبيا Sénagambie و النيجر من جراء أنظمة الحكم المستبدة الإسلامية و غير الإسلامية بالمنطقة.

و إذا كان الجواب على هذا التساؤل بالإيجاب كما ذهب إلى ذلك أكثر من دارس، فإن هذا يستتبع نفي كل صفة للورع و الولاية و الصلاح عن هذا الشيخ، الذي أظهرت تطورات الأحداث المتعلقة بسيرته الذاتية أنه

سعى بالفعل إلى خوض غمار التجربة السياسية والعسكرية، و تمكن في النهاية من إرساء إمبراطورية إسلامية تجانية على أنقاض عدة كيانات سياسية. بل نجد هذا الشيخ بطموحه هذا يبدو وكأنه يتناقض مع نفسه، وهو يتخلى عن ما التزم به بخصوص ما أوصاه به الرسول صلى الله عليه وسلم و شيخه المباشر في الطريقة، محمد الغالي، من ضرورة الابتعاد عن الملوك و محيطهم لأن ذلك يؤدي إلى ظلم الناس و استغلالهم، لما يترتب عن ذلك من انتهاك لتعاليم الشريعة الإسلامية<sup>1</sup>. وهذا ما لا يتماشى مع ما عرف عن الشيخ عمر من تشبث بحبل الله و سنة رسوله، و ما ظهر عليه بفضل هذا التشبث من كرامات أذهلت الأصدقاء و الأعداء. فما هو إذن الحكم الصائب الذي يمكن إصداره تجاه هذه الشخصية بناء على هذه المعطيات؟

يمكن تصنيف الدراسات القليلة التي حاولت الإجابة على هذا السؤال، بشكل عام إلى صنفين، صنف ذهب إلى أن الحاج عمر كانت تراوده أطماع سياسية، و أصحاب هذا الرأي أغلبية من غلاة المستعمرين<sup>2</sup>، أما الصنف الثاني، و أصحابه قلة<sup>3</sup> فيرون عكس ذلك،

---

1 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم...، م.س، ج I، ص 197.

2 - من بين هذه الدراسات:

- Capitaine P.j: (A), L'Islam noir, Tidjania, senoussia, Ahmadia, Contribution à l'Etude des confréries religieuses islamiques en Afrique Occidentale, Paris, 1924.= =

ويؤكدون<sup>1</sup> بناء على العديد من المعطيات أن كل ما كان يهم هذا الشيخ هو إعلاء كلمة الله و تطهير المنطقة من الوثنية و المسيحية و إعادة الإسلام بها إلى صفائه و سنيته، و العمل بذلك على إصلاح الأوضاع الاجتماعية بعد الإطاحة بالأنظمة المسؤولة عن هذه الوضعية، و هذا لا يمكن أن يتأتى حسب أصحاب هذا الرأي إلا بالقوة.

و دليلهم هي عزوف الحاج عمر عن الحكم و السلطنة رغم ما حققه جيشه من انتصارات متلاحقة، هو لجوءه منذ بداية الإمبراطورية إلى توزيع مسؤوليات الحكم و تسيير الإدارة على أبنائه و كبار الضباط من أنصاره، ليتفرغ هو للتخطيط لضمان استمرارية عمليات الجهاد التي لم تعرف توقفا إلى أن لقي ربه عملا بقول الرسول صلى الله عليه و سلم

---

== - Gouilly, Islam dans l'Afrique Occidentale Française, Paris 1952.

- Rinn (L), Marabouts et Khouan, Etude sur l'Islam en Alger, 1884.

- Maury (B), l'Islamisme et le christianisme en Afrique, Paris, 1906.

- marty (P), L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, in R.M.M. 31  
Pris, 1916.

و غير هذه الدراسات كثير.

1 - من بين الدراسات التي ترى عكس الأطروحة الاستعمارية:

- محمد الحافظ المصري، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية في غرب إفريقيا،

القاهرة 1963.

- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون و الاستعمار الأوربي في إفريقيا و عالم المعرفة، عدد

139 يوليو 1989.

-Ly Tall (M), op. cité.

- Dumont (F), op.cité.

الذي نقل عنه أنه قال لا نهاية للجهاد<sup>1</sup>.

و بعيدا عن هذين الرأيين القابلين للمناقشة بطبيعة الحال، و بناء على تتبعنا لحياة هذا الشيخ من المهد إلى اللحد من خلال قراءات متأنية، مع إيلائنا عناية خاصة في هذه القراءة، لمراحل تكوين امبراطوريته، خرجنا برأي ثالث يحاول التوفيق بين الرأيين السابقين إلى حد ما، و يتجسد هذا الرأي حسب قناعتنا في كون الحاج عمر كان يسعى إلى تكوين دولة إسلامية لها مواصفات دولة الخلفاء الراشدين المتأثرة أشد التأثير بدولة الرسول في المدينة المنورة و المسترشدة بتعاليمه في ممارسة الشؤون الدينية و الدنيوية.

فالحاج عمر بهذا المعنى لم يعمل على بناء دولته رغبة في الحكم و الاستحواذ بحطام الدنيا، كما أنه لا يجوز القول في نفس الوقت بأنه لم يكن يباشر أي حكم، بعد كل ما حقق من انتصارات و ما بسطه من نفوذ على أقاليم شاسعة من السودان الغربي، على إثر الإطاحة بطغاتها من مختلف الأديان، لاستحالة تبرير ذلك. بل الصواب عندنا هو أن الحاج عمر اتبع نموذج الرسول صلى الله عليه و سلم في مشروعه الذي جمع فيه بين الدين و الدولة، بين السلطة الدينية و الزمنية.

و نعتقد أنه لا عيب في أن يقوم شيخنا بمثل هذا الإنجاز الذي يرضي

---

-Dumont (F), l'Anti Sultan ..., op, cité, p. 129. - 1



الله و الرسول، بعد أن سخر من أجله خبرته الصوفية التي شكلت الطريقة التجانية إطارها الأمثل، لتنشئة جماعات مؤهلة سلوكيا لتصبح جنودا مسخرة في إعلاء كلمة الله.

إن ما شجعنا على ترجيح هذا الطرح هو الأمثلة المتعددة التي تشهد على تأسي الحاج عمر الفوتي فعلا بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، إسوة بالشيخ سيدي احمد التجاني، و من الأمثلة التي قلد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم:

- حب المومن لربه ولرسوله يجب أن يكون فوق حبه لشيخه تمشيا مع تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نهى الناس عن عبادته بأية كيفية من الشرك بالله<sup>1</sup>.

- إرسال رسائل و مبعوثين إلى حكام البلدان المجاورة كما فعل الرسول<sup>2</sup> صلى الله عليه وسلم.

- بعد أن أصبح خليفة للتجانية اعتبر نفسه أداة بين يدي الله لخدمة الإسلام في غرب إفريقيا.

---

1 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح الرحيم ....، م.س، ج I، ص 126 و ما بعدها.

2 - Yaya (W), de Halwar à Dégembérée ..., op. cité, pp. 447 et ss. -

- Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar ..., op, cité, p. 25 et ss

- كان يقلد الرسول صلى الله عليه و سلم بالعمل على إحلال شعور جديد محل الانتماء القبلي و العصبية، أي إحلال رابطة الدين عوض رابطة الدم<sup>1</sup>.

- عندما كثر أعداؤه بمدينة جيكونكو Jégunko و ضاق عليه الخناق، هاجر إلى دينكراي Dinguiray، فقلد بذلك هجرة الرسول<sup>2</sup> صلى الله عليه و سلم.

- الاعلان عن الجهاد بعد الهجرة.

- لم يعلن الجهاد ضد أعدائه رغم اعتدائهم عليه إلا بعد أن تلقى الإذن من الله تعالى، كما حصل للرسول<sup>3</sup> صلى الله عليه و سلم عندما نزلت

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, p. 202.

2 - Tyam (M.A) la vie d'El Hadj Omar, op. cité, p. 411.

يرى الحاج عمر أن الهجرة واجبة على كل من أراد أن يحافظ على دينه إذا أدرك أن البلد الذي يعيش فيه تنتهك فيه حرمة الله جهاراً. و قد بسط القول في هذا الموضوع حتى يعلم الجميع «بطلان قول من يقول أن الهجرة قد انقطع وجوبها و استدل على ذلك بقوله صلى الله عليه و سلم «لا هجرة بعد الفتح»، انظر:

رماح حزب الرحيم .... م.س، ج I، ص 216.

كما أورد الحاج عمر قولاً للرسول يعارض المعنى السابق و هو قوله صلى الله عليه و سلم «الهجرة باقية إلى يوم القيامة»، انظر نفس المصدر، ص 230.

3 - Salenc (J), la vie d'Al hadj Omar..., op. cité, pp. 411-412.

الآية الكريمة ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم  
لقدير<sup>1</sup>...﴾.

- كان يأمر باقتسام الغنائم بين أفراد جيش الجهاد بعد كل انتصار  
وفق التشريع الذي أقره الرسول<sup>2</sup> صلى الله عليه وسلم.  
- كان الحاج عمر يشارك بنفسه في عملية تحطيم الأصنام بعد فتح  
كل بلد من بلدان الوثنيين كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة.  
- و عندما تمكن من إنشاء إمبراطورية إسلامية حقيقية بالسودان  
الغربي كما سنرى، جمع بين يديه السلطتين الزمنية والروحية كما حدث  
في المدينة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

و باختصار شديد يمكن القول إن الحاج عمر بمحاولته إنشاء خلافة  
بالسودان الغربي، إنما أراد أن يبرهن على أنه ليس خليفة للطريقة التجانية  
فحسب، بهذه المنطقة، وإنما هو خليفة بها أيضا للرسول صلى الله  
عليه وسلم، كما يريد أن يقنعنا هو نفسه من خلال النص التالي «...بعض  
الإخوان ذكر لي أنه رأى في المنام شخصا على سرير في  
بيت له بابان وقال له ذلك الشخص: يا فلان أتعرفني؟ فقال: لا،

---

1 - سورة الحج، 39.

2 - Ly Tall (M), op. cité, p. 211.-

فقال: أنا محمد خير الوري. ثم قال صلى الله عليه و سلم: إنني أرسلت إلى شيخكم عمر، قل له أنني أسلم عليه، فليدع عباد الله إلى دين الله، فليبين كل ما أراد، فأنا الضامن له<sup>1</sup>...»

لقد رمنا من خلال هذه المحاولة البرهنة جهد المستطاع، على أن الشيخ عمر الفوتي، سعي إلى تأسيس دولة إسلامية بالسودان الغربي، مسترشداً في ذلك بسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم الشريفة، تتحقق فيها العدالة الاجتماعية والكرامة للجميع، بعد القضاء على الوثنية والأرستقراطية الحاكمة. وهذا ما يؤدي في نظرنا إلى بطلان فرضيات النزعة المادية من جهة و الترفع عن مباشرة الأمور السياسية في عمل هذا الشيخ بشكل عام.

وقد أن الأوان بعد هذه التساؤلات و محاولة الإجابة عنها، للتطرق لموضوع قيام الإمبراطورية التجانية بالسودان الغربي كتجسيد للتصوف العملي الذي يشكل الشطر الثاني من الفصل الذي نحن بصدد معالجته. ولتحقيق هذه الغاية نبدأ أولاً بالمرحلة السابقة عن إعلان الجهاد، لتتطرق بعد ذلك للمرحلة الحاسمة في بناء الدولة الإسلامية التجانية العمرية<sup>2</sup> بالسودان الغربي التي ترتبت عن إعلان الجهاد بالمنطقة.

---

1 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم...، م.س، ج I، ص 197.

2 - نسبة للحاج عمر.

## 2 - الإعداد العملي للمواجهة والهجرة إلى دينكراي

.Dinguiray

قضا الحاج عمر كما علمنا حوالي عقد من الزمن (1840 - 1850) بجيكونكو Jégunko، انكب خلالها على تربية مريديه و تأليف أهم كتبه شهرة في التصوف، وهو كتاب رماح حزب الرحيم على نحورحزب الرحيم، الذي سبق تفصيل الكلام في شأنه. و خلال نفس الفترة كان يلقي طلبته القرآن و الحديث و تفسير ما غمض من معاني بعض أوراد و تعاليم الطريقة التجانية<sup>1</sup>، الأداة المذهبية الضرورية بالنسبة له لخلق مجتمع مومن بالمثل العليا، منقاد و منضبط لا يخاف في الله لومة لائم. إنها بشكل آخر أسس البيداغوجية العمرية خلال العقد الأول من مرحلة الدعوة و الإعداد للجهاد التي ركز فيها على مفاهيم صوفية، سطرها في رماحه وأبرزها:

### أ - جهاد النفس:

و هو الجهاد الأكبر كما هو معروف في حديث نبوي مشهور<sup>2</sup>، و هو

---

1 - Kamara (C/M.), la vie d'El hadj Omar..., op. cité, p.64.

2 - روي عن الرسول صلى الله عليه و سلم قوله: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال جهاد النفس و الهوى». أو كما قال صلى الله عليه و سلم مما هذا معناه، انظر:

عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم....، م.س، ج II، ص 217، و قد ثبت في الحديث، «المجاهد من جاهد نفسه و المهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه». نفس المصدر، ص 220.

في نظر الحاج عمر ضروري لمكافحة العناصر المشاكسة التي تنطوي عليها نفس كل إنسان حتى يتسنى إنقاذ هذه النفس وإسلامها إلى الله مع أقصى درجات العبودية<sup>1</sup>، ذلك أن النفس هي العدو الأكثر خطرا على الإنسان، وهذا يعني أن محاربة الآخرين أسهل من محاربة الذات، هذا الجهاد إذن يتطلب العزوف عن كل ما يشكل عقبة في طريق السفر إلى الله أي الزهد لكن أي زهد؟

### ب - التصور الدينامي للزهد:

لقد عرفت نظرية الزهد منذ نشأة التصوف نجاحا كبيرا في المشرق والمغرب لكن إذا كان للإسلام زهاد اشتهروا بتخليهم الكامل عن ملذات الدنيا وزخرفها، رجاء التمتع بنعيم الآخرة التي تكتسي صفة التنوع والدوام، فإن عددا آخر من الصوفية ومن بينهم الشيخ عمر الفوتي رأوا أن الزهد في المال والمتاع لا يعني الاستقالة بصفة شاملة عن ما يجري في الكون مستنديين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَسَنَّسْ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا<sup>2</sup>...﴾ فالزهد بالنسبة للحاج عمر الذي يعني التخلي عن كل شيء، أمر خطير قد يؤدي بصاحبه إلى المهانة<sup>3</sup>، باعتبار أن الذي ينسحب كلية

---

1 - نفسه، ج I، ص 101.

2 - سورة القصص، 77.

3 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم....، م.س، ج I، ص 42 وما بعدها.

من الخوض في أمور الدنيا سيلجأ لا محالة إلى الآخرين من أجل ضمان قوته، و سيجد نفسه نتيجة لذلك خاوي الوفاض أمام قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾<sup>1</sup>. فإسلام المرء نفسه كلية لله و امتلاك خيرات الدنيا شيئان غير متناقضين إذن، مع ربط ذلك بطبيعة الحال بكيفية الحصول على هذه الأموال و الأملاك و طريقة توظيفها<sup>2</sup>.

فالزهد الحقيقي يرى الحاج عمر لا يكمن لا في العزلة التامة و لا في التخلي عن الضروريات، و إنما الزهد الحقيقي هو زهد القلب<sup>3</sup>، الذي يساعد على تحرير النفس من شر أهوائها، نظرا لما تشكله هذه الأخيرة من حواجز أمام العبد، تعرقل سيره إلى الله. و على العكس من ذلك فإن النفس الخالية من الران تكون مستعدة لاستقبال الأنوار الإلهية و مهياة لرفع حجب الحقيقة عنها بالتدريج، بحيث يصبح اللقاء المباشر مع الله ممكنا، في رأي الحاج عمر، بمعنى من المعاني، أهمه تجلى الفضل الإلهي لأصفائه المفتوح عليهم، فيصبح بإمكانهم نتيجة لهذا الفضل، الاطلاع على الحقيقة و هذا يجعلهم فوق كل مدرسة فقهية<sup>4</sup>.

---

1 - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، سورة المزمّل، 20.

2 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم...، م.س، ج I، ص 50.

3 م نفسه، ص 42.

4 م نفسه، ص 96.

غير أن الطريق، يضيف الحاج عمر، مليئة بالمخاطر من أجل الوصول إلى أعلى المقامات، و السائر فيها كمن يسير في الصحراء، ضال لا محالة، إن لم يتخذ مرشدا خبيرا بكل مراحل الطريق، وهذا المرشد هو الشيخ المربي<sup>1</sup>.

### ج - الشيخ المربي:

كان الحاج عمر يلقن طلبته أنه يوجد في الفكر الإسلامي نوعان من المعرفة، معرفة يلقنها الفقهاء ومعرفة تنال مباشرة من العلي القدير، وهذه الأخيرة هي معرفة الصوفية. ويذكر لهم أن الكثير من هؤلاء الصوفية كالشعراني والغزالي، يرون أن القلب هو طريق الإحساس<sup>2</sup>. و كل الحواس الأخرى تنعكس عليه بحيث أنه بواسطته يتم الوصول إلى الحقيقة، لكن من أجل أن يلعب دور الاستقبال هذا بنجاح يجب تصفيته من الأوساخ ومداواته من الأمراض. و كل علاج يبتدئ أولا بالمعرفة الدقيقة لتشخيص هذه الأمراض، حتى يمكن وصف الدواء، وهذا ما يستدعي اللجوء إلى الطبيب المختص الذي هو الشيخ المربي<sup>3</sup>.

و لا يمكن للمريد أن يصل للهدف المنشود إلا إذا اعتقد في شيخه مجموعة من الصفات أهمها:

---

1 م نفسه، ص 101 وما بعدها.

2 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم...، م.س، ج I، ص 165.

3 م نفسه، ص 161.



- اعتبار نفسه جزءا من شيخه كما يعتبر نفسه جزءا من أبيه<sup>1</sup>.
- اعتبار الروابط التي تربطه بشيخه أمتن من الروابط البيولوجية<sup>2</sup>.
- اعتبار الشيخ في تلاميذه كالنبي في أمته<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾<sup>4</sup>. و يضيف الحاج عمر إلى مضمون هذه الآية أن الله سيدعو المريدين بأسماء مشايخهم.

#### د - التزام الطاعة و الانضباط التامين:

فضلا عن كثير من الآداب التي يجب على المريد مراعاتها تجاه شيخه، يجب عليه كذلك التزام الطاعة و الانضباط و الحب و الإخلاص في كل ما يأمره به و ينهاه عنه، و هذا لا يعتبر خروجا عن تعاليم الشريعة الإسلامية، لأن كلمة الإسلام نفسها تعني الطاعة و الخضوع و إسلام الأمر إلى الله أولا ثم الطاعة للرسول و أولي الأمر. لذلك فكل الطرق الصوفية تتفق على الالتزام بالطاعة التامة للشيوخ المربين، لأن من أطاعهم، و قام بالأذكار المأخوذة عنهم بالشروط المطلوبة و داوم عليها و امتثل لأوامرهم دون غيرهم من غير سؤال و لا انتقاد، نال ما تمناه في

---

1 م نفسه، ص 161 و ما بعدها.

2 م نفسه.

3 م نفسه، ص 126 و ما بعدها.

4 - سورة الإسراء، 71.

## الدنيا والآخرة<sup>1</sup>.

وقد شكل هذا المرتكز الصوفي الأخير من عمل الحاج عمر التبروي مع مريديه، أهم اهتماماته في أفق الاستعداد للجهاد الأصغر، الذي هو إعلان الحرب على المشركين و المنافقين و المستعمرين المسيحيين. و قد ساعده في فرض هذا الانضباط و الخضوع طبيعة التعاليم التجانية نفسها التي تعرف بالصرامة و عدم التساهل مع من أخطأ من المريدين<sup>2</sup>.

و مما يبرهن أيضا على أن الحاج عمر خطط و نظر بعناية فائقة، بغية إعداد رجال مستعدين للانخراط في حزب الله، يمثلون لأوامره و يرون في شيخهم مثلهم الأعلى، لتحقيق حلم دولة الإسلام على الواقع، كثرة الفصول في كتاب الرماح المخصصة للشيخ و المريدين، و العلاقة التي تربط بين الطرفين، و الثواب و الأجر و الفتوحات الربانية التي ينالها كل من التزم من الأصحاب و المريدين بقواعد الاحترام و الانضباط و الطاعة العمياء لشيخهم.

و إذا كانت التعاليم الصوفية، و مقولات كبار المتصوفة تبقى مدونة في مظهرها بغية الوعظ و الإرشاد و التربية الروحية، لمن كتب له

---

2 - تحدثنا عن هذه الصرامة في فصول سابقة و أهمها الالتزام بأداء الصلاة في أوقاتها و عدم زيارة الأولياء، و عدم الجمع بين الطريقة التجانية و طريقة أخرى، و عدم الأمان من مكر الله ...

1 - عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم....، م.س، ج I، ص 126 و ما بعدها.

الاطلاع عليها بصفة تلقائية أو على يد شيخ مربى بالحال<sup>1</sup> و المقال<sup>2</sup>. في أحسن الأحوال، لترغيب الناس و دفعهم إلى التحلي بأخلاق الكتاب و السنة للمساهمة في خلق مجتمع مثالي إلى حد ما، فإن الحاج عمر، و بناء على النتائج الإيجابية التي حصل عليها فيما بعد، قد عمد بدون شك إلى نقل أفكاره و تعاليمه الصوفية مع مريديه و أنصاره ما بين 1840 و 1850 على الخصوص، من إطارها النظري، إلى الميدان التطبيقي حتى لا يبقى التصوف نظريا فحسب.

و نعتقد أن مدة عقد من الزمن كانت كافية لتعبئة أتباعه نظريا و علميا ليكونوا على أتم الاستعداد لتحمل المسؤولية النبيلة و الخطيرة التي تنتظرهم عندما سيحين الوقت ليعلن شيخهم عن انطلاق عمليات الجهاد. و نذكر فيما يلي بعناوين بعض فصول الرماح التي تنطرق لعلاقات المريدين بشيخهم، و التي نعتقد أن الحاج عمر ركز عليها مع تلاميذه عمليا و ميدانيا ليضمن أحسن النتائج.

---

1 - التربية بالحال هي التي يتربى من خلالها المريد اقتداء بسلوك شيخه و تصرفاته من غير قول يوجه له كالتنبيه و الزجر و اللوم و الإكثار من الملاحظات.

2 - تعتمد التربية في هذه الحالة على القول و توجيه الخطاب. و يكاد يجمع المتصوفة على أن التربية بالحال أجدى من التربية بالمقال.

الفصل الثاني : في ترغيب الاخوان في الانتساب إلى أولياء الله و التعلق بهم و بمحبتهم و خدمتهم<sup>1</sup>.

الفصل الثالث : في إعلامهم أن الاعتقاد في أهل الله ولاية<sup>2</sup>.

الفصل الخامس : في إعلامهم أن زهد الكمل، ليس بخلو اليدين من الدنيا وإنما هو بخلو القلب<sup>3</sup>.

الفصل السادس : التحذير من الإنكار على الأولياء<sup>4</sup>.

الفصل التاسع عشر : في تحذيرهم من مخالفة الشيخ و الاعتراض عليه حاضرا كان أو غائبا<sup>5</sup>.

الفصل الثاني والعشرون : لا بد لكل مريد صادق أن يقتصر على قدوة واحدة و لا يلتجئ إلى غيره<sup>6</sup>.

الفصل الثالث والعشرون : في إعلامهم أن الوالد المعنوي؛ الشيخ هو أرفع رتبة و أولى بالبر و التوقير من الوالد الحسي<sup>7</sup>.

---

1- رماح حزب الرحيم...، م.س، ج I، ص 18 إلى 28.

2- نفسه، ص 28 إلى 31.

3- نفسه، ص 42 إلى 51.

4- نفسه، ص 51 إلى 63.

5- نفسه، ص 132 إلى 140.

6- نفسه، ص 153 إلى 161.

7- نفسه، ص 161 إلى 166.

الفصل الثلاثون : في إعلامهم أن الله تعالى منّ علي بمعرفة  
اسمه الأعظم الكبير للحدث بالنعمة<sup>1</sup>.

و من العبارات الأكثر تأثيرا في مخاطبي الحاج عمر من مريديه  
و أتباعه في مرحلة التعبئة، قوله في الرماح «قال في تحفة الإخوان  
فالآداب التي من المريد في حق الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا  
وباطنا، و عدم الاعتراض عليه في شيء فعله و لو كان ظاهره أنه  
حرام...»<sup>2</sup>.

و من المعلوم أن صاحب هذا القول كان في أمس الحاجة لمثل هذا  
التعظيم و التوقير من مريديه، بحيث «لا يطلب علة الأمر الذي يأمره به  
(شيخه) بل يبادر إلى امتثال ما أمره، سواء عقل معناه أو لم يعقل...»<sup>3</sup>.  
وذلك لأن «من شرط المريد على الشيخ كلاله و لو كان الحق بيد المريد»<sup>4</sup>.  
و إذا خالف المريد هذا الشرط و ركب رأسه «فليعلم أنه في إبدار، وليبك  
على نفسه...»<sup>5</sup>.

و معلوم أن كل هذه التعاليم الصوفية ليست من إبداع الحاج عمر، بل

---

1 م نفسه، ص 206 إلى 210.

2 م نفسه، ص 132.

3 م نفسه، ص 133.

4 م نفسه، ص 134.

5 م نفسه، ص 133.

\* (أن لا يرد)

هي سابقة عنه، ويأتي على ذكر أصحابها كلما تطلب الأمر ذلك، مثل زروق و الشعрани و السهروردي، و الجنيد و الغزالي و المختار الكنتي و أحمد التجاني و غيرهم. و بما أن أي فكر لا قيمة له في حد ذاته، وإنما في كيفية توظيفه، فإن صاحبنا بذل كل ما في جهده لاستعمال الخطاب الصوفي المشحون بعبارات الوعد و الوعيد، استعمالا برغماتيا لإنجاح مشاريعه. فهو بالإضافة إلى مخاطبة تلاميذه بقوله ان «الاعتراض على الشيخ سم قاتل<sup>1</sup>...» لأن «طريق الله تعالى مجاهدة و مكابدة، و ليس طريق الراحة، و ليس للمريد أن يشترط على الشيخ<sup>2</sup>...» و بالإضافة إلى تأكيده استجابة لما سبق، على أن «من شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغسال<sup>3</sup>...»، نجده يقدم نفسه أمام جموعه من الأتباع المتحمسين، كأكبر ضامن مفترض لتخليصهم من المآسي و المعاناة في الحياة و بعد الممات لما صرح به لهم من «أن الله من علي بمعرفة اسمه الأعظم الكبير للحدث بالنعمة<sup>4</sup>».

هذه الدروس العملية في التربية الروحية الموجهة لمريديه و أنصاره كانت تسير جنبا إلى جنب مع دروس موازية في التدريب على مهنة

---

1 م نفسه، ص 15.

2 و 3 م نفسه.

4 م نفسه، ص 206 .

الجنديّة من ركوب الخيل و استعمال الأسلحة، و تحمل الصعاب،  
و مواجهة أخرج المواقف، مع ما يجب أن يرافق ذلك من استعداد نفسي  
و استبسال لتحقيق النصر على الأعداء أو الاستشهاد في سبيل الله.

إلا أنه مع كامل الأسف، لم نتمكن من وضع اليد على ما يشفي الغليل  
من الوثائق لتسليط الأضواء على طبيعة هذه التدريبات العسكرية بشكل  
مفصل، كما هو الشأن بالنسبة للمعلومات المتعلقة بالتربية الروحية، حيث  
أن جل المصادر التي تطرقت للجانب العسكري من شخصية الحاج عمر،  
تقفز بسرعة عن محطة الإعداد العسكري السابقة عن مرحلة إعلان الحرب  
لتبسط القول حول عمليات الجهاد التي أدت إلى تأسيس الإمبراطورية  
العمرية.

و مرد ذلك في تصورنا إلى كون الكتابات الاستعمارية، خصوصا  
الفرنسية منها، ركزت على تحركات هذا الشيخ التجاني العسكرية باعتبار  
أن الضباط الفرنسيين و هم يتتبعون مراحل انتصاراته المتلاحقة حرصا  
على مصالحهم، كانوا يحررون التقارير تلو الأخرى. و استمروا على هذا  
النهج حتى بعد أن فشلت حركة الحاج عمر، و فرضت فرنسا استعمارها  
على المنطقة في نهاية القرن 19، هذا في الوقت الذي لم يكن فيه الحاج عمر  
و مساعدوه الأقربون على ما يبدو يهتمون بتدوين كل ما يقومون به  
ميدانيا، لكن مع إبداء تحفظنا بخصوص هذا الحكم، باعتبار احتمال وجود  
وثائق من هذا النوع، لم يتم الكشف عنها بعد، و هو ما يمكن أن يشكل

النبوية و استلهامه لروحها في كل حركاته هي التي جعلت المقربين منه و المتتبعين لمراحل عمله، يفوهون بمثل هذه المسميات و النعوت، التي نقلها الخلف عن السلف كتابة و رواية<sup>1</sup>.

أما عن الأسباب التي جعلت الحاج عمر يترك جيكونكو مجبرا بعد أن قضى فيها حوالي عقد من الزمن، و بعد أن رحب به حكامها من أسرة ألفيا Alfaya منذ البداية كما مر بنا، فهي متعددة نقتصر على ذكر أهمها:  
- إن أسرة الصورايا Soraya التي كانت تتناوب على الحكم مع أسرة ألفيا Alfaya في فوتاجلون لم تكن مرتاحة لإقامة الحاج عمر بجيكونكو، باعتبارها تتعاطف بدون شك مع الأسرة المنافسة لهم، و التي فتحت له أبواب البلاد بعد عودته من المشرق<sup>2</sup>.

---

1 - في مقدمة الذين رووا عن الحاج عمر الشيء الكثير منذ بروزه كمجاهد مصلح إلى قيام الدولة التجانية على يده، الفقيه محمد علي تيام الذي رافق الحاج عمر مدة طويلة و ناصره بعد أن انخرط في طريقته، و قد ألف كتابا في الموضوع احلنا عليه عدة مرات هو :  
- Tyam (M.A.), la vie d'El Hadj Omar, Quacida en poular, traduit par henri Gaden, Paris, 1935.

2 - عبر الحاج عمر بشكل واضح عن تدمره و عدم ارتياحه من الموقف المعادي منه من قبل أسرة الصورايا Soraya التي تخضع جيكونكو Jégunko لنفوذها، بعد عودته سنة 1848 من الجولة التي قادته إلى بلدان سنيغامبيا و فوتاتورو على الخصوص، و قد ورد هذا الشعور بعدم الرضى في مخطوط للحاج عمر يحمل اسم: «سفينة السعادة» انظر:

- B.N.P, M.O, Man. 5485, FF° 4-5.



- مسألة تزايد عدد أنصاره<sup>1</sup>، وأعمال التعبئة الجارية ليل نهار بشكل لافت للإنتباه، مع ما رافق ذلك من توسع في العمران و كثرة المدارس التي استقطبت المهتمين و المحبين من كل الجهات داخل البلاد و خارجها.

- لجوء الكثير من الساخطين على الأوضاع من كل الأصقاع المجاورة، بما فيهم المتذمرون من نظام فوتاجلون نفسه، إلى خليفة التجانية الذي كانت شعاراته الداعية إلى المساواة و العدالة، تشكل الأمل الوحيد لاسترجاع كرامتهم.

- ما شكلته عودة الحاج عمر إلى جيكونكو من قلق للسلطات الحاكمة بعد أن أنهى رحلته الاستطلاعية عبر بلاد سينيغامبيا، و عاد منها مصحوبا بعدد كبير من الأنصار و الهدايا العينية و النقدية و العبيد و الأسلحة<sup>2</sup>.

هذه الأسباب مجتمعة و غيرها هي التي جعلت الإمام Almamy عمر حاكم منطقة جيكونكو التي شهدت نشأة الزاوية التجانية يطلب من الشيخ عمر الجلاء عن مجال نفوذه<sup>3</sup>. فكان حدث الهجرة إلى بلدة تدعى دينكراي<sup>4</sup> Dinguiray، تابعة لإقليم طامبا Tamba الذي عرّفنا به في

---

1 - Roninson (D.), op. cité, pp. 120-121.

2 - Kamara (C.M.), la vie d'Al hadj Omar, op. cité, p. 67.

-Domont (F.), op. cité, pp. 94-95.

- Ibid. - 3

4- مدينة دينكراي Dinguiray هاته بناها الحاج عمر، وهي التي تسمى في الأدبيات التجانية في السودان الغربي ب دينغراوي، انظر: عبد الله عال، هذا كتاب ابتداء جهاد شيخنا ==

## فصل سابق.

لكن دينكراي هاته لجأ إليها سنة 1849، في وقت الشدة بعد موافقة حاكمها لم تطل إقامته بها أكثر من سنتين، حتى ساءت علاقته مع مضيفه، لنفس الأسباب تقريبا التي أخرجته من جيكونكو باعتبار أن ملك البلاد يامبا ساخو Yimba Sakho، الذي قبل دخول الحاج عمر إلى بلاده بصفته رجل دين مسالم، لا علاقة له بالأمور السياسية، سرعان ما اتضح له أنه كان مخطئا في تقديره، لأهمية هذا الرجل و نواياه بعدما لاحظته من توسع في البنيان<sup>1</sup>، و تشييد للقلع في الجهة التي أقام بها هذا الشيخ<sup>2</sup>، و من حركات غير عادية و تداريب عسكرية مكثفة، و انشغال معظم الصناع في إصلاح البنادق، و إعطاء دروس منتظمة في الوعظ و الإرشاد، و تلقين الملتحقين بالزاوية مختلف تعاليم الدين الإسلامي و الطريقة التجانية، بعد أن قسم هذا المجتمع إلى قسمين: قسم يضم أنصاره من فوتاتورو، و الآخر يضم أنصاره من فوتاجلون<sup>3</sup>.

---

= = و وسيلتنا إلى ربنا أمير المؤمنين، خليفة رسول رب العالمين عمر بن سعيد، مخطوط

رقم 147 ع، خزانة علال الفاسي، طريق زعير الرباط، الورقة 39 «ب».

1 - B.N.P, M.O, FA, Man. 5713, F°. 190. -

2 - Coutouly (F.), < une ville Toucouleur de la guinée française, - 2

Dinguiraye>, Renseignements coloniaux n° 7, Juillet 1913, pp. 241 et ss.

3 - Salenc (J.), la vie d'El hadj Omar, traduction d'un Manuscrit - 3

arabe de la Zaouia Tijaniya de FES, (Anonyme de Fés), op.cité, p.111 et ss.

و رغم أن الحاج عمر كان يؤدي ضريبة سنوية<sup>1</sup> مقابل إقامته، فإن حجم القوة التي أصبح عليها، أقلق ملك طامبا و جعلته يطلب من ضيفه تدمير التحصينات التي بناها و تسليم الأسلحة النارية<sup>2</sup>. و هذا ما أدى بالطرفين إلى الدخول في حرب طاحنة شكلت بالنسبة للحاج عمر مناسبة لإعلان انطلاق عمليات الجهاد، خصوصا و أن بلاد طامبا نفسها التي توجد بها دينكراي Dinguiray بلاد كفر و ملكها من عبدة الأوثان. و سنعمل في المحور التالي على إبراز الخطوط العريضة لمراحل عمليات الجهاد التي تلت هذه الانطلاقة و التي أدت بعد حوالي عقد من الزمن إلى تأسيس الإمبراطورية الإسلامية التجانية.

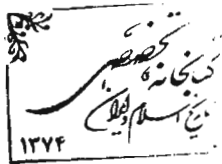
### 3 - انطلاق عمليات الجهاد المفضية إلى تأسيس الإمبراطورية التجانية بالسودان الغربي

لا نطمح من خلال هذا المحور إلى تقديم عرض مفصل عن السياسة العسكرية للشيخ عمر الفوتي، التي يمكن أن يشكل موضوعا وحده أطروحة لما كان لها من انعكاسات اجتماعية و سياسية و اقتصادية و دينية على المنطقة. بل نهدف فقط إلى التعريف بأهم أطوارها، لما رافقها أولا من انتشار لتعاليم الطريقة و لما أسفرت عنه ثانيا من قيام دولة تجانية، امتد

---

1 - Ly Tall (M.), op. cité, pp. 217 et ss. -

2 - Robinson (D.), op. cité, pp. 125-126. -



نفوذها من نهر السنغال غربا إلى تمبكتو شرقا و من بلاد الساحل إلى غينيا جنوبا.

يرجع إذن السبب المباشر لانطلاق عمليات الجهاد إلى الأوامر التي صدرت للحاج عمر من يامبا Y imba بضرورة تهديم كل ما بناه و تسليم كل ما يتوفر عليه من أسلحة مع أصحابه. غير أن الشيخ التجاني تصرف بحكمة إزاء هذه الوضعية الحرجة عندما دخل في مفاوضات مع الملك المذكور، أمهلت به بعض الوقت لوضع آخر الترتيبات لمواجهة كل احتمال. و قد انطلقت المفاوضات بين الطرفين عندما أرسل يامبا Y imba، مبعوثين عنه إلى الحاج عمر<sup>1</sup> و أبرزهم شخص له خبرة بالرواية الشفوية (un griot) يدعى جيلي موسى<sup>2</sup> Jeli Musa، و شرح أفراد هذه البعثة للحاج عمر الذي استقبلهم باحترام موضوع قلق ملكهم.

و عوض أن تعود هذه البعثة بنتائج تطمئن ملك طامبا، فإنها حسب نفس الرواية، عادت بما زاد من غضبه بسبب ما علمه من رفض جيلي موسى العودة مع أبناء وطنه و فضل اعتناق الإسلام<sup>3</sup>، و ربط مصيره بمصير الحاج عمر عدو ملكه.

---

1 - عبد الله عال، هذا كتاب ابتداء جهاد شيخنا...، م.س، الورقة 40 «أ».

2 - Tyam (M.A.), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, p. 30.-

- Mage (E.) Voyage dans la soudan Occidental., op. cité, pp. - 3  
127, 136-8, 207-208, 407.

لقد شكل هذا الحدث في تقدير ملك طامبا كارثة ما بعدها كارثة، باعتبار أن ما قام به خادمه يعتبر بيعة و مباركة سياسية، و خدمة لا ثمن لها لعدوه الذي كان ينتظر منه جوابا يقضي بالامتنال لأوامره، ناهيك عن النتائج الإيجابية التي ترتبت عن هذا الحدث لصالح عمر الذي حج إليه عدد كبير من وثنبي طامبا Tamba لاعتناق الإسلام و أخذ الورد التجاني، مما كان ينبئ ببداية نهاية عهد الوثنية و خضوع البلاد بالتدرج لتحولات عقدية جذرية، استجابة للدعوة إلى اعتناق الإسلام.

و أمام هذا الواقع المؤلم، قرر يامبا Yimba إعلان الحرب على الحاج عمر، فانطلقت حامية من جنوده في بداية شهر شتنبر 1852، بعد أن اسندت إليها مهمة الاستيلاء على دينكراي Dinguiray. غير أن الحاج عمر لم يرد على الضربات و الهجومات الأولى لهذه الحمية، لأنه لم يكن يتوفر على الترخيص الضروري للقيام بهذا الرد<sup>1</sup>.

و بينما هو في حيرة من أمره ورد عليه بعد أن أدى صلاة العصر، الترخيص الإلهي بالانتقال إلى الهجوم مسترشدا في ذلك بسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم<sup>2</sup>. و حرصا على الموضوعية لابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن الحاج عمر لم يتحدث في كتبه عن هذه المرحلة المبكرة من

---

- Salenc (J.), la vie d'Al-hadj Omar, traduction d'un Manuscrit – 1 arabe, pp. 411-412.

- Ibid. – 2

عمله العسكري، و بالتالي لا نعلم له قولاً يفيد أنه حصل على مثل هذا الترخيص الإلهي، إلا أن هذا الخبر الذي أوردته عدة مراجع متأخرة<sup>1</sup>. كان أول من تحدث عنه، على ما يبدو، مجهول فاس الذي تتلمذ على الحاج عمر ورافقه مدة من الزمن، وبصفته هذه فقد يحمل قوله المتعلق بالترخيص الإلهي محمل الصدق<sup>2</sup>.

أتى هذا الترخيص (الاذن) إذن فأعطى لجيش الجهاد الفتى الثقة والعزم لينتقل إلى الهجوم، وبالفعل فقد صدر أمر لهذا الجيش بشن حملة على مدينة تامبا Tamba التي استعصت على المهاجمين بسبب ضخامة أسواره المنيعة، مما جعلهم يلجأون إلى فرض حصار عليها استمر من شهر نونبر 1852 إلى شهر مارس 1853. وهي مدة استهلك خلالها جيش الجهاد كل ما كان يتوفر عليه من بارود في وقت كانت ظروف ميدان القتال في صالح جنود الملك الوثنى يامبا Yimba الذين كانوا يدافعون عن هذه المدينة العاصمة من داخلها، وهم يتوفرون على كل ما هو ضروري لمواصلة الحرب من مؤن وذخيرة، مما مكنهم من إحراز تفوق واضح على جيش المسلمين الذي نفذ كل ما عنده من ذخيرة و بدأ يشكو من نقص حاد في كل شيء، والحالة هذه أنه يبعد عن دينكراي Dinguiray قاعدة

---

1 - في مقدمتها دراسة مادي نالي طال Ly Tall ، م.س، ص 229.

2 - مجهول فاس هو المخطوط الذي ترجمه و قدمه له جول سالينك Jules Salenc عام 1918، والذي احلنا عليها أكثر من مرة.

السلطة الجهادية بمئات الكمترات إلى الجنوب من طامبا<sup>1</sup>.  
و بما أن الحاج عمر كان يتتبع تطور العمليات العسكرية، بكل دقة وعناية و يقظة من خلال التقارير التي كانت تصله على يد رجاله المكلفين بهذه المهمة، فقد أصدر أوامره على وجه الاستعجال بإرسال ما يلزم من المؤن و المعدات و الذخيرة إلى جبهة القتال، و قرر هذه المرة الانتقال إلى عين المكان للإشراف على سير العمليات العسكرية.  
و يبدو أن حضور القائد في ميدان رفع من معنويات جنوده<sup>2</sup> الذين نجحوا هذه المرة، بعدما أظهروه من شجاعة و استبسال في أحداث ثلثة في الحصن، مكنتهم من التسرب إلى الداخل و الاستيلاء على المدينة بكاملها، مما أجبر ملك يامبا Yimba على الفرار و الاحتماء داخل قلعته<sup>3</sup>.  
بعد هذا الانتصار الأول من نوعه في صفوف جيش الجهاد، تفيد المصادر المحلية أن الحاج عمر تخطى عن ملاحقة خصمه، لما قدمه هذا الأخير من وعد بإعلان دخوله في الإسلام، سيتضح كذبه فيه، فأعطاه الشيخ عمر مهلة لإعداد استسلامه قبل أن يعود إلى دينكراي Dinguiray.

---

1 - Robinson (D.) op. cité, p. 127.

2 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, p. 35.

3 - عبد الله عال، هذا كتاب ابتداء جهاد شيخنا...، م.س، الورقة 40، مع ملاحظة أن هذا المصدر يقلل من خسائر المسلمين انصار الحاج عمر بشكل كبير، مقارنة مع ما ورد في المصادر الأجنبية.

تاركا في طامبا حامية عسكرية من جنوده<sup>1</sup>.

اعتبر الحاج عمر هذه البداية مشجعة ونصرا من الله، وشحنة معنوية زادت من ثقة جنوده وطلبته به، لما رأوا في شيخهم من قوة غير عادية، و لكثرة ما حصلوا عليه من كميات الذهب و المؤن و التحف، بعد أن سقطت قلعة يامبا Y imba في أيديهم، و على غرار معركة بدر أفاد اليو تيام Aliou Tyam أن جنود الحاج عمر كانوا قلّة، و مع ذلك فقد نصرهم الله على عدوهم المشرك رغم كثرة جنوده<sup>2</sup>. كما ساهم هذا الانتصار على المستوى المحلي و الإقليمي في سطوع نجم هذا الشيخ التجاني الذي كان إمام فوتاجلون عدوه بالأمس القريب أول من هنا بهذا النصر<sup>3</sup>. وحتى يبرهن بنفس المناسبة على وقوفه إلى جانبه، أرسل له معدات حربية وهدايا متنوعة كما بدأت تتقاطر على دينكراي Dinguiray من مختلف الجهات أعداد كبيرة من الشباب و الكهول الساخطين، لوضع أنفسهم رهن إشارة هذا الشيخ، الذي رأوا فيه بطلا قادرا على تحقيق أحلامهم و آمالهم، بسبب ما سمعوا عنه من إصرار على العمل على تحقيق

---

1 - Robinson (D.), op. cité, pp. 126-127.

2 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, p. 35-36.

3 - Mage (E.) voyage dans le Soudan Occidental , op.cité, p. - 3

237 et ss.



العدالة الاجتماعية ببلدانهم كما هي مسطرة في كتاب الله و سنة رسوله.  
و من الإجراءات المهمة التي قام بها الحاج عمر بعد هذا الانتصار  
و التي كان لها أحسن الأثر على حركته مستقبلا إشرافه شخصيا على  
توزيع الغنائم بين المجاهدين، وإعدام كل الأسرى الذين ثبت حملهم  
السلاح ضد أنصاره<sup>1</sup>، و تعيينه لأربعة من أحسن طلبته الفوتيين، كلفهم  
بنقل أخبار هذا النصر إلى بلاد فوتا موطنه الأصلي، و التي يشكل أبناؤها  
غالبية جيشه، بعد أن تجاوبت مع دعوته بكل تلقائية و اندفاع كما علمنا.  
و هو ما أوجب عليه إخبار أعيانها المتعاطفين معه ليكونوا على علم بكل ما  
يطرأ من جديد في سير عمليات الجهاد للحصول على مزيد من الدعم من  
الرجال و الأموال. و الطلبة الأربعة الذين كلفوا بهذه المهمة هم:

- سيرنو بايلا وان<sup>2</sup> Cerno Balia Wan: و هو من بلدة كاند Kand.

- اليمان احمدو بوبو<sup>3</sup> Eliman Ahmadu Bubu: من بلدة دوناي

.Donnay

- محمدولامين ساخو<sup>4</sup> Mohammad Lamin Skho: من بلدة Sinor

---

1 - Tyam (M.A.), la vie d'El hadj Omar, op, cité, pp. 36 et ss.

2 - Ly Tall (M.), op. cité, p. 224.

3 - Ibid.

4 - Ibid.

Dang (ابن مرابط مشهور).

– الفا عباس أك<sup>1</sup> alfa Abbas Ac من رانجاو Ranjaw.

انتهت المهلة التي أعطيت ليامبا<sup>2</sup> Y imba ، للاستسلام و اعتناق الإسلام، كما وعد هو نفسه بذلك، ليتضح أنه كان كاذبا و أنه استغل فترة الهدنة المؤقتة ليعيد بناء جيشه بشكل يمكنه من الإنتقام من خصمه، لكن حليفه و زوج أخته بانجوكو Banjugu الذي يحكم باسمه في إقليم مينيان Menien إلى الشرق من طامبا، بلغه أن صهره عازم على اغتياله، ليتخذ من هذه البلدة مقر حكمه الجديد، و من جنودها رجاله القادرين على استرجاع مجده، فبادر بانجوكو Banjugu إلى تدبير مؤامرة انتهت بقتل يامبا Y imba و مصادرة كل أملاكه<sup>3</sup>.

و ما أن سمع الحاج عمر بخبر هذا الحدث الذي أراحه من تعب مشترك عنيد، حتى أرسل ممثلين عنه إلى الحاكم الجديد للمطالبة بإرث الملك الراحل، بصفته أحد رعاياه ما دام أنه وعده باعتناق الإسلام و الاستسلام. و عندما رفض بانجوكو Banjugu هذا الطلب، عد الحاج عمر موقفه

---

1 – Ibid.

2 – عبد الله عال، هذا كتاب ابتداء جهاد شيخنا...، م.س، الورقة 41.

3 – Gerresh (C.), <Jugements du Moniteur du Sénégal sur Al – Hadj Umar, de 1857 à 1864>, Bulletin de l'I.F.A.N, serie B, n° 3, 1973, p. 575.

– Kamara (C.M.), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, p. 70.

هذا إعلانا للحرب عليه، و تعديا لا مبرر له، فبادر إلى إرسال جملة من جيوش المسلمين لمنازلته، و هي الحملة التي أسفرت عن سقوط بلدة مينيان Ménien و عاصمته في أيدي المجاهدين و وفاة بانجوكو نفسه مع عدد من كبار ضباطه، فترتب عن هذا النصر الجديد رغم كثرة الضحايا في صفوف المسلمين، دخول كل سكان طامبا و مينيان، بعد مقتل زعيمى البلدين في الإسلام، مما ساهم في تضخيم جيش الخليفة التجاني و انتشار أخبار إنجازاته الموفقة في كل الآفاق<sup>1</sup>.

و لم تنحصر نتائج هذا النصر الأخير في جانبه المعنوي فقط، بل تعدته إلى الجانب المادي الذي شكل سقوط منجم بوري Bouré، وهو أهم منجم للذهب بإقليم مينان Ménien في قبضة المسلمين أحد أبرز مظاهره<sup>2</sup>.

و إذا أخذنا بعين الاعتبار غنائم الحرب النفيسة المترتبة عن انهزام حاكمي طامبا و مينان Ménien، و الهدايا النقدية و العينية التي كان يتقدم بها الناس على مختلف مستوياتهم الاجتماعية، حبا في هذا الشيخ أو خوفا منه بالإضافة إلى منجم الذهب<sup>3</sup> المشار إليه، مع ما تذرته الأعمال التجارية

---

1 - Mage (E.), Voyage dans la Soudan occidental, op. cité, p.266.

2 - Delafosse (M.), Haut-Sénégal-Niger, op. cité, T1, pp. 358 et ss.

3 - Robinson (D.), op. cité, p. 128.

في اتجاه السودان النيجيري والمحيط الأطلسي لصالح بيت مال المؤسسة العمرية، فإنه يمكننا تصور مدى الرخاء الذي ينعم به كل من دار في فلك الزاوية التجانية العمرية من عبيد وأحرار، ارتموا في أحضان هذه الحركة بسبب سخطهم على أوضاع بلدانهم المزرية. فالعبيد بعد تحريرهم من قبل الشيخ التجاني ودخولهم في خدمته، تفتح في وجوههم كباقي زملائهم من الجنود الأحرار فرص الترقى للوصول إلى أعلى المراتب، روحيا وعسكريا، مع التمتع بعد كل انتصار بما يدخل عليهم السرور من الكسب المادي والمعنوي.

و باستيلاء الحاج عمر على إقليم بامبوك Bambuk إلى الشمال الغربي بالذهب وبمناجم معدنية نفيسة<sup>1</sup> أخرى، سيكون قد خطى خطوة جبارة بخصوص تنفيذ مرحلة جديدة من مخططة الجهادي الإصلاحية الشمولي، الذي لا يشكل تمهيد أقاليم نهر السنغال الأعلى سوى جزء صغير منه، باعتبار ما سيلاقه جيشه من صعاب جمّة، في إخضاع بلدان عريقة في الوثنية، مثل كارطا وسيكو ومواجهة مملكة ماسينا المسلمة التي ناصرت هؤلاء الوثنيين، ناهيك عن ما شكله الحضور الفرنسي من عقبات لتحقيق أهدافه بالمنطقة.

و باستعراضنا فيما يلي، بشكل مختصر لكيفية تصدي الحاج عمر

---

- faidherbe (L.), la france dans l'Afrique occidentale, Paris, 1889, -1 p. 159.

لكل هؤلاء الأعداء بالتتابع، و الانتصار على معظمهم بقوة السلاح و مهادنة أخطرهم أو مناوشتهم كفرنسا، سنعلم في نفس الوقت كيف تأسست الإمبراطورية التجانية و المدى الذي بلغه نفوذها من الاتساع. و لنبدأ بالفرنسيين، هؤلاء الخصوم الذين كان على الشيخ عمر أن يحسب لهم ألف حساب و هو بصدد الشروع في إخضاع بلدان السنغال الأعلى.

### أ - رهان تمهيد و إخضاع بلدان السنغال الأعلى دون

#### الاصطدام بالقوات الفرنسية

نعلم جميعا من خلال ما قدمناه في أحد الفصول السابقة، أن فرنسا تمكنت باستعمال كل الوسائل انطلاقا من مستعمراتها بسان لوي Saint Louis، من بناء مراكز عسكرية و تجارية بأرض فوتاتورو بالسنغال الأسفل، كمرحلة أولية للاستيلاء على بلدان أعلى النهر مثل خاصو Khasso، و جديماخا Gidimakha و كاديكا gadiaga، و على الخصوص إقليم بامبوك Bambouk و بوندو Bundu، الغنيان بالذهب<sup>1</sup> كما علمنا من خلال الفصل الذي عرفنا فيه بالإطار الجيوسياسي و البشري لكل البلدان التي ستغزوها تعاليم الطريقة التجانية العمرية. هذا في الوقت الذي أصبح فيه من المؤكد أن الحاج عمر صمم العزم على إخضاع نفس الأقاليم لعدة أسباب من بينها:

---

-Mage (E.), voyage dans le Soudan occidental, op. cité, 147. – 1

- غناها بالمعادن النفيسة<sup>1</sup>.

- طغيان الكفر و الوثنية بها على الإسلام.

- استبداد الحكام المسلمين و غير المسلمين بسكانها.

- قرب سقوطها في أيدي الفرنسيين رافعي لواء المسيحية.

غير أنه من بين أهم هذه العوامل، وقوعها في طريقه إلى بلاد كارطا  
المشركة التي شكل موضوع إخضاع سكانها للإسلام أحد أهم أهدافه  
الجهادية.

انطلقت جيوش الحاج عمر من دينكراي<sup>2</sup> Dinguiray في اتجاه  
الشمال يوم 10 يونيو 1854 قاصدا بلاد بامبوك Bambouk، مورا بطامبا  
وفي 14 من نفس الشهر، عبر الشيخ عمر مع جيشه نهر البافينك Bafing  
بنيّة إخضاع بلدة كونجان Kunjan لكونها تحتل موقعا متوسطا بين  
الشمال والجنوب، و بسبب وقوعها في مفترق الطرق التجارية التي تربط  
السنغال الأعلى و كارطا بالمحيط الأطلسي، و هو موقع استراتيجي مهم

---

1 - Raffenel (A.), < Exploration e 1844 du pays de Galam et  
du Bambouc >, RC 4 (1844) .

- Colonel Br. Abadie (N.), Nos richesses soudanaises et le chemin  
de Fer Transsaharien, op. cité.

-Dumont (F.), l'Anti-Sultan, op, cité, p.105. - 2

- Ly Tall (M), op. cité, p. 225.

يسمح أيضا بمراقبة كل بلدان الماندينك Manding في الإقليم، علاوة على تحكمها في بامبوك برمتها.

ورغم الصعوبات التي لاقاها هذا الجيش بالنظر إلى الطبيعة المتضجرة للممالك التي ساروا عليها و لتعرضه لبعض المناوشات من حين لآخر، فقد تمكن من تحقيق هدفه الأول بالاستيلاء على كونجان Kunjan و استسلام حاكمها و مبايعته للشيخ عمر في شهر غشت 1854. غير أن تمهيد ما تبقى من أراضي بامبوك Bambouk في اتجاه الشمال لم يكن بنفس السهولة<sup>1</sup>.

فمن بين الأقاليم الكبرى التي مر بها بعد كونجان Kunjan و مهدا مثل جالافرو Jalafaru و جوكيبا Jokeba و سيرمانا Sirmanna، و كينييبا Kenieba و فارابانا Farabanna نجد اثنين منها أظهرت عداة مكشوفة للجيش الإسلامي الذي اضطر لاستعمال كل ما في وسعه من القوة، و يتعلق الأمر بسيرمانا Sirmanna التي التجأ إليها الرافضون لهذه الحركة من المسلمين و غير المسلمين، و التي لم تستسلم إلا بعد أن مات حاكمها مندا كيؤولي<sup>2</sup> Manda Kewule في إحدى مواجهاته مع جيش الجهاد خلال الأيام الأولى لشهر شتنبر 1854 و بعد سقوط عدة

---

- Robinson (D), op. cité, p. 146 - 1

- Ly Tall (M), op. cité, p. 227. - 2

قتلى من الجانبين، ثم فرابانا Frabana المعروفة بمناهضتها الصريحة للإسلام، منذ عدة قرون. ولذلك استعد الشيخ عمر لمواجهتها بمزيد من العناية والحذر، فأرسل قبل المواجهة بعضا من كبار قواده وعلى رأسهم ألفا عمر سيرنو بايلا Alfa Umar Cerno Baïla إلى فوتا، للقيام بحملة لتجنيد المزيد من الجنود وتعويض ما ضاع من الأرواح البشرية في معركة سيرمانا Sirmanna حاملين معهم رسائل من الشيخ عمر إلى زعماء هذا الإقليم ليشرح الوضعية التي وصلت إليها حركته والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها. ولم يغادر الحاج عمر سيرمانا في اتجاه فرابانا Frabanna إلا بعد أن وصلت الإمدادات من فوتا<sup>1</sup>. وقبل خوض المعركة تفيد بعض الروايات أنه جمع مستشاريه من عسكريين ومدنيين وألقى فيهم خطبة مؤثرة ذكرهم فيها بأهمية الجهاد وبما وعد الله به المجاهدين من الثواب وحسن المآل<sup>2</sup>.

و أمام هذا الإستعداد المادي والمعنوي في صفوف جيش الجهاد حدث ما لم يكن في الحسبان عندما استسلم حاكم هذا الإقليم نفسه وانضم إلى جيش الجهاد بعد أن غادر البلدة معظم سكانها، هروبا من ويلات الاقتتال، وتجنبا لعمليات السلب والنهب ومعاناة الحصار<sup>3</sup>

---

- Tyam (M.A.), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, pp. 45 à 47. - 1

- Ly Tall (M), op. cité, p. 227. - 2

- Carr ère (F.), de la Sénégalie française., op. cité, p. 48.-3



خصوصا بعدما وصلهم من أخبار سيئة عن الظروف التي تم فيها إخضاع سيريمانا Sirimanna، لتلتجئ إلى الجبال و البلدان المجاورة، مثل خاصو Khasso كاجاكا Gajaga و جديماخا Gidimakha، و بذلك دخل الجيش العمري بدون أية مقاومة إلى مدينة فربانا Farbanna في أكتوبر 1854، دخول المنتصر في عدد قدر باثنتي عشر ألف جندي<sup>1</sup> (12000).

و من أهم العوامل التي ساعدت الحاج عمر على تحقيق هذه الانتصارات العسكرية المتتالية في حوالي أربعة أشهر، و التي مكنته من إخضاع بامبوك Bambouk أهم أقاليم السنغال الأعلى على الإطلاق: تدمير السكان من الأوضاع السائدة بسبب استبداد حكامهم.

- ذبوع أخبار الحاج عمر كمحرر و مناضل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية.

- مبايعة عدد من العائلات المالكة للشيخ عمر بالأقاليم المجاورة لبامبوك مثل جديماخا Gidimakha و فوتا، و كاجاكا Gajaga، و بوندو Bundu، و خاصو Khasso، و هي البلدان التي لجأ إليها الفارون من فربانا farabana لعلمهم بعلاقاتها الجيدة مع الشيخ التجاني حامل لواء الجهاد في المنطقة<sup>2</sup>، غير أن العامل الذي لعبه الحضور الفرنسي بالسنغال

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, p. 128.

2 - Tyam (M.A.), la vie d'El Hadj Omar..., op. cité, pp. 49.

لصالح القضية العمرية في هذه المرحلة الحاسمة يرجح في تقديرنا على كل العوامل السابقة بشكل مباشر، عندما التزمت فرنسا الحياد في البداية تجاه دعوة هذا الشيخ<sup>1</sup> وبشكل غير مباشر بسبب الحملات العسكرية ضد أهالي بلدان فوتاتورو و السنغال الأوسط و ما جاورها من البلدان، مع ما رافق ذلك من احراق القرى و تدمير المنازل و القيام بعمليات السلب والنهب، كما حدث في فاناي Fanay و جلمات Jalamat المدينة المقدسة على الخصوص خلال سنوات 1848 و 1853 و 1854، و إجبار الزعماء المحليين على إبرام معاهدات مهينة تخدم المصالح الفرنسية و تفضي إلى احتلال الأرض بالقوة<sup>2</sup>.

و هي أمور ولدت كراهية السكان للفرنسيين و للحكام الذين تواطأوا معهم على إنزال شعوب حوض نهر السنغال وإهانتها، و هذا ما يفسر بشكل كبير الأعداد الضخمة التي التحقت بدينكراي Dinguiray وطامبا Tamba لتضخيم أعداد جنود الجهاد منذ بداية خمسينات القرن 19، و تلك التي التحقت به في زحفه الأخير على بامبوك فارة من مختلف جهات السنغال الأعلى كفوتا Futa و بوندو Bundu و خاصو Khasso وكاديكا Gadiaga و جديماخا Gidimakha<sup>3</sup>.

---

1 - Grrech (C.), < Jugement du Moniteur du sénégal sur Al Hadj Omar..., > op. cité, pp. 575

2 - Ly Tall (M), op. cité, pp 229, 236 à 240 .

3 - Kamara (C.M.), la vie d'El hadj Omar..., op. cité pp. 68 - 70.

و قبل مواصلة الحديث عن ملحمة الحاج عمر العسكرية الجهادية، نتوقف قليلا لنتساءل عن الأسباب التي حالت دون حدوث تصادم إسلامي مسيحي (عمري فرنسي) مسلح، يفضي إلى تفوق إحدى القوتين وإقصائها بالتالي من المنطقة، لتنفرد القوة المنتصرة ببسط نفوذها على أحواض نهر السنغال و النيجر. و الحالة هذه أننا نعلم مدى إصرار كل طرف من هذين الطرفين منذ وقت طويل و بتضحيات جسيمة على فرض هيمنته على بلاد سينيغامبيا الغنية بالثروات المعدنية و الفلاحية، كمرحلة أولى للاستيلاء على بلدان حوض النيجر.

مما لا شك فيه أن الجانبين العمري و الفرنسي تصرفا برزانة و بعد نظر لتجنب الدخول في نزاع مسلح شامل لما فيه مصلحة الطرفين. و مع ذلك نرى أن الحاج عمر و هو في بداية تأسيس دولته، كان أحوج ما يكون إلى تجنب مواجهة القوات الفرنسية أو تأجيلها على الأقل لما بعد هذه المرحلة لعدة أسباب أهمها:

- حاجته إلى شراء الأسلحة من الفرنسيين، و المتاجرة معهم بدليل أنه أرسل و هو يزحف على بامبوك Bambouc إلى باكل Bakel حيث يوجد التجار و الجنود الفرنسيون، مبعوثا له لمقايضة العاج بالبارود والرصاص و البنادق<sup>1</sup>. و كرر هذا الطلب في وقت لاحق.

---

= = - Carrère (F.), et Holle (P.), de la sénégalie Française..., op. cité, p. 198.

1 - Ly Tall (M), op. cité, p. 225.

- معرفته بكفاءة جنودهم المسلحين أحسن تسليح و قدرتهم القتالية الكبيرة.

- علمه بكثرة ولاءات زعماء القبائل بفوتا Futa و بامبوك Bambouk و بوندو Bundu لهم<sup>1</sup>.

- جنوحهم إلى السلم معه كما تشهد على ذلك عدة رسائل من حكام سان لوين Saint Louis<sup>2</sup>.

- اقتناعه بناء على ما سبق بضرورة إرجاء محاربتهم إلى ما بعد إنشاء دولة إسلامية قوية بكارطا Karta.

- عدم قدرته على محاربة بامبارا Bambara كارطا الوثنيين و الفرنسيين في آن واحد.

- انسجاما مع النقطة السابقة، كان الواجب، منطقيا، و شرعا، يفرض على الحاج عمر أن يبدأ بإخضاع الدولة الوثنية المشتركة، كارطا karta للإسلام، ليتصدى بعد ذلك لفرنسا المسيحية من منطلق قوة.

من جهة أخرى لم تكن حامية المستعمرة الفرنسية بالسنغال ترغب في الدخول في مواجهة مفتوحة<sup>3</sup> مع قوات الحاج عمر لعدة عوامل من بينها:

---

1 - Carrère (F.), et Holle (P.), de la sénégalie Française..., op. cité, pp. 164 à 167.

2 - Saint Martin (Y.), l'Empire Toucouleur et la France, un demi Siècle de relations diplomatiques..., op. cité, pp. 81-82.

3 - Robinson (D), op. cité, pp. 148-149.

- علمها بشعبية هذا الداعية المسلم الكبيرة وقدرته على استقطاب المزيد من الأنصار، و بما حققه من الانتصارات العسكرية بسبب التأييد الذي يجده أينما حل.

- اقتناع قادة هذه المستعمرة بقدرة الحاج عمر على تأليب سكان المنطقة ضدهم بصفقتهم مسحيين و مستعمرين.

- عدم استعداد باريس لدعم هذه المستعمرة بما يكفي من الاعتمادات بسبب أوضاع ثورات 1848 التي كانت تعيشها فرنسا علاوة على مشاكلها المتعلقة بالحرب القارية في أوروبا.

- عدم تهديد جيش الحاج عمر للمصالح الفرنسية بشكل مباشر في أعالي نهر السنغال معتمداً بذلك إخفاء نواياه الحقيقية إلى وقت لاحق.

اقترح من الكومندان ري Rey على والي سان لوي St Louis يتحدث عن أهمية ربط علاقات ودية مع الحاج عمر<sup>1</sup>، ما دام هذا الأخير و أنصاره يريدون السلام مع الفرنسيين، لما يمكن أن تحققه هذه السلم من ظروف ملائمة لازدهار التجارة الفرنسية بأعلى النهر بما يحقق رغبة وزير البحرية من خلال رسالته بتاريخ 4 يناير 1853<sup>2</sup>.

- الخدمة التي يمكن أن تقدمها قوات الحاج عمر الجهادية للفرنسيين بشكل غير مباشر مثل الحيلولة دون توغل النفوذ البريطاني عبر نهر

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, p. 247.

2- Ibid, p 235, n 43.

غامبيا في اتجاه أعالي نهري السنغال و النيجر مع علمنا بالضربات المتكررة التي وجهتها انجلترا لفرنسا بغرب افريقيا<sup>1</sup>.

- ما أصبح شبه مؤكد عند الفرنسيين بسان لوي St Louis من أن حركة الحاج عمر الجهادية مهتمة بإخضاع الشعوب الوثنية مثل كارطا Karta و سيكو Ségou و حملها على اعتناق الإسلام بالدرجة الأولى، وهي بلدان تقع بعيدا إلى الشرق من نهر السنغال.

هذه باختصار هي أهم الأسباب التي حالت دون وقوع حرب بين الفرنسيين و جيش الحاج عمر في المراحل الأولى لبناء دولته، و مكنته بالتالي من إخضاع كل بلدان السنغال الأعلى تقريبا لنفوذ الزاوية التجانية مثل فوتا Futa و كوي Goy و كاميرا Kamera و جديماخا Gidimakha و خاصو Khasso و كاجكا Gajaga و بوندو Bundu ثم بامبوك Bam-bouk الأكثر ثراء بالمعادن النفيسة. و لذلك لا نبالغ إذ قلنا أن نجاحه في إخضاع هذه الأقاليم، ساهم إلى حد كبير في تحقيق أمجاده العسكرية في كارطا karta و سيكو Ségou و ماسينا Macina فيما بعد بصفتها ضرورية للمرور بغية إعلان الجهاد ضد كارطا و ميدانيا احتياطيا يتصل بطامبا Tamba و دينكراي Dinguiray يمكن الارتداد إليه عند الضرورة و خزاننا اقتصاديا و بشريا لا ينفذ لدعم المسيرة الجهادية الطويلة

---

1 - Dodwell (H.), < la Sénégal sous la domination anglaise>, RHCF (1916).

للمؤسسة العمرية.

لقد آن الأوان إذن لينتقل جيش الجهاد إلى بلاد كارطا karta الوثنية للقيام بواجبه هناك، بعد أن مر إليها دون حدوث مشاكل كبيرة بينه وبين الفرنسيين الذين صاروا يتتبعون كل تحركاته غير مطمئنين كامل الإطمئنان في قرارة أنفسهم للإنجازات الكبيرة التي حققها، و تلك التي يطمح إلى تحقيقها مستقبلا. فكيف ستتطور إذن العلاقات بين الجانبين بعد ملحمة كارطا karta ؟ لنبدأ بملحمة كارطا.

## ب - إخضاع كارطا Karta الوثنية للإسلام و تغير موقف

### الحاج عمر من الفرنسيين

في نهاية شهر نونبر 1854 كان الحاج عمر ييسط نفوذه إذن على فوتا Futa و خاصو Khasso و كوي Guy و كاميرا Kamera و جيديماخا Gidimakha<sup>1</sup>. و بعد أن دخل إلى فرابانا Farabanna منتصرا<sup>2</sup> كما مر بنا، أقام بها مدة تزيد عن الشهر للاستراحة و استرداد الأنفاس و إعادة تنظيم الجيش و استقبال الوفود الآتية من كل حدب و صوب، لتهنئته بالتوفيق الذي حالفه و لتقدم له البيعة في نفس الوقت، حاملة معها كل ما تستطيع من الدعم المادي من أموال و عبيد و خيول و قطعان ماشية<sup>3</sup>.

---

1-Robinson (D), op. cité, pp. 150.

2 - Dumont (F.), l'Anti-Sultan, op. cité, p. 107.

3 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar..., op. cité, p. 52.

-Robinson (D), op. cité, pp. 152

و عندما أعد جيشه الذي زاد عدده بفضل الإمدادات التي وصلتته في فترة الاستراحة، و بعد أن رفع معنويات جنوده بكثرة الغنائم التي ألت إليهم، و ذكرهم بحسن الجزاء في حالة الاستشهاد، أصدر أوامره لقواده بالتوجه مع فيالقهم صوب بلاد كارطا karta الوثنية<sup>1</sup> التي يشكل فتحها بالنسبة للشيخ عمر مسألة حياة أو موت لعدة اعتبارات أهمها:

- كون مشروعه الجهادي يركز أساسا على إخضاع البلدان الوثنية بالسودان الغربي بغية إقتلاع جذور الشرك منها و حمل أهاليها على اعتناق الإسلام.

- ما يمكن أن يشكله النجاح في فتح كارطا Karta من دعم مادي و معنوي لجيش الجهاد لمواصلة فتوحاته في بلدان وثنية أخرى مثل سيكو Ségou.

- الرسالة البليغة و الغير مباشرة التي يمكن أن يشكلها فتح كارطا للفرنسيين باعتبارهم أعداء للدين الإسلامي، يخططون لتمسيح غرب إفريقيا و استعمارها و استغلال خيراتها.

بالنظر لهذه الأهمية، و استجابة لتعليمات الشيخ عمر، رابط جيش الجهاد منذ بداية شهر دجنبر 1854 على الضفة الجنوبية لنهر السنغال في بلدة بونكورو Bunguru التي تقع على الحدود بين كاميرا Kamera

---

1 - Carrère (F.) et Holle (P.), de la Sénégalie Française..., op. cité, p. 41.



و خاصو Khasso، و أصبح بذلك وجهها لوجه مع جيش كارطا karta الذي يربط بالضفة الشمالية للنهر، و الذي يوجد بدوره في حالة استنفار لعلم قادة كارطا karta منذ مدة طويلة بما يدبره الشيخ التجاني ضد بلادهم. وظل الوضع هادئا بين الجانبين لمدة شهر، قضاها الحاج عمر في وضع آخر الترتيبات من بينها عقد اجتماعات خاصة مع أنصاره الجدد الذين قدموا إليه للتو من خاصو Khasso و مدينة Médine بعد حلول جيش الجهاد بالمنطقة التي يعسكرون بها<sup>1</sup>.

و قد استمع بإمعان لحديث هؤلاء الملتحقين الجدد بصفاتهم من كبار المسؤولين ببلادهم<sup>2</sup> يتوفرون على معلومات إضافية تتعلق بطبوغرافية بلاد كارطا Karta و أساليب و استراتيجيات حكامها العسكرية، بحكم مجاورتهم لها و احتكاكهم بها، و هي الفترة نفسها التي حصل فيها الشيخ عمر على تأييد ألفا عمر جاخيبي Alfa Umar Jakhité أحد علماء بوندو Bundu المشهورين، الذي التحق به إلى المعسكر الذي يربط به مع جيشه، و بصفته عالما لعب دورا في إضفاء المصداقية على حركة الشيخ عمر الجهادية، كما ساهم في تقديم معلومات قيمة أفادت في إعداد الجيش بالنظر لما كان له من اطلاع على أوضاع كارطا Karta السياسية

---

1-Robinson (D), op. cité, pp. 152-153.

2 -Kamara (C.M.), la vie d'El hadj Omar..., op. cité pp. 76 à 78.

والاجتماعية ناتجة عن كثرة أسفاره إليها وإقامته بها ضيفا على تلاميذه<sup>1</sup>.  
حوالي منتصف شهر يناير 1855، أصدر الحاج عمر أوامره للجيش  
الذي قدر عدده بأربعة عشر ألفا (14000) بمغادرة معسكر بونكور  
Bunguru و العبور إلى الضفة الشمالية للنهر لشن أول هجوم ضد  
مساسي Massassi كارطا karta<sup>2</sup>. ورغم أن المعبر الرئيسي للنهر كان  
محروسا من قبل القوات الوثنية، فإن الجيش الإسلامي لجأ إلى الخدعة  
باستعماله معبرا آخر إلى الجنوب من بونكورو Bunguru مما مكنه من  
الالتفاف حولعدوه و الدخول معه في معارك متقطعة<sup>3</sup>.

و رغم ما أبداه الجيش المساسي Massassi من مقاومة، فإنه انهزم  
في معركة سوتوكولي Sutukulle و أجبر أفراداه على الفرار شرقا، في  
اتجاه بلدة كولو Kulu، التي كانت تتوفر على تحصينات مهمة و احتياطي  
كبير من الجنود. لكن الجيش العمري طاردهم و تعقبهم حتى البلدة التي  
احتموا بها (كولو Kulu) و استعانوا بجنودها لتدور بين الطرفين، من  
جديد، معركة أكثر ضراوة هذه المرة، أسفرت عن سقوط عدد كبير من  
القتلى من الجانبين وتحقق على إثرها النصر للمسلمين الذين غنموا عددا

---

1 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar..., op. cité, pp. 53 à 55.

2 - Ly Tall (M.), op. cité, p. 245.

3 - Ibid.

كبيرا من البنادق والخيول، وأسروا أزيد من ألف وخمسمائة (1500) جندي بمباري Bambara بناء على إفادات بعض المصادر المحلية<sup>1</sup>. ومما يدل على الأهمية البالغة للنصر الذي حققه جيش الجهاد في معركة كولو Kulu، أنه مهد الطريق لفتح كل بلاد كارطا المشتركة، ورفع من معنويات الأنود العمرين، وسرت في امبراطورية البامبارا المساسي موجة من الهلع والخوف أربكت الحكام ومن دار في فلهم، وأفزعت الخائفين من فقدان امتيازاتهم في الوقت الذي كان يستقبل فيه المستضعفون من المسلمين وغير المسلمين أخبار هذه الانتصارات بابتهاج وإنشراح لا مثيل لهما، وكلهم أمل في أن تخضع بلادهم لحكم دولة إسلامية نظرا لما تحققه تعاليم الدين الإسلامي من عدالة اجتماعية على يد الخليفة التجاني الذي سارت بذكره الركبان.

وقد ساهم فعلا هذا الشعور بالأسى والخوف من أهة، وبالفرحة والسرور من جهة أخرى من قبل سكان امبراطورية المساسي في توفير أسباب النصر للجيش الإسلامي، الذي كان يجد من يتعاون ويتعاطف معه من السكان ماديا ومعنويا، وينضم إلى صفوفه حيث ما حل وارتحل، على عكس جيش العدو وقواده الذي كان يسير من نكسة إلى أخرى بسبب تخلي الشعب عنه، وفرار الكثير من رجاله من تكتاتهم.

1 - حسب ما يستفاد من رسائل فيدرب Faidherbe إلى رؤسائه في باريس. انظر :

- ANF, OM, SEN. I, 41b, lettres du 27 juillet et du 1er octobre 1855.

وهذه كلها عوامل جعلت أقاليم كارطا تتداعى وتخضع لحكم الشيخ عمر الفتوتي إقليما بعد إقليم ومدينة بعد أخرى<sup>2</sup>. ومما يشهد على هذا القول أنه ما بين فبراير 1855 وغشت 1856، كانت كل بلاد كارطا تخضع لنفوذ الحاج عمر بعد توضحيات جسيمة في الأرواح والعتاد، نظرا لقوة الخصم وشساعة مساحة البلاد وكثرة التحصينات ودخول أحلاف إلى جانب المساسي مثل سيكوا الوثنية وماسينا الإسلامية<sup>3</sup>.

أما عن المسار الذي سلكته قوات الجهاد لفتح هذه البلاد في المدة الزمنية المشار إليها، فيمكن رصده بشكل عام على الشكل الآتي :

بعد الانتصار البين الذي حققه الحاج عمر في كولو Kulu في بداية النصف الثاني من شهر فبراير 1855 انتقل بجيشه شرقا إلى كونيكاكاري Kuniakari عاصمة البلاد القديمة<sup>4</sup> ومنها إلى يليمان Yélimen ليسير الجيش العمري بعد ذلك في خط مستقيم نحو أقصى الشرق مروراً بفانكا Fanga وجاكا Jaka وكارار Karharo ونيورو Nioro عاصمة البلاد التي كان الدخول إليها يوم 11 نونبر 1855<sup>5</sup> وجابيجا Jabiga لطرد جنود ماسينا منها، وبازاكا Basaka ثم كاساكيري Kassakeri لتتزل القوات الإسلامية بعد ذلك جنوباً وتمهد أقاليم مثل سامباكسا Sampaxa وجانكونطي Janqunté وكاريكا Karéga في وسط البلاد الجنوبي التي أخضعها في شهر نونبر 1855 ثم اتجهت أخيراً نحو الغرب بعد تمهيد جالان Jalan في الطريق، مقفلة بذلك الدورة بعد الوصول إلى سابوسيري Sabusiré

2) Sékéné (C.), "El Hadj Omar Tall et le mouvement du Jihad dans le Soudan occidental" Revue Sénégalaise d'Histoire, vol. 1, n° 1, Oct., Dec., 1980, pp. 52 etss.

3) Ibid.4

4) Samba (D.), El Hadj Omar et le rayonnement de l'Islam en Afrique, in Actes du Colloque international tenu à Tombouktou sur la culture arabo-Islamique en Afrique au Sud du Sahara : Cas de l'Afrique de l'Ouest (Aout 1955), op. cité, p. 153.

5) Ly Tall (M.), op. cité, p. 267.

بإقليم خاسو Khasso على الضفة الجنوبية لنهر السنغال في غضون سنة 1856<sup>1</sup>.

و من بين الأقاليم التي أظهرت مقاومة كبيرة في كارطا karta ضد جيش الجهاد خلال سنة 1855 و 1856 يمكن ذكر يليمان Yéliman و جابيجا Jabiga ثم كاساكيري Kassakéri و كاريكا Karéga و جانكوطي Jangunté بالإضافة إلى بعض الثورات التي كانت تندلع هنا و هناك، خصوصا خلال سنة 1856<sup>2</sup>. إما على يد الجوارا Jawara الذين كانوا يريدون الاستحواذ بالغنائم، أو على يد المساسي البامبارا بشكل عام الذين تضرروا من عدالة تعاليم الشريعة الإسلامية التي أفقدتهم الكثير من الامتيازات و أخذت منهم أملاكهم. و حدثت عدد زوجاتهم و حرمتهم من عبيدهم<sup>3</sup>. و عندما ثاروا يريدون العودة لنظام دولتهم السابق سحقهم الجيش الإسلامي و أجبر الناجين منهم على كظم غيظهم إلى أجل قادم<sup>4</sup>. و مما تجدر الإشارة إليه بشكل مختصر، أن الحاج عمر منذ أن دخل العاصمة نيورو Nioro دخول الفاتح في 11 نونبر 1855 لم يكن يغادرها إلا بشكل اضطراري من وقت لآخر للإشراف على سير عمليات

---

1 - Ibid.

2 - Robinson (D.), op, cité, pp. 178 à 180.

3 - Boyer (G.), Un peuple de l'Ouest Soudanais, les Diawara, Dakar, Mémoire IFAN, (1953), pp. 43 à 48.

4 - Ibid.

الجهاد في الظروف الحرجة. إذ من المعلوم أنه اتخذ هذه المدينة قاعدة لدولته الإسلامية بكارطا، بعد أن نجح في تفتيت بنى و هياكل النظام الوثني البائد، وجعل حدا لهيمنة البامبارا المساسي على سينيغامبيا الشرقية<sup>1</sup>.

و نرى من المفيد أن نذكر ببعض الإجراءات التي قام بها بخصوص تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية في البلاد انطلاقا من العاصمة كما تتحدث المصادر عن ذلك:

- إصدار أوامر إلى السكان بعد دخوله نيورو، واقتداء بالسيرة النبوية، بإحضار أصنامهم الخاصة و العامة إلى الساحة العمومية، ثم قيامه بتحطيمها بعد ذلك<sup>2</sup>.

- إجبار الناس على النطق بالشهادة و اعتناق الإسلام، و حلق الرأس و حمل الطاقية Bonnet<sup>3</sup>.

- تحديد عدد الزوجات في أربعة مما أغاظ المساسي<sup>4</sup>.

- العمل على بناء المساجد في كل أنحاء البلاد و توفير الشروط

---

1 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar..., op. cité, p 61.

- Kamara (C.M.), Histoire du Bondou, op. cité pp. 36 à 38.

2 - B.N.P, MO, FA, Man. 5559, FF°. 41 à 50 et 5732, FF°. 23 à 28.

3 - Ibid.

4 - Robinson (D), op. cité, p. 174 .

الضرورية لتعليم مبادئ الدين الإسلامي و تعاليمه مع التعبد بتعاليم الطريقة التجانية<sup>1</sup>.

لم ينس الحاج عمر و هو في نشوة هذا الانتصار أن يرسل كل أقاليم السودان الغربي الخاضعة له و الغير الخاضعة، ليخبرهم بما جد في أمره و بالفتوحات التي أنجزها تمهيدا لطلب المدد و السند من الرجال و المال. فكتب إلى حكام فوتا و موريتانيا و ماسينا و مسلمي سان لوي في الموضوع<sup>2</sup>.

و من البلدان التي نزل عليها هذا الخبر كالصاعقة دولة ماسينا الإسلامية التي تدعي أن له جزءا من كارطا يعتبر من رعاياها و هو في طريقه إلى الإسلام. ثم مستعمرة سان لوي الفرنسية التي كان قادتها يخشون عودة قوية لهذا الشيخ التجاني من شمال شرق نهر السنغال ضدها<sup>3</sup> بعد أن أسس دولة إسلامية قوية بكارطا karta.

و هذا ما ينقلنا إلى الحديث عن تغير موقف الحاج عمر من الوجود الفرنسي بغرب إفريقيا بعد أن أصبحت دولته التجانية إلى حدود سنة 1856 تمتد من فوتاجلون بمرتفعات غينيا جنوبا، حتى بلاد الساحل المتاخمة للصحراء الكبرى شمالا مروراً بأقاليم السنغال الأعلى و أهمها

---

1 - Ly Tall (D.), op. cité, pp. 267-268.

2 - Ibid, pp. 271-272.

3 - Sidi Mohamed mahibou et Jean Louis Triaud, Voilà ce que est Arrivé..., op. cité, Introduction...

إقليم بامبوك Bambouk الغني بالمعادن النفيسة.

رغم سياسة المهادنة و التعايش المشوبة بالحذر من قبل الطرفين الفرنسي و العمري الجهادي، فإن كل واحد منهما في الحقيقة كان يعرف نوايا خصمه. فالفرنسيون قبل توغلهم بما فيه الكفاية في اتجاه بلدان أعلى نهر السنغال، لم يكن لهم من خيار سوى مجاملة هذا «المهدي»، الذي التفت حوله كل شعوب فوتاجلون و سينغامبيا، و التزلف له، حتى تمر العاصفة. ذلك أنهم إلى حدود سنة 1854 لم تكن للفرنسيين في السنغال سوى بعض المراكز التجارية المبعثرة هنا و هناك، و المعززة ببعض التحصينات و أهمها: داكانا Dagana، باكل Bakel، كوري Gorée و سينوديو Sénudébu، بالإضافة إلى سان لوي St Louis قاعدة انطلاقهم لاستعمار كل غرب إفريقيا مستقبلا.

و من جهته لم يسالمهم الحاج عمر إلا لوعيه الكامل بمدى الخطر الذي يشكلونه في المنطقة على حركته الفتية، كما فصلنا ذلك في محله. أما و قد اجتاز امتحانه الأول معهم بنجاح عندما تمكن من إخضاع جل بلدان نهر السنغال الأعلى إلى سلطته دون أن يصطدم بهم، و ضمن تعاطف و تأييد أهالي بلاد فوتا، موطنه الأصلي له و استعمل المنطقة برمتها لينقل عملياته الحربية و فتوحاته التي كللت بإخضاع بلاد كارتا Karta إلى حضيرة الإسلام خلال سنتي 1855-1856، فقد أصبح مصمما العزم على مواجهة الفرنسيين حتى لا يتناقض مع نفسه، فيعرض بذلك سياسته لكثير



من الانتقادات التي يمكن أن تنقلب ضده، باعتبار أن حركته الإصلاحية الجهادية بالسودان الغربي لا تنحصر في اقتلاع جذور الشرك بها فحسب، وإنما تطهيرها أيضا من المسيحية وإبعاد خطر الاستعمار عنها. وقبل تقديم بعض مظاهر هذه المواجهة نشير إلى أن توتر العلاقات بين الطرفين بدأ قبل انتقال الشيخ عمر الفوتي إلى بلاد كارطا، عندما أرسل هذا الأخير في بداية سنة 1853 مبعوثه إلى باكل ليطلب من والي سان لوي Saint Louis، بروطي Protet، بيع الأسلحة للمسلمين<sup>1</sup>. وأمام الرفض الفرنسي هدد مبعوث الحاج عمر، بروطي Protet بتدمير التجارة الفرنسية في أعالي النهر لعلمه بموقف شيخه الحقيقي الذي يقضي بعدم مسالمة الذميين، إلا إذا خضعوا وامتثلوا لتعاليم الكتاب و السنة، من أداء الجزية وغير ذلك، وإلا فإن الحرب الاقتصادية مشروعة ضدهم<sup>2</sup>. و تمشيا مع هذا الخطر الذي استشعرته في حركة الحاج عمر، فقد عمدت وزارة البحرية الفرنسية إلى إقالة بروطي Protet<sup>3</sup>، ربما لضعف شخصيته، وعوضته بالقبطان فيدر ب Faidherbe كوال على السنغال ابتداء من فاتح نونبر 1854، لما برهن عنه من كفاءة عالية في التخطيط العسكري وهندسة القناطر و القتال في الميدان منذ وقت طويل، خصوصا

---

1 - Ly Tall (M.) op. cité, p. 248 et n. 69.

2 - محمد الحافظ المصري، الحاج عمر طال سلطان التجانية بإفريقيا الغربية، م.س، ص15.

3 - Ly Tall (M.), op cité, p. 252.

في الجزائر و كوادلوب Guadeloupe<sup>1</sup> ، مما يعني أن فرنسا كانت تأخذ قضية الحاج عمر و حركته مأخذ الجد، لما تشكله بلدان السنغال الأعلى بالنسبة لها من أهمية اقتصادية و استراتيجية أيضا للزحف على السودان النيجيري.

و نظرا لتعارض مصلحة الطرفين و عدم استعداد أي منهما للتنازل أو التفريط في السيطرة على بلدان أعالي النهر، فقد صار الاصطدام بينهما مسألة حتمية، و هو الاصطدام الذي سيؤدي إلى رجحان كفة الفرنسيين ميدانيا، و هذا أمر طبيعي، مما سيدفع الحاج عمر في نهاية المطاف إلى الابتعاد عن الفرنسيين في اتجاه الشرق، للاهتمام مجددا بتوطيد دولته الإسلامية و إخضاع بلد وثنى آخر هو سيكو Ségou المتصل جغرافيا بكارطا، و عندما ستتقوى دولته بعد هذا الإنجاز عقائديا سيصبح في إمكانه حسب تصوره طرد الفرنسيين من سينغامبيا Sénégal.

### ج - المواجهات الفرنسية العمرية:

يمكن تقسيم المواجهات التي جرت بين الطرفين ما بين 1855 و 1859 و التي أجبر على إثرها الشيخ الفوتي التجاني إلى الهجرة شرقا، إلى ثلاثة أقسام: مواجهات ما قبل 1857 - مواجهات 1857 - مواجهات ما بعد 1857.

---

1 - Coursier (A.), Faïdherbe, op. cité, p. 213.

## 1 - مواجهات ما قبل 1857<sup>1</sup>.

نفذ هذه الهجومات جنود من جيش الجهاد على سينوديبو Senudébu و باكل Bakel في شهر فبراير 1855 لعرقلة التجارة الفرنسية مستغلين في ذلك ظرفية الفصل الجاف الذي تقل فيه كمية ماء نهر السنغال الضرورية لتنقل السفن الفرنسية الحاملة للجنود والمؤن والعتاد لدعم مواقعها المحصنة و قد تمكن أفراد هذا الهجوم من اعتقال جيراردو Girardo حاكم مركز سينوديبو Sénudébu<sup>2</sup>.

و قد رد الفرنسيون على هذا الهجوم في شهر مارس من نفس السنة، عندما انطلقت حامية من باكل Bakel بمساندة عناصر من الدويش Dowish الموريتانيين لمطاردة المجاهدين في ضواحي باكل و سينوديبو Sénudébu و استعملت المدافع لقنبلة القرى التي يحتمل أنهم لجأوا إليها<sup>3</sup>. غير أن رد كتيبة من الجيش التجاني جاء سريعا بعد تمكن أفرادها من إغراق سفينة بمياه نهر السنغال و أسر بعض ركابها، كما أنه في 26 أبريل 1855 شن أنصار الحاج عمر انطلاقا من بلدة بوليبيان Bulebane هجوما تمكنوا من خلاله من الاستلاء على مؤن و قطعان ماشية سكان سان لوي

---

1 - نفذت هذه الهجومات في غياب الحاج عمر الذي كان يوجد في كارطا.

2 - Ly Tall (M.), op. cité, p. 279.

3 - Sabatier (A.), le Sénégal, sa conquête et son organisation, (1364-1925), op. cité, p. 80.

Saint Louis الذين أتوا في مهمة إلى سينوديبو Sénudébu<sup>1</sup>. أمام تزايد فعالية العمليات الجهادية ضد المراكز التجارية الفرنسية عمد الوالي فيدرب Faidherbe على سان لوي إلى اتخاذ إجراءات فعالين، أولهما إبرام اتفاقية مع كبار مدينة باكل و ناحيتها وإعلان هذه المدينة فرنسية، و كل اعتداء عليها يعتبر اعتداء على فرنسا<sup>2</sup>.

و قد تمكن فيدرب من الحضور شخصيا إلى عين المكان في شهر يوليوز 1855، بعد أن عاد الفصل المطير و امتلاً نهر السنغال بالمياه التي مكنت السفن من التقدم في اتجاه أعلى النهر. أما الإجراء الثاني فتحدد في المفاوضات التي أجراها مع جوكا صامبالا Joka sambala رجل مدينة Médine القوي من أجل إقناعه أو حمله على الترخيص للفرنسيين ببناء حصن في هذه المدينة الواقعة في موقع متقدم يعتبر مدخلا لأقاليم السنغال الأعلى<sup>3</sup>. و النجاح في الحصول على هذا المكسب سيشكل مشجعة في سلسلة المحاولات الرامية إلى إضعاف خصمهم الشيخ عمر الفوتي وإحداث اختراقات في صفوف الحلفاء بالمنطقة. و قد انتزع فيدرب من جوكا صامبالا بالفعل هذه الموافقة، و شرع

---

1 - Dépêche du Commandant de sénudébu au gouverneur de Saint Louis, du 1<sup>er</sup> Juillet 1855, Archives du Sénégal, 13 G 167, pièce 9.

2 - Ly Tall (M.), op. cité, p. 284.

3 - Ibid, p. 280.32

الفرنسيون استنادا على ذلك في بناء تحصيناتهم بمدينة Médine بعد أن أصبحوا سادة عليها ابتداء من شهر شتنبر 1855<sup>1</sup>.

من جهة أخرى عرف فيدرب Faidherbe كيف يستغل تدمير أولئك الذين فقدوا امتيازاتهم، ممن أطاح بهم الحاج عمر في السنغال الأعلى، وخصوصا في إقليم خاصوا Khasso عندما عرض عليهم توقيع معاهدة تحالف ضد عدوهم المشترك، وهي المعاهدة التي أبرمت بين الطرفين في شهر أكتوبر من نفس السنة<sup>2</sup>.

وعندما نجح فيدرب في هذه المحاولة، لم يتردد في عرض تحالفاته على جهات أخرى بالإغراء وتقديم الهدايا وبذل الوعود بترقية من يقف إلى جانب الفرنسيين. وقد نجح في هذه السياسة إلى حد كبير، إذ تمكن بالتدريج من كسب الأنصار والحلفاء إلى صفه في كل بلدان أعالي نهر السنغال باستثناء إقليم بوندو Bundu الذي استعمل فيدرب القوة ضده وفرض بوباكرسادا Boubakar Sada حاكما عليه، يحكم رعاياه بدعم من فرنسا<sup>3</sup>. رغم هذا التقدم الذي حصل عليه الفرنسيون في مقدمة أعالي نهر السنغال سياسيا وعسكريا، لم يتخل رجال الحاج عمر عن مناوشة أعدائهم

---

1 - Saul nier (E), une Compagnie à privilège au 19e s: la compagnie de galam au Sénégal, Paris, 1921, p. 136.

2 - gravier (G), (editeur), Voyage à Ségou de Paul Soleillet (1842-1886), rédigé d'après les notes et journaux de Soleillet, Paris 1887, pp. 120-121.

3 - Ly Tall (M), op, cité, pp. 289 à 291.

و تضيق الخناق عليهم، مهما كلفهم ذلك من ثمن، و لم يفقدوا الأمل في إقناع من تخلى عنهم و تحالف مع المسيحيين بالرجوع عن غيهم. و قد وجدوا في رجال بوندو Bundu و جديماخا Gidimakha خير من صمد معهم في محنتهم، و لذلك كان رد فعل قوات سان لوي St Louis صارما و قاسيا ضد جديماخا على الخصوص بعد أن أطلقوا يد المور Maures (المورتانيين) يعيشون فيها فسادا بين القتل و السلب و النهب خلال شهر دجنبر 1855<sup>1</sup>. و عندما لاحظ فيدرب أن سياسة الحديد و النار أعطت ثمارها انتقل إلى مستوى أعلى من الجراءة، عندما أصدر أوامره إلى جنوده بتدمير كل القرى التي تشتمل على تحصينات عمرية، أو ما يسمى ب طاطا Tata. و كانت قرية ديجي Dége و تحصيناتها العمرية هي أول هدف شمله الهدم، و رافق عمليات التدمير هذه حملات عسكرية شنت ضد القرى التي رفضت الاعتراف بالزعماء الذين ينصبهم الفرنسيون<sup>2</sup>.

و ردا على هذه الاستفزازات و الاعتداءات قامت عناصر من جيش الجهاد بالهجوم على مراكز التجارية الفرنسية في سينوديبو Sénudébu و باكل Bakel و عندما تحركت القوات الفرنسية للانتقام، هزمت في

---

1 - Dépêche du commandant de Bakel au gouverneur de Saint Louis du 27 Novembre 1855. Archives du Sénégal, 13 G 167, pièce 22.

2 - Dépêche du commandant de Bakel au gouverneur de Saint Louis du 1<sup>er</sup> Janvier 1856. Archives du Sénégal, 13 G 167, pièce 27.

معركة مارسا Marsa يوم 30 يناير 1856<sup>1</sup>. غير أن رد الفرنسيين على هذه الهزيمة جاء عنيفا باعتبار الخسائر الجسيمة التي ألحقتها بالعدو في الأرواح ورؤوس الماشية و تدمير المنازل. وقد ساعدهم على هذا الانتصار الدويش الموريطانيون و انضمام عدد من السكان المحليين إليهم من بوندو Bundu المتضررين من الضربات الفرنسية المتكررة بعد أن أرسلوا إلى باكل Bakel ممثلين عنهم في 18 فبراير، قصد إبرام السلم معهم و أداء قسم الوفاء<sup>2</sup>.

و مما يدل على شراسة هذه المعركة استشهاد قائدين مجاهدين فيها هما سيرنو بيلي Cerno Belli و سيرنو أليو Cerno Aliu و استمرت الحرب سجالات بين الطرفين طيلة سنة 1856 و بداية 1857<sup>3</sup> لكن مع مرور الوقت بدا واضحا أن الكفة تميل لصالح الفرنسيين مع تسجيل بعض الامتيازات لفائدة المسلمين في الفصل الجاف فقط عندما تقل المياه في نهر السنغال<sup>4</sup>. و لعل أخبار هذه الانتكاسات و عدم إحراز جيش الجهاد لانتصارات بيئة ترهب العدو المسيحي هي التي جعلت الحاج عمر يغادر كارتا Karta و يتجه صوب خاصو Khasso، على الضفة الجنوبية لنهر

---

1 - Ly Tall (M), op, cité, p. 292.

2 - Ibid, pp. 292-293.

3 - Moniteur du Sénégal et Dependances du 25 Avril 1856, p. 2.

4 - Ly Tall (M), op, cité, pp. 294, 296, 302-303.

السنغال حيث توجد مدينة Médine التي تتحصن بها قوات سان لوي<sup>1</sup> Saint Louis ليشرف بنفسه على سير العمليات العسكرية ضد الفرنسيين قبل فوات الأوان.

فقد أصبح الوضع في تصور الحاج عمر هذه المرة بالغ الخطورة بسبب الحصن الفرنسي المحدث في بوابة أعالي السنغال بعد غيابه في كارطا karta. و الموافقة على هذا الأمر تعني بكل وضوح الاستسلام أمام الفرنسيين و التخلي لهم عن كل بلدان السنغال الأعلى المتصلة بفوتاجلون بما فيها من ثروات طبيعية و بشرية و بالتالي تهديم أسس الدولة الإسلامية الكبرى التي يسعى إلى توطيدها بالسودان الغربي. و هربا من هذا المصير، قرر الدخول في المواجهة بنفسه بعد أن عين ألفا عمر سيرنو بايلا Alfa Umar Cerno Baïla خلفا له على كارطا<sup>2</sup>.

## 2 - مواجهة أبريل 1857.

وقعت هذه المواجهة في مدينة Médine التي كان يحكمها آنئذ القائد المولد بول هول Paul holle<sup>3</sup>. و عند عودة الحاج عمر من كارطا،

---

1 - carrère (F), < Siège de Médine >, RC 19 (1857).

- Mage (E), Voyage dans le Soudan occidental, op.cité,p.156 et ss.

2 - Ly Tall (M), op, cité, p. 303.

3 - يعتبر من المولدين Mulâtre السنغامبيين الذين قدموا خدمات كبيرة للفرنسيين

بالسنغال من سنة 1823 إلى وفاته سنة 1862. و هكذا فقد عين، قائدا عسكريا لباكل Bakel ==



و استعدادا لهذه المواجهة نزل ب كوندنا Kunda الواقعة إلى الجنوب من مدينة Médine في منتصف شهر أبريل، و بها استقرت قيادته العليا و عسكر جيشه الذي قدرته بعض المصادر بحوالي ثلاثة و عشرين ألف جندي (23000)<sup>1</sup>.

و في 19 أبريل توجه هذا الجيش صوب مدينة Médine ليلا، و في صباح اليوم الموالي كان وجهها لوجه مع عدوه المحصن داخل أسواره، و دارت بين الطرفين معركة ضارية دامت ست ساعات، و تمكن خلالها المجاهدون من اقتحام بعض حصون و قلاع المدينة و رفع الراية الإسلامية على أسوارها، رغم تعدد طلقات البنادق المصوبة ضدهم<sup>2</sup>. و كان ميزان القوى خلال الساعات الأولى للقتال لصالح المسلمين، غير أنه مع مرور الوقت استطاعت المدفعية الفرنسية أن تحسم الموقف لصالحها بإحداث مجزرة فضيعة في صفوف المجاهدين، اضطر الحاج عمر إلى الانسحاب مع بقية جنوده على إثرها<sup>3</sup>.

---

= = خلال معظم أربعينيات القرن 19، ثم قائدا و حاكما على سينوديبو Sénudébu من 1852 إلى 1855، فحاكما على مدينة Médine من 1855 إلى 1857. انظر: (D) Robison - op. cité, p. 160 et n. 77.

1 - Sabatier (A), le Sénégal, sa conquête et son organisation..., op. cité, p. 86.

2 - Carrière (F), < Sièges Médine >, op. cité, p. 51.

3 - Ibid.

ورغم اعتراف العدو باستبسال المجاهدين<sup>1</sup> و رغبتهم في الاستشهاد، فإن هذه الهزيمة شكلت نكسة حقيقية و هزيمة مرة للحاج عمر حملته بدون شك على تأجيل منازلته عدوه مرة أخرى بعد أن اقتنع بدون شك، بأنه لا زال دون مستوى رفع التحدي في وجه الفرنسيين. وقد حاول الحاج عمر أن يتقدم لهذه الهزيمة لرفع معنويات رجاله و استرجاع هيئته، مستغلا في ذلك ما تبقى من شهور في الفصل الجاف الذي يحد من حرية تحرك السفن الفرنسية، فشنت قواته سلسلة من الهجومات ضد المواقع الفرنسية، أحدثت فيها بعض الخسائر فقط دون أن تحقق أي انتصار حاسم.

نذكر من هذه الحملات على الخصوص هجوم 11 ماي 1857 ثم هجوم 4 يونيو، مع ما رافق ذلك من حصار لمدينة Médine التي أشرفت على السقوط في يد المسلمين بسبب حالة اليأس التي وصل إليها المحاصرون (بفتح الصاد) مع مرور الأيام و نفاذ مخزونهم من المؤن و الذخيرة، كما في وصف كارير Carrère لهذا الحصار<sup>2</sup>.

و قد نجا المحاصرون (بفتح الصاد) من كارثة محققة بأعجوبة، طبقا لنفس المصدر بسبب وصول النجدة التي سمح بوصولها ارتفاع كمية

---

1 - Ibid, p. 53.

2 - Robinson (d), op. cité, p. 197.

- Ly Tall (M), op. cité, p. 307.

المياه في النهر خلال شهر يوليوز 1857<sup>1</sup>. و مرة أخرى يتلقى المجاهدون ضربات موجعة على يد العدو الذي رفع من إيقاع حملاته العسكرية عموديا وأفقيا، و صار يركز من خلالها على أهم المواقع العمرية المحصنة (طاطا)، فحطم تحصينات كونجورو Gunjuru بخاصو Khasso قرب مدينة Médine يوم 22 يوليوز، و دمر مدينة صوم صوم Som Som، وفجر حصنها بالألغام بعد حصارها خلال شهر غشت 1857<sup>2</sup>. هذه الانتصارات الفرنسية المتتالية خلال الفصل المطير جعلت الحاج عمر يفضل الانسحاب من خاصو Khasso و يأمر رجاله بالتخلي عن حصار مدينة Médine في شهر غشت 1857 لتجنب الأسوء.

لكن إلى أين سيتدفع؟ و كيف سيكون رد فعله لمحاولة انقاذ سمعة الجهاد و استرجاع نفوذه الذي بدأ يتلاشى في فوتا Futa و أعالي نهر السنغال بعد تمكن القوات المعادية من إخضاع بوندو Bundu و خاصو Khasso لنفوذها بمساعدة حلفائهم مثل جوكا صامبالا Juka sambala و بوبكار سادا Boubacar sada<sup>3</sup>؟

لم يكن للشيخ الفتوي التجاني من حل أمام هذا الواقع، إلا الارتداد

---

1 - Carrère (F), < Siège de Médine...>, op. cité, pp. 55-56.

2 - Robinson (D), op. cité, p. 200.

3 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 15 Septembre 1857, pp. 2-3.

نحو الجنوب، داخل إقليم بامبوك Bambouk الذي لازال بعيدا نسبيا عن قبضة الفرنسيين و نفوذهم، لبعده عن مدينة Médine المحصنة و لتشبث سكانه بهويتهم الإسلامية و تعاونهم مع حركة الجهاد و لوجوده على الطريق المؤدي مباشرة إلى طامبا Tamba و دينكراي Dinguiray، قاعدة انطلاق الحركة الجهادية و مقر مخزون احتياطي المؤسسة العمرية من المؤن و العتاد و الرجال.

أما احتمال الانسحاب إلى كارطا karta شمال شرق النهر، فلم يكن واردا بالنسبة إليه لأن انسحابه إليها في هذه الظروف يعني إفساد كل شيء و إعطاء الانطباع للعدو بأن دولة الجهاد تخلت نهائيا على بلدان أعالي نهر السنغال مرغمة.

اختار الحاج عمر، إذن الانسحاب نحو الجنوب و توقف في بلدة كونجان Kunjan التي تعتبر مدنها مقدسة كنيورو Nioro والتي تتوسط المسافة بين دينكراي Dinguiray جنوبا، و مناطق النفوذ الفرنسي شمالا كمدينة Médine و باكل Bakel و سينوديبو Senudébu. و بها أقام مدة من الزمن أشرف خلالها على بناء قلعة حصينة<sup>1</sup> (طاطا Tata) ساهمت في استرجاع بعض من هيئته في المنطقة و أعطته بعض الآمال بإمكان استدراك ما فات عندما لاحظ أن الأغلبية الساحقة من الرعايا في هذه

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, p. 317-318.

الجهات لازالت محافظة على العهد بنصرته، و الوقوف إلى جانبه<sup>1</sup>. كما أن اختياره للإنسحاب نحو كونجان Kunjan في هذه الظروف الحرجة كان موفقا لما يتيح من إمكانية المرور إلى إقليم بوندو Bundu بعد عبور نهر الفاليمي Falémé (أحد روافد نهر السنغال)، و هو إقليم نعرف مدى إخلاصه لقضية الجهاد وأهمية الدور الذي لعبه لإنجاح حركة الحاج عمر. منذ عبوره للمنطقة بجيوشه قادما من دينكراي Dinguiray في اتجاه كارطا، فضلا عن أن مجال إقليم بوندو Bundu الشمالي يتاخم بلاد فوتا التي يرتبط شيخنا معها بروابط أسرية و دينية و سياسية يمكن توظيفها لصالح قضيته عند الضرورة.

### 3 - مواجهات ما بعد سنة 1857 و تخلي الحاج عمر عن

#### منازلة الفرنسيين مؤقتا:

لقد شكل هذا الانسحاب و الابتعاد عن الفرنسيين في اتجاه الجنوب آخر محاولة في نهاية خمسينيات القرن 19، من قبل الحاج عمر لإنهاض الهمم و شحذ العزائم و خلق تعبئة شاملة، استعدادا للانتقام من الفرنسيين و إشعارهم بأن قوة الجهاد لم تقل كلمتها الأخيرة. و لقد تحقق بعض الشيء من هذه الآمال لصالح المجاهدين، عندما تنقلوا من إقليم بامبوك

---

1 - Tyam LA VIÉD'El hadj Omar, op. cité, p. 107 et ss.

Bambouk إلى إقليم بوندو Bundu، عبر نهر الفاليمي Faméle دون كبير عناء، مما يؤشر على تعطف بلدان هذه الجهات معهم و تفضيلهم على الفرنسيين، و بعد أن حققوا نصرا بينا على القوات الفرنسية بعد معركة ضارية في قرية نجوم Njum إلى الشمال من سينوديبو Sénudébu في منتصف شهر فبراير 1858<sup>1</sup> خلال الفصل الجاف كما هي العادة.

و بقدر ما محا هذا الانتصار عار هزيمة مدينة Médine و رفع من مكانة دولة الجهاد الفتية و جعلها تتطلع إلى نصر شامل، بقدر ما شكل نكسة حقيقية للعدو بالنظر إلى عنصرين هامين ينحصر الأول في كثرة الجنود الفرنسيين المستنفرين (بأمر من سان لوي)، من باكل Bakel و مدينة Médine و سينوديبو Sénudébu لخوض هذه المعركة. أما العنصر الثاني فيتجلى في كثرة خسائر العدو البشرية و المادية و استيلاء المجاهدين لأول مرة على مدفعين<sup>2</sup> شكلا مكسبا ثمينا و دعما عسكريا مؤثرا، بسبب ما أبانا عنه من فعالية، خلال عمليات الجهاد التي ستعلن لاحقا ضد سيكو Sékou الوثنية و ماسينا المسلمة كما سيأتي.

هذا الانتصار في شمال بوندو Bundu مهد الطريق وأمنها واصلت السير

---

1 - Annales Sénégalaises de 1854 à 1885 suivies des Traités passés avec les Indigènes, Paris, 1885, pp. 126, 159.

- Rançon Dr (André), < le Boundou >, BSGCB 17 (1894), pp. 278, 533.

2 - Ly Tall (M), op. cité, p. 319.

- Robinson (M.), op. cité, p. 218.

في اتجاه فوتا شمالا لتعزيز هذا المكسب. و في الطريق كان جنوده يزرعون الرعب في المواقع الفرنسية لعرقلة نشاط التجار الفرنسيين وإغلاق راحتهم<sup>1</sup>. وإنزال أقصى العقوبات بالمتعاونين مع النصارى. وهذا يعني أنه في الوقت الذي كان فيه حكام سان لوي يعتقدون أن انتصار المجاهدين بنجوم Njum، كان مرحليا فقط وأن الحاج عمر تولى عنه معظم أنصاره بسبب انضمام أبرز حكام المنطقة إلى معسكرهم، وردت عليهم أخبار وصول الشيخ التجاني الفوتي و رجاله إلى إقليم فوتاتورو Futa Toro، و معاناة تجارهم و خوفهم على أملاكهم و أرواحهم بسبب ما يتعرضون له من ضربات هؤلاء الرجال في نهاية 1858، كما تحدثت نفس الأخبار عن الترحاب الكبير الذي وجده الحاج عمر لدى سكان هذه البلدان مثل: دماكا Damaga و نجينار Ngénar و بوصيا Booséya و هورفوندي Horfondé<sup>2</sup>.

لقد كان الحاج عمر يعقد آمالا كبيرة على جولته هذه بفوتاتورو Futa Toro، مسقط رأسه لمواصلة مهمته التي لا تزال ينتظرها الكثير. وقبل إعطاء فكرة عن ما أسفرت عليه مجهوداته هناك، نرى من المفيد تقديم بعض المعلومات عن رد الفعل الفرنسي بعدما علم قادة سان لوي

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, p. 322.

2 - Tyam LAVIE D'El hadj Omar, op. cité, p. 112.(M.A)  
- Kamara (C.M), D'El hadj Omar, op. cité, p.49.

Saint Louis بوصول عدوهم إلى هذه المنطقة الشديدة الحساسية والشبه خاضعة لهم، بفعل قربها من مصب النهر، وبسبب ما حققوه من انتصارات عسكرية وسياسية واقتصادية بها.

و قد جاء رد الفعل الفرنسي في شكل جملة من الإجراءات الفورية العملية والفعالة<sup>1</sup> لوعيتهم بأن أي تفريط من جهتهم هذه المرة سيتيح لقوات الجهاد، ليس فقط الاستيلاء على بلدان أعالي نهر النيجر الغنية بالمعادن النفيسة و سد أبواب النفوذ إلى السودان النيجر في وجههم، و لكن استعمال أراضي فوتاتورو أيضا، قاعدة انطلاق هذه الهجومات لطرد الفرنسيين من مجال نفوذهم، المشكل من أراضي وولوف Jolof و والو Walo وكايور Cayor المتصلة بالمحيط الأطلسي، وأهم الإجراءات التي اتخذوها في هذا الصدد:

– مد يد المساعدة لكل من أراد الوقوف في وجه الحاج عمر، و لم يستطع كما فعل مامادو بيران Mamadu Biran إمام مبومبا Mbumba، الذي بعث رسالة إلى حاكم سان لوي، يعبر فيها عن رغبته في خدمة الفرنسيين<sup>2</sup>.

– بعث رسائل تهديد إلى كل حكام فوتاتورو، تحذرهم من مغبة

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 328 et ss.

2 - Moniteur du Sénégal du 26 Octobre 1858, p.2.



التحالف مع الحاج عمر، قامت بتوزيعها حامية متنقلة من الجيش الفرنسي<sup>1</sup>.

- انتقال الفرنسيين إلى مرحلة أخطر في هذه الإجراءات عندما بدأوا يلقون القبض على كل من اشتبه فيه أنه يناصر قضية الشيخ التجاني<sup>2</sup>.

- اعتقال زعيم ديمار Dimar إيمان سايدو Eliman Saidu، وتحديد إقامته في سان لوي Saint Louis<sup>3</sup>.

- هذه الملاحقات و المضايقات طالت حتى رجال الدين الفوتينيين المقيمين بسان لوي، بعد اتهامهم بالضلوع في الحرائق التي كثر اندلاعها في هذه المستعمرة الفرنسية<sup>4</sup>.

- توصل وسائل المخابرات الفرنسية إلى ضبط مبعوث عن الشيخ عمر يحمل رسالة محررة بالعربية تتضمن دعوة موجهة إلى سكان كايور Cayor تحثهم على الوقوف إلى جانبه في انتظار أن يلتحق بهم<sup>5</sup>. وقد أعطت بالفعل إجراءات الزجر و التهديد و الوعد و الوعيد هذه نتائجها، عندما أصبح معظم الزعماء المحليين بفوتاتورو FutaToro يفضلون الدخول

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, p. 332.

2 - Circulaire du 27 Janvier 1857 aux chefs de Njambur, Archives du Sénégal, 3 B 97.

3 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 30 Aout 1859, p. 162.

4 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 27 Avril 1858, p.7.

5 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 333-334.

تحت حماية فرنسا<sup>1</sup>.

لكن الإجراء الذي يبدو أنه أحكم القبضة على الشيخ عمر و أنصاره و ضيق الخناق بشكل جعله يعجل بالرحيل هو لجوء الفرنسيين إلى إقامة معسكر في بلدة فاناي Fanay بإقليم ديمار Dimar، المتحكم في وسط فوتاتورو<sup>2</sup>، لتأديب أهاليها المعادين للمصالح الفرنسية من جهة، و لتتبع كل حركات عدوهم عن كتب من جهة ثانية، مع إنزال العقاب المناسب في الوقت المناسب بكل متحرش بهم حماية لتجارتهم التي يكثر نشاطها بأراضي السنغال الأسفل و الأوسط، و بالخصوص من أجل منع الحاج عمر من تحقيق أي انتصار سياسي أو عسكري ضدهم.

و قد تمكن الفرنسيون من بناء معسكر فاناي Fanay و إحضار كل التعزيزات إليه في نهاية شهر يناير 1859، بعد أن فرضوا عبدول بولي Abdul Boli بالقوة حاكما وحيدا على ديمار Dimar ضدا على الجميع، و أحبروه يوم 18 جوان 1858 على توقيع معاهدة تقضي بانفصال هذه البلاد عن باقي فوتا Futa<sup>3</sup>.

لا شك أن الحاج عمر كان على علم بكل تطورات الإجراءات السياسية و العسكرية و الاقتصادية الفرنسية التي تدبر ضده في بلاد فوتاتورو، في

---

1 - Ibid, p. 334.

2 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 4 Mai 1858, p.2.

3 - Ly Tall (M), op. cité, p.3 35.

الوقت الذي كان يهيء فيه السكان لتعبئة شاملة، تستطيع قلب الأوضاع لصالح الجهاد بالمنطقة عن طريق توزيع الغنائم المحصل عليها بعد الهجوم على مراكز التجارة الفرنسية، وإلقاء الخطب الحماسية و تقديم الوعود و التلويح بشعار العدالة الاجتماعية، و انتظار أحسن الجزاء من الله، مستشهدا في ذلك بكل الحجج الممكنة من الكتاب و السنة.

لكن في مرحلة ثانية تغير خطاب الحاج عمر إلى سكان فوتاتورو Futa Toro، و يبدو أن التوجه الجديد لخطابه أملت ضرورات ميدانية واقعية لم يعد قادرا على مواجهتها بنجاح، فاضطر أمام التفوق الفرنسي إلى تغيير الخطاب بغية نهج توسع سياسي جديد، يمكنه من الخروج من المأزق الذي يوجد فيه و لذلك نجده هذه المرة يحث الناس على الهجرة إلى كارطا للابتعاد عن الفرنسيين<sup>1</sup> و خلفائهم ما دام أنهم غير قادرين على الانتصر عليهم. و مما دفع به أيضا إلى الإقدام على هذا القرار، ما روي عنه: أنه رأى خلال خلوة أن الشيخ سيدي أحمد التجاني ناوله مفاتيح بلاد سيكو الوثنية<sup>2</sup>، مما يؤشر على أن الخير كل الخير هو في العودة إلى الشرق لإخضاع سيكو الوثنية بعد أن أخضع كارطا. و قد جاء في هذا الخطاب على الخصوص إلى أهالي فوتا، طبقا لإحدى الروايات الشفوية:

---

1 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 11 Janvier 1859, p.6.

2 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 339.

« هاجروا، لا تتأخروا، اخرجوا من حيث لا وجود للدين ولا للسنة... ». « هاجروا فإن هذا البلد لم يعد لكم ». « إنه بلد الأوربي، ووجودكم معه لن ينجح ». « انهضوا، اذهبوا حتى نيورو حيث الإقامة الهنية لا حدود لها<sup>1</sup> ... ».

فماذا كان رد فعل سكان فوتاتورو إذن على هذا النداء؟

تسمح المعلومات المتوفرة بخصوص هذا الموضوع بالقول بأن الاستجابة كانت جزئية، بسبب ما ترتب عن بناء معسكر فاناي Fanay الفرنسي من نجاح في مراقبة تحرك أنصار الحاج عمر و من يدور في فلكه، مع ما رافق ذلك من تشديد في العقوبات من تدمير و نهب و سلب وزهق أرواح في الأوساط الحضرية و القروية، التي يثبت أو يشتبه أنها تتعاون مع عدوهم، مما يحمل على الاعتقاد أنه حتى تلك المجموعات التي قبلت الهجرة مع الشيخ<sup>2</sup>، على قلتها، فعلت ذلك إما لتشبيثها القوي بالدين و القيم الإسلامية، و تفانيها في الإخلاص لقضية الجهاد، لما رأت في قائدها من عزم وإصرار على السعي لتطبيق نموذج الخلافة الإسلامية الصحيح في السودان الغربي، بعد إسقاط كل طغاته، و إما أنها هاجرت معه قسرا<sup>3</sup>، تحت قوة الحديد و النار<sup>4</sup>، كما تتحدث عن ذلك بعض الوثائق

---

1 - Tyam (M.A), la vie D'El Hadj Omar..., op. cité, pp. 116-117.

2 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 8 Février 1858, p.21.

3 - Tyam (M.A), la vie D'El Hadj Omar..., op. cité, p. 117.

4 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 338.

التي لابد من التعامل مع مضمونها بكل ما يجب من الحذر لما عرف عن الفرنسيين و غير الفرنسيين من تحامل على هذا الشيخ التجاني، و تعمد الإساءة إليه و تشويه سمعته أمام الرأي العام.

غير أنه من المحتمل أن يكون الحاج عمر قد لجأ إلى نهج نوع من الشدة و الحزم و الوعد و الوعيد، في حمل بعض سكان حلوar Halwar و جيدي Gédé من أبناء وطنه على الهجرة، بعد أن اضطر إلى ذلك اضطرارا بسبب:

- انقلاب سكان ديمار Dimar ضده بعد بناء معسكر فاناي Fanay.
- تراجع معظم الزعماء الذين كانوا مستعدين للهجرة عن رأيهم بعد وصول قوات سان لوي Saint Louis.
- تخلي الإمام إليمان سايدو Eliman saidu عنه، و هو الذي كان من أكثر الناس وفاء له في الأمس القريب<sup>1</sup>.
- تهرب ملك الترارزة و تخليه عن تقديم أي مساعدة له خلافا للوعد الذي قدمه<sup>2</sup>.

و بما أن «الفيركو» Fergo<sup>3</sup> أصبحت تشكل بالنسبة للحاج عمر، الوسيلة الوحيدة للخروج من عنق الزجاجة، فإننا لا نستغرب للجوئه إلى

---

1 - Ibid.

2 - Ibid.

3 - المقصود بهذه الكلمة الهجرة.

بعض الوسائل التي تبدو لعامة الناس و للرجل العادي غير مشروعة ،  
خلافًا لما قد يجد لها بعض الفقهاء و أصحاب التأويل من مبررات شرعية .  
كانت عملية الهجرة من فوتاتورو Futa Taro إلى بلاد كارطا  
محفوفة بالمخاطر لتعدد المراكز العسكرية الفرنسية من فوتاتورو حتى  
أعالي نهر السنغال بدءًا من سان لوي (1650) ، حتى مدينة Médine  
مرورا بريشار طول Richard Toll (1824) و داكانا Dagana (1819)  
و بودور Podor (1854) ، و ماطام Matam و باكل Bakel<sup>1</sup> .

و وعيا من الحاج عمر بأن أعين الفرنسيين لا تنام ، فقد انطلقت  
هجرته من نجوم Njum الواقعة جنوب بلدته حلوar Halwar وسط فوتا  
Futa خلال النصف الثاني من فبراير 1859 ، في اتجاه كارطا مستغلا في  
ذلك ظروف الفصل الجاف التي تساعد على كبح جماح القوات الفرنسية  
بسبب عجز السفن عن التوغل في مسافات بعيدة عن النهر<sup>2</sup> .

و قد ساعدته بالفعل هذه الاستراتيجية على المرور بكل أراضي فوتا  
في اتجاه أعالي النهر بسلام ، رغم بعض المواجهات الخفيفة التي وقعت بين  
الطرفين كانت جنود الحاج عمر البائدة فيها في أغلب الأحيان للانتقام من

---

1 - تشير هذه الأرقام إلى تاريخ بناء هذه المراكز العسكرية من قبل الفرنسيين. انظر:  
- Robison (D), op. cité, p. 60.

ثم انظر الخريطة: 18

2 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 8 Mars 1859, p.41.

الفرنسيين<sup>1</sup>، بعرقلة تجارتهم ونهب أموالهم وإغلاق راحتهم، مما كان يستدعي الرد الفرنسي، و من أمثلة هذه المناوشات والاصطدامات، ما حدث في بعض الأماكن من بوصيا Bosseya في فبراير 1859، وفي ضواحي ماغام Matam خلال منتصف شهر أبريل<sup>2</sup>، و حول باكل Bakel التي فشلت قوات الحاج عمر في الهجوم عليها في بداية شهر ماي. و في اليوم العاشر من نفس الشهر من سنة 1859 تمكن الحاج عمر من عبور نهر السنغال إلى الضفة اليمنى من معبر جاجيلي Jagili جنوب باكل Bakel، ثم اتجه شرقا إلى بلدة صولي<sup>3</sup> Solu في إقليم جديماخا Gidi-makha التي نزل و أقام بها حتى 17 ماي، لاسترداد أنفاسه و منح جنوده ومرافقيه فسحة من الزمن تمكنهم من أخذ قسط من الراحة و العناية بدوابهم و قطعان ماشيتهم<sup>4</sup>. لقد تنفس الحاج عمر الصعداء فعلا، بعد أن نجحت قواته<sup>5</sup> في اختراق كل الأراضي التي تقع تحت المراقبة الفرنسية، دون حدوث أي كارثة. أما الآن و قد تجنب الأسوء قبل بداية الفصل المطير الذي يتقوى فيه الفرنسيون أكثر فإنه سيواصل الطريق شرقا في اتجاه

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 340.

2 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 8 Mars 1859, p.41.

3 - توجد جنوب باكل Bakel على الضفة اليمنى لنهر السنغال.

4 - Tyam (M.A), la vie D'El Hadj Omar..., op. cité, pp. 121-122.

5 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 342.

نيورو Nioro للابتعاد عن جاذبية العدو. لكن قبل ذلك كان عليه أن يؤمن ظهره اتقاء لأي هجوم مباغت من الخلف، مدبر من قبل حلفاء فرنسا بالمنطقة. وبمساعدة أهالي صولي Solu عمل على تحصين مدينة جيمو Gémou<sup>1</sup> بشكل جيد، واختار لها من يربط بها ويدافع عن المنطقة أحسن رجاله<sup>2</sup>.

وفي شهر يونيو 1859، انطلق الحاج عمر برفقة هؤلاء المهاجرين في شكل مدينة متحركة تضم مدنيين وعسكريين رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً، عبيداً وأحراراً، بالإضافة إلى أعداد من الدواب والخيول وقطعان الماشية، مستأنفاً بذلك رحلته في هدوء إلى مدينة نيورو Nioro عاصمة كارطا التي دخلها دخولا رسميا يوم 28 يوليوز 1859<sup>3</sup>.

بعد أن قدمنا بعض مظاهر المواجهات المسلحة بين فرنسيي سان لوي و الحاج عمر الفوتي التجاني خلال النصف الثاني من خمسينيات القرن التاسع عشر، من أجل بسط النفوذ على أعالي نهر السنغال الغنية بثرواتها المعدنية النفيسة على الخصوص، و بلاد فوتا، نتوقف قليلا بغية معرفة حصيلة هذا الصراع إلى حدود سنة 1860 بالنسبة لكل طرف، و قصد التساؤل عن المصير الذي سيؤول إليه هذا النزاع خلال ستينيات

---

1- توجد شرق باكل Bakel بعيداً عن نهر السنغال وشمال صولي.

2 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 5 Juillet 1859, p.119.

3 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 343.



نفس القرن و لو بشكل مقتضب.

هذه الحصيلة كما تعكسها المعلومات و الأحداث التي مرت بنا، ترضي في تقديرنا الطرفين، فالحاج عمر، وإن لم يحقق خلال هذه المواجهات كل ما كان يصبو إليه من صد العدو المسيحي بما يخدم مصالح دولته الإسلامية، فهو على الأقل أقلق راحة العدو بمناوشات جنوده و هجوماتهم على المراكز التجارية و العسكرية الفرنسية، و أشعره بوجود قوة إسلامية رافضة له، و مستعدة لبذل كل أنواع التضحية لمحاربته.

و يمكن اعتبار الحصيلة إيجابية أيضا بالنسبة للحاج عمر لأنه بعد أن التحم مع العدو في أكثر مراكزه تحصينا في خاصو Khasso بمدينة Mé-dine مثلا، و في مواقع شتى بفوتا Futa، استطاع أن يسلك طريق العودة من أسفل النهر إلى أعلاه إلى أن تخطاه إلى ضفته اليمنى سالما، رغم المطاردة الفرنسية القوية المعززة بخدمة الحلفاء من الأهالي في كل مكان، و هي إيجابية أخيرا لأن الحاج عمر قرر تجميد المواجهة مؤقتا فقط، و لم يتخل عن المنطقة بشكل نهائي للعدو.

فكما أن دخول بلاد كارطا الوثنية في الإسلام أعطاه القوة المعنوية و المادية و اللوجيستكية لمحاولة زعزعة البنيات الفرنسية في السنغال، بعد أن سبق له تأجيل منازلتهم، فإن خطط هذه المرة أيضا لعودة قوية ضد القوات الفرنسية لا تبقي و لا تذر، لكن ليس قبل الانتهاء من فتح سيكو الدولة الوثنية على ضفاف نهر النيجر الواقعة إلى الجنوب من مملكة ماسينا

## Macina الإسلامية.

و يمكن اعتبار النتائج التي أسفرت عنها مواجهات قوات سان لوي ضد دولة الحاج عمر إيجابية أيضا، فهي في الوقت الذي لم يتزحزح نفوذها قيد أنملة من المواقع التي احتلتها في سينيغامبيا Sénagambie، رغم ما بذلته نفس الدولة من جهد، تجد نفسها في وضعية تبعث على التفاؤل بفضل ما وجدته في الأهالي من تعاون، زعماء و أفراد عاديين، بغض النظر عن الوسائل التي استعملتها من وعد و وعيد و سخاء في بذل الأموال لشراء التحالفات، و توقيع معاهدات التنازل عن الأراضي، مستغلة في ذلك خوف كبار الإقطاعيين و كرههم للشيخ عمر الفوتي و لمبادئ دينه و تعاليمه التي تدعو إلى العدالة الاجتماعية<sup>1</sup>.

و قد سر الفرنسيون كثيرا، لفعالية هذا التحالف الذي أعطى ثماره المرجوة، بضرب الكتائب العمرية و تحصيناتها في أعالي نهر السنغال و في غرب كارطا Karta أثناء غياب شيخها و إقامته بإقليم فوتاتورو Futa Toro خلال سنتي 1858-1859. و أهم ما تحقق في غضون هذا الغياب لصالح الفرنسيين الاستيلاء على منجم كينييبا Kénièba الذهبي داخل إقليم بامبوك Bambouk<sup>2</sup> و قتل سيرنوجيبي Cerno Jibi<sup>3</sup> أحد أبرز قواد

---

1 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 7Septembre1859,pp.2-3.

2 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 346 et ss.

3 - Ibid, pp. 350-351.

الحاج عمر المخلصين بعد الالتحام معه في معارك دارت رحاها في طومورا Tomora و جالان Jalan على الخصوص التابعتين لإقليم كارطا Karta. غير أن هذه العمليات كانت تقابل برد فعل مدمر من قبل المجاهدين ضد مصالح كل من له علاقة بالفرنسيين، من سلب و نهب و تدمير و قتل أرواح، و إحداث اضطرابات في المواصلات بين المراكز الفرنسية على طول النهر من جهة، وبينها وبين سان لوي Louis Saint من جهة أخرى<sup>1</sup>. و أمام هذا الواقع بدأ يلوح للفرنسيين استحالة التقدم إلى كل إعالي نهر السنغال، كمرحلة ضرورية للوصول إلى السودان النيجيري، إذا استمرت الوضعية الراهنة على ما هي عليه. و هذا يعني أيضا أن كل ما بذلوه من جهد لم يقض بصفة نهائية على عدوهم الذي يحتمل أن يعود في يوم من الأيام لمهاجمتهم من جديد، كما فعل بالأمس القريب، بعد أن يتوفر له من الأسباب و الإمكانيات ما يمكنه من ذلك.

و وعيا من فيدرب Faidherbe، و معه وزارة البحرية الفرنسية بقدرته على إمكان تحقيق أهداف بلاده في المنطقة عاجلا أو آجلا، فإنه رأى من الحكمة، على ما يبدو، أن يسعى إلى تحقيق السلم مع الحاج عمر في الوقت الحاضر على أن يترك لعامل الزمن مسألة تطويق خصمه والإجهاز عليه.

---

1 - Moniteur du Sénégal et Dépendances du 28 Septembre 1858, p.2.

و يلاحظ أن انفتاح الفرنسيين على السلم أتى في وقت كان فيه الحاج عمر في حاجة إلى مهادنة الفرنسيين، حتى يتسنى له خوض عمليات الجهاد ضد دولة سيكو Ségou الوثنية الواقعة على ضفاف نهر النيجر دون خوف من مفاجآت الجبهة الغربية و ما يمكن أن تدبره فرنسا وحلفاؤها ضده لإفساد كل شيء عليه.

فالتظاهر بقبول السلم إذن يخدم مصلحته ظرفيا و يعطيه الوقت الكافي لتنفيذ مخططه ضد سيكو و إخضاعها للإسلام، و مما لا شك فيه أن الحاج عمر كان يطمح إلى ضم سيكو Ségou إلى كارطا Karta بعد فتحها، ليجعل منها دولة إسلامية واحدة قوية بشريا و اقتصاديا و عقائديا و استراتيجيا، تجعله قادرا على منازلة الفرنسيين و إجبارهم على الاختيار بين الجلاء عن البلاد أو قبول العيش بها كأقلية مسيحية تخضع لمقتضيات تعاليم الشريعة الإسلامية الخاصة بالذميين<sup>1</sup>.

من جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن رغبة فرنسيي سان لوي في السلم مع القوة الجهادية العمرية، بدأ الحديث عنها منذ سنة 1856<sup>2</sup>، من جراء الأخبار التي كانت تصل إلى هذه المستعمرة الفرنسية، على ما يبدو بخصوص انتصارات هذه القوات المتلاحقة و سقوط بلدان نهر السنغال

---

1 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 207.

2 - Saint-Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France, op. cité, pp.

93 et ss.

الواحدة تلو الأخرى تحت نفوذها، لكن عندما مرت هذه الجيوش إلى كارطا Karta دون اصطدام مع الفرنسيين، لم تعد الحاجة تدعو لذلك. غير أنه عندما عاد الحاج عمر لمواجهة الفرنسيين سنة 1857 بعد فتح كارطا Kar-ta، جدد فيدرب رغبته في السلم لتختفي هذه الرغبة بعد الهزائم التي تعرض لها العمرليون في مدينة Médine و ما تلا ذلك من نكسات في بامبوك و باندو خلال سنتي 1858 و 1859، أضعفت نفوذهم إلى أن تمكنوا مع قائدهم من العودة سالمين إلى كارطا karta كما علمنا.

و نظرا لما تركه انسحاب الحاج عمر من فوتاتورو Futa Toro و أعالي نهر السنغال إلى بلاد كارطا Karta من ارتياح لدى القوات الفرنسية بالسنغال، فقد عاد فيدرب ليعبر عن رغبته في السلم مرة أخرى مع الدولة العصرية سنة 1859 بشكل جدي. و بما أن هذه الرغبة كانت متبادلة على ما يبدو فقد توصل الطرفان المخولان للتفاوض خلال شهر غشت 1860<sup>1</sup> إلى الاتفاق على مشروع معاهدة السلم الذي يجب عرضه على أنظار قائد جيش الجهاد للموافقة عليه.

و بما أن هذا التطور حصل في الوقت الذي كان فيه الحاج عمر منشغلا في فتح سيكو، نرى من المفيد تقديم عرض موجز عن أهم

---

1 - Gerresh (C), < Jugement du Moniteur du sénégâl sur Al hadj Umar...>, op. cité, pp. 574 et ss.

- Saint Martin (Y), < la Volanté de paix d'El hadj Omar et d'ahmadou dans leurs relations avec la france >, Bulletin de l'I.F.A.N, serie B, n° 3, 1968, pp. 785 et ss.

مراحل هذا الفتح و ما تولد عنه من مشاكل معقدة بسبب تدخل دولة ماسينا المسلمة لصالح الوثنيين، وهي تطورات لا غنى عنها لمعرفة الموقف الذي سيتخذه شخصيا من مشروع المعاهدة المشار إليه.

#### د - إخضاع سيكو Ségou الوثنية و الاصطدام بمملكة ماسينا الإسلامية.

كان الحاج عمر يعرف أن مهمة إخضاع سيكو Ségou التي هو مقدم على إنجازها ليست سهلة، و تحيط بها الكثير من الأخطار الموضوعية والسياسية و الإيديولوجية التي يمكن اجمالها في النقاط الآتية:

- بعد المسافة الفاصلة بين نيورو Nioro عاصمة كارطا وبلاد سيكو Ségou، و كثرة الأدغال بالأراضي التي لا بد من المرور بها، مثل باخونو Bakhonu و بيليديكو Bélédégu و فادوكو Fadugu و دامفاري Damfari، علاوة على العداء السافر للإسلام الذي تكنه هذه الأقاليم التابعة إسميا لسيكو<sup>1</sup>.

- عداء سيكو للإسلام و احتفاظها بقوتها المخيفة، رغم الأزمات التي هزت عائلة بامبارا Bambara منذ بداية القرن 19<sup>2</sup>.

- ادعاء إمارة ماسينا الإسلامية بسط نفوذها على سيكو و انهماكها

---

1 - Mage (E), voyage dans la Soudan occidental..., op. cité, p. 252.

- Tyam(M.A), la vie d'El Hadj Omar..., op. cité, pp. 131 à 133.

2 - Ly Tall (M), op cité, p. 361.

في إدخال الإسلام إليها بالتدريج، وارتباطا بهذا الموضوع بعث احمدوا احمدوا أمير ماسينا رسالتين إلى الحاج عمر وهو في كارطا يعبر له فيهما عن اعتراضه لتقدم قواته الجهادية نحو السودان النيجيري مما كان ينذر بحتمية الاصطدام بينهما<sup>1</sup>.

– عدم ارتياح شيوخ القادرية الكنتيين لما اعتبروه تدخلا للتجانسية في مناطق نفوذهم الصوفي بدون منازع من ماسينا جنوبا إلى تمبكتو شمالا وحتى سكوطو بشمال نيجيريا شرقا.

– عدم وجود أقاليم جومبوكو Jombokho و جديماخا Jidimakha المجاورة لباكل (الفرنسية) والتي تشكل صلة وصل بين فوتا و كارطا، في مأمن من تدخل فرنسي محتمل رغم تلويح والي سان لوي الظاهري بالسلم.

رغم كل هذه التحديات وبعد أن انعزل بنفسه في خلوة لمدة طويلة<sup>2</sup>، قرر الحاج عمر الزحف في اتجاه سيكو Sékou في بداية شهر شتنبر 1859 و كله عزم في الحاق هذه البلاد بدار الإسلام<sup>3</sup>.

---

1-Ibid.

2-Tyam (M.A), La vie d'El Hadj Omar, op. cité, pp. 128-129.

3 – أوردت مادينالي طال Madina Ly Tall معلومات مفيدة حول ظروف سقوط سيكو

Ségou في أيدي الجيش العمري، انظر: Ly Tall (M.), <la jihad Omarien dans le royaume de Ségou>, Bulletin de l'I.F.A.N, serie B, T. 35, n 3-4 1983.  
-Manteil (Ch), les Bambara du Ségou et du Karta, op. cité, p.3.

و في بداية الثلث الأخير من شهر نونبر من نفس السنة وصلت الجيوش العمرية إلى مشارف ميركويا MerKoia قلعة إقليم بيليديكو -Bél- édégu المحصنة، و هو إقليم تابع من الناحية الشكلىة لسيكو Ségou ونظرا لقربه في نفس الوقت من كارطا و سيكو، فقد تجمع فيه كل أعداء الدولة الإسلامية العمرية الفتية مثل الجوارا Jawara و المساسي Massasi و فولاني باخونو Bakhunu، و كلهم من رعايا كارطا الذين فشلوا في الإطاحة بزعيم الحركة الجهادية للشيخ الفتوي التجاني تعززهم كتائب من قوات سيكو Ségou لإفشال زحف عدوهم وإجباره على العودة من حيث أتى و تحطيم معنويات رجاله كخطوة أولى لوأد دولته في مهدها وإرجاع شعوب بلاد كارطا إلى عقيدتها الأصلية عقيدة الشرك والوثنية<sup>1</sup>.

و رغم كل هذه التكتلات فقد سقطت قلعة ميركويا Merkoïa في أيدي المجاهدين بسبب عنصر المفاجأة و الهلع الذي أحدثه المدفعان المغنومان في معركة نجوم Njum ضد الفرنسيين كما سبقت الإشارة إلى ذلك<sup>2</sup>.

و من العوامل التي ساعدت الحاج عمر أيضا في هذا النصر الذي كان لابد منه و الذي اعتبر طالع خير و هو في بداية هذه المهمة الشاقة، السند

---

1 - Ibid.

2 - Mage (E), voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, pp. 131 à 133.



الذي قدمه له خفية طوروكورو ماري Torocoromari ملك سيكو Sékou الذي سبق له أن أسلم سرا<sup>1</sup>، على يد شيخنا عند مروره بهذا البلد في طريق عودته من الديار المقدسة، وهو ما كان سببا في اكتشاف أمر طوروكورو Torocoro و قتله و رمي جثته في نهر النيجر بعد اتهامه بالخيانة<sup>2</sup>.

يضاف إلى كل هذا عامل آخر كان له أبلغ الأثر في تحقيق النصر، وهو تجديد استعمال استراتيجية الذعر و الرعب التي برهنت عن فعاليتها في حملاته بسينيجامبيا Sénagambie، مما تسبب في إحداث مجزرة بشرية كبيرة في الرجال، كان أهم ضحاياها قائد الثكنة كاتيلي katili الذي قطع رأسه بعد أن قبض عليه حيا. أما النساء و الأطفال فقد خضعوا للاستعباد<sup>3</sup>.

هذه الصرامة و القسوة التي نجد فيها بعض المبالغة التي قد يكون تعمد لها Mage الذي زار المنطقة زمن وقوع هذه الأحداث، تبدو ضرورية لإحداث الإرتباك في صفوف العدو و حمل الأهالي على التعاون مع الفاتحين، و جعل الناس يتحدثون في كل جهة بقدرة المجاهدين على اقتحام التحصينات و القلاع و دحر كل التحالفات، مما شكل رسالة بليغة

---

1 - Robinson (D), op, cité, pp. 234-235.

2 - Ibid.

3 - Mage (E), voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, pp. 252 et ss.

لحكام كل أطراف سيكوالتي لم يصلها المد الجهادي بعد.

و قد حاول جنود بيليديكو Bélédegou و فولادوكو<sup>1</sup> Fuladugu وسيكو Ségou الناجون من جحيم المعركة الأنفة الذكر عبثا صد الشيخ عمر الفتوتي عن ميركويا Merkoïa التي أقام بها هذا الأخير من 20 نونبر 1859 إلى 3 أبريل 1860<sup>2</sup> اهتم خلالها بتموين نيورو Nioro عاصمة كارطا Karta و تزويدها بكل ما هي في حاجة إليه من الذخيرة و العتاد نظرا للدور الذي تقوم به كقاعدة سياسية للدولة الإسلامية الفتية، كما استغل نفس الفترة لإجراء الترتيبات الضرورية لمواصلة العمليات الجهادية ضد سيكو.

و في 3 أبريل 1860 غادرت الجيوش العمرية ميركويا Merkoïa في اتجاه الشرق، و هي تعزز صفوفها و تعوض خسائرها في الطريق بأعداد هامة من الرجال الذين عبروا عن رغبتهم في الالتحاق بها طواعية، سعيا للاستفادة من ريع الغنائم على ما يبدو و من سخاء التجمعات التي كانت تمر بها قوافل الجهاد<sup>3</sup>. و نظرا للهزيمة المرة التي منيت بها القوات المتحالفة في ميركويا Merkoïa، فقد استغلت فترة الهدنة بدورها

---

1- بيليديكو Bélédegou و فولادوكو Fuladugu، إقليمان يوجدان بين سيكو Ségou و كارطا karta (انظر الخريطة).

2 - Ly Tall (M), un islam militant en Afrique de l'Ouest au 19<sup>e</sup> s... op. cité, p 363.

3 - Robinson (D), op, cité, pp. 242-243

لإعادة بناء نفسها، و تجنيد رجال جدد في صفوفها، و بعد أن نصبت الحواجز و الكمائن و بثت الجواسيس في كل مكان و سدت منافذ الطرق، أنزلت معظم وحداتها في واتالا Woitala و وضعتها في حالة استنفار قصوى استعدادا لوقف تقدم القوات المسلمة<sup>1</sup>.

وبما أن الحاج عمر كان على علم بأهمية قدرات العدو وبتفوقه العددي و الميداني فقد ألقى في رجاله كعادته خطبة حماسية شحذت عزائمهم، و بددت المخاوف و حالات التردد التي يمكن أن تستبد بهم قبيل دخول ساحة الوغى. و من جملة ما جاء في خطابه لهم: «... اثبتوا وكونوا أشداء، ضعوا أيديكم على خواصركم، ليس هناك طريق آخر غير طريق واتالا Woitala... اعلموا أن الحرب ستكون قاسية جدا في واتالا Woitala<sup>2</sup>...». و قد اتضح فعلا أن منازل العدو في واتالا Woitala، كانت مهمة صعبة و مخاطرة مجهولة العواقب منذ الأيام الأولى من شهر شتنبر 1860<sup>3</sup>، و أن الانتصار سوف لن يكون سهلا. و مما يؤكد ضراوة مقاومة التحالف المعادي، فشل العمريين في اقتحام أسوار قلعة هذه المدينة، و تحقيق النصر رغم قيامهم بهجومين انتحاريين، تمت الاستعانة خلالهما

---

1 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, p. 145.

2 - Ibid.

3 - Dumont (F), op. cité, p. 122.

بنيران المدفعين المغنومين<sup>1</sup>. ورغم حضور الحاج عمر بنفسه في الهجوم الثاني لزرع دماء جديدة في رجاله و خثهم على طلب الاستشهاد من جراء كثافة النيران التي كان يرسلها الجنود من داخل القلعة التي اجتمعوا بها، وبسبب ما وفرته هذه القلعة من حماية لهم، و التقليل من الخسائر البشرية في صفوفهم، مع ما رافق ذلك من عزم وإصرار من قبلهم على الحيلولة دون تكرار كارثة ميركوييا Merkoïa، و تطلع إلى تحقيق نصر يعيد هيبتهم و يمكنهم من دحر المسلمين و إفشال سعيهم إلى إخضاع بلادهم للإسلام و جعلها تتخلى عن معتقداتها الوثنية التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ<sup>2</sup> و عن هيمنتها السياسية و الاقتصادية على السودان على غرار ما حدث لكارطا.

و زاد من هول الصدمة في صفوف المسلمين بسبب هذا الفشل، استشهاد ألفا عمر سيرنو مولي Alfa Umar Cerna Molle أحد أبرز قادة جيش الجهاد بالإضافة إلى عشرات الطلبة و المئات من الجنود<sup>3</sup>. و بما أن الموقف لا يقبل أي نكوص أو تراجع بالنظر إلى خطورة المهمة و نبل غايتها، فإن الحاج عمر الذي لم يكن لتثنيه عن عزمه مثل هذه العثرات، وهو

---

1 - يقصد بهما المدفعان المغنومان خلال معركة ضد الفرنسيين بنهر السنغال، كما أشرنا

إلى ذلك سابقا.

2 - Ly Tall (M), Un Islam militant en Afrique de L'ouest au 19e s ... op. cité, p. 370.

3 - Ibid, p. 371.

أول الراغبين في الاستشهاد، بادر إلى عقد اجتماع مع كبار ضباطه بحضور أغلبية الجنود و خاطبهم جميعا بكلام بليغ و مؤثر، جاءت بعض عباراته شبيهة بخطبة طارق بن زياد لجنوده: «... أين تريدون الذهاب؟ العودة إلى نيورو؟ ألا تعلمون أنكم ستقتلون كلكم في الطريق إما جوعا أو بسبب هجمات سيكو ... أقول لكم لا بد من الموت هنا أو الانتصار»<sup>1</sup>.

و بعد أن زود الشيخ عمر جنوده بكل ما يلزم من التعليمات والإرشادات خلال هذا الاجتماع الذي كان في نفس الوقت مناسبة لتوجيه اللوم للبعض، و تنبيه البعض الآخر وحث الجميع على تحمل المسؤولية باقتدار، أمرهم بالتوجيه لاقتحام قلعة العدو من جديد. و في 8 شتنبر 1860 بدأ الحصار و استأنفت المعارك بضراوة، و بعد يومين سقطت القلعة في أيدي المجاهدين، و فتحت بذلك مدينة واتالا Woitala أبوابها<sup>2</sup> لهم بعد أن فر الأمير طاطا Tata<sup>3</sup> الذي كان مكلفا بالدفاع عنها، و هو ابن علي جارا Ali jara. بعد هذا الانتصار لم تعد تبعد سيكو العاصمة إلا بحوالي 47 كلم، و كان الهدف الموالي في الطريق بالنسبة لجيش الجهاد

---

1 - Robinson (D), op. cité, p. 246.

- Ly Tall (M), un Islam militant ..., op. cité, p. 371.

3 - هو ابن الأمير علي جارا الذي خلف أخاه طوروكورو ماري Torokoro Mari المغتال

بعد اكتشاف إسلامه خفية و تواطؤه مع الحاج عمر، كما وضحنا ذلك في مكان سابق.

2 - Kamara (C.M.), Histoire du Bondou ..., op. cité, p. 48.

هو مدينة سينساني Sinsani<sup>1</sup>.

و نظرا للصدى الهائل الذي خلفه انتصارهم الجديد بواتالا Woitala ،  
و انتشار أخبار تقدم المجاهدين في كل جهات سيكو Ségou ، فقد أرسل  
الحاج عمر الطالب عبد القادر Abdul kader مبعوثا عنه للتفاوض مع  
حاكم هذه المدينة ، و دعوته إلى تسليمها بدون قتال. و هذا ما تم بالفعل  
يوم 15 أكتوبر 1860 ، عندما دخلها الحاج عمر صحبة جنوده بحضور  
حشود كبيرة من السكان<sup>2</sup> ، رجالا و نساء أتت للتعبير عن فرحتها  
و لمشاهدة هذا الشيخ التجاني الذي طالما سمعوا عنه و هم يرددون  
الأناشيد و الأغاني و يهتفون بكل عبارات الترحيب<sup>3</sup>.

و هكذا يمكن القول إن الحاج عمر لم يجد نفسه قط في مثل هذه  
الوضعية المريحة ماديا و معنويا منذ خروجه من نيورو Nioro باعتبار أن  
المدينة التي سلمها له حاكمها كوروماما koro Mama على طبق من ذهب ،  
تشكل سوق مملكة سيكو الأكثر أهمية و مستودعا للسلع الواردة من  
تمبكتو، و المنتوجات الآتية من الجنوب و مركزا رئيسيا لبيع عبيد  
الحروب<sup>4</sup>. و هذا ما ساهم في حل الكثير من مشاكل دولته الاقتصادية

---

1 - تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر إلى الشمال من سيكو Ségou.

2 - Marge (E), voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, p. 258

- Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, pp. 152-153.

3 - Ibid.

4 - Ly Tall (M), un Islam militant ..., op. cité, p. 372.

الآتية و المستقبلية سواء في سيكو نفسها أو في كارطا، التي كانت وقتئذ تشكو من قلة الإنتاج بسبب ظروف الحرب التي مرت بها البلاد و كثرة عمليات النهب و السلب التي لجأ و يلجأ إليها المتمردون على الوضع.

غير أنه في الوقت الذي بدأت فيه رياح النصر الشامل تهب على شيخنا في سيكو Ségou التي أصبح قاب قوسين أو أدنى من عاصمتها، وصلته أخبار غير سارة تفيد بحدوث تقارب بين حكام مملكة سيكو الوثنية و حكام إمارة ماسينا الإسلامية، المعروفين بعدائهم لبعضهم البعض على مر الزمن و إلى أمس القريب. بل ما لبث الحاج عمر أن تأكد من هذا الخبر عندما توصل من الشيخ أحمدو احمدو سلطان ماسينا بمجرد خضوع سينساني Sinsani لسلطته برسائل تهديد و إنذار، تشير انتباهه إلى أن هذه المدينة جزء من سيكو التابعة لنفوذه، و أن شعب هذه البلاد في طريقه إلى الإسلام بفضل جهوده الدعوية<sup>1</sup>. و استمرت العلاقات في التدهور بين الطرفين إلى أن دخلا في مواجهات مسلحة كما سيأتي.

و الواقع أن موقف حكام حمد الله المعادي لحركة الحاج عمر ظهر للعيان منذ أن تأكد خضوع بلاد كارطا لنفس الحركة، عندما أرسلت ماسينا

---

1 - توجد تفاصيل هذه المراسلة في مخطوط لأحمد بن أحمد أمير المومنين سلطان ماسينا Macina يحمل عنوان: «بيان ما جرى...»، أي ما جرى بينه و بين الحاج عمر من خلافات أدت في النهاية إلى دخول الطرفين في حرب مدمرة كما سيأتي. أنظر: بيان ما جرى...، مخطوط رقم 27، مركز أحمد بابا للتوثيق و البحث التاريخي، تمبكتو، الورقة 1، و ما بعدها.

تجريدة من جيشها لصد قوات الجهاد العمرية التي وصلت إلى شرق هذه البلاد التي كانت تدعي حمد الله أنه جزء من نفوذها أيضا. ورغم هذه التهديدات واصلت القوات العمرية زحفها على سيكو Ségou العاصمة البمبارية التي تم اقتحامها دون صعوبة كبيرة يوم 9 مارس 1861 بعد أن غادرها الملك علي جارا Ali Jara في اتجاه مدينة حمد الله عاصمة ماسينا Macina، حيث ضم جنوده إلى جنود الشيخ أحمدو أحمدو استعدادا لاسترجاع سيكو و طرد قوات الحاج عمر<sup>1</sup>.

وقد تحركت هذه القوات المتحالفة بالفعل و اشتبكت في معركة كبيرة بكوغي Koghé إلى الشرق من سيكو مع عدوها في الأيام الأولى لشهر أبريل أسفرت عن انتصار العمريين<sup>2</sup> و هو الانتصار الذي حمل معظم ضباط جيش سيكو البامبارا على الاقتناع بعدم جدوى أية مقاومة مما جعلهم يستسلمون بأعداد كبيرة و يقبلون الدخول في الإسلام مع قبول الالتزام بتنفيذ التعليمات التالية:

- حلق الرأس.

- الكف عن تناول المشروبات الكحولية.

- النطق بعبارة السلام وردّ السلام.

---

1 - Ly Tall (M), Un Islam militant ..., op, cité, p. 376.

2 - Ma ge (E), Voyage dans le Soudan occidental ..., op. cité, p.



- الكف عن أكل لحوم الكلاب و الخيول و الحيوانات الميتة<sup>1</sup>.

و كان أول إجراء قام به الحاج عمر عندما دخل مع قواته دخول المنتصر إلى سيكو Ségou، هو إصدار أوامره بدك القصر الذي يضم كبار أصنام الأمة<sup>2</sup>، مع الاحتفاظ بكل الأوثان سليمة لاستعمالها للبرهنة على استمرار علي جارا Ali Jara ملك البلاد في الوفاء لعقيدة أجداده، عكس ما يدعيه ملك ماسينا من أن معظم أهالي سيكو اعتنقوا الإسلام بما فيهم ملكهم<sup>3</sup>، بفضل الدور الذي قام به من أجل نشر هذه الملة في الإقليم المتاخمة لبلاده، و هو الأمر الذي يخول له اعتبار هؤلاء الأهالي جزءا من رعاياه، بفرض عليه الواجب الدفاع عنهم.

و عندما ترجم عاهل ماسينا الأقوال إلى الأفعال و وقف بقوته الإسلامية لدعم دولة سيكو الوثنية، وجد الحاج عمر نفسه مضطرا لمنازلته بعد أن فشلت كل المساعي السلمية لحقن الدماء و إبعاد شبح الاقتتال بين

---

1 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, pp. 171.

2 - Monteil (Ch), Les bambara de Ségou et du Karta, op. cité, pp.

253 à 257.

3 - تجدر الإشارة هنا إلى أن الحاج عمر ألف كتابا في الموضوع بين فيه وجهة نظره من موقف ملك ماسينا من أمير سيكو Ségou.

- Sidi Mohamed Mahibou et Jean Louis Triaud, Voilà ce qui est : انظر:

من الورقة 2 إلى 29. op. cité. (بيان ما جرى) arrivé

المسلمين، كما تشهد على هذه الحقيقة كثرة الرسائل المتبادلة بين الطرفين<sup>1</sup>. ولن يعلن الحاج عمر الحرب على هذه الدولة الفولانية المسلمة إلا بعد رجوعه لكتاب الله الذي يرخص بالدفاع عن النفس في مثل هذه الحالة، باعتبار أن الأمير (السلطان) الشيخ أحمدوا أحمدو هو البادئ في الهجوم. و النص القرآني صريح هنا ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير<sup>2</sup>...﴾. بالإضافة إلى أن وقوف ملك ماسينا إلى جانب المشركين أوقعه في الكفر وجعله مواليا لأعداء الله ورسوله مما أعطى لخصمه المبرر الشرعي لمقاتلته ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا<sup>3</sup>﴾.

و بما أن الشيخ عمر وهب حياته لإعلاء كلمة الله في السودان الغربي، ونظرا للإنجاز الكبير الذي حققه إلى حدود هذا الوقت، فإنه في تصوره على ما يبدو ما كان بإمكانه أن يتناقض مع نفسه بتسليم الأمر لشيخ ماسينا، ليفسد عليه كل شيء في الوقت الذي يكون هو نفسه قد ساهم في هذا الإفساد، و ليطبق عليه جزاء من لم يحكم بما أنزل الله.

---

1 - Ibid.

2 - سورة الحج، 39.

3 - سورة المائدة، 33.

و حتى يبرر موقفه من هذه القضية الشائكة، قضية اقتتال جيشه  
الجهادي ضد جيش ماسينا المسلم، نعود للتذكير بأن الحاج عمر أنجز  
تأليفا في الموضوع تحت إسم: «بيان ما وقع» تعرض فيه لمشكلته مع  
شيخ مملكة ماسينا و سلطانها، مستعرضا في ذلك الحجج الشرعية التي  
تبرر كفر خصمه و وجوب مقاتلته كما سنقف على ذلك في مكانه، لكن قبل  
ذلك نعود لاستعراض بعض مظاهر الاقتتال بين مملكة ماسينا و قوات  
الحاج عمر و النتائج المترتبة عن ذلك.

### \* مظاهر الصراع الماسيني العمري

بتحالفه مع سيكو Ségou أعطى ملك ماسينا لخصمه إذن الحجة  
القانونية لمقاتلته، و هي الحجة التي لم يقتنع بها في البداية طلبة الحاج  
عمر الذين كان من بينهم علماء كبار<sup>1</sup>. غير أن تأليفه لكتاب بيان ما وقع  
ساهم في إقناع الرأي العام المحيط به و إطلاع كل من له اهتمام بهذا  
الموضوع على وجهة نظره، خصوصا بعد انتشاره على أوسع نطاق. و قد  
تحرك الشيخ الفوتي بجيشه متجها صوب مدينة حمد الله العاصمة في  
شهر أبريل 1862 لمنازلة عدوه بعد أن ترك قيادة سيكو لابنه البكر  
أحمدو<sup>2</sup>.

---

1 - من بينهم المختار بن وديعة الله المعروف بياركي طلفي Yarkoy Tafli مؤلف تباكيات  
البكاي وغيره من الكتب كما سيأتي.

2 - Ly Tall (M), Un Islam militant ..., op. cité, p. 377.

و بعد معارك ضارية بين الجيشين في كاياوال Cayawal<sup>1</sup> جنوب العاصمة سقطت حمد الله أخيرا تحت نفوذ العمرين في 10 ماي من نفس السنة بسبب تفوق أليتهم الحربية على خصمهم، على المستوى العددي و التنظيمي و التسليحي، و من جراء وقوع عدة حالات فرار في صفوف الماسيين<sup>2</sup>. و سقوط العاصمة حمد الله في أيدي العمرين، و أسر ملك البلاد أحمدمو أحمدمو و إعدامه<sup>3</sup>. بعد ذلك خضعت مملكة ماسينا الممتدة من تمبكتو شمالا إلى سيكو جنوبا، و من تخوم بلاد الهاوسا شرقا إلى حدود بلاد كارطا غربا لنفوذ القادة الجدد. و أعطيت كامل العناية بعد ذلك لاتخاذ الإجراءات الإدارية الضرورية لضمان مراقبة البلاد و تسيير شؤونها بشكل فعال و منتظم<sup>4</sup>.

و قبل مواصلة الحديث عن ما تبقى من ملحمة الحاج عمر الفوتي، نتوقف قليلا لإثارة الانتباه إلى أن سنة 1862 التي شهدت سقوط إمارة ماسينا الإسلامية في أيدي هذا القائد، تسجل في نفس الوقت أوج عظمة

---

1 - Ibid, p. 378.

2 - Barry (I), 1845 à la veille de la conquête toucouleur, Etude Socio-Historique, Bamako, Ecole normale Supérieure, Mémoire de Maîtrise, 1975, p.42 et ss.

3 - Ancelles Capt J., les Explorations au Sénégal et dans les Contrées voisines, Paris, 1886, p. 222.

- Robinson (D), op. cité, p. 281.

4 - Lu Tall (M), Un Islam militant..., op, cité, p. 378.

الخلافة التجانية التي امتد نفوذها من ضفاف نهر السنغال غربا، إلى  
سكوطو، و بلاد الهاوسا شرقا، و من تمبكتو شمالا إلى أعالي نهر النيجر  
و فوتاجلون في اتجاه الجنوب و الجنوب الغربي<sup>4</sup>. و رغم شساعة هذه  
الامبراطورية فقد نعمت بالاستقرار و الأمن إلى حد كبير لكن لفترة  
قصيرة. فهل سيتمكن الحجاج عمر من المحافظة على هذه المكتسبات رغم  
كل التحديات؟ للجواب على هذا السؤال لابد من تتبع تطور الأحداث التي  
تساعدنا على ذلك، من خلال المصادر التي تفيد أن الحاج عمر لم يكثف بما  
حققه من انتصارات حتى سنة 1862، و بما أصبحت عليه دولته الإسلامية  
من اتساع، إذ بعد إخضاع ماسينا مباشرة بدأ يستعد لاستئناف الجهاد ضد  
المشركين على رأس جيشه، الذي تضخم عدده بانضمام معظم جنود  
المعسكر المعادي إليه، لأن تصميمه على متابعة القتال ضد خصوم الدين  
و إعلاء كلمة الله على حد تعبير تيام<sup>2</sup> Tyam، لم يكن له حد إلا بموته أو  
بإخضاع كل بلدان السودان الغربي للإسلام، فهو لازال من أجل ذلك يمر  
بمكنسته من بلد إلى آخر، دون أن يتخذ قرار الإقامة النهائية في أي واحد  
منها<sup>3</sup>.

و يجدر التذكير من جهة أخرى إلى أن الفرنسيين في سان لوي

---

1- Dumont (D), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 128.

2 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, p.141, note 71-72.

3 - Ibid.

و السنغال، كانوا مهتمين بتتبع أخبار الشيخ عمر في هذه المناطق القاصية، و كلهم أمل في أن لا يعود إلى منطقة نفوذهم لاستئناف المواجهة معهم، الشيء الذي جعلهم لا يفقدون الأمل في توقيع معاهدة سلم معه كما سنرى لاحقاً، غير أن التحالف الماسيني الكنتي جعل حداً لهيمنة الدولة التجانية.

### **\* التحالف الماسيني الكنتي ضد الحاج عمر ، و إسقاط الدولة التجانية:**

أمام الانهيار الشامل لخلافة ماسينا و إعدام ملكها و استسلام معظم ضباطها، قرر سادة تمبكتو الروحيون من فقهاء الأسرة الكنتية القادرية و متصوفيها، التدخل بكل ما يملكون من وسائل لجعل حد لاستمرار الانتصارات التجانية التي تهدد سيادتهم، و تقضي على تصدرهم في الفقه و التصوف، بالسودان الغربي، مع ما يرافق ذلك من التضييق على أرزاقهم من جراء زوال الأدوار التي كانوا يلعبونها في ضمان الأمن لازدهار التجارة بالإضافة إلى الخدمات الدينية التي كانوا يقدمونها، معززين مكرمين، لحكام بلدان إفريقيا جنوب الصحراء المسلمة<sup>1</sup>.

و هذا يعني بكل وضوح أن الشيخ أحمد البكاي، الذي خاض معركة ضارية ضد التجانية في المغرب على المستوى الفكري، من خلال

---

1 - Robinson (D), op. cité, pp. 102,103,107,110,336.

المراسلات<sup>1</sup> التي جرت بينه وبين الفقيه التجاني محمد أكنسوس، لكي لا تمتد إلى ما وراء الصحراء وجد نفسه هذه المرة مضطرا لاستعمال القوة ضد شيخ الطريقة بالسودان الغربي، بعد أن فشلت كل مساعيه السلمية ومناوراتهِ ومكائده لإيقاف مدها الذي صار في تصور البكاي يهدد بقطع الأعناق والأرزاق، بعد أن انطلق من فاس في بداية القرن 19 يخترق كل الآفاق.

و بناء على ما سبق و على ما سيأتي فقد تحول النزاع في المنطقة من جهاد ضد الوثنيين و تجديد الإسلام إلى اقتتال بين إخوة في الدين، تجمع بينهم عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، كان من نتيجته إيقاف سلسلة انتصارات الحاج عمر و تقويض كل ما أنجزه، بفضل التأييد الذي وجده متصوفة القادرية المختارية الكنتية كرموز للولاية و الصلاح، لدى الطوارق والفولانيين على السواء، و حثهم الجميع على الانضمام إلى ما تبقى من قوات ماسينا المعارضة، لتكوين حلف قوي باستطاعته زعزعة أركان المؤسسة العمرية، مما يعني أن الزاوية القادرية، من خلال رجالها بتمبوكتو نزلت بكل ثقلها المادي و المعنوي للانتقام من الزاوية التجانية بالسودان الغربي، و جعل حد لهيمنتها السياسية على الأقل<sup>2</sup>.

---

1 - فصلنا القول في هذا الموضوع ضمن أحد الفصول السابقة.

2 - Spencer Trimingham (J), A History of Islam in west Africa, Oxford University Press. 1962. p. 184

و مما ساعد الكنتيين على تحقيق هدفهم الوضع الهش القائم في ماسينا بعد خضوعها للجيش العمري بقوة الحديد و النار و سقوط الكثير من الضحايا و إعدام كبار الضباط و ملك البلاد، و تمكن أحمد البكاي زعيم «الانتلجانتسيا» التمبكتية من جراء اتصالات مع ضابطين كبيرين، **بالوبو** Ba Lobbo و عبد السلام عمّا ملك ماسينا الراحل بهدف العمل سويا لطرد الغزاة الجدد<sup>1</sup>. و قد قبل هذان الضابطان عرض البكاي، لأنه أتى في الوقت المناسب، بعد التدمير الذي حصل لهما، عندما رفض الحاج عمر لهما طلب تعيينهما حاكمين على البلاد بعد إعدام ملكها. إلا أنه لسوء حظهما انكشف أمر تواطئهما مع البكاي، و أمر الشيخ الفوتي الذي لم يكن يأمن جانبهما أصلا بسجنهما، و تشديد الحراسة عليهما<sup>2</sup>.

و في سيكو Ségou لم يكن الوضع بأحسن حال من ماسينا، مما جعل حاكمها الأمير أحمدو بن الشيخ عمر، يلقي القبض على كل المتآمرين على نظام والده و يرسلهم إليه بمقر إقامته بالعاصمة حمد الله، حيث تم إعدامهم<sup>3</sup>.

و سعيا وراء تحقيق مزيد من الاستقرار بسيكو و ماسينا و إحكام

---

1 - Dumont (F), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 130.

2 - Ibid, pp. 130-131.

- Mage (E), Voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, pp. 267 et ss.

3 - Robinson (D), op. cité, pp. 259, 263, 264.



قبضة دولة الجهاد عليهما، ووعيا منه بالخطر البالغ الذي يشكله ضده شيوخ الزاوية القادرية بتمبكتو، بوقوفهم وراء كل المؤامرات التي استهدفت حياته في الماضي القريب و تستهدفه مع دولته في الوقت الحاضر، قرر الحاج عمر استئصال الداء من جذوره بمهاجمتهم في عقر دارهم. فسير حملة بقيادة ألفا عمر ضد مدينة تمبكتو، التي تم نهبها لعدم وجود من يدافع عنها بشكل مقصود، ربما، من قبل الكنتيين ضمن خطة مدروسة جعلت الجيش العمري يقع في كمين عند العودة، نصبه له البكاي الذي كان على رأس حامية عسكرية تمبكتية لمساندة الثوار الماسينيين، و هو الكمين الذي سحق كتيبة ألفا عمر في شهر مارس 1863 بكوندام<sup>1</sup> Goundam و جعل باقي جنوده يفرون تاركين المدفعين الشهيرين، اللذين كانا وراء انتصارات جيش الجهاد الحاسمة. و كاد الحاج عمر يقع في أسر العدو في نفس المعركة، و لم ينجح إلا بعد امتطاء زورق مكنه من الابتعاد عن منطقة الخطر، و السير جنوبا على مياه نهر النيجر، عاقدا العزم على الالتحاق بنيورو Nioro عاصمة كارطا عبر الصحراء، حيث يمكن له إعداد جيش عتيد، بفضل احتياطي الجنود المتراكم منذ عدة سنوات في هذه

---

1 - Dumont (F), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 131.

مع ملاحظة أن مصدرا آخر يجعل مكان الهزيمة هو ماني ماني Mani Mani، و لعل هذه البلدة الأخيرة تقع في إقليم كوندام Guondam، انظر:

- Mage (E), Voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, p. 437.

## القاعدة الخلفية<sup>1</sup>.

غير أنه لم يتأت له تنفيذ هذه الفكرة و وجد نفسه مضطرا للرجوع إلى ماسينا، لمواجهة الثورة التي بدأت تمتد إلى كل أطراف المملكة بفضل الصدى الذي تركته هزيمة العمريين في كوندام Goundam على يد الكنتيين، وهي الهزيمة التي شكلت بداية نهاية الهيمنة السياسية والعسكرية التجانية بالسودان الغربي، و جعلت البكاي يسير قدما في التحالف مع الماسيين إلى أن حلت الكارثة بدولة الجهاد بعد وفاة قائدها في ظروف غامضة. وقد ساعد على الوصول إلى هذه النتيجة المأساوية عدة عوامل أبرزها:

أ - تمكن بالوبو BaLobbo و عبد السلام في خضم الأحداث و الفتن التي انشغل بها الحاج عمر، من الفرار من السجن في نهاية شهر مارس 1863 و اللجوء عند الكنتيين بتمبكتو<sup>2</sup>.

ب - لجوء جنود الحاج عمر إلى إحداث مجزرة في أفراد عائلات الضابطيين الهاربين، و إعدام علي بن مونزو<sup>3</sup> Ali b.Monzu ملك سيكو Ségou، مما أدى إلى اندلاع ثورة عارمة عمت كل البلاد، بإيعاز من أحمد البكاي، على الخصوص الذي استغل اشمئزاز الرأي العام و مقتته للتجانيين

---

1 - Dumont (F), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 131.

2 - Robinson (D), op. cité, pp. 289.

3 - Dumont (F), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 131.

من جراء الإعدامات التي ذهب ضحيتها عدد كبير من الماسنيين وغيرهم.  
ج - عجز الأمير أحمدو (بن الشيخ عمر) حاكم سيكو عن تقديم أي  
عون لأبيه، لكثرة الاضطرابات بها أيضا و نجاح الثوار في عزل هذا البلد  
عن ماسينا<sup>1</sup> Macina.

هذه العوامل متجمعة، جعلت الحاج عمر يعيش حالة شبه حصار في  
عاصمته حمد الله<sup>2</sup> بعد أن أحاطها بأسوار منيعة انكب داخلها على التخطيط  
و الإعداد للخروج من هذه الوضعية التي لا تشرفه، و هو القائد الذي لم  
يصمد أمامه أي جيش مهما كانت قوته منذ إطلاق عملياته الجهادية الأولى.  
إلا أن الشيء الذي لم ينتبه له الحاج عمر، هو أنه قبل دخوله دخول  
المنتصر إلى ماسينا، كان يقاتل الوثنيين فقط مما جعل حركته تحظى بدعم  
كل مكونات مؤسساته من فقهاء و ضباط و طلبة و أعيان، وتأيد كل  
المسلمين له أينما حل و ارتحل. لكن بعد حلولة بماسينا تغيير الأمر، و لم  
يعد باستطاعته إقناع الجميع بجواز قتال المسلم لأخيه المسلم، مما سهل  
على الكنتيين تثوير الرأي العام ضده، و هم يذكرون الجميع بأن الجهود  
التي بذلها ملوك ماسينا خلال القرن 19 من أجل نشر الإسلام بين  
الوثنيين وحمل الناس على الالتزام بتعاليمه الصحيحة في كل أقاليم حوض

---

1 - Mage (E), Voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, p. 197  
et ss.

2 - Robinson (D), op. cité, pp. 290.

نهر النيجر الغربي، كان له أبلغ الأثر في نفوس الناس و أطيب النتائج، نظرا للطابع السلمي الذي كانت تقام به الدعوة في عهدهم، مما أدى بالكثير من الأهالي إلى التخلي عن المعتقدات الوثنية و الدخول في دين الإسلام بالتدريج، عكس ما يقوم به التجانيون اليوم من زهق للأرواح و سفك للدماء دون تمييز في ذلك بين المسلم و غير المسلم<sup>1</sup>.

هذه المعطيات الجديدة و ما أفرزه قرار الحاج عمر بمحاربة دولة ماسينا Macina الإسلامية، جعلت في تقديرنا كل محاولة للنهوض من قبله تبوء بالفشل الذي جسده سلسلة من الإخفاقات المتتالية. و هكذا و في الوقت الذي كان فيه أنه على أتم الاستعداد لاستعادة المبادرة و فك العزلة و الحصار عنه، وصله خطاب من الشيخ البكاي عدوه اللدود، ينصحه من خلاله بتسليم مملكة ماسينا إلى بالوبو Ba Lobbo و الالتقاء به للتفاوض حول نفس الموضوع<sup>2</sup>.

و كان جواب الحاج عمر على هذا العرض الذي استشاط له غضبا، إرسال جيش جرار ضد التحالف الماسيني التمبكتي، تم دحره بسهولة، و لم يكن حظ الحملة الثانية و لا الثالثة بأحسن من الأولى. و بالإضافة إلى سقوط بعض كبار قواد الجهاد مثل ألفا عمر Alfa Omar، فقد ترتب عن هذه الهزائم المتكررة في صفوف العمريين، زحف العدو المتواصل من كل

---

1 - kamara (C.M) , la vie d'El Hadji Omar..., op. cité, pp. 102-103.

2 - Delafosse (M), Haut Sénégal-Niger, op. cité, T2, p. 321.

الجهات على العاصمة حمد الله، بعد أن تعززت صفوفه بحشود من المتطوعين من الطوارق و المورطانيين Maures الذين انضموا إلى كتائب البكاي<sup>1</sup>.

و مما زاد من خطورة المأزق الذي أصبح يوجد فيه الحاج عمر في نهاية ماي 1863، بسبب الحصار القوي المضروب عليه، وجود ماسينا Macina في عزلة تامة عن سيكو Ségou التي كانت تمر بدورها بظروف سيئة، و سحق قافلة محملة بالبارود على يد العدو، كانت في طريقها إلى حمد الله<sup>2</sup>. و الأمل الوحيد الذي ظل الحاج عمر يتمسك به للخروج من هذه الورطة، هو رؤية عودة ابن أخيه التجاني في أقرب وقت، و الذي كان أرسله في مهمة طلب الإمدادات من الرجال و العتاد و الذخيرة، لفك الحصار عن المدينة المحاصرة. لكن التجاني تأخر وصوله والحصار دام أكثر من ثمانية أشهر (من 20 ماي 1863 إلى 8 فبراير 1864) زادت وطأته بشكل حاد اضطر كثير من طلبة الشيخ على إثره إلى الفرار<sup>3</sup>.

ما العمل إذن؟ و ما هو الإجراء الذي سيقدم عليه الشيخ التجاني لإنقاذ ما يمكن إنقاذه؟

---

1 - Dumont (F), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 131-132.

2 - Ibid.

3 - Mage (E), Voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, p.437

et ss.

لم يعد أمام الشيخ عمر سوى حل وحيد غير الاستسلام، وهو الفرار الذي يبدو مستحيلا بدون كسر الطوق المضروب عليه، وهو شيء لم يتأت له إلا بعد أن أمر بإضرام النار في المدينة ليلة 6 - 7 فبراير 1864، لبث الفوضى وإحداث البلبلة والارتباك الكفيلين بمساعدته على المناورة من جهة وبغية الحيلولة دون تردد أو فرار من صفوف رجاله من جهة أخرى. ولم يتمكن من الهروب معه سوى فرقة صغيرة من المخلصين له من جنوده و عدد قليل من أفراد عائلته و مقربه<sup>1</sup>.

ومع ذلك فقد تعقبهم العدو وطاردهم وأجبرهم على الاحتماء بمنطقة جبلية تغطيها الأشجار في إقليم نيونكونو Niongono، و بعد أن اكتشف أمرهم من جديد، تمكن الحاج عمر من التسلل إلى مرتفعات باندياكارا Bandiagara شمال حمد الله ببلدة ديجيمبيري Déguembéré حيث التجأ إلى مغارة<sup>2</sup> مع واحد من أبنائه وبعض المخلصين له، وكلفت البقية الباقية من الجنود بحراسة مدخل الكهف، لكن أحد فلاحي المنطقة الذي كان يرقب هذه التحركات أرشد القوات الماسينية إلى مكان المغارة الذي دارت حوله معركة ضارية و غير متكافئة، مات خلالها كل من كان خارج الكهف<sup>3</sup>.

---

1 - Robinson (D), op. cité, pp. 291-292.

2 - Abun-Nasr (J.), the Tijaniyya: A sufi Order in the Modern World, op. cité, p.141.

- gravier (J.), Voyage à Ségou de Paul Soleillet, op.cité, pp.359-360.

3 - Dumont (F), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 132-133.

و في الوقت الذي فقد فيه من نجا من المدافعين عن الشيخ في مدخل  
المخبأ كل أمل في النجاة، دوى انفجار دمر المغارة بمن فيها من  
الأشخاص باستثناء المسمى بيرو كوادولفي Yéro Koidolfi، الذي نجا  
قبل الانفجار بأمر من شيخه<sup>1</sup>. مستغلا وقت الاختلاط الذي وقع حول  
المغارة، حاملا معه بعض الوثائق و الأشياء الهامة المتعلقة بنفس الشيخ،  
مما يحمل على الاعتقاد أن الحاج عمر لقي حتفه في هذا الحادث واختفى  
عن الوجود، خلافا لما يعتقد البعث من أقاربه و المومنين بعظم شأنه في  
الولاية و الصلاح، من أنه لم يمت في المغارة، و لم يقتله أحد، بل تمكن  
بقدره قادر من النجاة و الاستقرار في مكان ما للتعبد، قد يكون الديار  
المقدسة<sup>2</sup>.

و من جهة أخرى عندما يتفق البعض على وفاته، فإنهم يختلفون في  
كيفية هذه الوفاة بين قائل بأنه هو الذي أمر بإشعال النار في احتياطي  
البارود، حتى لا يقع حيا في أيدي الفولانيين، و بين مدع أن العدو أشعل  
النار حول المغارة ليموت اللاجئون بها خنقا، لتتفجر بعد ذلك كمية البارود  
و تأتي على الجميع<sup>3</sup>. الإجماع منعدم أيضا حول تاريخ هذه الوفاة. ففي  
الوقت الذي تجعل المصادر المحلية و معها العربية<sup>4</sup>، هذه الوفاة يوم

---

1 - Oune (I.M), l'Enigme du Macina, Monte-Carlo, Regain, 1952.

2 - Dumont (F), l'Anti Sultan..., op. cité, p. 133.

3 - Ibid.

4 - يأتي في مقدمتها كتاب محمد الحافظ المصري، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة ==

4 رمضان 1280 هـ / 12 فبراير 1864، تشير مصادر أخرى ومنها ما كتبه دولافوس Delafosse إلى أن هذه الوفاة كانت في شهر شتنبر 1864.<sup>1</sup> ومع ذلك فالجميع يتفق على أن الحاج عمر توفي خلال سنة 1864، وبهذه الوفاة أسدل الستار على مرحلة مليئة بالبذل والعطاء والتضحية ونكران الذات في سبيل إعلاء كلمة الله و تطهير بلدان السودان الغربي من الكفر والوثنية والمسيحية.<sup>2</sup>

ومن المؤسف جداً أن تكون نهايته على يد إخوته في الدين من الماسينيين والكنتيين<sup>3</sup> وبسببهم، دون الذهاب من طرفنا إلى حد تحميل المسؤولية لهذا الطرف أو ذاك في ما آلت إليه الأمور من تفتت الإمبراطورية التجانية بعد وفاة الحاج عمر وسقوط المنطقة بعد ذلك

---

= = التجانية في إفريقيا الغربية، م.س.

1 - Delfosse (M), Haut Sénégal-Niger, op. cité, T II.

2 - Tyam (M.A), la vie d'El Hadj Omar, op. cité, pp190 à 192.

3 - من المفيد أن نشير هنا إلى أن علاقة الكنتيين بالحاج عمر عرفت بعض الانفراج قبل وصول جيش هذا الأخير إلى ماسينا Macina التي كانت تمبكتو (مقر إقامة أحمد البكاي) تابعة لها من الناحية السياسية. و مما يدل على هذا الانفراج الرسالة الرقيقة التي بعثها البكاي إلى الحاج عمر و المذيلة بقصيدة شعرية يمدح فيها مخاطبه. فهل يتعلق الأمر بتزلف أم بنفاق؟ خصوصاً وأن الأحداث أظهرت فيما بعد عكس مشاعر البكاي الودية. انظر: Gerresh (C), < Une Lettre d'Ahmed i Bakkay de Tombouctou à Al Hadj Umar >, Bulletin de l'I.F.A.N, T. 38, serie B, n°4, 1976, pp. 890 à 903.

حول مشاعر البكاي المسالمة تجاه الحاج عمر يمكن الاطلاع عليها أيضاً في الرسالة

الموجهة من الأول إلى الثاني. أنظر: - BNP, MO, FA, Man, 5259, FF°. 66 à 70.



فريسة في أيدي الاستعمار. إذ في الوقت الذي يقدم فيه العمرىون كل التبريرات الشرعية لإعلان الحرب على إمارة ماسينا، نجد الماسيين ومعهم الكنتيون غير مقتنعين بتلك التبريرات، مؤيدين كلامهم بدورهم بحجج مضادة من الكتاب و السنة أيضا، ومعتبرين في الوقت نفسه الثورة ضد الحاج عمر جهادا<sup>1</sup>. فهل يمكن رد تمزق شعوب السودان الغربي خلال النصف الثاني من القرن 19 ورهن مصيرها إلى المجهول إلى مخاطر تفسير النصوص المقدسة وتأويلها؟ ذلك ما سنحاول النبش فيه في فصل قادم.

و من جهة أخرى يلاحظ الباحث أن أحمد البكاي الذي استغل وزنه في الفقه و الولاية و الصلاح بالمنطقة، لبناء تحالف قوي قادر على هزم خصمه الزمني و الروحي، و هو ما تم له، لم يكتب له الاستمتاع بهذا الانتصار لمدة طويلة و استثماره لخدمة تطلعاته و أهدافه الحقيقية، إذ بمجرد التمكن من دحر القوات العمرية بشكل نهائي، و التأكد من وفاة قائدها خلال سنة 1864، دب الخلاف بين التمكنين و الماسيين حول أحقية كل طرف منهما في الخلافة، و بذلك انكشفت نوايا البكاي للعيان<sup>2</sup>.

---

1 - Ibid.

2 - Marty (P), Etude sur l'Islam et les Tribus du Soudan..., op. cité,

T 2, p. 92

و عندما عاد التجاني و معه إمدادات النجدة بعد حوالي أربعة و عشرين ساعة فقط من مقتل عمه بمغادرة ديجامبيري Dégouembéré، ساعده هذا الخلاف الحاصل في صفوف المتحالفين ضد التجانيين على الانتقام منهم لشيخه، بعد أن أحدث فيهم مجزرة على إثر الهزيمة التي ألحقها بهم سنة 1864، و هو الانتصار الذي مكنه أيضا من استعادة السيطرة التجانية على ماسينا، و اتخاذ مدينة باندياكارا Bandiagara شمال حمد الله عاصمة له<sup>1</sup>، مما جعل أحمد البكاي يستأنف المعارك إلى جانب حلفائه الماسنيين، إلى أن سقط قتيلا في إحداها خلال سنة 1865 ليخلفه ابنه عابدين Abdin على رأس أنصاره في مواصلة تحالف الكنتيين مع الماسنيين، ذلك أن التحالف الذي كانت تحكمه الظرفية الانتهازية أكثر مما تحكمه المبادئ و المصلحة المشتركة<sup>2</sup>. و هو ما كان بإمكان التجانيين الجدد استغلاله لآحياء أمجاد أبيهم و شيخهم، لو وضع التجاني حاكم باندياكارا Bandiagara يده في يد احمدو ابن عمه الحاج عمر حاكم سيكو، و وحدا جهودهما مع باقي الأبناء الورثة، المنصبين على حكم مختلف أقاليم الإمبراطورية التجانية النائية من دينكراي Dinguiray بفوتاجلون، مرورا بطامبا Tamba و بامبوك Bambouk و خاصو Khassou

---

1 - Robinson (D), op.cité, p. 295.

2 - Ibid.

بالسنغال الأعلى، حتى نيورو Nioro عاصمة كارطا karat<sup>1</sup>.

لكن التنافس على الحكم بين الأمراء الورثة على امتداد حوالي ثلاثين سنة، و خصوصا بين احمد التجاني الذي ادعى أن عمه أوصى له بالحكم، و أحمدو الذي يتوفر على وثيقة خطية من أبيه، تشهد له بوجوب انتقال الحكم إليه<sup>2</sup>، سهل المأمرية على الخصوم و زاد من وهن و تفكك أجزاء الدولة التجانية التي توالى عليها الضربات من كل جهة، و أصبحت لقمة صائغة للأطماع الفرنسية، التي كانت قواتها في السنغال تتبع تطور الوضعية عن كثب بل لا يستبعد أن تكون الدسائس الفرنسية من بين العوامل التي ساهمت في إيقاف الزحف التجاني.

و أيا كان الأمر فلم ينته القرن 19 حتى أخضع «اليوتونان» كولونيل أرشينار Lieutenant Colonel Archinard السودان النيجيري بكامله للنفوذ الفرنسي، جاعلا بذلك حدا لكل الأطماع الماسينية و التمبكتية.

و قبل العودة لمواصلة الحديث بإيجاز عن المصير الذي آل إليه مشروع المعاهدة الفرنسية العمرية الذي كان ينتظر رد الحاج عمر، نود لفت الانتباه لشيء أساسي يهم موضوعنا، و هو أن الانهيار الذي أصاب الإمبراطورية التجانية كان عسكريا سياسيا و لم يكن فكريا روحيا. مما يدفع إلى التأكد أن الطريقة التجانية و تعاليمها زادت تجذرا و انتشارا

---

1 - Ibid, pp. 295-296.

2 - B.N.P, MO, FA, Man 5661, FF°. 67 à 70.

و نفوذا بالسودان الغربي بعد وفاة شيخها الحاج عمر كما يشهد على ذلك الواقع المعيش إلى يومنا هذا.

### هـ - عودة إلى مشروع المعاهدة الفرنسية العمرية

سبق أن أشرنا في مكان سابق بخصوص هذا الموضوع، إلى أن رغبة فيدرب Faidherbe، الوالي الفرنسي على سان لوي Saint Louis، في السلم مع الحاج عمر، ترجع إلى سنة 1856، لحماية المصالح التجارية الفرنسية بسينيغامبيا SÉNÉGAMBIE و الاطمئنان عليها من أطماع القوة العمرية التجانية الزاحفة آنذاك بإصرار في اتجاه كارطا karta عبر بلدان أعالي نهر السنغال، وهي الرغبة التي أبداهما من خلال توصية له بتاريخ 12 يوليوز من نفس السنة، وهو بصدد مغادرة السنغال في عطلة إلى فرنسا إلى نائبه موريل Morel بسان لوي Saint Louis، يطلب منه فيها أن يقترح على الشيخ الفوتي «الاعتراف به كملك على كارطا Karta، خريطة حصر عمله في نفس هذه البلاد»<sup>1</sup>.

و في سنة 1859 أحى فيدرب Faidherbe هذه الرغبة، بعد المواجهات المسلحة بين الطرفين، خلال سنة 1857 و 1858 و بعد أن، كان الحاج عمر قد عاد إلى كارطا سالما من محاولات التطويق و الإخضاع التي استهدفته في فوتاتورو Futa Toro، خوفا من إمكانية عودة

---

1 - Saint-Martin (Y), l'Empire toucouleur et la France, un demi-siècle de Relations Diplomatiques..., op. cité, p. 94. n.1.

قوية لهذا الشيخ من هذه البلاد الحديثة العهد بالإسلام، تقوض كل أحلامهم في المنطقة بعد إعداد العدة لذلك.

وقد جاء تجديد هذا الانفتاح الذي أرسله فيدریب بعد عودته من فرنسا و الموجه إلى القبطان كورني Cornu، قائد حصن باكل Bakel يحمل نفس أفكار اقتراح 1856، وقد خاطبه فيه متحدثا عن الحاج عمر «إذا وجدتم ذلك مناسبا و أتيحت لكم الفرصة، بلغوا الحاج عمر أنه إذا قبل أن يكون ملكا على كارطا karta، يحمي التجارة ويبقى في السلم معنا، فإنه بإمكاننا أن نعيش معه في السلم<sup>1</sup>».

في هذا الوقت كان الحاج عمر منهمكا في الإعداد لفتح سيكو Ségou، و غير مطمئن كامل الاطمئنان على كارطا من احتمال ثورة أهاليها المساسي، و خوفا من كيد الفرنسيين الذين بدر منهم في نفس الظرفية، ما يبرر هذا التخوف بالفعل، عندما أرسلوا قوات تمكنت في 25 أكتوبر 1859 من تدمير طاطا Tata<sup>2</sup>، جيمو Gémou أكبر قلعة للجيش العمري شرق نهر السنغال جنوب باكل Bakel، و على التخوم الغربية لكارطا والتي كانت بموقعها هذا مؤهلة لمراقبة مداخل فوتاتورو و السنغال الأعلى و كارطا في آن واحد<sup>3</sup>.

---

1 - Ibid.

2 - قلعة في بلدة جيمو Gémou شمال شرق باكل Bakel.

3 - Annales Sénégalaises, suivies de Traités passés avec les indigènes, Paris, Maisonneuve, 1885, pp. 175 et ss.

لقد كانت ضربة قاسية بالفعل ضد العمرين، سعى من خلالها الفرنسيون على ما يبدو إلى التأثير على الحاج عمر و محيطه، لحملهم على قبول الردوخ إلى السلم. و بما أن الحاج عمر كان قد غادر كارطا و أخذ طريق الشرق على رأس جيوشه المتوجهة صوب سيكو Ségou عند وقوع هذا الهجوم، فمما لاشك فيه، أنه كان يميل إلى السلم مؤقتا. و قد يكون كلف تييرنو موسى Tierno Moussa خليفة له على كونيا كاري-Koniak ary أحد أقاليم كارطا الغربية بمهمة التفاوض من أجل السلم مع الفرنسيين<sup>1</sup>، كما يحتمل أن يكون هذا الأخير اتخذ مبادرة تحمل مسؤولية التفاوض مع العدو من تلقاء نفسه، لما يمكن أن تقدمه مثل هذه المبادرة من خدمة لحماية ظهر قوات الجهاد التي ذهبت في مهمة عسيرة محفوفة بالمخاطر.

و أصل تحفظنا في هذه النقطة، يرد إلى عدم عثورنا مصدريا على ما يؤكد أن الحاج عمر كلف تييرنو موسى Tierno Moussa بالفعل بمهمة التفاوض مع الفرنسيين، دون إقصاء احتمال أن يكون هذا التكليف قد تم شفويا، حتى لا يثبت على قائد عمليات الجهاد أنه يسعى إلى الصلح مع المسيحيين، مما يضعه في موقف متناقض مع طبيعة مهمته. و أيا كان الأمر فإن المفاوضات بين الطرفين قطعت بعض الأشواط، و كان العنصر الفاعل فيها من الجانب العمري هو تييرنو موسى بالصفة التي قدمناها،

---

1 - Saint-Martin (Y), l'Empire toucouleur et la France, op. cité, p.90.

والذي يبدو أن سقوط قلعة جيمو Gémou أجبره على مفاتحة الفرنسيين في السلم في صيف 1859، أي مع حلول الفصل المطير ثم جدد هذه الرغبة في ربيع 1860. وحول هذا الموضوع يتحدث قائد مدينة Médine إلى فيدرب Faidherbe والي سان لوي «يخبرنا (تيرنو موسى) أنه يثق بنا وأنه يريد السلم. وقد أرسل عدة أشخاص إلى قائد باكل<sup>1</sup>...».

ومما يؤكد هذه الرغبة في السلم من قبل العمرين الرسالة الموجهة إلى كورني قائد «باكل» بتاريخ 23 يونيو 1860 باسم أعيان كونيا كاري وعلى رأسهم طامبو كاديها Tambo Kadihia. وتيرنو موسى Tierno Moussa والتي تبرز إلى أي حد ذهبوا في مجاملة الفرنسيين إلى حد التزلف لهم، تجنباً لفتح جبهة قتال ضد الدولة العمرية تكون سبباً في تبديد كل أحلام الحاج عمر خصوصاً والفصل الجاف قد انتهى. وهذه بعض مضامينها «إن هدف هذه الرسالة هو إخباركم أننا الآن بينكم وبين الشيخ الحاج عمر من أجل تسوية الأمور معاً وإرساء السلم. لدينا تحالفات من البيض وولجأ إليهم دائماً، ورغم أننا الآن منفصلون جسدياً فإننا مجتمعون قلباً وصداقة، لأنكم أنتم أجدادنا ولا يجمل بالابن أن ينسى أباه وأمه. والآن نطلب منكم أن تتفقوا معنا ومع الشيخ، وأنه باستطاعتنا أن ننوب في ذلك عن الشيخ عمر لأنه منحنا ذلك. نحن نومن بهذا ونصبوا إليه من طرفكم لأنكم تجسدون أبانا وأمناء، وكل فرع ترتبط مصلحته بالأصل الذي خرج منه<sup>2</sup>...».

و قد علق فيدرب Faidherbe متهمًا على أخبار هذه الاقتراحات التي بلغه إياها كورني Cornu بأنه في كل السنوات يتم اللجوء إلى مساعي مماثلة تجاهنا في وقت ارتفاع المياه، و لذلك رد على كورني بأنه لا يثق بجدية هذا الانفتاح<sup>1</sup>.

و قد نقل هذا الأخير موقف رئيسه (فيدرب) إلى الناطق باسم الحاج عمر دون أن يغلق باب التفاوض معه، مما جعل تييرنو موسى Terno Moussa يجيب بأنه جاد في التوصل إلى السلم مع مخاطبيه، لما فيه مصلحة الجميع. و إلى هذا ساعدت ظروف الالتزام بعدم إطلاق النار لصالح ازدهار التجارة بالمنطقة مدة المفاوضات في زيادة الثقة بين كونياكاري<sup>2</sup> Koniakary من جهة و باكل Bakel و مدينة Médine من جهة أخرى، مما شجع فيدرب أخيرا على إعطاء الضوء الأخضر للسير قدما في اتجاه القيام بالإجراءات الضرورية لوضع أسس مشروع معاهدة السلم بين الجانبين، و كله تفاؤل بأن الكلمة الأخيرة ستكون لفرنسا في غرب إفريقيا كما يوحي بذلك مضمون كلمته التي ألقاها في الحاضرين بسان لوي بمناسبة توزيع الجوائز في مدرسة الرهائن L'Ecoles des Otages يوم 14 يوليوز 1860 «... لقد ولى زمن التعصب والأوهام، ولم

---

1 - Archives du sénégal, 3 B 78, pièce 6, 25 juin 1860.

2 - تعتبر كونياكاري Koniakary إحدى مدن كارطا Karta الكبرى بعد مدينة نيورو Nioro.



نعد في سنة 1854 حيث كان بعض أهالي هذه المدينة (سان لوي) نفسها يعتقدون أن المحتال الحاج عمر كان يملك في جيبه مفاتيح سان لوي، وبإمكانه الإلقاء بالنصارى في البحر<sup>1</sup>.

و للتأكد من مدى صدق العمريين (المسلمين) في ترجمة أقوالهم لأفعالهم، انتقل فيدرب بنفسه إلى أعالي نهر السنغال ليقف في عين المكان على حقيقة نواياهم خلال المحادثات التي سيجريها مع ممثليهم الذين ينتظرونه في مدينة Médine.

و عندما وصل إلى باكل في نهاية يوليو 1860 أطلع القائد كورني Cornu على المراحل التي تم قطعها في المفاوضات مع طامبو Tambo الذي كان قد حضر إلى مركزه يوم 15 من نفس الشهر، و عرض عليه الخطوط العريضة لمسودة الاتفاقية بين الجانبين<sup>2</sup> فاستحسنها، إلا أنه ربط موافقته على محتواها بإضافة تعديلين، يتعلق الأول منهما بتوسيع حرية التجارة الفرنسية إلى ما وراء البلدان التي تخضع لنفوذ المجاهدين. أما الثاني فيرتبط بضرورة الحصول على موافقة الحاج عمر على بنود مشروع هذه الاتفاقية. و قد بعث كورني Cornu بملاحظات أساسية فوراً إلى تييرنو موسى، الذي رد عليها بالإيجاب قائلاً «...أقبل كل ما تتضمنه

---

1 - Feuille Officielle du Sénégal et Dépendances, 1<sup>ère</sup> Année, n° 29, 17 Juillet 1860.

2 - Saint MLartin (Y), l'Empire Toucouleur et la France ..., op. cité, pp.99 à 101.

رسالتك، يمكن لمبعوثك أن يأتي لأساعده على الالتقاء بالحاج عمر دون أن يصيبه أي مكروه، كل ما ضمنته رسالتك صحيح ... وأنا أقبل شروطك<sup>1</sup>.  
ويبدو أنه بعد هذا الجواب الصريح من الجانب العمري، لم يعد لفيدر ب Faidherbe أي شك في حسن نية محاوريه، مما وفر الظروف الملائمة لصياغة مشروع معاهدة حظي برضى الطرفين في 18 غشت 1860، و اشتمل على حوالي سبعة بنود:

- 1 - اعتبار نهر السنغال الأعلى ابتداء من باكل Bakel شمالا ورافده نهر البافنيك Bafing جنوبا حدا طبيعيا فاصلا بينهما بشكل يتيح لفرنسا السيطرة على كل ما يوجد من أراضي على الضفة اليسرى للنهر.
- 2 - كل ما يوجد على يمين نفس الحدود من أراض مثل ديومبوخو Diombokho و كارتا Karta، و ما والاها شرقا يخضع لنفوذ دولة الحاج عمر باستثناء إقليمي جيديماخا Gidimakha.
- 3 - لا يسمح للحاج عمر ببناء قلاع و لا قرى حربية في بلدان خولو Khoulou و كاناماخونو kanamakhounou.
- 4 - قبول الحاج عمر بإرجاع السلع التي أخذها في مدينة Médine.
- 5 - الكف عن شن الحملات العسكرية و القيام بأعمال السلب و النهب من هذا الطرف أو ذاك.

---

1 - Annales Sénégalaises, op. cité, p. 443.

6 - حرية التجارة بين البلدين، و سنبيع للحاج عمر كل ما يطلبه منا.

7 - كل بلد يحتفظ برعاياه وأسراه كما يريد، و لا يجوز إرجاع

الرعايا والأسرى الذين يفرون من بلد لآخر<sup>1</sup>.

لا يحتاج الباحث إلى عناء كبير ليستنتج بعد الاطلاع على هذه الاتفاقية أن بنودها صيغت بشكل يخدم المصالح الفرنسية بالدرجة الأولى، فالبنود الأول مثلا الذي يعالج مجال النفوذ بين الطرفين أدخل بلدان أعالي نهر السنغال الغنية برمتها مثل بامبوك Bambouk وباندو Bundu و خاصو Khassou وجديماخا Gidimakha في مجال النفوذ الفرنسي. وهذا ما يشكل ضربة قاسية للحاج عمر اقتصاديا و استراتيجيا على الخصوص، بما شكلته هذه المكتسبات من حواجز تحول دون اتصال الدولة العمرية في كارطا بجذورها في فوتاجلون من حيث كانت الانطلاقة الأولى. كما أن البندين الثالث و السابع كبلا أيدي الحاج عمر و حكما عليه بالدخول في مرحلة من الضعف و التقهقر، لا يستطيع معها مقاومة أي تحد في حالة ما إذا التزم كل طرف بتطبيق بنود هذه المعاهدة بالفعل.

لقد رأى فيدرب Faidherbe في التوصل إلى مشروع معاهدة 1860 نصرا كبيرا للفرنسيين و لسياسته بالخصوص في المنطقة، مما جعله يدافع عنها ضد كل التيارات المعارضة في سان لوي Saint Louis لهذا

---

1 - للاطلاع على بنود المعاهدة السبعة بمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى:

- Saint MLartin (Y), *l'Empire Toucouleur et la France ...*, op. cité, pp.102 et ss

الانفتاح، لأنها لم تكن تثق بإمكانية جنوح الحاج عمر إلى السلم، من جهة،  
و لأن مشروع هذه المعاهدة نفسه، في اعتقادها لا قيمة له مادام قائد  
الجهاد لم يطلع عليه ليعطي رأيه فيه.

و مع ذلك ظل فيدرب Faidherbe متمسكا بهذا الإنجاز لما يمكن أن  
يفتحه من آفاق مشجعة لتحقيق الأطماع الفرنسية في اتجاه السودان  
النيجيري<sup>1</sup>.

فماذا ترتب إذن عن هذه الاتفاقية و ماذا كان مصيرها، و هل اطلع  
الحاج عمر على بنودها و وافق عليها؟

بخصوص هذا التساؤل الأخير لا بد من التأكيد على أن تخوفات  
بعض فرنسيي سان لوي من إمكانية انفتاح الحاج عمر على السلم كانت  
في محلها، لأنهم يعرفون موقفه من الذميين و طموحه في إدخال  
السودان الغربي للخلافة الإسلامية، بل تؤكد هذا التخوف عندما رد الحاج  
عمر بالسلب على مشروع هذه المعاهدة بعد الانتصارات التي حققها في  
سيكو خلال سنة 1861، و انتشرت إشاعات عودته بقواته نحو الغرب  
لمواجهة الفرنسيين<sup>2</sup>.

لكن خبر هذه العودة. بعد انتصاراته على ملك ماسينا خلال سنة  
1862 لم تتحقق و لم يثنه عن ذلك سوى التطورات المأساوية التي آلت

---

1 - Ibid, p. 108.

2 - Ly Tall (M), op. cité, pp. 372-373.

إليها حركته على إثر انهزاماته المتتالية التي تعرض لها جيشه على يد قوات الحلف المكون من التمبكتيين و الماسينيين خلال سنتي 1863 و 1864، كما مر بنا. بل هناك من يرى أن أحد أسباب المحن التي أدت إلى وفاة الحاج عمر و زوال دولته التجانية، يرجع إلى كون الشيخ الفوتي<sup>1</sup> لم يمنح نفسه الوقت الكافي بعد الانتصارات التي حققها لتوطيد مواقعه عندما وجه كل عنايته لإعداد استئناف الجهاد ضد الفرنسيين<sup>2</sup>.

و هكذا عندما حل ماج Mage يوم 28 فبراير 1864 بسيكو مبعوثا من قبل فيدرب<sup>3</sup> Faidherbe إلى قائد الجهاد من أجل التصديق على المعاهدة وسط التخوفات الفرنسية من سوء نية العمريين، كان الحاج عمر يعيش أيامه الأخيرة إن لم يكن فارق الحياة، لتحل بذلك بداية نهاية الإمبراطورية العمرية.

إلا أن أحمدو حاكم سيكو Ségou لم يتوصل بخبر وفاة والده إلا في شتنبر 65 18<sup>4</sup>. و عليه فإن السلطان الجديد أحمدو هو الذي سيواصل مع ماج Mage المحادثات المرتبطة بإبرام معاهدة للسلم و التجارة بين الطرفين، و هو ما تم بالفعل سنة 1866<sup>5</sup>، لتبرم بعدها سلسلة من

---

1 - نقصد به الحاج عمر.

2 - Mage (E), Voyage dans le Soudan Occidental..., op. cité, p. 268.

3 - Saint Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France ..., op. cité, pp.124.

4 - Ibid.

5-Mage(E),Voyage dans le Soudan Occidental...,op.cité,p.587et ss.

المعاهدات بين الطرفين. لم يجن أحمدو ملك سيكو من ورائها أي نفع، ذلك أنه كنتيجة حتمية و منطقية، فقد ترتب عن اختفاء الحاج عمر زوال أكبر عقبة في وجه التقدم الفرنسي سياسيا و اقتصاديا بالمنطقة، لأن الإبن لم يكن في مستوى الأب و لكثرة الورثة الطامعين في الحكم، و بالنظر إلى أن شعوب المنطقة، بامبارا، و فولانيين، و ثنيين و مسلمين تنفسوا الصعداء بعد هذا التحول خصوصا أصحاب الامتيازات، مما سهل مهمة الفرنسيين و أفسح المجال أمام الجميع للتعاون معهم لكثرة الخدمات و الامتيازات التي كانوا يعرضونها على حلفائهم.

و لذلك أمكنهم بسط نفوذهم على كل السودان الغربي مع نهاية القرن 19. أما سلسلة المعاهدات التي أبرموها معه مثل معاهدة سيكو ségou سنة 1866 و معاهدة نانكو Nango سنة 1880، و معاهدة كوري Gouri سنة 1887<sup>1</sup>، فلم يكن الهدف منها سوى ربح الوقت و استغلال بعض مقتضيات بنودها التي تسمح لهم على الخصوص بحرية التجارة و المرور، و تنقل البعثات و سفارات التفاوض، و هي عوامل مكنتهم من الاطلاع على الأوضاع الحقيقية للبلاد، و إبرام التحالفات و المعاهدات السرية مع أبرز حكامها، و شراء مساحات شاسعة من الأراضي من أعيانها، و مد خطوط التلغراف و السكك الحديدية عليها<sup>2</sup>.

---

1 - Saint MLartin (Y), l'Empire Toucouleur et la France ..., op. cité, pp.135, 264, 339, 353.

2 - Gallieni (J), Deux Compagnes au Soudan, Français (1886-1888), Paris, Hachette, 1892, pp. 83-84.

و مع أن الشيخ أحمدو سلطان سيكو و الخليفة الجديد للتجانية بالسودان الغربي، بعد رحيل أبيه الحاج عمر، كان واعيا تمام الوعي بالخطر الذي يحدق به نتيجة هذه المعاهدات، و كثرة البعثات الفرنسية التي تزوره في مقر حكمه، فإنه كان عاجزا عن إبداء أية مقاومة، لعلمه بتفوق الفرنسيين عليه في كل شيء، و لتطلعه إلى الحصول منهم على كل ما يلزم من الأسلحة و الذخيرة، لإخماد الثورات في كل أطراف الإمبراطورية مثل كارطا و ماسينا و سيكو نفسها، لإحباط الانشقاقات<sup>1</sup> و الانقلابات ضده من قبل إخوته مثل منتقى Muntaga و عجيبو Agibou و المختار Moktar و حيبو Habibou و ابن عمه تجاني Tijani. لكن بعيدا عن أن يحقق الفرنسيون أحلامه في توطيد نفوذ دولته، فقد ساهموا بالعكس من ذلك في تقويضها بتشجيع كل أسباب الفرقة بين كل أسباب الفرقة بين كل مكونات الأسرة الحاكمة، و حدث كل الأقاليم على الثورة ضد التجانيين<sup>2</sup>.

و من أهم مظاهر حسن نية السلطان الفوتي أحمدو (بن الحاج عمر) تجاه الفرنسيين، علاوة على إبرام معاهدات سلم و تجارة معهم، تفضيلهم على الأنجليز الذين اتصلوا به أكثر من مرة لقطع الطريق على حكام سان لوي Saint Louis، و معاملته أفراد البعثات الفرنسية معاملة حسنة، بشهادة تقارير الرحالة و السفراء أنفسهم، و التزامه السلم، واحتفاظه

---

1 - Lt Colonel Frey (H), *Compagne dans le Haut sénégat et le haut niger* (1885-1886), paris, Plon, 1888, p. 105.

2 - Dumont (F), *l'Anti-Sultan...*, op. cité, pp. 220 et ss.

ببرودة الدم تجاههم في أخرج الظروف بتصديقه على المعاهدات دون أن تصدق فرنسا و لو على واحدة<sup>1</sup>.

و لا يمكن تفسير هذا الواقع إلا بكون سلسلة المفاوضات والمعاهدات بين الطرفين كانت مغشوشة من الأساس (عبارة عن مسرحية)، باعتبار أن الفرنسيين كانوا يهدفون من ورائها إلى ربح الوقت فقط، في انتظار إضعاف و تفجير الإمبراطورية التجانية من الداخل، بسبب الخطر الذي كان يشكله بقاء أحمدو و دولته التجانية على مستقبل بلاد السنغال التي كان يتجاوب سكانها مع الدعوة إلى محاربة المسيحيين. و هو ما حدث على يد القائد العسكري الكولونيل ارشينار le Colonel Archinard الذي زحف بجحافل على سيكو و احتلها سنة 1890<sup>2</sup>، خارقا بذلك بنود كل المعاهدات، بعد أن فر منها مدني Madani<sup>3</sup> ابن أحمدو الذي كان يحكم هناك باسم أبيه، لتؤول كارطا و عاصمتها نيورو Nioro إلى نفس المصير سنة 1891<sup>4</sup> على يد نفس القائد، مما أجبر أحمدو الذي كان يقيم بها على الانسحاب إلى باندياكارا Bandiagara التي طرد منها سنة 1893 بقوة الحديد و النار على يد ارشينار Archinard، الذي نصب

---

1 - Saint-Martin (Y), l'Empire toucouleur et la France, op. cité, pp. 251, 263, 264, 291.

2 - Ibid, pp. 390 et ss.

3 - Dumont (F), l'Anti-Sultan..., op. cité, pp. 136.

4 - Ibid.



عجيبو أحد أبناء الحاج عمر المتحالف مع الفرنسيين حاكما على هذا الإقليم<sup>1</sup>.

و بعد هذه الهزيمة التي أجهزت على البقية الباقية من القوات التجانية المتشبثة بالوحدة و الاستقلال، تتحدث المصادر عن فرار السلطان أحمدو شرقا في اتجاه بلاد الهاوسا التي التجأ إليها لدى حكام مملكة سوكوطو الإسلامية (القادرية الطريقة) إلى أن مات سنة 1898، ليختار أنصاره بعد وفاته المنفى في الحجاز<sup>2</sup>.

و هكذا و مع انتهاء القرن تمكنت فرنسا كما قلنا من إخضاع كل السودان الغربي لنفوذها بعد إسقاط الامبراطورية التجانية التي شكلت وفاة شيخها الحاج عمر أول مسمار دق في نعشها، لتتقدم بعد ذلك فرنسا على انجلترا التي كانت تصول و تجول في جهات أخرى من إفريقيا على غرار دول أوربية أخرى تطبيقا لمقررات مؤتمر برلين التي أطلقت أيديها بشكل قانوني منذ فبراير 1885<sup>3</sup>.

لقد سقطت الإمبراطورية التجانية سياسيا بالفعل لكنها لم تسقط روحيا و دينيا كما سبق، بفضل الجهود التي بذلها رجالها سياسيا وفكريا.

---

1 - Ibid.

2 - Ibid, pp. 136-137.

3 - Saint-Martin (Y), l'Empire toucouleur et la France, op. cité, p.333.

وإذا كانت العوامل السياسية و العسكرية قد أخذت من بحثنا الشيء الغير  
القليل، فإننا نرى من المفيد إطلاع القارئ على بعض جوانب الإنتاج  
الفكري لرجال التجانية في السودان الغربي خلال القرن 19 من خلال  
الباب التالي.

## **الباب الخامس**

### **الإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي**



أبرز ملاحظة تطبع هذا الإنتاج، هو قلته مقارنة مع ما سجلناه من غزارة في الكتابات التجانية بالمغرب. وهذا التفاوت له أسبابه الموضوعية والزمنية و الثقافية الفكرية. ذلك أن كثرة الإنتاج الفكري التجاني بالمغرب تفسر أولا بتعدد الأجيال المهتمة بالموضوع على امتداد القرن التاسع عشر بكامله، و مطلع القرن العشرين، انطلاقا من الجيل الذي عاصر الشيخ سيدي احمد التجاني، كما تفسر بتضلع فقهاء التجانية و مثقفيها في العربية و علوم الدين، و كثرة أعدادهم التي غطت البلاد طولا و عرضا، من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى نهر السنغال جنوبا، و من المحيط الأطلسي إلى عين ماضي و الأغواط شرقا و مما لاشك فيه أن قلة المثقفين باللغة العربية بالسودان الغربي و تواضع مستواهم فيها، و قصر المدة التي استغرقتها حركة الحاج عمر مؤسس الزاوية التجانية بالسودان الغربي، و غيرها من العوامل كانت وراء قلة هذا الإنتاج نسبيا.

و ما يسترعي الانتباه في هذا الإنتاج من جهة أخرى، هو أن جزءه الأكبر لازال مخطوطا كما سنرى، منه ما هو متوفر في مركز أحمد بابا للبحث التاريخي بتمبكتو، و منه ما لازال يربض في الخزانات الوطنية بأوربا مثل الخزانة الوطنية بباريس التي اعتمدنا عليها في معظم الوثائق، لتوثيق الكثير من جوانب بحثنا هذا.

و من جهة أخرى نلفت الانتباه إلى أن قلة الإنتاج الفكري التجاني المسجلة بالسودان الغربي، هي قلة نسبية، بالمقارنة مع الإنتاج المغربي

لأسباب سبق ذكرها. و بغض النظر عن هذه المقارنة يبقى هذا الانتاج بإفريقيا جنوب الصحراء مهما في حد ذاته. لتنوعه كما و كيفا، و لصدوره عن نخبة من كبار رجالات التجانية بالمنطقة، قدموا الدليل على إخلاصهم لمبادئ حركة الحاج عمر الفوتي الإصلاحية، و تفانيهم في العمل على نشر تعاليم الطريقة التجانية بكل الوسائل الفكرية و المادية، جنبا إلى جنب، مع شيخهم و قائدهم الحاج عمر. و مما زاد هذا الإنتاج ثراء مساهمات بعض المعجبين من التجانيين و غير التجانيين خارج السودان الغربي، بشخصية الحاج عمر و حركته فصدرت عنهم كتابات مختلفة المقاصد، تشيد بالطريقة التجانية و بخليفتها في غرب إفريقيا الذي رفع راية الإسلام خفاقة بها. و يأتي في مقدمة هؤلاء المغاربة الذين نقدم إنتاجهم هنا، أكبر دليل على استمرارية حضور الإشعاع الفكري المغربي بإفريقيا جنوب الصحراء، و البرهنة على الدور الحيوي الذي لعبته و تلعبه الصوفية في المحافظة على هذا الحضور و تجديده.

و من جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن الإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي، لم يقتصر على نشر أدبيات الطريقة فحسب بل شمل أيضا نشر الثقافة العربية الإسلامية، و تبسيط عدة جوانب من الشريعة انطلاقا من كتاب الله و سنة رسوله، نظرا لما يوجد من ترابط عضوي بين الطرق الصوفية السنية، و منها الطريقة التجانية و الشريعة الإسلامية. و بناء على هذا التنوع في الكتابات التجانية المرتبطة بالسودان الغربي خلال القرن

التاسع عشر، فإننا سنقسم هذا الباب إلى فصلين أحدهما سنتطرق فيه للإنتاج الفكري الدعوي الوعظي، أما الثاني فسنعرض فيه للإنتاج الفكري التبريري الدفاعي، والمدحي، والتاريخي التثقيفي.





## الفصل الأول

### إنتاج فكري دعوي، وعظي و مدحي



سنتطرق في هذا الفصل لبعض الكتابات و المؤلفات التي سعى أصحابها من خلالها، إلى التعريف بالطريقة التجانية و نشر تعاليمها بالسودان الغربي، و دعوة كل شعوب المنطقة إلى الانخراط فيها ليشملهم فضل أورادها، و بركة شيخها المؤسس سيدي احمد التجاني و خليفته الحاج عمر الفوتي بحوضي النيجر و السنغال، بغية تحقيق السعادة الأبدية، نظرا لسنية أوراد هذه الطريقة، لكونها تهدف في رأي كل فقهاء التجانية، إلى تصحيح الجوانب المعوجة، و تقويم مواطن الخلل عند المسلم. و بما أن مهمة الدعوة ليست بالهينة، فإن بعض الكتابات انصب اهتمامها على الوعظ و الإرشاد و المدح، أحيانا لشحذ الهمم على الانخراط في الطريقة التجانية و الخضوع لفقهاءها، بشكل يجعل من المريدين خداما على استعداد لتنفيذ أوامر الشيخ الخليفة دون تردد و لا مناقشة. و تجدر الإشارة هنا إلى أن ما سنقدمه في هذا الفصل من جرد للإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي خلال القرن 19، يشكل مساهمة فحسب في إبراز بعض جوانبه و لا نرمي من ورائه إطلاقا إلى الإحاطة و الشمولية بالموضوع.

## I - إنتاج فكري دعوي:

نستهل هذا المحور بالتأكيد على أن الحاج عمر الفوتي، مؤسس الطريقة التجانية بالسودان الغربي يأتي في مقدمة كل المؤلفين التجانيين

بالمنطقة كما وكيفا، و بالنسبة لكل الأغراض. فهو خليفة الطريقة في بلاده و الداعي إليها و المادح لها و لشيخها، و الشارح لفقهياتها، و لذلك سنبدأ بإنتاجه الخاص بهذا المحور.

## 1 - مؤلفات الحاج عمر:

### أ - سيوف السعيد<sup>1</sup>

الاسم الكامل لهذا المخطوط هو: سيوف السعيد المعتقد في أهل الله كالتجاني، على رقبة الشقي الطريد المنتقد الجاني. لكل من شاء الله تعالى نفعه به من أهل الشريعة والحقيقة. و رتبته على مقدمة و أحد عشر فصلا و خاتمة، و نقدم فيما يلي لمحة موجزة عن أهم ما تضمنته هذه الفصول:

الفصل الأول : في تحذير الإخوان من الإنكار على الأولياء.

الفصل الثاني : في إعلامهم أنه لا يجوز الإنكار على الحقيقة، إلا لمن أحاط بجميع شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يحيط الجامع.

الفصل الثالث : في التحذير من مخالفة الشيخ بعدم امتثال أوامره،

---

1 - عمر بن سعيد الفوتي الطوري، سيوف السعيد في أهل الله كالتجاني على رقبة الشقي الطريد المنتقد الجاني، مطبوع على الحجر، رقم 2435 / 1 ضمن مجموع، الخزانة العامة الرباط.

حاضرا كان أو غائبا و الاعتراض عليه سرا و جهرا.

الفصل الرابع : في إعلامهم أنه لابد لكل مريد صادق أن يقتصر على شيخ واحد و لا يتشوف إلى غيره.

الفصل الخامس : في الترغيب في الاجتماع للذكر و الجهر به والحض عليه ... و التمسك به لفضله.

الفصل السادس : في منع استغراب المقامات و الكمالات التي أعطاها الله تعالى أولياءه...

الفصل السابع : في فضل الشيخ التجاني رضي الله عنه، و بيان أنه ختم الأولياء و سيد العارفين، و إمام الصديقين، و إمام الأقطاب والأغواث، وأنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم.

الفصل الثامن: في فضل المتعلقين بالشيخ سيدي احمد التجاني رضي الله عنه وفي فضل ورده و ما أعد الله تعالى لتاليه.

الفصل التاسع : في بيان تسمية هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحيفية.

الفصل العاشر: في جواب الشيخ سيدي احمد التجاني رضي الله عنه عن مسائل متفرقة قد يعترض عليه فيها بعض من لا قدم له في العلم.

الفصل الحادي عشر: في أمور الإخوان المنتسبين إلى طرق الله عز وجل بتحمل إذاية المنكرين و المعارضين عليهم وعلى ساداتهم من الأولياء، اقتداءً بأنبياء الله تعالى و رسله و أوليائه والتأسي بهم.

يشتمل هذا الكتاب على حوالي 51 ورقة، ولا يحمل تاريخ كتابته. وقد وظف مؤلفه جل فصوله كما هو واضح لخدمة الطريقة التجانية والحض على الانخراط فيها. ومن المحتمل جدا أن يكون الحاج عمر قد انطلق من هذا المؤلف (سيوف السعيد)، لتحريّر كتابه رماح الآتي ذكره الذي تطرق فيه لنفس المواضيع تقريبا، لكن بشكل أكثر تفصيلا و توثيقا. فقد اختصر الكلام في الأول، على ما يظهر، لعدم استقراره في مكان معين لمدة طويلة، في طريق عودته من الديار المقدسة إلى بلاد فوتا Futa، فاكتمى بتلك الباكورة للتعريف بالطريقة والدعوة إلى التعبد بها، من خلال ما ضمنه إياها من تعاليم وإرشادات صارت تنتشر بالتدريج مع تكاثر نسخ السيوف.

غير أنه بعد أن وصل إلى فوتاجلون وأصبح متحررا من كل القيود والتبعيات، ووعيا منه بخطورة المهمة التي تنتظره، انكب في دينكراي Dinguiray على كتابة تأليف أكثر عمقا وشمولية في التعريف بالطريقة التجانية والدعوة إليها، ويتعلق الأمر بكتاب الرماح.

### ب - رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم<sup>1</sup>.

سوف لن نطيل الكلام حول هذا الكتاب المنشور في جزئين على هامش كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم برادة تجنبنا للتكرار، إذ سبق

---

1 - عمر بن سعيد الفتوي الطوري، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، على هامش جواهر المعاني، مصدر سابق.

التعريف به وبأهميته في نشر الطريقة التجانية، في فصل سابق. نشير فقط إلا أن هذا الكتاب، يسمح علاوة على ما تضمن من أورداد وأذكار للطريقة التجانية وفقهياتها، بالإطلاع على نبذة من المعلومات التاريخية حول بعض البلدان التي مر بها الحاج عمر في طريقه إلى الحج، والشخصيات الدينية التي التقى بها، وبعض الشذرات عن سيرته الذاتية.

### ج - إفادة الطائفة الإنسية و الجانية<sup>1</sup>.

يشكل محتوى هذا المخطوط الصغير الحجم، جواباً على سؤال ورد على الحاج عمر حول سبب تسمية هذه الطريقة بالمحمدية الأحمدية الإبراهيمية الحنفية التجانية. وبعد أن أخبر سائله بأنه لم يكن بالإمكان الرد على سؤاله في حينه، دخل في صلب الموضوع و ذكر في مقدمته الخطة التي سيسلكها في هذا الجواب، فقال: «اعلم أنا نريد أن نذكر أولاً الدائرة العظيمة التي أوقع الله فيها هذا الشيخ العظيم ليتبين لكل ناظر في هذه الرسالة أنه لا يستغرب فضله رضي الله عنه وفضل طريقته وأهلها، إلا من غفل عن هذه الدائرة العظيمة، وجهل أنها هي دائرة طريقته وفيها أهلها. ثم نذكر بعد ذلك سبب تسمية هذه الطريقة محمدية، ثم نذكر بعده سبب تسميتها الإبراهيمية الحنفية، ثم نختم بسبب تسميتها أحمدية لكن على طريق الإشارة». و الواقع أن من يقرأ هذه الوريقات، يدرك مدى

---

1 - عمر بن سعيد الفوتي، إفادة الطائفة الإنسية و الجانية، أنظر:

- B.N.P, M.O, Man. 5569. FF°. 17 à 23.

الجهد الذي بذله الشيخ عمر لإقناع سائله بتفوق الطريقة التجانية على كل الطرق و سمو شيخها على كل الشيوخ.

كيف لا، في نظر المؤلف، و سيدي احمد التجاني أخذ طريقته مباشرة عن الرسول صلى الله عليه و سلم، و ختم الله بمقامه و مقامات الأولياء. إذ لا مقام فوق مقامه إلا مقام النبوة و هو مقام القطب المكتوم الذي أخبرت به أكابر الأولياء، و أشارت إليه و تحدثت به في كل مجمع، و تمنى كل واحد منهم أن يكون هو ذلك القطب.

و لتوضيح هذا الأمر أكثر، يذكر الحاج عمر في نفس المخطوطة أن «ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه رأى مقاما فوق مقام الأقطاب كلها ما فوّه إلا مقامات الأنبياء عليهم السلام، فظن أنه له و اطمأنت نفسه به غاية الاطمئنان و الفرح، و أنشد:

**بنا ختم الله الولاية فانتتهت      إلينا فلا ختم يكون من بعدي**  
**و ما فاز للختم الذي لمحمد      من أمته و العلم إلا أنا وحدي**

فبينما هو كذلك، إذ سمع مناديا يقول له ليس لك ما ظننت و تمنيت وإنما هو لولي في آخر الزمان، ليس ولي أكرم على الله منه فعند ذلك سلمت الأمور إلى خالقها. و لقد طال ما جلت ببصري في الغيوب لأطلع



عليه و على مقامه و اسمه واسم بلده و مكانه و كيف حاله ، فما أطلعني الله على شيء منه ، و لا شملت له رائحة أصل<sup>1</sup>....» و إذا كان ابن عربي قد عجز عن معرفة صاحب هذا المقام فإن الحاج عمر حسم في هذه المسألة عندما أخبر أن شيخه التجاني هو صاحب هذا المقام معقبا بذلك على رواية ابن عربي فجاء تأكيده كالآتي : «أما شيخنا التجاني رضي الله عنه فإنه قال أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه و سلم بأني القطب المكتوم منه إليّ مشافهة يقظة لا مناما<sup>2</sup>....» و هذا ما أهل هذا الشيخ في نظر الحاج عمر لاحتلال مرتبة تناهت في العلو عند الله تعالى ، إلى حد يحرم ذكره ، كما أخبر بذلك الشيخ التجاني نفسه<sup>3</sup> .

و بما أن الحاج عمر الفوتي كان يرمي من وراء هذا التأليف و غيره إلى استقطاب أكبر عدد ممكن من المريدين للانخراط في التجانية ، فقد ضمنه في الواقع جردا بأهم مزايا هذه الطريقة و فضائل أذكارها وأورادها ، و علو كعب شيخها في العلم و الولاية و الصلاح ، مقتفيا في ذلك أثر علي حرازم برادة في جواهر المعاني ، و محمد بن المشري في الجامع

---

1 - Ibid, F°. 19.

2 - Ibid.

حول موضوع ختم الأولياء يمكن الرجوع إلى المصدر الآتي :

الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي: عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء و شمس المغرب، المطبعة الرحمانية بمصر (د.ت.)

3 - Ibid.

لما افترق من درر العلوم، و الطيب السفيفاني في الإفادة الأحمديّة لمريد السعادة الأبدية، علاوة على الشرح الذي قدمه بنفس المناسبة لسائله حول معنى محمديّة، أحمديّة إبراهيمية حيفيّة.

و من الملاحظات التي يمكن الوقوف عندها بخصوص هذه المخطوطة أنها لا تحمل تاريخ كتابتها أو نسخها و كذا تطرقها لنفس المواضيع تقريبا التي عالجها نفس المؤلف في سيوف السعيد، لكن في حجم أقل، مما يبعث على الاعتقاد أنه لما كان هم الشيخ عمر و شغله الشاغل، هو التعريف بالطريقة التجانية و نشر تعاليمها على أوسع نطاق، فإن الحل الوحيد، في غياب وسائل الطباعة و النشر، بالنسبة له لتحقيق هذا الهدف، كان هو تحرير كراسات صغيرة، أو متوسطة و إنجاز نسخ منها على يد طلبته و مريديه، لتوزع بعد ذلك في كل أنحاء السودان الغربي حيث كانت تلقى اهتماما كبيرا، لصغر حجمها و لسهولة الأسلوب الذي عولجت به، بشكل روعت فيه الخصوصية المحلية. و بذلك نرجح أن يكون تأليف كتابي «**الطائفة الإنسية و الجانية**» و «**سيوف السعيد**» قد تم قبل سنة 1845، التي شهدت خروج كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم للوجود، متضمنا لكل المواضيع التي عولجت في الكتابين السابقين، و هو الكتاب الذي ظهر في حجم ضخم، تطرق من خلاله صاحبه لكل ما يرتبط بالطريقة التجانية بشكل مسهب كما علمنا.

## د - المقاصد السنية لكل موفق من الدعاة إلى الله من

### الراعي و الرعية<sup>1</sup>.

يشكل هذا المؤلف دليلاً آخر على الأهمية التي كان يوليها الحاج عمر الفوتي لنشر تعاليم الطريقة التجانية بالسودان الغربي، ومن خلالها تجديد الدين الإسلامي بالمنطقة وتمتين أسسه، باعتبار أن التصوف السني ممارسة عملية نقية، خالصة لما ورد في كتاب الله و سنة رسوله، تمكن صاحبها من كسب الأعمال التي تقربه إلى الله، و تنأى به عن كل ما يشغل باله من حطام الدنيا و زخرفها. و اعتبارا لكون فقهاء التجانية و في مقدمتهم شيخها المؤسس، يرون أن طريقتهم هي أكثر الطرق سنية و اتباعا لتعاليم الإسلام الصحيحة، فإن الشيخ عمر الفوتي، و هو يعمل على توزيع دائرة إشعاع الفكر التجاني بإفريقيا جنوب الصحراء، كان في الوقت نفسه يقوم بتمتين أسس الفكر الإسلامي و حضارته بها.

و بما أن مهمة الدعوة إلى الانخراط في الطريقة التجانية و الحض على الالتزام بالممارسة الصحيحة لتعاليم الشريعة الإسلامية، لم تكن سهلة المنال، فإن الحاج عمر كان يختار لها من الدعاة أجود ما عنده من

---

1 - عمر بن سعيد الفوتي، المقاصد السنية لكل موفق من الدعاة إلى الله من الراعي و الرعية،

أنظر:

- B.N.P, M.O, F.A, Man, 5573, FF°. 90 à 145.

الطلبة والأصحاب. ممن تتوفر فيهم الشروط الضرورية للقيام بمثل هذا العمل، بعد تكوينهم، وإعدادهم إعداداً نظرياً وعملياً خاصاً، يمكن التعرف على أهم عناصره من خلال محتوى مخطوط المقاصد السنية هذا الذي يشتمل على حوالي 55 ورقة و الذي رتبّه صاحبه على سبعة مقاصد لا بد للداعية من مراعاتها «لأنها آداب قرآنية و سير نبوية»<sup>1</sup>. و قبل تقديم عناوين هذه المقاصد التي تعطي فكرة موجزة عن مضمون كل المخطوط، نورد بعض كلام المؤلف في مقدمة كتابه هذا، الذي يوجز فيه بشكل محكم و معبر مهمة الداعي إلى الله بقوله: «الحمد لله الذي أمر بإخلاص النية في أداء الأمانات، و أرسل الرسل ليقموا الحجة على كل من عصى في تبليغ الرسالات، و رزقهم من حسن الاستيلاف ما يمنع من التفرق ليتمكنوا من تمييز المهتدين من أصحاب الضلالات، و جعل شريعة خير العالمين مبنية على مراعاة جانب التخفيف لضعاف أمته لا لأهل السلوك و النهايات، سيدنا محمد الذي جعل تنزيل الناس منازلهم من أهم ما يعتني به أصحاب الولايات»<sup>2</sup>.

أما المقاصد السبعة التي يتكون منها المخطوط فهي كالآتي:  
المقصد الأول : أن يكون للداعي خلوص النية في أداء الأمانة<sup>3</sup>. لأن

---

1 - Ibid, F°. 90.

2 - Ibid.

3 - Ibid, F°. 91-92.

دعوة الخلق إلى الله تعالى من أعلى طبقات  
العبادات.

المقصد الثاني : أن يعلم أن مراد الله تعالى في أمر الرسل ونوابهم  
بدعوة من علم أنهم لا يجيبون إلى عبادته وحده<sup>1</sup>  
إقامة الحجة عليهم لا تنفيذ الشريعة فيهم.

المقصد الثالث : مراعاة حسن الاستيلاف (الاتفاق) لأن تبليغ  
الدعوة على الوجه المطلوب لا يمكن لمن تشتت  
عنه قومه<sup>2</sup>.

المقصد الرابع : مراعاة جانب التخفيف في القيام بالدعوة، لأن  
في التشديد من التنفير المنهي عنه ما لا يخفى<sup>3</sup>.

المقصد الخامس : تنزيل الناس منازلهم، لأن وضع الشيء في غير  
محله ظلم، والله لا يحب الظالمين<sup>4</sup>.

المقصد السادس : تقويم ميزان العدل لأن العدلين المتفاضلين لا  
يثبتان أبدا ولا أحدهما<sup>5</sup>.

---

1 - Ibid, F°.106.

2 - Ibid, F°. 116.

3 - Ibid, F°. 129.

4 - Ibid, F°. 133.

5 - Ibid, F°. 139.

المقصد السابع : تقديم الأهم فالأهم، من أمور الدين و الدنيا لأن  
من قدم المهم على الأهم فقد أخطأ<sup>1</sup>.

من المرجح أن يكون تأليف هذا المخطوط الذي لا يحمل أي تاريخ،  
قد تم قبل سنة 1845، أي قبل أو مع فترة كتابة رماح حزب الرحيم الذي  
ظهر خلال هذه السنة، و نستبعد إمكان إنجازه بعد هذه السنة، نظرا  
للأحداث المتلاحقة التي أخذت كل أوقات الحاج عمر من إعداد رجاله  
إديولوجيا و عسكريا، و الدخول بعد ذلك في مرحلة طويلة من الجهاد إلى  
أن وافته المنية سنة 1864 كما علمنا.

يتضمن هذا المخطوط، من جهة أخرى معلومات قيمة في مختلف  
جوانب علوم الدين الإسلامي، تعكس المستوى العلمي الرفيع الذي يميز  
الحاج عمر في كل كتاباته. و نقصد بذلك اهتمامه الكبير بتوثيق أقواله  
و آرائه بما يشهد له بتمكن غير عادي من أمور الدين من خلال ما يقدمه  
من استشهادات مستمدة أحيانا من الكتاب و السنة، و أحيانا أخرى من  
كبار الفقهاء و الأئمة و المتصوفة، من مشرق العالم العربي الإسلامي  
و مغربه، و عبر عصور مختلفة. و خير ما يشهد لنا على هذا القول،  
المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في هذا المخطوط، و هذه بعض

---

1 - Ibid, F°. 141.

النماذج منها، حسب الصفحات التي وردت فيها:

- |       |                       |                             |
|-------|-----------------------|-----------------------------|
| (110) | - البخاري و مسلم      | - القرآن                    |
| (110) | - سعد بن عبادة        | - أحاديث الرسول محمد        |
|       |                       | صلى الله عليه و سلم         |
| (110) | - الإمام فخر الدين    | - ابن سيرين (92)            |
|       | الـرازي               |                             |
| (113) | - الخرشي              | - سهل بن عبد الله (93)      |
| (114) | - عبد الرحمان         | - أبو عثمان المحاسبي (93)   |
|       | الثعالبي              |                             |
| (114) | - شرح الخشنى          | - رويم (93)                 |
|       | على الأربعين نووية    |                             |
| (114) | - التبر المسبوك في    | - الجنيد (93)               |
|       | نصيحة الملوك          |                             |
| (114) | - ابن زيد             | - أبو حامد الغزالي (93)     |
| (117) | - أبو القاسم          | - تفسير ابن عباد (96)       |
|       | القشيري               |                             |
| (119) | - الشافعي             | - أبو بكر العربي (97)       |
| (120) | - محيي الدين          | - سيدي علي (102)            |
|       | ابن عربي              | الخواص                      |
| (129) | - عائشة رضي الله عنها | - العزّ بن عبد السلام (103) |

- أبو العالية (103) - أنس بن مالك (129)
- عبد الله بن عمرو (103) - النّووي (131)
- ابن العاص
- أبو هريرة (104) - عبدالوهاب (131)
- الشعراني
- البغوي بسنده (104) - حاشية الدسوقي على شرح
- أحمد الدردير على مختصر
- الشيخ الخليل (132)
- عمر بن الخطاب (107) - مالك في موطاه (132)
- عن أبي الزناد
- الطبراني بسنده (108) - محمد بن عبد الكريم (137)
- ابن عباس (108) - صاحب إضاءة الدجنة (141)
- ابن الأنباري (110) - ابن مجاهد (143)
- الزجاج (110) - السبكي في جمع (143)
- الجوامع
- ابن الخازن في اللباب (110)

و مما يثير الانتباه في هذه المصادر اعتماد المؤلف في كثير منها على الكتب المغربية الهوية، أو المتداولة في المغرب بكثرة، كنتيجة طبيعية لاستنارة الحاج عمر بالإشعاع الفكري المغربي عن طريق بلاد شنقيط، وبلاد الحجاز، منذ نعومة أظفاره و مراحل تكوينه العلمية الأولى إلى أن



أصبح شيخا للطريقة التجانية. و أهم المصادر المغربية التي استشهد بها  
في هذا المخطوط:

- تفسير ابن عباد: (96)
- الإبريـز: (96, 139)
- سيدي عمر بن محمد الهواري: (96)
- سيدي احمد التجاني: (98, 105 - 106, 115 - 116, 118, 140, 144).
- أبو مـديـن: (102)
- محمد بن عبد الكريم المغيلي: (103, 105)
- الشيخ السنوسي في شرح وسطاه: (115)
- أبو الحسن الشاذلي: (121, 137)
- أحمد زروق في تأسيس القواعد: (143)

و هذه كلها مؤشرات تجعلنا لا نجانب الصواب، إذا قلنا أن الفقيه  
الشيخ عمر الفتوي، يعتبر بامتياز ثمرة أينعت في رحاب الفكر المغربي إن  
بشكل مباشر أو غير مباشر، و شكل بذرة في الوقت نفسه أنجبت الكثير من  
العلماء، تعاونوا معه جميعا لإعلاء كلمة الله بتلك الديار. و رغم بعد النوى،  
و نظرا للحب الذي كان يكنه الحاج عمر للمغرب، فإن المغاربة حرسوا  
بدورهم على تمتين الروابط معه بتتبع أخبار حركته و جهادها  
و مباركتها، كما سنرى لاحقا.

## 2 - مؤلفات مجموعة من تجانيي السودان الغربي

نقدم تحت هذا العنوان بعض الكتابات التجانية الأخرى المكملّة لمؤلفات الحاج عمر في موضوع الدعوة إلى الدخول في الطريقة التجانية و التعريف بها. و يأتي في مقدمة هذه المجموعة الفقيه المختار بن وديعة الله، الماسيني الأصل، و الذي عرف بإخلاصه لشيوخه الحاج عمر الفوتي و للطريقة التجانية، لما قدمه من توضّحات مادية و معنوية في سبيل نصره هذه الطريقة و الدفاع عن مثلها بالسيف و القلم. و هكذا فالإلى جانب مساهمته السياسية و العسكرية لصالح دولة الحاج عمر، نجد له حضوراً متميزاً و متنوعاً في المجال الفكري، و ظفه في طرق عدة أغراض، رامت مضامينها بشكل عام توسيع دائرة إشعاع تعاليم التجانية بالسودان الغربي. و في انتظار أن نعود إليه في محاور أخرى من الإنتاج الفكري التجاني، نبدأ به هنا لأهميته ثم نتبعه بكتاب آخرين أقل أهمية منه.

### أ - المختار بن وديعة الله (يركي طلفي): تأييدات ربانية

للجماعة التجانية<sup>1</sup>: تحدث عنه صاحب كتاب «روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة» فوصفه بأنه من أشبال الطريقة الجامعين بين الشريعة و الحقيقة، له مناقب كثيرة و تأليف شهيرة... ملازمه لا يخشى ضرر العدا و لا يشتكي في الجسم سقما و لا

---

1 - المختار بن وديعة الله، تأييدات ربانية للجماعة التجانية، و المختار بن وديعة الله يعرف

أيضاً بـيركي طلفي، انظر: BNP, MO,FA, Man. 5599, FF°. 58 à 64.

خللا. و كانت وفاته سنة 1280هـ/ 4 - 1863<sup>1</sup>.

يشتمل مخطوطه المعنون بـ «تأييدات ربانية للجماعة التجانية» على حوالي سبع ورقات، خصص مضمونه لتبسيط من قضايا تعاليم الطريقة التجانية، ورفع اللبس عنها، ليسهل استيعابها من قبل كل مقبل عليها وليتسنى لمن أراد الدفاع عنها، أن يقوم بهذا الواجب بكل قناعة واقتدار. وقد حدد المؤلف هدف تأليفه فقال في المقدمة :

«فإني لما رأيت جل أهل بلادنا أطلقوا سنتهم علينا بالقليل و القال، والحال أنهم لا يفرقون بين الذرة و الفيل، رأيت أن أولف هذه الكراسة لعل الله ينفع بها من أراد أن ينتفع بها ممن وقف عليها منهم<sup>2</sup>...». وقد اشتملت هذه المخطوطة على مقدمة و خمسة مطالب:

المطلب الأول : فيما قيل من الانتقال من مذهب إلى مذهب و من طريقة إلى طريقة<sup>3</sup>.

المطلب الثاني : فيما قيل من منع المشايخ أصحابهم من الاجتماع بغيرهم على وجه التبرك و الاستمداد<sup>4</sup>.

---

1 - احمد بن محمد بن العباس العلوي الشنجيطي، روض شمائل أهل الحقيقة، مصدر سابق، ورقة 23.

2 - المختار بن وديعة الله، تأييدات ربانية، مقدمة التأليف.

3 - Ibid, F°. 59.

4 - Ibid, F°. 60.

المطلب الثالث : في رؤية الانبياء عليهم الصلاة و السلام يقظة بعد

انتقالهم إلى دار البقاء<sup>1</sup>.

المطلب الرابع : في بيان مقام القطب و أنه المتولى في زمانه

خطتي العطاء و السلب<sup>2</sup>.

المطلب الخامس : في بيان مقام خاتم الأولياء و أنه هو الممد

للأقطاب الأصفياء<sup>3</sup>.

و تجدر الإشارة إلى أن جل الأفكار الواردة في هذه المطالب مدونة في كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم برادة، أو في كتاب الجامع لما افترق من درر العلوم لمحمد بن المشري، مع بعض الاجتهادات الخاصة بالمؤلف. غير أن هذه الملاحظة لا تقلل من أهمية هذا التأليف الذي يمكن اعتباره عملاً رائداً في المنطقة إلى جانب كتابات الحاج عمر، لقلة المثقفين باللغة العربية و العارفين بالشرعية الإسلامية و فقهاها، مما يجعل من مثل هذا العمل مساهمة جادة في تعزيز وجود الفكر الإسلامي و اللغة العربية بإفريقيا جنوب الصحراء، باعتبار أن التصوف السني تطبيق عملي لتعاليم الإسلام في أسمى معانيها.

ومن الأمور المهمة التي تطرق إليها بتفصيل في هذا الكتاب:

---

1 - Ibid, F°. 61.

2 - Ibid.

3 - Ibid, F°. 62.

حقيقة القطبانية : هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة و تفصيلا<sup>1</sup>.

معنى البرزخية العظمى : قيامه (القطب) بين الحق و الخلق نيابة عن الحقيقة المحمدية، و ليس هذه لغيره من العارفين فهو في جميع هذه الأمور خليفة النبي صلى الله عليه و سلم دون جميع الأولياء<sup>2</sup>.

مقام خاتم الأولياء : هو الممد للأقطاب الأصفياء<sup>3</sup>.

معنى القطب المكتوم : أي الذي كتم الله أسرارَه عن جميع خلقه حتى الملائكة و النبيئين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم<sup>4</sup>.

و من المعلوم أن هذا الذي خصه الله بالقطبانية و الختمية و كتم أسرارَه، في نظر التجانيين، هو الشيخ سيدي احمد التجاني، كما هو وارد في جواهر المعاني، و في الإفادة الأحمدية، و في الجامع لما افترق من درر العلوم، و هي أهم مصادر تعاليم الطريقة التجانية و أكثرها مصداقية على الإطلاق.

و بالإضافة إلى العناصر المذهبية التي يدافع عنها صاحبنا في وريقاته، لاضفاء مزيد من المصداقية على الطريقة التي ينتمي إليها،

---

1 - Ibid.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

4 - Ibid, F°. 63.

يكتسي هذا العمل أهمية تنويرية و تثقيفه في أمور الدين، لا يستهان بها، نظرا لما ضمنه صاحبه من استشهادات مستمدة من الكتاب و السنة و أقوال كبار الأئمة و المفسرين.

#### ب - مولاي حبيب بن مولاي عبد القادر المراكشي:

**الطريقة التجانية أحسن الطرق**<sup>1</sup>: لم نتمكن في الواقع من معرفة مكان استيطان كاتب هاتين الورقتين بالتحديد، هل هو المغرب أم السودان الغربي؟ فاسمه كما هو واضح يبعث على الاعتقاد أنه مغربي من مراكش، و على قدر كبير من العلم و الصلاح، كما تحدث عن نفسه في بداية هذه الوثيقة: «...أما بعد فيقول العالم العارف بالله تعالى سيدي الشريف مولاي حبيب بن مولاي عبد القادر المراكشي رضي الله عنه أمين<sup>2</sup>». ولا يمكن تفسير وجود هذه الوثيقة بالسودان الغربي إذن، إلا بانتقالها إليه من المغرب على يد بعض التجانيين من هذا البلد أو ذاك علما بأن تنقل الأشخاص والبضائع خلال القرن التاسع عشر، بين ضفتي الصحراء من المغرب إلى إفريقيا الغربية و العكس، شيء مؤكد زاد من أهمية كثرة الوافدين من التجانيين السودانيين على ضريح الشيخ سيدي احمد التجاني بفاس.

و هناك احتمال أن يكون هذا العالم المراكشي الأصل، استوطن

---

1 - BNP, MO, FA, Man, 5716 FF°. 31-32.

2- Ibid, F°. 31.

السودان الغربي لمدة معينة من الزمن و في هذه الحالة إما أنه استكمل تعليمه هناك أو أتى عالماً من بلاده، على مستوى معرفي ديني صوفي، جعله يدافع عن الطريقة التجانية التي كان واحداً من مريدها من دون شك، و يجعل منها أفضل الطرق، ربما لكسر شوكة القادرين الكنتيين بالمنطقة، الذين أظهروا عداً مكشوفاً للتجانية و لخليفاتها هناك، الحاج عمر الفتوتي، و هذه بعض العبارات التي وردت في هذا التأليف الصغير المناصر لهذه الطريقة: «الطرق كلها إما جلالية أو جمالية أو كمالية، فالجلالية من كانت بدايتها التعبد بذكر الله و أسمائه كالطريقة القادرية لأولي الخاصة. والجمالية من تكون بدايتها التعبد بالصلاة و السلام على النبي و آله، والكمالية على التحقيق، ليس لها قبل ظهور التجانية من طريق<sup>1</sup>»:

و بهذه المقارنة بوأ المؤلف طريقته المكانة الأولى، ليخلص في نهاية كلامه إلى نفس النتيجة حيث قال: «و ليس لأحد من الطرق و الكمال الحقيقي ما هو على أحسن حال في الجمع التوفيقى إلا الطريقة التجانية، لأنها من تركيب خير البرية، الذي هو أعلم الخلق على الإطلاق، و ليس كل عالم بالتركيب يظفر بأحسن التركيب على الوفاق، فاشكر الله واحمده و اعرفه و اعبده والسلام<sup>2</sup>...» (في شهر شوال عام 1288هـ).

---

1 - Ibid, F°. 31.

2 - Ibid, F°. 32.

### ج - مجهول: وثيقة تعرضت بتفصيل لنسب الشيخ سيدي

احمد التجاني<sup>1</sup>: استهلها صاحبها بقوله: «العالم العلامة القطب الكبير حائز النسبتين و الفائز بكلتا الرتبتين، سيدنا احمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سالم بن علي<sup>2</sup>...».

و بمقارنة مضمون هذه الوثيقة مع ما ورد في كتاب جواهر المعاني حول نفس الموضوع، يتضح وجود بعض الخلاف في بداية تسلسل نسب سيدي احمد التجاني رغم كونهما يرفعان نسبه معا إلى محمد الملقب بالنفس الزكية بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. و مما لا شك فيه أن مضمون نسخة مجهول السودان أصح مما ورد في جواهر المعاني وأدق، باعتبار أن صاحبها نقل مباشرة عن النسخة الخطية بيد سيدي احمد التجاني، كما يفهم من قوله في نهاية كلامه: «هكذا رأيته بخط يده الشريفة رضي الله عنه و أعاد علينا و على محبيننا من بركاته، و لا أخلانا من نوافح هباته آمين آمين آمين<sup>3</sup>».

و رغم أن هذا الاختلاف شكلي فقط بين المصدرين، فإن نسب سيدي احمد التجاني أتى مفصلا بدءا من أبيه محمد و جده المختار إلى علي بن أبي طالب و فاطمة الزهراء، كما أثبتته الشيخ نفسه، في حين أتى

---

1 - BNP, MO, FA, Man, 5582, F°. 53.

2 - Ibid, F°. 53.

3 - Ibid.



هذا النسب مختصرا في الجواهر. و تكمن أهمية هذه الوثيقة في حرص أهل السودان على إبراز النسب الشريف لسيدي احمد التجاني، كما تحدث عنه صاحبه و بخط يده حسما لكل خلاف.

#### د - محمد بن الفاضل بن إبراهيم: تعلق بالتجانية و الحاج

عمر<sup>1</sup>: يعبر صاحب هذه الوثيقة من خلال ما جاء فيها، عن نصرته للحاج عمر الفوتي، و استعداده لبذل الغالي و النفيس من أجل تهمير كائنات التجانية بالسودان الغربي، ملتصقا تزويده بدعواته للنجاح في مهمته. و هذا بعض كلامه: «إلى الحاج عمر بن الشيخ سعيد أعطانا الله بركة النبي وبركته أمين، و موجه إليك إعلامك أننا لم نكن إلا في محبتك و طاعتك ... يا شيخنا أسألك بالله العظيم و نبيه الكريم أن تدعو لي بالمغفرة و طول العمر<sup>2</sup>...» و من الأمور الأخرى التي يثيرها صاحب هذه الرسالة و يذكر الحاج عمر بأنه لا يمكن له التفريط فيها، مسألة زيارة الأضرحة التي التي حرمها الشيخ التجاني على مريديه، ولذلك يقول محمد الفاضل: «أنا تجاني لا أزور وليا<sup>3</sup>». و لا يخفى ما لمثل هذه الكتابات و المبادرات الشخصية من دور فعال في نشر تعاليم التجانية، و تبسيط فقهياتها لعموم الناس بالمنطقة.

---

1 - BNP, MO, FA, Man, 5681, F°.4.

2 - Ibid, F°. 4.

3 - Ibid.

**هـ - أحمد التجاني بن أحمد رزوق: مصافحة النبي صلى**

**الله عليه وسلم في المنام**<sup>1</sup>: يشيع مضمون هذه الوثيقة ما يمكن أن يحصل عليه المريد التجاني من فضل، مثل ما حصل لأحمد هذا بن رزوق الذي صرح بأنه: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ليلة الجمعة و صافحه و جلس معه مدة طويلة<sup>2</sup>...». ثم أضاف نفس المصدر أن الرسول صلى الله عليه وسلم جرت بينه وبين شخص ثالث اسمه الفازاوي مذاكرة، بنفس المناسبة (المنام)، و مما ورد في هذه المذاكرة سماعه صلى الله عليه وسلم عن خبر تلميذه العادل هنا (السودان الغربي)، أمير المؤمنين و مجيئه إليه ليراه، و ليبارك عمله. و من المحتمل جدا أن يكون الأمر يتعلق بالحاج عمر الفوتي. و تعقيبا على محتوى هذه الوثيقة يمكن القول إن تشبث الناس بالتجانية في السودان الغربي و بفضائل أذكراها و بركة شيخها، صار في تزايد مستمر بانتشار مثل هذه الكتابات.

## **II - إنتاج فكري في الفقه و الوعظ و الإرشاد**

يتصدر الحاج عمر الفوتي في هذا المجال أيضا، كل المنتجين

---

1 - BNP, MO, FA, Man, 5561, F°.67.

2 - Ibid, F°. 67.

بالسودان الغربي خلال النصف الثاني من القرن 19. و غزارة إنتاجه هذه هي التي أملت علينا تقسيم مؤلفي هذا الفرع إلى قسمين، قسم أول خاص بالحاج عمر، وقسم ثان لغيره من الكتاب والمؤلفين.

## 1 - مؤلفات الحاج عمر:

لا يسهل المجال هنا ذكر كل ما كتب الحاج عمر في مجال الفقه والوعظ والإرشاد، وسنكتفي بذكر بعض النماذج التي تمكنا من وضع اليد عليها، مع لفت الانتباه إلى أن الغاية من كل إنتاج، في اعتقادنا بالنسبة للمؤلف كانت تتحدث في خلق وعي ديني إسلامي صحيح بالمنطقة تؤطره الطريقة التجانية، وفي سعيه إلى تحقيق نوع من التميز والتفرد سعيا وراء الحصول على تأييد جماهيري يدعم حركته الإصلاحية.

### أ - تذكرة المسترشدين و فلاح الطالبين<sup>1</sup>.

هذا التأليف عبارة عن قصيدة عدد أبياتها 205، نظمها صاحبها وهو في طريقه إلى الحج خلال الشهر الأخير لسنة 1826، ثم أعاد نظمها وكتابتها من جديد على ضوء الإحساسات التي غمرته وهو يؤدي فريضة الحج بالمدينة المنورة، وأمام مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

1 - Tadhkirat al Mustarchidin Wa Falah attalibin, épître d'Al hadj Umar Tall, édition critique du texte arabe et traduction annotée par Claudine Gerresch-Dekais, Bulletin de l'I.F.A.N, T4, serie B, N", 1980. pp. 524 à 553.

و قد أنهاها سنة 1829 و أنجزها بشكل فريد من نوعه، عندما اختار آيات من القرآن الكريم لأسباب يعرفها هو، فحدثته نفسه كما يقول: «أن أنظمها نظما مستقلا و يكون كل حرف منها و لو كان غير ثابت في الرسم كالآلف المحذوفة بيتا كاملا، و يكون ذلك الحرف أول البيت، و أشير إلى كل حرف من حروفها الهجائية بجعلها محمرة في أول الأبيات، و بتمام حروف الآية الشريفة تتم القصيدة إن شاء الله<sup>1</sup>». و ترى محققة المخطوط أن تذكرة المسترشدين شكلت أول تأليف للحاج عمر. و المتأمل في هذه القصيدة يجد أنها دعوة إلى الفرار إلى الله و الابتعاد عن حطام الدنيا، بالإكثار من الذكر و الصلاة على النبي و اجتناب الغيبة و النميمة، و الجهاد في سبيل الله. و في ما يلي بعض الأبيات المختارة من هذه المنظومة:

يا أيها الإخوان لا تشتغلوا      بالمال و البنين خيرا اعملوا  
 إن هذه الدنيا غرور باطل      و اعمل لدار دائم يا غافل<sup>2</sup>

1 - Ibid, p. 528

و الآيات الكريمة هي:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم و لا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون و أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق و أكن من الصالحين، و لن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها و الله خبير بما تعملون﴾ (سورة المنافقون: 9 - 10 - 11).

2 - Ibid, p. 530.

متى اشتغلتم بذكر ربكم      يعنكم الله على عدوكم  
 الهنا ضمن أن ينصر من      ينصر دينه بلا خلف وكن<sup>1</sup>  
 اجتنبوا الغيبة يا إخوان      كذا النميمة مع البهتان<sup>2</sup>  
 أما جهاد الحرب فاعلم أنه      فرض كفاية و عظم شأنه  
 ذر التكاسل عن الجهاد      جاهد بجد كل ذي عناد<sup>3</sup>

وهكذا يتضح أن التصوف العملي، طبع أفكار الحاج عمر منذ السنوات الأولى لبداية تطلعه إلى الزعامة الدينية بل نجده يسير على نفس النهج في تأليفه الموالي: تذكرة الغافلين.

#### ب - تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المسلمين<sup>4</sup>.

ورد عند كلودين كيريش Claudine Gerresch أن هذا العمل يعتبر ثاني إنتاج فكري للحاج عمر، بعد تذكرة المسترشدين السابق ذكرها، دون أن تكون مقنعة في حكمها هذا، ومن غير أن تشير إلى المصدر الذي اعتمدت عليه. وهذه التذكرة عبارة عن قصيدة أيضا قدم لها صاحبها

1 - Ibid, p. 532.

2 - Ibid, p. 540.

3 - Ibid, p. 546.

4- Tadhkirat al Ghafilin, ou un aspect pacifique peu connu de la vie d'Al Hadj Umar:

Introduction historique, édition critique du texte arabe et traduction annotée par Claudine Gerresch, Bulletin de l'I.F.A.N, T 39, serie B, n° 4, 1977. pp. 890 à 931.

بتمهيد يشرح فيه الأسباب التي دفعته إلى القيام بهذا العمل و هو إصلاح ذات البين بين حاكمي إمارتي سوكتو و بورنو، عندما لاحظ و هو في طريقه لأداء فريضة الحج عام 1826، وجود خلاف كبير بين أمير بلاد حوسة (سوكوتو)، و أمير بورنو، و هو أمر أثر فيه و شغله كثيرا، و ساوره شعور قوي بضرورة القيام بمساعي حميدة للقضاء على أسباب الخصومة بين الأشقاء، لكن خشيته من فوات وقت الحج جعلته يعدل عن ذلك. و عندما كان في طريق العودة من الديار المقدسة سنة 1829، بلغه و هو في فزان أن جيشي حوسا و بورونو يخوضان معارك دامية ضد بعضهما البعض.

و رغم همومه الكثيرة كما يذكر هو نفسه، مثل مرض أخيه و زوجته، فإنه أبى إلا أن يقوم بشيء لوقف الاقتتال بين المسلمين، فنظم قصيدة لهذا الغرض عندما أدرك: «أن المخاطبة باللسان لا يشفي غليلنا أردنا أن نضع منظومة نذكر فيها بعض ما يسر الله لنا ذكره في هذا المعنى<sup>1</sup>». و على غرار ما فعل في تذكرة المسترشدين، فقد كان القرآن الكريم هو منطلقه<sup>2</sup>. فرتب قصيدته على حروف هاتين الآيتين و يبلغ عدد أبياتها 197.

---

1 - Ibid, p. 900.

2 - الآيتان الكريمتان هما: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾. (الحجرات 9 - 10).

و في هذه المنظومة أيضا نجد الحاج عمر منسجما ومتكاملا مع الأفكار التي ضمنها تذكرة المسترشدين، من دعوة إلى التخلق بالمثل العليا و الإخلاص لله في السر و العلن. لذلك نجده في تذكرة الغافلين يدعو الحكام و المسلمين إلى التآخي عوض التباضح حقنا لدماء المسلمين، عملا بقوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ (الآية).

### ج - سفينة السعادة لأهل الضعف و النجادة<sup>1</sup> :

مخطوط يشتمل على 159 ورقة، و يتكون مضمونه من مقدمة نثرية، من ثمان و ر قات تطرق فيها لأهمية التصوف، و ضرورة الاعتصام بحبل الله و اتباع سنة نبيه قولا و فعلا مع الابتعاد ما أمكن «عن أبناء الدنيا الكفرة و ملوكها الفجرة و علمائها الغدرة...»<sup>2</sup>، لأن من تمسك بسنة الحبيب المصطفى، يضيف نفس المصدر، لا يخيب «لو خذله جميع القبائل و العشائر و الجن و الإنس إذ لا يضيع متعلق به و لا قطين منبع رحمته التي وسعت الخلائق...»<sup>3</sup>.

أما باقي و ر قات المخطوط فقد عشر فيها منظومة الفزازي في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم، و من خلال عمله هذا يحث المومنين من مريديه و طلبته، و ساكنة بلاده و كافة المسلمين على التعاطي إلى

---

1 - BNP, MO, FA, Man. 5485 FF°. 1 à 159.

2 - Ibid, F°. 3.

3 - Ibid, F°. 4.

كل ما من شأنه أن يساعدهم على ملء قلوبهم بنور الله و التقرب منه، من صلوات و أذكار و قراءة قرآن و التزام الصدق في الحياة اليومية مع الأهل و الأحباب و الأصدقاء و الأعداء و الناس أجمعين، اقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، رحمة البشرية المهداة الذي من أحبه حبا صافيا لوجه الله، ربح في الدنيا و الآخرة.

و نظرا لما وجدته الحاج عمر، من صدق في محبة الرسول، منبعث من قصيدة الفزاري، بسبب زجالة أسلوبها و قوة معاني أبياتها، فقد ذكر أنه تأثر بها منذ صغره، و ظلت تشده إليها عبر شبابه إلى أن أصبحت جزءا لا يتجزأ منه. و بما أنه كان مهتما بتعليم ما أتى به الرسول صلى الله عليه و سلم و الحض على اتباعه، و إبطال ما أحدثته المبتدعة، بذكر بعض فضائله و شمائله، فقد وجد في هذه القصيدة مبتغاه، و قرر تعشيرها و نشرها بين الناس ليستمتعوا بذورها الغالية و نفحاتها الروحية، و هي القصيدة التي خمستها عاشق آخر للرسول صلى الله عليه و سلم، أشار إليه مؤلف سفينة السعادة في مقدمة عمله، كما يتضح من كلامه: «... هذا و قد كنت في صغري إذا نظرت إلى القصائد التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه و سلم، الشيخ أبو زيد عبد الرحمان ابن محمد الفزاري القرطبي مولدا و منشأ، و إلى تخميس مخمسها الأخ البركة في السكون



والحركة أبي بكر محمد بن الفضل بن مهيب اتعجب من شدة شوقهما إليه  
صلى الله عليه وسلم ...<sup>1</sup> .

وبما أن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون في تقدير الحاج عمر،  
وأرفع رتبة يرتقي إليها كل سالك لبیب و عارف سعيد، و أحسن وسيلة  
للتقرب إلى القوي العزيز، هي خدمته صلى الله عليه وسلم، فإنه وجد في  
تعشير النظم المذكور و التغني به وسيلة لتحقيق بغيته.

و قد ختم المؤلف هذه المقدمة، بذكر تاريخ فراغه من هذا العمل،  
و هو التاريخ الذي صادف يوم الخميس ليوم بقي من رجب عام 1268هـ<sup>2</sup>  
[1852م].

و يقول مطلع هذه القصيدة المعشرة:

لخالق خير الخلق حمد له العلا    على بعثه فينا و منا و قد علا  
على العرش ما أعلا ساكن العلا    أحق عباد الله بالمجد و العلا  
حبيب به يعطي الإله و يكلاً  
صلاة و تسليم العلي علا على    مربي الوری الخنذيد إذا كان الأشعلا  
ألا إنه بدر إذا الأمر أثقلاً    أتم الوری جاها و أبهر مشعلا<sup>3</sup>

---

1 - Ibid.

2 - Ibid, F°. 8. = =

## نبي له أعلا الجنان مبـوأ<sup>1</sup>

وعلى غرار تذكرة المسترشدين و تذكرة الغافلين، فقد أتى مضمون سفينة السعادة حافلا بالمواعظ و الدروس و الدعوة إلى الاهتداء بهدي الرسول صلى الله عليه و سلم.

### د - رسالة سوق الحبيب إلى فهم أسئلة ابراهيم اللبيب<sup>2</sup>.

أجاب الحاج عمر في هذه الرسالة بشكل مسهب و مقنع على خمسة أسئلة ذات طابع فقهي، وجهها إليه شخص يدعى ابراهيم. و سنكتفي هنا ببسط هذه الأسئلة فقط لتمكين المهتم من معرفة نوع النوازل التي كانت تشغل بال المجتمعات السودانية المسلمة، يقول الحاج عمر بخصوص هذه الرسالة: «قد ناولني بعض إخواني في الله ورقة فيها خمس أسئلة ونصها: إذا كان من أهل الذمة فريقان أحدهما يقول الآخر عبيد لهم يأخذون منهم ما يبيعون وما يعطون جزية، هل يصح التسري ببناتهم للوالي و لمن أعطاه إن اتصفن بالإيمان؟

---

3 - Ibid, F°. 9. = =

1 - لعل هذا هو شطر التعشير.

2 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5724, FF°. 61 à 67.

و من أخذ رقيقا أو رقيقين أو قيمة ذلك و أعطاه ذميا و أعطاه الذمي ابنته أو أخته فهل يجوز له نكاحها على وجه التسري لعددهم الزوجة من المال، حيث اتصفت بأحكام الإسلام أم لا ؟ و الذين عندنا يحملهم السلاطين من الصنائع كالزراع و حمل الزاد و إصلاح البيوت و غير ذلك، هل يجوز لهم التسري ببناتهم أم لا؟ و هل يجوز للجنب قراءة صلاة الفاتح لما أغلق مرة أو مرتين كقراءة آية أو آيتين؟ أو يجوز مثل ذلك في الأزقة و الطرق التي هي غير مأمونة الطهارة، أو قراءة القرآن في فراش غير مأمون أم لا<sup>1</sup>؟.

فلما تأمل المؤلف هذه الأسئلة وجدها أسئلة عظيمة ينبغي لكل من له أهلية الجواب أن يتكلم عليها إذ سئل عنها<sup>2</sup>. و يلاحظ أن الحاج عمر مهد للإجابة على هذه الأسئلة بمقدمة مفيدة جدا، تعرض فيها لضرورة حسن معاملة الذميين بعد فرض الجزية عليهم، و الحرص على عدم الإساءة لهم و ظلمهم، كما أوصى بذلك الرسول صلى الله عليه و سلم الذي قال: «من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته و أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه أحمد<sup>3</sup>، و طبقا للكثير من أقوال الصحابة و المحدثين و الأئمة كابن عربي، التي تثبت وجوب احترام أهل الذمة بعد أداء الواجبات.

---

1 - Ibid, F°. 62.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

و عندما انتقل للجواب على الأسئلة الخمسة، فعل ذلك باقتدار كبير، مدعماً أقواله بالكتاب و السنة و آراء الفقهاء من المفسرين و المحدثين و الرواة، مما يسمح بالقول إن الحاج عمر كان مصلحاً اجتماعياً و مجدداً دينياً، يحرص كل الحرص على تعويد الناس على ربط القول بالفعل من خلال النماذج العملية التي كان يقدمها مع أصحابه و مريديه، و هم يترجمون المفاهيم الصوفية النظرية إلى ممارسة واقعية في المكان و الزمان.

## هـ - هادية المذنبين إلى كيفية الخلاص من حقوق الله

### و العباد<sup>1</sup>.

اسم هذه الرسالة الكامل هو: «هادية المذنبين إلى كيفية الخلاص من حقوق الله و العباد، انتفع بها إن شاء الله أنا و السائل و من أراد الله من المسلمين». لم يذكر الحاج عمر اسم القائل في هذا المخطوط المشتمل على ثمان ورقات، و اكتفى بالقول أن بعض الإخوان في الله ناوله ورقتين في كل واحدة منهما سؤال، سألهم عنهما بدوره إخوان له في الله، فقصد هذا الشخص صاحبنا للحصول على الجواب، لحسن ظنه به، كما يقول المؤلف، و قد وردت الأسئلة على الشكل التالي:

---

1 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5573, FF°. 54 à 62.

- السؤال الأول: ما قولكم سادتنا العلماء رضي الله عنكم و أرضاكم و متعنا و المسلمين بطول بقائكم، في إنسان ترتب على ذمته حقوق العباد و أراد الخلاص منها قبل الميعاد، فمنها ما لا يعلمه، و منها من مات صاحبه، و منها من يخاف على إظهار فتنة لكون صاحبه من أعدائه، و منها ما لا يعفو عنه صاحبه و لو كان غير عدو، و منها ما لا علم لصاحبه و لا عقل له، و منها من لا يخاف أن يعاديه صاحبه تارة أخرى، و منها من يستحيي من إظهاره و هو يريد أن يفك نفسه من تلك التبعات في حياته قبل المائة، فهل يجزئه أن يقرأ القرآن الشريف مرة و أكثر و يهدي ثوابه لكل من له عليه حق سواء كان صغيراً أو كبيراً أو لا يجزئه؟ عرفونا كيفية ذلك و ثوابكم على الله تعالى<sup>1</sup>.

السؤال الثاني: سادتنا العلماء رضي الله عنكم و أرضاكم و متعنا لله تعالى بطول عمركم، ما قولكم في القلب الذي ولغ فيه الشيطان؟ فما المياه السبعة التي يغسل بها لأن الإناء إذا ولغ فيه الكلب يغسل سبع مرات؟ ولذلك أردنا أن نعرفنا حقيقة المياه السبعة التي إذا غسل بها القلب يطهر من أثر ولغ اللعين نجانا لله و إياكم من كيده و مكره بجاه سيد العالمين آمين<sup>2</sup> ...

---

1 - Ibid, F°. 54.

2 - Ibid.

رتب المؤلف رسالته الجوابية هذه على مقدمة و خمسة فصول  
و خاتمة.

الفصل الأول : في وجوب التوبة و في كونها مقبولة إن كملت  
شروطها.

الفصل الثاني : في بيان حقيقة التوبة.

الفصل الثالث : في كيفية الخلاص من حقوق الله تعالى.

الفصل الرابع : في كيفية الخلاص من حقوق العباد المالية.

الفصل الخامس : في كيفية الخلاص من حقوق العباد البدنية  
و القلبية.

الخاتمة : في المياه السبعة التي يغسل بها القلب فيطهر.

و لا حاجة للتذكير مرة أخرى إلى الجهد الذي يبذله المؤلف في كل  
عمل من أعماله، من حيث التوثيق الجيد المبني على اجتهاد عالم ملم  
بأصول الدين و فروعه، و على اطلاع واسع بما يوجد من أمهات الكتب في  
الموضوع الذي ينكب على البحث فيه.

و - جواب على أسئلة بعض الأصحاب<sup>1</sup>.

تتضمن هذه المخطوطة الجواب على عشرين سؤالاً، يتعلق معظمها

---

1 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5608, FF°. 289 à 291.

بفقه الطريقة، مهد لها الحاج عمر بقوله: «الحمد لله الذي أمرنا بسؤال أهل الذكر في كتابه و الصلاة و السلام على خير خلقه و خاتم أنبيائه، أما بعد فهذه أسئلة يحتاج إليها بها بعض الأصحاب و يرجون لها تعجيل الجواب<sup>1</sup>»  
- السؤال الأول<sup>2</sup> : معنى قولهم ابن الشيخ كالشيخ، هل وجوب طاعة الشيخ و محبته و امتثال أمره و اجتناب نهيه و عدم مخالفته حاضرا كان أو غائبا، يجري ذلك كله على ابنه أو بعضه دون البعض، و قد قالوا إن المشبه بالشيء لا يقوى قوته؟

- السؤال الثاني<sup>3</sup> : عن حكم المسبوق إذا لم يحصل مع الإمام من الركوع إلا تسبيحين في الركعة التي وجد فيها. هل يعتمد بتلك الركعة؟  
- السؤال الثالث<sup>4</sup> : عن قول الشيخ<sup>5</sup> رضي الله عنه: تأتي فيضة على أصحابي حتى يدخل الناس في طريقتنا أفواجا، تأتي هذه الفيضة و الناس في غاية ما يكون من ضيق و شدة. هل أتت هذه الفيضة أم باقية؟  
- السؤال الرابع<sup>6</sup> : عن قوله رضي الله عنه و أرضاه و عنى به، حتى واحد ما يعرف معنى الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم لا من الأنبياء

---

1 - Ibid, F°. 289.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

4 - Ibid.

5 - المقصود به سيدي احمد التجاني

6 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5608, FF°. 289 à 291.

ولا غيرهم إلا هو صلى الله عليه وسلم، و علمه لي وحدي. هل هذه الصلاة عامة أو خاصة، و هل الشيخ رضي الله عنه: علمه لأحد من أصحابه أم لا؟

- السؤال الخامس<sup>1</sup> : عن قوله رضي الله عنه: رأيتَه صلى الله عليه وسلم يكرر الفاتحة في الشفع والوتر، هل عنى رضي الله عنه العدد الذي رآه صلى الله عليه وسلم يكرره أم لا ؟ و قال راوي هذا الكلام: إن الشيخ رضي الله عنه و أرضاه و عنى به، كان يكرر الفاتحة في الشفع والوتر إحدى عشرة مرة، و كذلك سورة القدر مع أن الذي كنا نعرف عند سيدنا مولود قال رضي الله عنه أن الفاتحة تكرر في الشفع مرتين و أربعاً في الوتر و سورة القدر لا تكون فيها. و قال لي سيدي محمد بن أحمد أكنسوس رضي الله عنه أن تكرار الفاتحة و سورة القدر في الشفع والوتر من غير حصر كما تلقاه من أصحاب الشيخ الكبار.

- السؤال السادس<sup>2</sup> : عن قوله رضي الله عنه و أرضاه و عنى به: رجل واحد ظهر من الطائفة لو اجتمع أكابر الأقطاب و العارفين ما وزنوا شعرة من بحر فيضته ما المراد بالرجل ؟

---

1 - Ibid, F°. 289.

2 - Ibid, F°. 290.



- السؤال السابع<sup>1</sup> : عن قوله رضي الله<sup>2</sup> عنه و أرضاه و عنى به: من قدم ورد الصباح و طلع الفجر و هو في أثناؤه فليكمل، و عن قوله: من أراد أن يقدم ورد الصباح فليقدمه بعد العشاء، الساعة قدر ما يقرأ القارئ خمسة أحزاب و ينام الناس، مع أن محل تقديمه الثلث الأخير من الليل أو السدس. و إذا طلع الفجر قبل تمامه بطل كما هو مذكور في الرماح؟

- السؤال الثامن<sup>3</sup> : عن معنى قوله رضي الله عنه و أرضاه و عنى به: من كتب الحزب السيفي بشروط كتابته و علقه عليه مجلدا مخروزا يكتب له ثواب قراءته و لا يحمله جنبا و لا يجمع به، هل المراد بالثواب كل ما ذكر في فضل قراءته أو كونه من الذاكرين الله و الذاكرات، و إن لم يذكر ما هو مذكور في الرماح أم هذه الخاصية لكل من علقه بأي صيغة؟

- السؤال التاسع<sup>4</sup> : عن معنى الرموز التي في قوله رضي الله عنه و أرضاه و عنى به قال لي: مقامك مقام أم د م أ أ ر ت غ ث إلخ كلامه؟

- السؤال العاشر<sup>5</sup> : عن دائرة الإحاطة التي يذكر منها الشيخ رضي الله عنه و أرضاه و عنى به كل يوم عشر مائة ألف كما ضمنه له صلى الله

---

1 - Ibid.

2 - يقصد الشيخ سيدي احمد التجاني.

3 - Ibid.

4 - Ibid.

5 - Ibid.

عليه و سلم هل هي عين الإسم الأعظم الخاص أم غيره؟

- السؤال الحادي عشر<sup>1</sup> : عن قوله رضي الله عنه و أرضاه و عنى به ألف بالليل و ألف بالنهار الفاتحة لا تقرأ إلا بالنهار إلخ كما ذكره تلميذه وخادمه سيدي الطيب السفيناني في تقييده لكلام الشيخ رضي الله عنه و أرضاه و عنى به المسمى بكتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية وذكر فيه أن الشيخ رضي الله عنه أذن لعشرة من أصحابه في مائة من الفاتحة بنية تلاوة الإسم الأعظم معها و ألف من صلاة الفاتح لما أغلق نيابة عنه كما هو معلوم ثم قال لهم بعد ذلك: ألف بالليل و ألف بالنهار هل هو خاص بتلك العشرة؟.

- السؤال الثاني عشر<sup>2</sup> : عن التسبيح الذي قدس الرب به نفسه الذي هو من أذكار هذه الطريقة، ما كيفيته و ما وقته؟

السؤال الثالث عشر<sup>3</sup> : عن ثالث الأمور التي تقطع المريد عن هذه الطريقة نعوذ بالله تعالى من جميعها، و هو ترك الورد كما نص عليه الشيخ رضي الله عنه و أرضاه و عنى به في قوله: ثلاثة تقطع المريد عنا، أخذه وردا على وردنا، و زيارة الأولياء، و ترك الورد إلخ، و أما الأول فقد

---

1 - Ibid.

2 - Ibid, F°. 290.

3 - Ibid, F°. 290.

حصل لنا اليقين بأنه لا سبيل له سوى الرجوع إليه أعاذنا الله منه بمنه وكرمه كما صرح به الشيخ رضي الله عنه ... في الأجوبة التلمسانية بقوله: أما الرجل الذي أخذ ورد عبد القادر فلا سبيل له إلى الرجوع إلى طريقتنا، وأما الثاني فقد قال فيه حين أتاه الرجل المكناسي تائباً إليه لا سبيل لك إلى الرجوع. فلما قيل له: إن المكناسي ترك أولادا وبناتاً ضعافاً، وقال لك: إذا أذنت له فذلك، وإلا فهذا قبره ببابك، فرق له و جدد له الإذن في الورد، وقال فيه أيضاً: أما الرجلان اللذان زارا مولاي عبد السلام فلا سبيل لهما إلى الرجوع إلى طريقتنا. وقد ذكر سيدي الحاج علي حرازم برادة في كناشته في فضل جوهرة الكمال، أن كل من زار من أصحابه واحداً من الأولياء ينسلخ من طريقته، نعوذ بالله من ذلك إلا إذا تاب، وفي أواخر أيام عمره كان لا يقبل توبة. وهذا إشكال عندي لأن سيدي الحاج علي حرازم برادة رضي الله عنه توفي قبل الشيخ رضي الله عنه، وأما الثالث المسؤول عنه فما وجدنا له نصاً هل كان يقبل توبة صاحبه أم لا؟

– السؤال الرابع عشر<sup>1</sup>: هل يجوز لمن أخذ الورد اللازم والوظيفة وذكر عشية الجمعة أن يذكر أذكار الطريقة غير الفاتح، وحزب البحر وياقوتة الحقائق، والأسماء الإدرسية، من غير إذن أم لا، وإن كان لا يجوز له ذلك، فما معنى تخصيصهم لهذه الأربعة من غيرها؟

---

1 -Ibid.

السؤال الخامس عشر<sup>1</sup> : عن مسألة اختلف أصحابنا فيها، و هي فعل  
الوظيفة دبر صلاة العشاء، فقال بعضهم: إنه وقت ضروري و منع  
البعض، و حجتهم في ذلك، أنه هو عمل سيدي مولود فال رضي الله عنه.  
و لعل ذلك لعذر، فيكون حينئذ الليل كله وقتا لها، كما هو مذكور في  
الجواهر و غيره. و احتج الأولون بما نص عليه صاحب الرماح ...  
- السؤال السادس عشر<sup>2</sup> : عن حكم المسبوق في الوظيفة المتيمة أو  
العكس.

- السؤال السابع عشر<sup>3</sup> : هل يجوز لمن فاق من النوم آخر الليل أن  
يذكر أوراده كلها، كما يجوز له ذلك في الورد، و هل يجوز ذكرها للمسافر  
بعد صلاة الظهر كجواز الورد أيضا أم لا؟  
- السؤال الثامن عشر<sup>4</sup> : عن عدد ما يفعل من سورة القدر و سورة  
الكوثر و عن وقتها؟

- السؤال التاسع عشر<sup>5</sup> : عن حكم المتيمة إذا أقيمت الصلاة و هو في  
أثناء ورده، هل البناء حكمه أو الاستيناف؟ و هل له أن يفعل وردين بتيمة  
واحد أم له أن يفعل ورده بتيمة للصلاة ؟

---

1 - Ibid.

2 - Ibid, F°. 291.

3 - Ibid.

4 - Ibid.

5 - Ibid.

- السؤال العشرون<sup>1</sup> : من خاف فوات الوظيفة مع الذاكرين جماعة،

و هو قد شرع في ورده هل يدخل معهم أو يتمادى على ذكره؟

إن ما يلفت نظر المطلع على ورقات هذا المخطوط، هو اهتمام المثقفين من التجانيين بالسودان الغربي، و حرصهم على معرفة أحكام تعاليم فقه الطريقة الصحيحة، حتى يتسنى لهم تعليمها بدورهم لمن احتاج إليها بشكل غير مشوه، لكي يكونوا بذلك في مستوى نيل الفضائل التي تنطوي عليها الأوراد و الأذكار الملقنة. و بما أن الحاج عمر الفوتي يعتبر حجة في هذا الميدان، فإن مثل هذه الأسئلة كانت تتوارد عليه بكثرة. و كان يجيب عنها من موقع العالم المتمكن بكل ما يتطلب الأمر من بساطة ووضوح، مراعيًا في تحرير إجابته الخصوصية المحلية، و تواضع مستوى غالبية السكان في القراءة و الكتابة و الإلمام بشؤون الدين. على أن العنصر الأكثر لفتًا للانتباه في ثنايا هذه المجموعة من الأسئلة وأجوبتها، هو حضور عدد من فقهاء الطريقة المغاربة بفكرهم و آرائهم بإفريقيا جنوب الصحراء، استشهد السائل و وثق كلامه بجملة من كتاباتهم، مثل الشيخ سيدي أحمد التجاني و محمد أكنسوس<sup>2</sup> و الطيب السفيني<sup>3</sup> و مولود فال<sup>4</sup> و علي حرازم برادة<sup>5</sup>، مما يسمح بالقول إن الدور

---

1 - Ibid.

2 - Ibid, F°. 289.

3 - Ibid, F°. 290.

4 - Ibid.

5 - Ibid.

الفكري المغربي في تجديد الإسلام و توسيع رقعته من خلال الطريقة  
التجانية و رجالاتها أمر جلي و حقيقة لا جدال فيها.

### ز - نظم في الوعظ و الإرشاد:<sup>1</sup>

نجد الحاج عمر في بعض كتاباته يلجأ إلى نظم القوافي لوعظ  
مجتمعه و تقديم النصح لأفراده، لما ينطوي عليه هذا الاختيار من أساليب  
ذوقية و تشويقية، تدفع المتلقي إلى بذل الجهد لحفظ ما يسمع من درر  
نافعة في الدنيا و الآخرة.

و نجد المؤلف هنا يقدم الخطاب الذي يريد تمريره، إما من خلال  
نظمه الخاص، أو نظم غيره، أو من خلال الجمع بينهما مثل ما هو الشأن  
في هذه الوثيقة التي تشتمل على مدخل شعري، مهد به لاستدراج القارئ  
إلى فوائد منظومة أو مسجوعة لمؤلفين آخرين، لم يذكر أسماءهم، إما  
لأنها غير معروفة، أو لكونه لم يعط أهمية كبرى لذكر تلك الأسماء، ما دام  
الهدف من عمله هو إشاعة هذه المواعظ بين الناس.

بعد البسملة و الصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم دخل  
المؤلف في الموضوع فقال:

الحمد لله العظيم الأمر      بقول لا      معبود غير قادر<sup>2</sup>

---

1 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5722, FF°. 134 à 135.

2 - Ibid, F°. 134.

إلى أن قال:

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| و بعد لما أنني رأيت     | فائدة منثورة أردت        |
| تسهيلها بالنظم لا بتغاء | مرضات رب الخلق ذي البهاء |
| فائدة عظيمة كبيرة       | جليلة لكل ذي بصيرة       |
| ظاهرة واضحة تفيد        | معرفة الله لمن يريد      |
| فينبغي على الذي كلف أن  | يعرف سبعة فصول تدركن     |
| من قول لا إله إلا الله  | و تلك أن يعرف ما معناه   |

إلى أن قال:

|                       |                                         |
|-----------------------|-----------------------------------------|
| أما الحقيقة فاستغناؤه | على كل ما سواه جل شأنه                  |
| و افتقار كل ما عداه   | إليه لا إله إلا الله                    |
| أما كماله فسيد الوجود | صلى عليه الله مادام السجود <sup>1</sup> |

و عن أكل الدنيا بالدين أورد لغيره:

|                 |                                  |
|-----------------|----------------------------------|
| ذئب تراه مصليا  | و إذا مررت به ركع                |
| يدعو و جل دعائه | ما للفريسة لم تقع                |
| عجل بها يا سيدي | إن الفوائد قد انصدع <sup>2</sup> |

و في نفس الموضوع قال لغيره أيضا:

1 - Ibid.

2 - Ibid.

أهل الرياء لبستم قاموسكم كالذئب يدلج في الظلام العاتم  
وأكلتم الدنيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن القاسم  
وركبتم شهب البغال بأشهب وبأصبع صبغت لكم في العالم<sup>1</sup>  
ومن جميل الشعر الصوفي اختار لنا المؤلف في هذه الوثيقة:  
قدمت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم  
فحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان القدوم على الكريم<sup>2</sup>  
ومن غريب الشعر الصوفي وأطرافه أورد لغيره أيضا هذه الأبيات  
العميقة المعنى، و البعيدة المغزى والتي لا يستطيع الغوص في أعماقها إلا  
كبار العارفين:

تظهر بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر  
وقدم إماما كنت أنت إمامه وصل صلاة الفجر في أول العصر  
فهذه صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر<sup>3</sup>  
إلى أن قال على غير ما يفهمه عامة الناس و خاصتهم:

بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب  
فترك الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غروب<sup>4</sup>

---

1 - Ibid, FF°. 134 et 135.

2 - Ibid, F°. 135.

3 - Ibid, F°. 135.

4 - Ibid.



## ح - نظم كله دعوات للنجاة من الفتن<sup>1</sup>

هذا، على ما يبدو نموذج من الدروس العملية في كيفية التقرب من الله، واستدرار لطفه ورحمته، التي كان يحرص الحاج عمر على تلقيها لطلبته و مريديه، خصوصا و أن أغلبيتهم كانوا وثنيين، يعتقدون أن مظاهر الطبيعة المختلفة هي مصدر الخير و الشر. و بعد دخولهم في الإسلام، وتشبعهم بوحداية الله و تذوقهم لحلاوة الإيمان على يد هذا الشيخ، كان من الطبيعي أن يعلمهم هذا الأخير مجموعة من الأدعية التي يتوجهون بها إلى الله القادر وحده على دفع كل الشرور عنهم و جلب الخير لهم، و هذه بعض الأبيات من هذه القصيدة التوسلية:

|                                 |                                            |
|---------------------------------|--------------------------------------------|
| و الله يعصمني من كل مهلكة       | كذلك يعصم أصحابي من الفتن                  |
| إذاية الخلق يكفيني و يعصمنا     | كذلك يعصم من معنا من الفتن                 |
| فلولاك يا رب ما نرجو النجاة فيا | رحمان فلتنجنا من كل ذي فتن                 |
| هداك يا ربنا هب لي و من معنا    | و لا تسلط علينا كل ذي فتن                  |
| صبور حلمك يسترنا و من معنا      | و كل ما لنا و ينجينا من الفتن <sup>2</sup> |

إلى أن قال:

كذلك أؤمن علينا بالوصل إلى      قبر الرسول و أبطل كيد ذي فتن

---

1 - B.N.P, M.O, F.A, MAN. 5684. F°. 15.

2 - Ibid, F°. 150.

نصير انصر رجالا قاصدين إلى  
بيت الحرام وأمنه من فتن  
انصر إلهي رجالا قاصدين إلى  
قبر الرسول قهم من كل ذي فتن  
أنت الميسر يسر لي

الرجوع إلى قومي إلهي وأمني من الفتن<sup>1</sup>  
ما يمكن ملاحظته بخصوص الجزء الثاني من هذه القصيدة، هو  
تصويره للمعاناة التي كان يشكو منها المؤلف، وشعوره بانعدام الأمن  
ذهابا وإيابا في البلدان التي مر بها إلى الديار المقدسة. فقد تعرض للخطر  
عدة مرات خلال هذه الرحلة كما علمنا، فاضطهد، وسجن، ونجا من  
الموت بأعجوبة، بسبب ما رأى القادريون في التجانية من منافسة لهم،  
وما شكله الحاج عمر من تهديد لنفوذهم بالمنطقة من جراء الدعوة التي  
كان يقوم بها لصالح التجانية، هذه التحديات هي التي جعلت الحاج عمر  
ينشيء هذا النظم التوسلي.

2 - مؤلفات أخرى لمجموعة من تجانيي السودان الغربي :  
تقدم تحت هذا العنوان مجموعة أخرى من الكتابات في الفقه والوعظ  
والإرشاد لرجال آخرين من التجانيين غير الحاج عمر وهم في غالب  
الأحيان من كبار قواده ومن أسرته وطلبته والمخلصين لدعوته بالمنطقة  
ونبدأ بأبرزهم.  
أ- المختار بن وديعة الله : رسالة في توضيح بعض المسائل

الصوفية و مراتب الولاية<sup>2</sup> : سبق أن تعرفنا على هذا الفقيه التجاني  
الماسيني الأصل في غرض آخر من الإنتاج الفكري. ونود أن نذكر هنا

1 - Ibid.

2 - BNP, MO, FA, Man. 5361, FF°. 4 à 6.

بأنه سخر معارفه العلمية و قدراته العسكرية لخدمة الإسلام و التجانية تحت إمرة الحاج عمر الفوتي. و رغم أنه فولاني من سود حوض نهر النيجر، فإنه قد تميز بحصوله على قدر عال من الثقافة الإسلامية، بفضل إجادته للغة القرآن التي مكنته من امتلاك وسائل المعرفة والتحصيل، و ما المؤلف الذي سنعرف به في السطور الآتية، إلا دليل آخر على المستوى الجيد الذي بلغه في معرفة الكتاب و السنة، و علمي الظاهر و الباطن، وكلها مؤهلات وظيفها لرفع مستوى سكان بلاده العقدي و الروحي.

قدم المؤلف لعلمه هذا بقوله: «... هذه عجالة نبهت بها على مسائل مهمة ينتفع بها المتبصر المهتدي إن شاء الله تعالى<sup>1</sup>». ثم تحدث في مضمونه على أربع مسائل:

المسألة الأولى<sup>2</sup>: في بيان أن الكلام يكون عاما بصيغته، مقيدا بزمان على قصد المتكلم، و لتوضيح هذا الأمر قدم مثالا من قوله تعالى في سورة مريم<sup>3</sup>: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾<sup>4</sup>. فبين أن هذا الكلام عام بصيغته، دال على تفضيل مريم على جميع النساء، من تقدمت عليها و من تأخرت، و لكنه في نفس الوقت، يضيف المؤلف مقيد بزمانها، كما يدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم في ابنته فاطمة: «أنت

---

1 - Ibid, F°. 4.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

4 - سورة آل عمران، 42.

سيدة نساء العالمين.» فوضعت يدها على رأسها حياء، ثم قالت: فأين آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم: آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، فرفع صلى الله عليه وسلم - يقول نفس المصدر- هذا الاحتمال الإطلاقي في الآية الكريمة. رغم أن الفقيه المختار بن وديعة الله مسبوق في هذا التأويل من قبل صوفية آخرين، تجانيين وغير تجانيين، فإن حاجته إلى مقارعة خصوم الطريقة في المنطقة على ما يبدو، بالحجة والدليل، جعلته يستعين بآراء سابقه، ليكون مفحماً ومقنعاً في طروحاته. ولا أدل على هذا القول من أن التأويل الوارد في المسألة الأولى ﴿وإصطفاك على نساء العالمين﴾، ساعده على حل الإشكال المترتب على قولين لهما نفس المدلول، منسوبين لشيخين صوفيين كبيرين، عاشا في عصرين متباعدين هما الشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي (ت 561 هـ) والشيخ سيدي أحمد التجاني (ت 1230 هـ)، وينسب إلى شيخ بغداد قوله: «قدمي على رقبة كل ولي لله تعالى<sup>1</sup>...»، في حين تخبرنا المصادر التجانية أن شيخ الطريقة قال: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي، من لدن آدم إلى النفخ في الصور<sup>2</sup>»،

---

1 - Ibid, F°. 5.

2 - Ibid.

وبناء على التأويل السالف ذكره، يخلص المؤلف إلى أن القولين غير متعارضين ولا متناقضين، باعتبار أن كلا منهما كان قطب الأولياء للعصر الذي يعيش فيه.

ـ المسألة الثانية<sup>1</sup>: في بيان كون الولي ربما جهل أولياء آخرين، ثم لا يكون ذلك قادحا في ولاية الجاهل ولا في ولاية المجهول، واستدل المؤلف على كلامه بآراء الشعراني وابن العربي الحاتمي.

المسألة الثالثة<sup>2</sup>: في بيان كون الولي ربما جهل مرتبة من مراتب الولاية، فأنكرها ثم لا يكون ذلك قادحا في ولاية جاهل، ولا في كون تلك المرتبة موجودة في غيره من الأولياء. وربما علم المفضل ما لم يعلمه الفاضل من الكشوفات الكونية، كما حصل يضيف المؤلف، في قصة الخضر مع موسى عليه السلام، على اعتبار جهل الثاني بما علمه الأول، رغم أفضلية النبي على غير النبي.

المسألة الرابعة<sup>3</sup>: في بيان أن المريد إنما يقتصر على شيخه من جهة ربط القلب والاعتقاد والتبرك والاستبداد، لا من جهة العلوم النقلية أو الكشفية، وذلك أن المريد، إذا كان لا يصدق بكل ما جهله شيخه من العلوم والمعارف والكشوفات، فإنه ربما كذب كثيرا من العلماء والأولياء وأنكر كثيرا من العلوم والمعارف.

---

1 - Ibid.

2 - Ibid, F°. 6.

3 - Ibid.

## ب - الفاهم محمد الهاشمي بن أحمد بن سعيد الفوتي: هذا

الفقيه التجاني، هو ابن أخ الحاج عمر الفوتي، الذي وصفه أكثر من مصدر تجاني بأنه علامة دراكة فهامة، لأن أباه بدوره على مستوى عال من العلم والورع. أما الطريقة التجانية فتذكر نفس المصادر أنه أخذها عن ابن عمه أحمد المدني الكبير بن الحاج عمر، بالإضافة إلى توفره على سند عن والده عن سيدي محمد الحافظ العلوي الشنقيطي، و مما يبرهن على مكانة محمد الهاشمي العلمية احتلاله لمنصب مفتي المملكة التجانية إلى أن غزاها الفرنسيون. وهو الغزو الذي جعله يقدم على الهجرة إلى مكة ثم المدينة المنورة التي توفي بها سنة 1346هـ [1928م]، بعد أن خدم الطريقة بإخلاص ونشرها في الحجاز<sup>1</sup>. ومما لا شك فيه أنه ترك عدة مؤلفات دينية، من بينها كتابان له، أجاب فيهما على بعض الأسئلة الفقهية بشكل عام وفقه الطريقة التجانية بشكل خاص سنعمل فيما يلي على التعريف بهما.

## 1 - رسالة سلاح التجانيين في الرد على المغتربين

### و المعترضين<sup>2</sup>.

لا زالت هذه الرسالة مخطوطة حسب ما نعلم، وقد توصلنا بنسخة

---

1 - Dumont (F), op. cité, p. 136.

2 - الفاهم محمد الهاشمي، رسالة سلاح التجانيين في الرد على المغتربين، مخطوط خاص

بخزانة الباحث.

منها من نيجيريا خلال سنة 1997. و تجدر الإشارة إلى أن الذي جمع مضمون المخطوط و عرف به، هو الفقيه محمد الأمين بن الإمام عمر مالك الفوتي التجاني، ربما خوفا من ضياعه، لأن صاحبه على ما يبدو، قضى قبل أن يقوم بما من شأنه أن يجعل عمله هذا متداولاً و شائعاً بين الناس. و قد أخبر جامع و رقات هذا العمل بقوله، بعد البسملة و الصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم « ... و بعد فننبئ الإخوان المحبين عن أمر هذه الزبدة المنتخبة لما فيها من الرغائب للمحتاجين، على معرفة طريق التجانيين تأليف شيخنا و سندنا الفاهم محمد الهاشمي<sup>1</sup>....».

أما مضمون هذا التأليف فيشتمل على خمس عشرة مسألة عرضها بعض الإخوان من أدباء هذا الزمان بالمدينة المنورة<sup>2</sup>. و هذه المسائل هي التي أجاب عنها المؤلف «لينتفع بها الطالبون و المحبون من المسلمين ويهدي بها المرتابون و المحجوبون<sup>3</sup>». فأطلق على عمله اسم: «سلاح التجانيين في الرد على المغترين و المعترضين»، و يلاحظ أن محمد الهاشمي قدم الأجابات المطلوبة بشكل موثق يوحى باطلاعه الجيد على مضمون الكتاب و السنة، و ما تحويه المؤلفات الفقهية و التفسيرية لمن

---

1 - نفس المصدر السابق، ص 1.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص 2.

سبقه من العلماء، بغية دحض كل التهم التي ترى في التعاليم التجانية نوعاً من المروق والخروج عن السنة. و نقدم فيما يلي نماذج من الأسئلة التي طرحت على المؤلف لنتمكن من معرفة أهم القضايا التي كانت تشغل بال الناس، في أمور الطريقة.

السؤال الأول<sup>1</sup>: كيف يقال أن من خرج من الطريقة التجانية هلك و انسلخ، مع أن التزامها ليس بفرض و لا سنة مؤكدة في ظاهر الشرع؟

السؤال الثاني<sup>2</sup>: إذا قيل بمنع التجاني من الاستمداد من المشايخ و الصالحين، فلم لم يمنع منه الأنبياء و الصحابة المتبعين؟

السؤال السادس<sup>3</sup>: إن كان المرید في مطالعة أو مذاكرة في العلم أو عبادة أو عادة لخدمة عياله، هل له الوظيفة في البيت أم لا؟

السؤال الثالث عشر<sup>4</sup>: طلب الإيقاف على ترجمة أحوال الشيخ الأكبر سيدي أحمد التجاني المطهر في الكتب المفيدة؟

السؤال الرابع عشر<sup>5</sup>: ما هو أحسن كتاب يتضمن شروط الطريقة و آدابها، و ما بنيت عليه من الكتاب و السنة المحمدية. هل يوجد أم لا؟

---

1 - نفس المصدر السابق، ص 7.

2 - نفسه، ص 26.

3 - نفسه، ص 48.

4 - نفسه، ص 70.

5 - نفسه.



السؤال الخامس عشر<sup>1</sup>: هل الصلاة في الوقت مع واحد أو اثنين أفضل من الصلاة مع جمع غفير في وسط الوقت أو آخره و طلب تخريج أقوال العلماء في ذلك.

و بإلقاء نظرة فاحصة على مجموع هذه الأسئلة، نجد محمد الهاشمي تعرض في الحجاز لامتحان عسير من قبل سائليه بهاته الديار، من تجانيين و غير تجانيين، لرغبة الكل في التأكيد من أن بعض تعاليم الطريقة التجانية لا تتعارض مع روح مضامين الكتاب و السنة. و قد دافع المؤلف من خلال أجوبته عن سنية الطريقة و موافقة أدبياتها لنصوص الشريعة، معززا كلامه بكل الأدلة المطلوبة، محيلا في ذلك، بشكل ملفت للنظر على آراء فقهاء مغاربة في الموضوع مثل سيدي احمد التجاني في فتاويه، و محمد النظيفي في الياقوتة الفريدة و أحمد سكيرج في كشف الحجاب، و خصوصا الشناقطة منهم، كمحمد التيشيتي مؤلف الجيش الكبير بأخذ الثأر ممن سل على التجاني سيف الإنكار، و أقوال محمد الحافظ العلوي، و احمد بن بابا الشنقيطي في منية المريد، و قد سار على نفس المنوال في كتابه الثاني «الأجوبة الهاشمية».

---

1 - نفس المصدر السابق، ص 71.

## 2 - الأجوبة الهاشمية عن الأسئلة المدنية<sup>1</sup>.

يدل هذا الكتاب المنشور بالقاهرة، أن صاحبه ألفه بالمدينة المنورة ليجيب فيه سائله المسمى القاضي أحمد بن عبد الرحمان، و يفهم من ردود المؤلف أن الأسئلة كانت تدور حول الاستفسار عن قضايا تتعلق بالطريقة التجانية. و نقدم فيما يلي نماذج من هاته الإجابات التي يذكر صاحبها في البداية بفحوى السؤال المطروح و لو بشكل مختصر. يقول المؤلف:

أمل السؤال عن الذكر الذي فيه التخليط و معاندة الأمر بالصواب، فجوابه أنه يمنع لما فيه من إساءة الآداب<sup>2</sup>.

و أما السؤال عما يجد في انفراده أداء حق الحروف من مد، و وقف و حضور القلب، و لا يجد ذلك في الجماعة لتخالف الأصوات، و لتنافر قلوب الجمع، فجوابه أن يمنع لما فيه من إساءة الآداب، لأن الاجتماع للوظيفة من شروط هذه الطريقة النظيفة<sup>3</sup>.

- و أما قولكم هل من شروط الذكر أن يبدأه المقدم أو يجوز من غيره إذا كان يتقن الذكر، فجوابه أن من الآداب الأكيدة أن يكون الابتداء من

---

1 - الفاهم محمد الهاشمي، الأجوبة الهاشمية، عن الأسئلة المدنية، دار 'طباعة التجانية، القاهرة، (د.ت.).

2 - نفسه، ص 3.

3 - نفسه.

المقدم أو ممن أمره به إن كان من الحاضرين<sup>1</sup>.

- و أما قولكم و إذا كان في الحلقة أزيد من مقدم و طلب كل واحد منهما البداية، فهل يقدم الأعم أم الأورع؟ فجوابه أن المأمور به، يقدم السابق و يكون في تبعيته اللاحق<sup>2</sup>.

- أما السؤال عن المقدم، هل له أن يعارض أو يخالف ما عمله من ثبتت خلافته في الطريقة و صار مجددا فيها موصوفا بتلك المناقب الأنيفة؟ فجوابه أن ليس له ذلك، لا حقيقة و لا شرعا إلا فيما خالف قاطعا من نص أو حديث<sup>3</sup>.

- أما السؤال عن الذي يمنع التجاني عن زيارته؟ فجوابه أن الممنوع عندنا هو القصد الولي للإقناع به و الاستمداد منه لا غير<sup>4</sup>.

- أما السؤال عن المقدم الذي يرتكب الكبائر و غيرها بتوبة أو بغيرها، هل يخرج به ذلك عن حكم المقدمة، و لا ينخرط من لقنه في الطريقة السنية؟ فجوابه أن ذلك ينجر إذا كان حين نصبه مستكملا لصفات التقديم، ثم طرأ له مقتضى التأثيم، ثم تاب بعد ذلك توبة نصوحا و دخل

---

1 - نفسه، ص 4.

2 - نفسه، ص 5 - 6.

3 - نفسه، ص 14.

4 - نفسه، ص 17.

في مقتضى قوله تعالى<sup>1</sup>: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>2</sup>.  
كما أجاب المؤلف على أسئلة فقهية عامة لها اتصال بالممارسات الدنيوية  
اليومية للإنسان، من ذلك مثلاً:

- أما السؤال عن اسمه عبد الله أو عبد الرحمان يكتب على بضاعة  
تطرح على الأرض و ترمى في أي محل، هل ذلك جائز أو حرام أو ردة؟  
فجوابه أنه يكره بسط و استعمال ما كتب عليه «الملك لله»، لا تعليقه للزينة  
و تكره كتابة أسماء الله على الدراهم و ما يفرش لاحترامه و خشية وطئه  
ونحوه<sup>3</sup>.

- أما السؤال عن حكم المعلم، إذا لم يسو بين الصبيان في التعليم،  
بل فضل فيه من كان أبوه غنيا ينفعه بالفلوس، و غيرها من أمور التنعيم  
و التكريم؟ فجوابه لا يجوز للمعلم تفضيل بعضهم على بعض، لقوله صلى  
الله عليه و سلم: «**شرار معلمي صبيانكم أقلهم رحمة لليتيم و أغلظهم  
للمسكين**». هذا بشكل عام، لكن إذا زاد اعتناء المعلم بمن كانت أجرته أكثر  
أو بمن كان أزكى و أفهم و أبصر، أو بمن لا يفهم إلا بالزيادة لما فيه من  
البلادة، فالمنع حينئذ لا يظهر عند من يتأمل و يتدبر، لقوله تعالى:

---

1 - نفسه، ص 34.

2 - سورة البقرة، 222.

3 - نفسه، ص 60.

﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان<sup>1</sup>﴾ ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له<sup>2</sup>...».

### ج - عبد الكريم بن أحمد الفوتي<sup>3</sup>.

جمع المؤلف في وريقات مخطوطته هذه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ودرر بعض العارفين، لتكون رهن إشارة مسلمي فوتا بالسنگال، وباقي مسلمي السودان الغربي، بغية تعميق إيمانهم، وترسيخ عقيدتهم الإسلامية و تقريبهم من أجواء السيرة النبوية العطرة، وهذه بعض منها:

#### - أحاديث في الشتاء<sup>4</sup>.

قال صلى الله عليه وسلم: «الشتاء ربيع المومن طال ليله فقامه و قصر نهاره فصامه» و قال صلى الله عليه وسلم عن الشتاء أيضا: «لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم إلا عند انسلاخ الشتاء».

#### - حول رحمة الله و سعتها<sup>5</sup>.

---

1 - سورة الرحمن، الآية 60.

2 - الفاهم محمد الهاشمي، الأجوبة الهاشمية عن الاسئلة المدنية، م.س، ص 64.

3 - BNP, MO, FA, Man, 5603, FF° 106 à 11.

4 - Ibid, F°. 106.

5 - Ibid.

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿و رحمتي وسعت كل شيء﴾<sup>1</sup>. وقد عقب صاحبنا على هذه الآية مؤكداً أن الله كتب كتاباً، وهو عنده فوق العرش يتضمن ما يفيد أن رحمته سبقت غضبه، وعليه، يفيد نفس المصدر أنه يجب على المرء أن يكون متفائلاً، مغلباً الرجاء على اليأس، محسناً الظن بالله، الذي قال في حديث قدسي: «أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي إلا خيراً»، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله». لكن هذا لا يعني الإتكال على الرجاء دون العمل. ولتوضيح هذا الأمر أكثر أورد أن الرجاء والخوف بالقلب لا بد منهما وبشكل متساو، كما هو الراجح عند أئمة المسلمين، الذين أوصى بعضهم في هذا الصدد بوجوب تغليب الرجاء لكي لا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله في حين حث بعضهم الآخر على ضرورة تغليب الخوف لئلا يطفئ عليه داء الأمن من مكر الله.

– في التحذير من العجب والرياء<sup>2</sup>.

حاول معالجة هذا المرض والتحدث عنه، فاستعمل من أجل ذلك كلمتي الأقوياء والضعفاء وقصد بالأولى أولئك الذين يعتقدون أن أعمالهم

---

1 - سورة الأعراف، 156.

2 - Ibid, F°. 170.

اتجاه خالقهم بلغت درجة من الكمال و الإتقان، تجعلهم في مأمن من كل حساب أو عقاب بعد الموت، و تراهم راضين على أنفسهم في الدنيا، ترتاح أنفسهم لمن ينظر إليهم بصفاتهم منزهين عن العبث، و يتحرجون من كل من نقص من قيمتهم.

و يقصد بالثانية الذين لا يعولون على أعمالهم و لا يغترون بأحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه، و إخلاصهم لله تعالى في عبادتهم، فهم أقوى نية في العبادة و أبعد عن الرياء «فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الأقوياء». ثم عزز المؤلف رأيه بحديث قدسي ورد فيه: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي لأن مطلوبهم رضي...». و بالحديث النبوي الذي ينص على أن الله لا ينظر إلى الصور و إنما ينظر إلى الأعمال و القلوب، أي لا إلى الأعمال وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من إخلاص و افتقار. ثم يواصل الفقيه عبد الكريم تحليله لنفس الموضوع، موظفا هذه المرة كلمتي المكثرفي الطاعات و المقل فيهما، عوض القوي و الضعيف، فيخاطب المقل بما يفيد أن تأخره عن كثير الطاعات ربما أوجب له سبق المكثر فيها، إذ قد يصحبه من الذل و الافتقار و الإخلاص ما يخلف تأخره بخلاف المكثر الذي قد يصحبه من العجب و الافتقار ما يوجب تأخره، و استدل المؤلف في رأيه هذا على حكمة من حكم العارف المحقق التاج بن عطاء الله الإسكندري التي تقول: «معصية أورثتك ذلا

و انكسارا خير من طاعة أورثتك عزا و استكبارا<sup>1</sup>.

– التحذير من الحسد<sup>2</sup>:

الحسد كفر لنعمة المنعم، و الحسد يأكل كما تأكل النار الحطب.

– ضرورة التمسك بحب الرسول صلى الله عليه و سلم<sup>3</sup>.

و حتى يكون العبد موفقا في علاقته مع ربه و مع عباده، لا يملأ قلبه الحسد، و لا يخاف من داء العجب و الرياء، حث المؤلف مخاطبيه في هذا العمل، على القيام بكل ما يرضي الرسول لأن «أفضل الأعمال و أسرعها إجابا و أعظمها وسيلة، هو مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فإنها سبب لكل خير دنيوي و أخروي...»، تطبيقا لقوله تعالى، يضيف نفس المصدر ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ<sup>4</sup>﴾، و تحقيقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله و أهله و ولده و الناس أجمعين».

---

1 - Ibid.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

4 - سورة آل عمران، 31.



### III - إنتاج فكري و مدحي.

نقدم ضمن هذا المحور مجموعة من الكتابات المدحية، عبر أصحابها من خلالها، عن حبهم و وفائهم و إخلاصهم للطريقة التجانية بشكل عام، وللحاج عمر الفوتي بشكل خاص، بصفته مؤسس الزاوية التجانية بالسودان الغربي، و ناشر تعاليمها على أوسع نطاق. كما تعرض بعض هذا الإنتاج لمدح بعض أبناء الحاج عمر و المقربين منه. و لذلك سنقسم الكلام في هذا الموضوع إلى جزئين، نتحدث في الأول عن مادحي الحاج عمر، و نخصص الثاني للذين مدحوا غيره.

#### 1 - في مدح الحاج عمر.

##### أ - أحمد المدني (ابن الحاج عمر): عقد الجمان من كرامات

الشيخ عمر<sup>1</sup>: يوجد هذا العمل على شكل قصيدة تشتمل على حوالي 480 بيتا، خلد فيها المؤلف جل مراحل حياة والده الدينية و السياسية و العسكرية و هذا ما يفسر طول القصيدة. و نظرا للمكانة الرفيعة التي احتلها والد المؤلف في المجتمع السوداني على المستويين العلمي و السياسي، فإن كثيرا من مقاطع هذه القصيدة اهتمت بإبراز صفاته

---

1 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5559. FF°. 41 à 50.

الحميدة و مزاياه، و بعضا من الكرامات التي أظهرها الله عليه. و هو ما دفعنا إلى القول بأن أحمد المدني سعى بذلك إلى مدح أبيه. و نقدم فيما يلي بعض الأبيات التي تعبر عن ذلك.

بعد البسملة و الصلاة على النبي، يقول مطلع القصيدة:

قال فقير رحمة الرحمان أسير ذنبه الضعيف الجان  
ذاك سمي أحمد العدنان صاحب ورد شيخنا التجان<sup>1</sup>  
إلى أن يقول موضحا الهدف من هذه القصيدة:

و بعد فالقصد بذا بلا امترا نظم كرامة الولي عمرا  
أرجو به الفتح و نيل مطلبني و الاجتماع في حياتي بالنبي<sup>2</sup>  
و عن إنفاق والد المؤلف في سبيل الله ورد:

من ذاك ما ذكره لأحمدا من أنه للحج حين قصدا  
خرج في شهر ربيع الأول من بيته لبيت ربه العل  
ضحوة الأربعاء الأخير شمرا لحج بيت الله عام شمرا<sup>3</sup>  
فرق كل ما لنفسه ادخر من العبيد و هو خمسة عشر<sup>4</sup>

---

1 - Ibid, F°. 41.

2 - Ibid.

3 - هو عام 1241 هـ بحساب الجمل باعتبار أن: (ش = 1000، م = 40، ر = 1.200 = 1).

و سنة 1241 هـ توافق سنة 1826 م، و هي السنة التي كان خلالها في طريقه إلى الديار المقدسة.

4 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5559. F°. 41.

و عن تضلعه في العلوم الإسلامية و ذبوع صيته بمصر، و أجوبته  
المفحمة على أسئلة فقهاءها و الرعاية الفائقة التي لقيها هناك من أجل ذلك،  
تقول بعض أبيات القصيدة:

|                                    |                                  |
|------------------------------------|----------------------------------|
| فسأله الوكيل <sup>1</sup> عما طابا | فأخبر الشيخ به فذهبا             |
| عنه فلما أصبح الوكيل               | أرسل للشيخ أتى الرسول            |
| ببغلة مسرجة فركبا                  | بغلته الشيخ إذا و ذهبا           |
| مع الرسول فإذا هو قد أعد           | لشيخنا مالم يعد لأحد             |
| من فرش رائقة و من شراب             | و من طعام طيب و مستطاب           |
| فأمر الوكيل بالإتيان               | بفقهاء مصر بلا توان              |
| و أمر الوكيل كل الناس              | من كل من في العلم ذو اقتباس      |
| أن يسألوا الشيخ عن العلوم          | فسألوا عن غير ما مفهوم           |
| فمنهم السائل عن قرآن               | و سائل المنطق و البيان           |
| و الفقه و النحو و ما يستشكل        | و هو يجيب الكل عن ما يسأل        |
| فحان وقت الظهر ثم قال              | محمد كفاكم السؤال <sup>2</sup> . |

أما من تعلق بشيوخ التجانية الكبار في حالة الأزمات و الشدة، فإن

---

1 - المقصود به الرجل المصري الذي التقى بالحاج عمر و عرف مبلغ علمه، مما جعله  
يستضيفه و يكرمه و يستدعي فقهاء مصر للتناظر معه. و عندما حضر أمطروه بالأسئلة في مختلف  
العلوم الإسلامية، فأجاب الحاج عمر عنها بكل اقتدار، حسبما يستفاد من أبيات هذه القصيدة.  
2- B.N.P, M.O, F.A, man. 5559, F°. 42.

إغاثتهم للمتشفع بهم تكون مؤكدة، كما يفهم ذلك من هذه الأبيات:

و من مقالهِ ركبنا البحرا: و نحن بين جدة و مصرا  
فهاجت الريح على السفين فأيقنوا بحتفهم في الحين  
فأخذ النعاس أم فاطمة<sup>1</sup> فلقيت شيخيه و هي نائمة  
محمد الغالي و التجان عليهما الرضا من الرحمن  
قالا لها عمر فلتبشري بأننا نحفظه في السفر  
فانقطع الريح عن السفين فسكنت سفينهم في الحين<sup>2</sup>  
مثل هذه الأمثلة من جوانب قوة شخصية الحاج عمر العلمية  
و الروحية كثيرة جدا في هذه القصيدة، و نكتفي بعرض هذا القدر الذي  
تحصل به الفائدة.

### ب - محمد المكي (ابن الحاج عمر): قصيدة مدحية<sup>3</sup>

هذه القصيدة لأحد أبناء الحاج عمر أيضا، يمدح من خلالها أباه و مما  
ورد فيها:

يقول عبد اسمه محمد المكي بن شيخنا الممجد<sup>4</sup>  
إلى أن يقول:

---

1 - هي زوجة الحاج عمر.

2 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5559, F°. 43.

3 - B.N.P, M.O, Man. 5684, F°. 151.

4 - Ibid.

و بعد فالقصد بهذا المقصد مدحا لشيخنا الكريم المهتد  
اعلم بأن شيخنا الكريم أشرفه الله على الأنام  
قد أخذ السيف بأمر ربه طاعته تلزم كل أمته  
إن تاب كل كافر بأمره نال كما نال المطيع ربه  
لأنه قد فتح البلاده بعون ربنا الكريم المفردة<sup>1</sup>  
ثم يواصل كلامه ممجدا:

لأن شيخنا الكريم عمر  
عمدة دين الله وله الفخار  
مؤيد الله والرسول  
لأنه ذو الفضل والمجد علي<sup>2</sup>  
أحييت سنة النبي المصطفى  
صلى عليه ربنا وشرفا  
بعد خمودها بهذا القرن  
بعون رب ربنا المنان  
رفعها الشيخ الكريم المرتضى  
لقب بالفاروق وبأمن يرتضى

---

1 - Ibid.

2 - Ibid.

خليفة النبي شيخنا عمر

بالأمر بالمعروف والنهي على القول اشتهر<sup>1</sup>

و ختم قائلا:

يارب طول عمر شيخنا بجاه أحمد النبي المشتهر<sup>2</sup>

ج - مجهول: قصيدة مدحية<sup>3</sup>

وقد قدم المؤلف الذي لم يذكر اسمه، لهذه القصيدة بقوله:

«... و بعد فلما تطاول بي حب هذا القطب الولي و أضربني  
الشوق ساقني هذا إلى طلب الدخول في مدحه، مع قلة العلم  
و الفهم لأنني لم أحط بواحد من الفنون، لا بعلم اللغة و لا  
بالعربية و لا بغيرهما...».

يقول مطلع هذه القصيدة:

يا صاح إن تلك بالمحبة مرتدي فاحضر لتستمع المدائح و اهتد<sup>4</sup>

عجبا لشمس الغرب حين مسيرها للشرق بالأنوار فوق الفدغد<sup>5</sup>

و سما على كل المعالي فضلها و رقت مراقي العز بعد السؤدد<sup>6</sup>

---

1 - Ibid.

2 - Ibid.

3 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5558 F° 182 - 183.

4 - Ibid, F° 182.

5 - الفدغد: المكان المرتفع المقفر.

6 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5558, F° 182.

و مما لا يترك أي شك، أن المادح يتحدث في مدحه هذا عن الحاج  
عمر، ذكره بالإسم صراحة ضمن الأبيات الآتية:

و زهت بلاد الغرب حين بروزها      زهوا أفاق جميع ميت مبعده  
باهت و تاهت ثم زال كروبوها      بالطلعة الغراء بعد المجهده  
أعني به الشيخ الخليفة في الوري      عمر الولي بن سعيد المسعده  
قطب الزمان و غوثه و ملاذه      وجداه<sup>1</sup> عم بكل خلق الأوحده<sup>2</sup>  
ثم يواصل التغني بمنجزات هذا الشيخ بخصوص إحياء السنة و إماتة  
البدعة، و نشر التعليم و القضاء على الوثنية بالسودان الغربي:

وجد الديانة طمست آثارها      و استوعدت دار البليد القعده<sup>3</sup>  
و البدعة الشوهاء طام أمرها      و علت على كل البلاد بقهمده  
و الجهل منتشر بأجنحة الهوى      وسطى بأعوان له و الميده<sup>4</sup>  
إلى أن قال:

لما أتى أحيى و أظهر مكرما      دين الإله بكل مزن مرعد  
و أزاح كل الشرك ثمة بدعة      بالسيف الله لا بمهند  
نشر الشريعة ثم نور أهلها      بالعلم ثم حقيقة للقصد<sup>5</sup>

---

1 - الجدا: المطر العام.

2 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5558, F° 182.

3 - القعد: الجبان الخامل.

4 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5558, F° 182.

5 - Ibid, F° 183.

د - محمد بن عثمان بن أحمد: قصيدة مدحية<sup>1</sup>.

ذكر ناظم هذه القصيدة أن الهدف منها هو استعطاف «إمامه عمر  
ابن سعيد ليقود زمامه إلى منهج سديد و يبلغ مرامه من رب  
رشيد»، واستهلها قائلا.

أفمن وميض البارق المتهلل عيناك قد همتا بدمع مرسل  
أم ذكر غانية رمتك بسهمها فأصابك السهم المصيب بمقتل  
كلا فلا البرق الوميض أعلنني بشعاعه المتواصل المترسل  
وتذكر البيض النواضر لم يكن بمؤرقني في ليله بتدلل  
ويواصل وصف الحب الكبير للحاج عمر بنفس الشوق والحرارة،  
مبثًا إياه أعلى المراتب.

لكنما طير التشوق طار بي  
طربا إلى الشيخ الإمام الأفضل  
وتشبثت أيدي الحجى بذيله  
وترقبته لفيضة المتجالل  
شيخ له جمع المهيم من ربه  
أمرين ما استعلن بجمعهما ولي  
بعد الخليفة رابع الخلفاء  
باب مدينة العرفان سيدنا علي

---

1 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5519, FF° 96 - 97.



وهما الخلافة في الظواهر

والخلافة في البواطن باندفاع المعضل

هـ - الشيخ أحمد بن محمد كرل و طلبته: قصيدة

مدحية<sup>1</sup>.

تحدث هذه الوثيقة في مقدمتها عن جماعة من الطلبة الماسينين  
وشيوخهم الفقيه أحمد بن محمد كرل، الذي كان يلزم الشيخ عمر و لا  
يفارقه لا في الليل و لا في النهار، فانتهى الأمر بهذا الفقيه بأخذ ورد  
التجانية و لقنه بدوره لطلبته، و يضيف نفس المصدر، أن أحد طلبته الفقيه  
أحمد كرل، نظم قصيدة بالعجمية (اللغة المحلية) لمدح الحاج عمر و للتعبير  
عن تعلقه به، و طلب بركته خصوصا بعد رحيله عنهم.

و بما أن الطريقة القادرية هي صاحبة النفوذ في ماسينا، فإن هذه  
القصيدة كانت سببا في خلق الضغينة بين هؤلاء الطلبة و شيوخهم من جهة،  
و بين سلطات ماسينا التي كان رجالها قادرين بما فيهم ملك البلاد  
أحمدو، تابعين للمختارية الكنتية و شيخها آنذاك هو أحمد البكاي المقيم  
بتمبكتو. و تطور الأمر في هذه المسألة إلى حد منع هؤلاء الطلبة وشيوخهم  
من التعبد بأوراد التجانية بأمر من ملك البلاد. كما صدر رد فعل من  
تلامذة البكاي في شكل قصائد<sup>2</sup> كلها هجاء و تكفير للتجانيين. و بعد أن

---

1 - Ibid, FF°. 96 - 97.

2 - Ibid.

مرت هذه الظروف العصيبة تفيد هذه المقدمة، أمر الفقيه الشيخ أحمد كرل  
أحد تلاميذه بنظم قصيدة في مدح الشيخ عمر و أنصاره و إرسالها إليه  
خفية إلى دينغراوي Dinnguiray و هذه بعض أبياتها:

مني سلام يفوق المسك مسحوقا  
لابن السعيد الذي مازال موثوقا  
معلما أننا في الخير و السعة \*  
كما تحب فكن بالشكر زعلوقا  
فما علينا بحمد الله يا عمر  
بأس و لا البؤس و لا الخير ملفوقا  
وقاكم الله من أعدائكم كرمًا  
و جاد بالخير ما دمت هنا شنفًا<sup>1</sup>  
ثم يلي ذلك الإخبار بأحوال التجانية في ماسينا:  
أما الطريقة فاعلم أنها اشتهرت فكل منكرها قد صار فسيقا  
فكل منكرها قد صار مكرمها فمنكر بعد سميناه زنديقا  
فكيف لا و هو قول الله أنكره

صلوا عليه فذا في الورد مرموقا<sup>2</sup>  
و أخيرا يطلب الناظم من مجتمع دنكراوي Dinguiray أن يتشبت

---

1 - Ibid, F°. 97.

2 - Ibid.

بالتجانية و شيخها، و يلتمس من الحاج عمر و أصحابه دعاء الخير:  
أوصيكم باجتماع في طريقكم فلا يخذلكم الأعداء تفريقا  
هذا و بغيتنا أيضا دعاؤكم من بعد أوراكم فتحا و توفيقا  
أنتم القوم لا يشقى جليسكم بكم و لا تنقصون المال طرموقا<sup>1</sup>

**و - عبید الله محمد بن محمود بن حملت: قصيدة مدحية**

**عجمية<sup>2</sup>**

قال المؤلف في مقدمة هذه القصيدة بعد البسملة و الصلاة على  
الرسول صلى الله عليه و سلم: «لما رأيت رأيت ما أعطى رب العزة  
لشيخنا عمر بن سعيد و ما نصره على أعدائه، ... بحرمة  
واجتهاده على إعلاء كلمة ربه و إقامة سنة نبيه، فقلت أنني  
هذا الشيخ المكرم...»، لذلك قرر صاحبنا أن يكون ثناؤه على الحاج  
عمر بنظم شعر أعجمي، يعدد فيه بعض خصاله و سجاياه، و ما رافق ذلك  
من أعمال من قبله مثل تجديد الإسلام و مكافحة الكفر و الوثنية بالسودان  
الغربي، و رغم أن صاحبنا أنجز عمله باللغة المحلية ليضمن له الانتشار  
على أوسع نطاق، فإنه مع ذلك أبى إلا أن يضع ترجمة بالعربية لكل بيت  
عجمي، و نسوق فيما يلي بعض النماذج من هذه القصيدة، مع ترجمة كل  
بيت إلى معناه بالعربية.

---

1 - Ibid.

2 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5732, F° 24 - 28.

جتوط تمط قودن تكنوطعن بذنبه أناق أجم من نمال<sup>1</sup>  
**معناه:** و من المحارم ادامة النظر إليه (الشيخ) و منها سؤاله سؤالاً  
يشغله جوابه.

أي بلسدب مفرد موطم يفتنح ننقا محالن حور ساطايل<sup>2</sup>  
**معناه:** يا مغفل الذي ضعف قلبه فاسمع مني حتى أكلّمك فإن لم  
تكن سفيها فاعمل ما قلته في نظمي

ولم حاج فف تيطان روم انمستح هو حاج الشيخ محم لسطال  
**معناه:** اجعل كل حاجة لك وراء ظهرك فاتبعه لا تندم، افعل حاجة  
الشيخ الذي همته عالية على كل همم<sup>3</sup>.

موننم حل قماري حوق قدوننتج مقتا الصوت ايعس ع مجال  
**معناه:** عظمه (الشيخ) في قلبك، و خف على هذا البحر العميق الذي  
لا يدرك إلا بالسبح، و ارتفاع الصوت عنده مكروه<sup>4</sup>.

عونيم هاتف جب درن دين حا دقراو نن طم يمم ويم جمال  
**معناه:** دعاه هاتف على أن ينزل بدنقراوي، فأخلص الدين فيه لله  
و جهز الجيوش فيه و أبى ذلك يمم<sup>5</sup> لم ينفع إبايته<sup>6</sup>.

---

1 - Ibid, F°. 24.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

4 - Ibid.

5 - يمم Yimba هو حاكم دينكراي Dinguiray الذي أعلن الحرب على الحاج عمر، =

جد فك كل جوم ربك قنقل رندم بطمولم جدنظ عال قلال  
معناه: و أعوذ به في قوله تعالى<sup>1</sup>: ﴿و تضع كل ذات حمل  
حملها﴾<sup>2</sup>.

### ز - الأمير محمد بلو: قصيدة مدحية<sup>3</sup>

صاحب هذه القصيدة هو سلطان سكوتو Sokoto و ابن الشيخ  
عثمان بن فودي، الذي يرجع إليه الفضل في قيام إمارة إسلامية ونظام  
إسلامي في شمال نيجيريا خلال العقد الأول من القرن 19. و هكذا عندما  
قام الحاج عمر برحلة إلى الديار المقدسة أقام بهذه الإمارة لمدة طويلة أثناء  
الذهاب و الإياب، و أحيط بعناية كبيرة من قبل سلطانها آنذاك محمد بلو،  
صاحب هذه القصيدة. إذ رغم أن هذا الأمير كان قادري الطريقة، فإن  
شخصية الحاج عمر أخذت بلبه، وجده فيه من سعة فكر، وورع و صلاح،  
و حسن تدبير، كما يفهم ذلك من بعض النصوص الواردة في رماح الحاج  
عمر، و التي تذهب في نفس الوقت إلى حد القول بدخول الأمير محمد بلو  
في الطريقة التجانية و أخذ وردها عن شيخه الحاج عمر.

---

= = وكان سببا في انطلاق عمليات الجهاد.

4 - B.N.P, M.O, F.A, Man. 5732, F° 24.

1 - Ibid, F° 28.

2 - سورة الحج، 2.

3 - مخطوط خزانة علال الفاسي، الرباط، رقم 147 ع، ورقة 99 (حسب ترقيمتنا الخاص).

وبغض النظر عن صحة هذا الخبر أو عدمه، باعتبار الصلوات الروحية والودية التي كانت تربطه بالكننتين القادريي الطريقة، فإن الذي لا شك فيه هو تقدير سلطان سكوتو الكبير لهذا الشيخ و تبجيله له و تعلقه به، كما يتضح ذلك من مضمون القصيدة موضوع كلامنا.

و في ما يلي بعض أبيات هذه القصيدة التي يقول مطلعها:

|                              |                                         |
|------------------------------|-----------------------------------------|
| لله حمدي دائماً و ثناءه      | أسدى إلينا واسع الآلاء                  |
| من أعظم الآلاء بعث محمد      | للخلق رحمى سيد الأنبياء                 |
| صلى عليه الله ما وسع الورى   | رحماه في الساعات و الآناء               |
| و الآل و الأصحاب أرباب النهى | و التابعين لهم على البيضاء <sup>1</sup> |

إلى أن يقول:

|                           |                                       |
|---------------------------|---------------------------------------|
| سعد الزمان بهم فهم نور له | يسنى على الآفاق و الأرجاء             |
| لا سيما نجم أضاء بأرضنا   | حتى أهدى الساري بخير ضياء             |
| عمر به عمرت قلوب قوالب    | من لحظة من غير ما لقاء                |
| سعدت به بلداننا فتعطرت    | بشذاه في الأخبار و الإنشاء            |
| و النجم يهدي كل سار ضابط  | مهما بدا في أفقه بسماء <sup>2</sup> . |

---

1 - نفسه، ورقة 99.

2 - نفسه.

## 2 - في مدح التجانية و بعض التجانيين المقربين من

الحاج عمر<sup>1</sup>

يتعلق الأمر بمجموعات من الكتابات الشعرية و النثرية التي تشيد بالتجانية و مؤسسها في فاس، و بأولئك الذين أخلصوا العمل إلى جانب الحاج عمر من أجل نشر تعاليم هذه الطريقة في مختلف أقاليم السودان الغربي، كما يمكن اعتبار هذا الإنتاج في حد ذاته مساهمة منهم لتوطيد أركان التجانية بالمنطقة و للبرهنة على هذا القول نقدم في الفقرات التالية نماذج من هذه الكتابات.

### أ - مجهول: قصيدة في مدح سيدي أحمد التجاني و فاس

و الحاج عمر.

يقول مطلع هذه القصيدة التي لم يذكر صاحبها اسمه:

يا صاحبي من الملام دعاني      ابكي الربوع بساحة البنيان  
عوجا على حوماته و خبوته      لقضاء حق الخبت و الحومان<sup>2</sup>  
إلى أن يقول:

و بفاس الثم كل قائم حائط      و أدور بالأبواب و الحيطان  
فكأنني غيلان لاستسقائها      و بكيته طربا بكا غيلان  
فلقطب فاس من العلي رضوانه      و بفاس صب سحائب الرضوان

---

1 - BNP, MO, FA, Man. 5734, FF°. 114 - 115.

2 - Ibid, F°. 114.

ختم الولاية أحمد وبجده      ختم النبوة أحمد العدنان  
مصباح سنته ووارث سره      عين العطاء ومنبع العرفان<sup>1</sup>

وعن مقيم الزاوية التجانية وناشر تعاليمها بالسودان الغربي، تقول  
بعض أبيات نفس القصيدة:

عمر أحب إليه ما يهدى له      بكنانة وبصارم وعنان  
فنراه وهو مصاحب لثلاثة      لمسطر ومهند وسنان  
عمر تفرد في العلوم وحيثما      برق القنا وتزاحف الصحان  
والخيل تعثر والصوارم أنمل      تقلي بهن جماجم الفرسان  
عمر قفا العمرين بعد محمد      فيما ارتضي المختار والعمران<sup>2</sup>

ومما ورد في خاتمة هذه القصيدة:  
يأبها الأشياخ جئت إليكم      وجلا فكونوا معقلي وأمان<sup>3</sup>

#### ب - مجهول : قصائد في مدح عدة شيوخ تجانيين<sup>4</sup>

\* في مدح سيدي أحمد التجاني  
مني سلام كريح المسك ينتشر      بالحب والشوق والإكرام يبتكر  
إلى الكريم الذي طابت عناصره      وازداد طيبا بما يجري به القدر

1 - Ibid. F 115.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

4 - B.N.P, MO, FA, Man. 5519, FF : 51 à 54.



أعني به السيد التجاني من طلع بالسعد طالعه وما به غير  
أعزك الله منه بالعناية والا خلاص والصدق عزا ليس ينحصر  
وقدمتك ملوك الارض كلهم قهرا من الله لا يقوى له البشر<sup>1</sup>

\* في مدح المختار بن وديعة الله المعروف ب «يركي طلف»:

حمدا لمن أهداك يا عين الهدى وأتاح لي بك في الطريق تعلقا  
بوسيلة الشيخ الكريم المرتضى شيخ ابن يركي طلف من قد حققا  
فيه إليك توسلي وتوصلي والابن وابن الابن لن يتفرقا  
وأتاه منك صك مختوم وقد أولى إليه محبة وتشوقا<sup>2</sup>  
\* في مدح الحاج عمر:

أن المسير ولو بالضعف في الحين إلى منار هدى للحق يهدين  
بدر التمام يسعد الناس مطلعته سوى الاباة من إخوان الشياطين  
بل بحر جود كل البحرين مجمعه للمعتفين وللزمنى المساكين  
يعشوا إلى مثله وان بعدت به المسافة مقدار الثمانين  
اعني به عمر المرضي من خضعت له وذلت جماجم الفراعين<sup>3</sup>

---

1-Ibid, Fo. 52.

2-Ibid, Fo. 51.

3-Ibid.

ج - الشيخ محمد بن سيدي عبد الله: فرح وطرب بإجازة  
سيدي احمد التجاني بخط<sup>1</sup> يمينه للشيخ محمد الحافظ  
الشنقيطي:

يقول المؤلف منشدا:

هاج شجوي ولوعتي لحروف      كتبتها أنامل التجان  
ففداء لصاحب الخط نفسي      وبناناله بكل بنان  
وجزى الله آذنا ومجيزا      ومجازا بأكبر الرضوان  
رضي الله عنهم وجزاهم      عدد النجم والحصا والزمان<sup>2</sup>

د - المحجوب بن الإمام عثمان: قصيدة في مدح أحمد  
المدني ابن الحاج عمر<sup>3</sup>.

استهل المؤلف قصيدته بعبارات تفيد أن هذا الأمير في فترة هذا  
الخطاب، كان هو سلطان البلاد بعد وفاة أبيه، ومن هذه العبارات:  
نصر الله أبا العباس أحمد المدني أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين  
الشيخ عمر الوالي على أعدائه وحفظه من جميع بلوائه. وفي نهاية هذه  
المقدمة خاطب الأمير قائلا: «...وها أنا بين يدي مسيري قصيدة

---

1-B.N.P,MO,FA, Man. 5713, Fo. 158 .

2-Ibid.

3-B.N.P,MO,FA, Man. 5693, Fo. 3.

تنبتك بحالي وشوقي إليك وتخبرك بمقالي وثنائي عليك...<sup>1</sup>.

وهذه بعض أبيات هذه القصيدة:

سلام محب صادق الحب والود    يفوح كما فاح النسيم من الندى  
سلام محب مازجته تحية    كما هب ممزوج من المسك بالورد  
سلام مرید أوردته محبة    حبته بأشتات المودة والعرفد<sup>2</sup>.  
إلى أن يقول:

سلام على نجل الخليفة شيخنا  
أمير المعالي نافذ الحل والعقد  
إليك وإلا ما لغيرك مطمع  
لعمرك مني بالسلام ولا القصد  
عليك وإلا فالثناء رزية  
أبثني على من لم يحز موجب الحمد  
وفيك وإلا فالرجاء مخيب  
أرجى شحيح القلب في الوصل والعهد  
هنيئاً لنا إن كنت أحمد ولياً  
علينا ترين الحق باللفظ والرشد

---

1-Ibid.

2-Ibid.

وتمنح أنواع الفضائل حسبية  
ويغمرنا من برد جودك ما تسدي  
تعلم منا من يشاء وتحوطنا  
وتحمي حمانا في الدنو والبعد<sup>1</sup>  
**هـ - مجهول من بلاد التكرور: إشادة وتنويه بأحمد  
المدني وطلب معونة لأداء فريضة الحج<sup>2</sup>.**  
هذه الإشادة نثرية وليست شعرية، لم يذكر صاحبها التكروري  
الأصل على ما يبدو اسمه. ويظهر تنويه المؤلف ومدحه للأمير التجاني  
أحمد المدني من خلال هذه العبارات:  
أما بعد فله الأمر من قبل ومن بعد، فإلى أسخى البوادي والحضر  
الذي بالفضل والعدل يذكر وبالسخاوة والجود يشكر، قد شهد بذلك كل  
أثنى وذكر... نخوة أمير المؤمنين أحمد المدني بن الشيخ عمر، وقاه الله  
شر ما أتى وما غبر، سلام لا يضاهيه سلام، ولا يوازيه كلام أو كأنه  
كسماء ذات أبراج تظل، وسامرة ذات أفجاج تقل، ورحمة كأنوار النرجس  
والأقحوان وأريج المسك والخزامى والزعفران، وبركة دائمة التهليل  
بالزنجبيل والسلسبيل<sup>3</sup>، إلى أن يقول:

1-Ibid.

2-B.N.P,MO,FA, Man. 5693, Fo. 58.

3-Ibid, Fo. 58.

إعلامك علمك الله من لدنه، وزحزح عن فؤادك بكل ما يحجب عنه بعد السؤال عن أحوالك المرضية، هل أنت في خير وعافية، بأنه جئت إليك من أقصى المغارب وأناى المكاتب، مستغيثا بالله وبك ومستعينا به وبك، على أن تعينني على الزاد الذي يبلغني إلى مكة شرفها الله عاجلا غير آجل... لقول بعضهم خير العطية ما يعطى على عجل<sup>1</sup>. وفي المثل التكرورية، يضيف نفس المصدر:

« واوند كطمم كوصند طم كيط، أي أقر ضيفك ما يحب لاما تحب، وما حملني على تعجيلك إلا لخوف الفوت، لأن القافلة لا تتأخر عن مسير يومها والطريق يكون من ترس إلى واد النون ومن واد النون، إلى مراکش...»<sup>2</sup>.

و - جعفر بن المهدي: رسالة إلى أحمد المدني<sup>3</sup>:

تقول مقدمة هذه الرسالة:

إلى أمير المؤمنين أحمد الكبير التجاني بن أمير المؤمنين الشيخ عمر، من العبد الضعيف جعفر بن المهدي الحسن النعماوي.....نريد من الله ورسوله ومنك أن تأمنني في تجاري ومالي حيثما سلموا من هذه الطرق،

---

1 -Ibid.

2-Ibid.

3-B.N.P,MO,FA, Man. 5721, FFo. 81-82.

وأتشفع إليك بالله ورسوله وبنته البتول وابن عمه علي بن أبي طالب،  
وبحق أبيك الشيخ أمير المؤمنين، إلا ما فعلت لي ذلك، وكتبت لي الأمان  
لتجاري ومالي، هذا وأنا يا أمير المؤمنين من آل بيت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم، وذو عيال ضعاف وصبية صغار، لا حرفة لي إلا التجارة.<sup>1</sup>  
... ونرجوا من الله أن تكون إعانتنا بذلك سببا لكثرة الفتوحات على أمير  
المؤمنين ومددا من الله وعونا له على الأعداء المخالفين<sup>2</sup>... إذ لا يرى الحق  
لأهل الحق إلا أهله ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه، والأشياء إنما  
تنجذب لأشكالها... فعسى الله أن يحيي بكم هذه السنة التي ماتت<sup>3</sup> ... وقد  
استصرخناك يا أمير المؤمنين، ونعم الصريح إليك واستغثنا بجناحك، فإنه  
لا يليق أن يخلو زمانك على كثرة عدلك وانتشار فضلك من أثره أثيرة ينالها  
منك أهل البيت، فترفع قدرهم وتعظم أمرهم فإن التعظيم من السلطان  
كالإذن العام.<sup>4</sup>

ز - محمد الدائم بن عبد الغفور: رسالة تنويه وتقدير مع

طلب إعانة<sup>5</sup> من أمير المؤمنين أحمد المدني:

يخاطب المؤلف هذا الأمير في بداية خطابه بقوله:

---

1-Ibid, Fo. 81.

2 -Ibid, Fo. 82.

3-Ibid.

4-Ibid.

5 -B.N.P,MO,FA, Man. 5693, Fo. 8.

فإنه من وضع القدر خبيث الظن... إلى حامل راية الصمدانيين، ولواء دائرة الربانيين، ووسطى عقد أهل التمكين... أحمد الكبير المدني أمير المؤمنين وطاعون المجرمين<sup>1</sup>... موجه إعلامكم أنني أتيتكم من بعيد، من مسافة شهرين ولم يمكن لي الجلوس دونكم شوقاً بكم وثقة بكرمكم وإظهاراً لقدركم الشريف. ثم ليكن في كريم علمكم وواسع حلمكم أنني أريد منكم قضاء جميع حوائجي ولا بد لي من ثلاثة: الأولى: زائركم على أن أكون عبداً محضاً، لرب محض، لأنك خليفة الله في أرضه القائم بسنة نبيه وفرضه. الثانية: علي ديون كثيرة، أريد منكم الإعانة عليها، بما أمكن لكم الثالثة: لم أستطع على طول الجلوس ببلد السودان، لضعف جسمي وكثرة همي<sup>2</sup>. ثم ختم طلبه بهذا الأبيات الشعرية التي يخاطب بها الأمير، بعد أن نسبها لغيره.

|                          |                                      |
|--------------------------|--------------------------------------|
| وإذا تباع كريمة أو تشتري | فسواك بائعها وأنت المشتري            |
| وإذا تخيل من سحابك لامع  | سبقت مخيلته يد المستمطر              |
| وإذا صنعت صنعة اتممتها   | بيدين ليس نداهما بمكدر               |
| وإذا الفوارس عدت أبطالها | عدوك في أبطالهم بالخنصر <sup>3</sup> |

ويقول الآخر:

1-Ibid, Fo. 8.

2-Ibid.

3-Ibid.

يا واحد الغرب الذي أضحى ليس له نظير  
لو كان مثلك أحمد ما كان في الدنيا فقير<sup>1</sup>  
ح - الفا عمر بايلا (بن الشيخ البيضاوي): رسالة تنويه

### بأبناء الحاج عمر<sup>2</sup>

يعتبر هذا المؤلف أحد رجال عمر الكبار علما وجهادا. والرسالة التي  
بين أيدينا دليل آخر على الحب الذي كان يكنه لشيخه الحاج عمر بن الشيخ  
البيضاوي إلى أبناء شيخه خير الشيوخ عمر بن سعيد، أسعدنا الله وإياه  
وبه في الدارين، حبيب وسعيد وغيرهم من الأبناء والبنات والأهل  
والغلمان، ومن تعلق بهم والأحباب ومن حولكم من القرى، سلام وإكرام  
نثرا ونظما. ثم نظم في مدحهم هذه الأبيات<sup>3</sup>.

مني إلى أبناء شيخي عمر حبيبهم ثم سعيد يذكر:

جميع أهله كذا الغلمان ومن بهم كل القرى يدان  
أتم تسليم وأعلى إكرام بر محبة رضى وإعظام<sup>4</sup>  
إذا كانت هذه هي أهم عناصر الإنتاج الفكري الدعوي الوعظي  
والمدحي من خلال هذا الفصل، فما هي باقي عناصر الإنتاج الفكري

---

1-Ibid.

2-B.N.P,MO,FA, Man. 5559, FFo 164 - 165.

3-Ibid, Fo. 165.

4-Ibid, Fo. 105.



التجاني بالسودان الغربي؟ الجواب على هذا السؤال هو الذي خصصنا له  
الفصل الموالي.



## الفصل الثاني

### إنتاج فكري دفاعي تبريري وتأريخي تثقيفي



نتناول في هذا الفصل باقي أغراض الإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر عموماً والنصف الثاني منه على الخصوص، وقد فرض علينا تنوع هذا الإنتاج، تقسيم مضامينه إلى قسمين أساسيين: إنتاج فكري دفاعي تبريري وآخر تاريخي تثقيفي.

## I - إنتاج فكري دفاعي تبريري :

هاجم أحمد البكاي شيخ القادرية بالسودان الغربي، الطريقة التجانية ومؤسسها بفاس وأتباعه، منذ أن بدأ إشعاع هذه الطريقة يصل إلى بلدان حوضي السنغال والنيجر، وقد علمنا في الفصول الخاصة بالمغرب كيف حاول البكاي إقناع أنصار التجانية هناك، من خلال المراسلات التي وجهها إلى تجانيي مراكش عموماً ومحمد أكنسوس خصوصاً، بالتخلي عن انتمائهم لزاوية سيدي أحمد التجاني، لما يتخلل تعاليم طريقته من بدعة ومروق، وهو أمر لم يسكت عنه الفقيه أكنسوس الذي رد على خصمه، بكل ما يتطلب الموقف من حزم. ولما وصلت تعاليم التجانية حتى أعالي نهر السنغال والنيجر، وعم إشعاعها كل أطراف السودان الغربي بفضل العمل الذي قام به الحاج عمر الفوتي وأنصاره، وما استتبع ذلك من تراجع لنفوذ القادرية والقادريين، لم يبق الكنتيون الذين تضرروا من هذا الواقع مكتوفي الأيدي، بل دافعوا بقيادة أحمد البكاي عن أنفسهم، إما بواسطة

الاتصالات المباشرة مع الأفراد والجماعات، أو من خلال المؤلفات والرسائل المشحونة بالعداء لخصومهم في التصوف بسبب ما قدمته من حجج وبراهين تروم إقناع الرأي العام المحلي بعدم سنية الطريقة التجانية، مما يمكن أن يفضي بالكثير من الناس في اعتقاد البكاي إلى التخلي عن انتمائهم لهذه الطريقة. وللتذكير فقط نشير إلى أن كيد الشيخ البكاي للحاج عمر وتخوفه من ازدياد نفوذه بدأ منذ ثلاثينيات القرن 19، عندما كان هذا الأخير ضعيفا على سلطان سوكوتو، حيث أحيط بالكثير من العناية من قبل محمد بلو، وهو أمر أَلَم البكاي وجعله يسعى إلى الإساءة لخصمه بكل الوسائل كما علمنا.

وكان من نتيجة تلك المساعي تأليب حكام الإمارات الإسلامية بماسينا وسوكوتو ضده، مما عرض حياة الحاج عمر للخطر. ونظرا لموقف الشيخ الكنتي (البكاي) المبدئي هذا من شيخ التجانية بالسودان الغربي، قبل قيام الدولة التجانية، فإنه من الطبيعي أن ينمو هذا العداء ويتضاعف بعد قيام الدولة وانتشار تعاليم الطريقة، وتزايد خطر خضوع تمبكتو نفسها معقل الكنتيين، ومقر قيادتهم وهو شيء لا يخدم مصلحة البكاي الذي بادر إلى استعمال القلم أولا ثم السيف فيما بعد. وفي هذا الإطار تأتي رسائله الموجهة إلى إمارة ماسينا، يحذر من خلالها الحكام من خطر التجانية الديني والسياسي، بل يحث بعضهم على الثورة ضد الحاج عمر. وهكذا نجده، على سبيل المثال يخاطب ملك ماسينا أحمد بقوله: «حذر،

حذرک من تجانية أرضک وحذرک حذرک، ألفا وضعفا من تجانية أرضنا، فقد كاتبوا سيدي محمد الكنسوسي في المغرب فكيف الحاج عمر في سنسند وقد أحالهم سيدي محمد الكنسوسي على الحاج عمر وزعم لهم أن شيخهما الذي أخذنا عنه واحد، وياسارية الجبل من ترك الحزم ذل<sup>1</sup>....». وبما أن الحاج عمر فولاني الأصل، فإن نفس المصدر أضاف: «أنظر يمينا وشمالا واحذر، إن الفلاني كالكلاب يغدر<sup>2</sup>». وحتى يستعدي عليه فقهاء المنطقة ومثقفها أشاع شيخ القادرية عن خصمه مسألة خطيرة وهي ادعاء الحاج عمر المهدوية<sup>3</sup>، كما نعتة بالدجال<sup>4</sup>.

ونظرا للخطورة التي تشكلها إذن التجانية وشيخها على القادرية في السودان الغربي، فإن الشيخ البكاي يحث أمير ماسينا على التصدي للحاج عمر بكل الوسائل، ويعدده بالوقوف إلى جانبه في مهمته كما يفهم من كلامه: «ثم إن جعلتني لك أمينا زدتك الخير زيادة تكتسيك سعادة وسيادة<sup>5</sup>....». هذا علاوة على الانتقادات اللاذعة التي وجهها لمؤلفات الحاج عمر وفي مقدمتها سيوف السعيد<sup>6</sup>، وللكتير من الأقوال المنسوبة

---

1 - رسالة الشيخ أحمد البكاي إلى أحمد بن أحمد ملك ماسينا (بدون تاريخ)، خزانة علال الفاسي، طريق زعير الرباط، مخطوط رقم 147 ع، ورقة 15.

2 - نفسه.

3 - B.N.P, MO, FA, Man. 5295, FF°. 71 à 73.

4 - I bid, F°. 73.

5 - رسالة الشيخ أحمد البكاي إلى أحمد بن أحمد ملك ماسينا، م.س، ورقة 15.

6 - B.N.P, MO, FA, Man. 5716, FF°. 32 à 40.

للشيخ التجاني، مثل مشافهة الرسول صلى الله عليه وسلم، يقظة وادعائه الختمية والقطبانية<sup>1</sup> وغير ذلك كما علمنا وكما سيأتي.

وكما أن الفقيه أكنسوس أخلص في الدفاع عن التجانية انطلاقاً من المغرب، فإن الحاج عمر وأنصاره، بدورهم سخروا كل إمكاناتهم الفكرية لصد الأعداء وإفحام الخصوم، من خلال ما تركوه من كتابات، نقترح تقسيم معطياتها المتوفرة لدينا إلى نقطتين كإجراء منهجي، بعضها من تأليف الحاج عمر وبعض كبار طلبته، والبعض الآخر من تأليف تجانيين آخرين.

## 1 - مؤلفات الحاج عمر وبعض طلبته

أ - مؤلفات الحاج عمر: تجدر الإشارة هنا إلى أن جل مؤلفات الحاج عمر، تجسد بشكل عام دعماً فكرياً وعملياً، لإبراز سنية التجانية كما توحى بذلك أورد الطريقة التي تتكون من مجموعة من السور القرآنية، وصيغ من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي يجب على كل مريد أن يلتزم بتلاوتها وذكرها يومياً.

وبما أن الأمر كذلك، فإن نفس المؤلفات تضع مؤسس التجانية الشيخ سيدي أحمد التجاني في أعلى مراتب الولاية والصلاح، وتجيب عن كل

---

1 - I bid.



القضايا الشائكة المرتبطة بالطريقة وشيخها مثل حضور النبي صلى الله عليه وسلم وقت الوظيفة والأذكار، ومسألة دخول كل التجانيين الجنة بفضل شيخهم، وتلقى هذا الأخير أورا د طريقته من الرسول مباشرة، ونعت نفسه بقطب الأقطاب ووصوله درجة الختمية والبرزخية وما إلى ذلك. وبما أن أهم كتب الحاج عمر التي عرفنا بها سابقا مثل سيوف السعيد ورماح حزب الرحيم، تطرقت في بعض مضامينها لهذه القضايا، بالإضافة إلى مواضيع أخرى، فإن المؤلفين اللذين ندرجهما تحت العنوان، يمكن اعتبارهما مكملين ومدعمين بشكل مباشر لتأليف الحاج عمر السابقة بخصوص الدفاع عن الطريقة وتبرير الكثير من ممارساتها. والتأليفان هما: كتاب بيان ما وقع ورسالة من الشيخ عمر إلى محمد الكانمي.

### \* بيان ما وقع<sup>1</sup>

هذا المخطوط الذي حقق ونشر سنة 1983 بباريس يتكون من حوالي 28 ورقة. ويتعرض فيه صاحبه بشكل مفصل للإشكال الفقهي والقانوني، الذي وقع بينه وبين ملك ماسينا الشيخ أحمد بن أحمد، والذي تطور في النهاية إلى نزاع مسلح بين دولتين مسلمتين، آل فيه الانتصار مؤقتا للحاج عمر. وقد جمع هذا الأخير في مؤلفه كل الحجج التي تحمل المسؤولية في نظره لخصمه، في ما آلت إليه الأمور من اقتتال بين

---

1 - Mahibou (Sidi Mohammed) et Triaud (Jean Louis), Voilà ce qui est arrivé..., op. cité.

المسلمين، باعتبار أن أمير ماسينا تحالف مع دولة سيكو Ségou الكافرة وحارب إلى جانبه ملكها، ضد الدولة التجانية المسلمة، مما أدى بالحاج عمر إلى تكفيره وإعلان الجهاد ضده تطبيقاً لحكم الله تعالى. ورغم أن مضمون هذا الكتاب يتناول قضايا سياسية محضة بالدرجة الأولى، فإننا تعمداً الحديث عنه هنا، لتقديرنا أن دوره في الدفاع عن التجانية لا يقل عن باقي المؤلفات الأخرى على الأقل، باعتبار أن الصراع المتحدث عنه بين الطرفين، هو صراع دائر بين زاويتين متنافستين بالسودان الغربي، هما الزاوية القادرية والزاوية التجانية. ونترك الحديث عن تفاصيل هذا الكتاب المفيد، مؤقتاً، إلى فصل قادم حيث سنعمل على توظيف محتواه بشكل أفضل.

### **\* جواب الحاج عمر على أسئلة محمد الكانمي<sup>1</sup>**

يجيب المؤلف في هذه الرسالة على أسئلة وجهها إليه السلطان كانم وقدم لها الحاج عمر بقوله: «... وبعد فقد بلغنا مكتوبك وفهمنا ما فيه، وما وجدنا فيه ما يستحق الجواب كالثائق التي تأتي منك بعد الإنكار لها، لأجل ذلك ما أجبناك عن شيء منها، ولكن أجبتك على ثلاثة أشياء في هذه الوثيقة<sup>2</sup>....».

---

1- B.N.P, MO, FA, Man. 5693,FF°. 1-2.

2- Ibid, F°. 2.

و من خلال أجوبة الشيخ الفوتي، يتضح أن الكانمي كان ينكر على المتصوفة عموما و التجانية خصوصا بعض الأمور، و يرى ربما في ذلك خروجا عن السنة النبوية. و هذا ما جعل الرد على استفسارات السائل يكون صارما و مفحما، استنادا إلى كثير من النصوص المقدسة و أقوال كبار المتصوفة و الفقهاء و الأئمة. و هذه نماذج من أجوبة الحاج عمر على سائله :

- مسألة الإجتماع للذكر : واضح من جواب الحاج عمر أن سائله يستنكر مثل هذا الإجتماع، لذلك رد عليه بقوله، بأنه مخطئ في اعتقاده، لأن الإجتماع للذكر مرغ فيه بالأحاديث الصحيحة و إجماع الأئمة إلا ما نقل عن مالك، يضيف نفس المصدر، من القول بكرهته لخوف حدوث عارض كاجتماع الرجال و النساء و نحو ذلك. و من المصادر التي استند إليها في هذه المسألة، مفتاح الفلاح لابن عطاء الله الإسكندري وأحمد زروق في وظيفته و شرحها و قواعده، و عبد الوهاب الشعراني في البحر المورود في المواثيق و العهود<sup>1</sup>.

و في رده على سؤال آخر، نجد الحاج عمر يغلظ القول لصاحبه، ويستهزئ به، بخصوص رغبة محمد الكانمي في توجيه أسئلته إلى علماء مصر و طرابلس للرد عليها، و كأنه بعمله هذا غير مقتنع بكفاءة الحاج عمر

---

1- Ibid, F°2.

الذي خاطبه من أجل ذلك قائلا : « و قولك أنك ترسل أسئلة إلى علماء مصر و طرابلس، و عزة ربي لا أدري أي شيء تسألهم عنه، أتسألهم هل سيدي أحمد بن محمد الشريف الحسني ولي أم لا؟ و هل تسألهم عن الزيارة هل واجبة إجماعا...؟ و هل تسألهم هل للشيخ أن يشترط على مريده أن لا يفعل مباحا من المباحات أو يترك مندوبا من المندوبات لنظر رآه الشيخ أم لا<sup>1</sup>؟»، و كان تعقيب الحاج عمر على هذه التساؤلات بإجابته بأن أمر الولاية مرده إلى الله و غايته فيها شيان التصديق أو الإنكار. و إذا سلموا له فلا يزيدوه و إذا أنكروه فغاية الإنكار التكفير. و لهذا الأمر إسوة، يضيف نفس المصدر إذ سبق أن كفرت السادات الأولياء و الأقطاب مثل الجنيد والسبكي و الشبلي و أبو الحسن الشاذلي و غيرهم. و من مظاهر تحامل المجيب على سلطان كانم قوله له، إن مثل هذه المسائل لا يسأل عنها إلا جاهل، فإننا والحمد لله، يتابع الشيخ الفتوي «غير مقلدي علماء مصر و طرابلس<sup>2</sup>...». ثم أردف ناصحا إياه، بصفته سلطانا على بلاد كانم، و معرضا لارتكاب الكثير من المحرمات عن قصد أو عن غير قصد : «و لو انتقلت ببحث ما يخرجك من هذه الأخطار التي يتلبس بها طالب تجاه من سفك دماء المسلمين و استرقاقهم و استغلال فروج الحرائر. لكان خير من

---

1 - Ibid.

2 - Ibid.

الإشتغال بهذه الفضول<sup>1</sup>...».

و من الأمور الأخرى التي يكشف عنها سياق هذه الأجوبة التي لا ندري تاريخ تدوينها، هل قيام الدولة التجانية أم بعدها، تضايق سلطان كانم من الشيخ عمر الفوتي إما بسبب انتقاداته المعروفة للأمرء، أو بسبب الخطر الذي تشكله عليه حركته. و لا أدل على ذلك من طلبه للحاج عمر ضمن نفس الأسئلة و توسله إليه بالذي خلقه بأن يشتغل عنه بنفسه. وكان رد الحاج على هذه الرغبة، بأنه قد نفذ طلبه بقوله : «أعرضت عن جميع مكاتيبك الخشنة، و ما أجبتك عنها لعلمي بأنها لا تستحق جوابا...<sup>2</sup>». أما عن ورقة الضغط التي كان يلوح بها محمد الكامي، ضد خصمه، في حالة استمراره في الكيد له، و المتمثلة في كثرة المريدين التجانيين و تهديده بالإساءة لهم بكانم Kanem، و للطريقة التجانية وشيخها بشكل عام، فقد استخف بها و قال في شأنها مقرا غريمه بشكل ساخر : «...و ليتك كنت كما طلبت و أعرضت عن إذاية الأغواث والأقطاب وأما أحبابي فافعل بهم ما قدر الله كونه على يديك وبينك و بين الجميع يوم يكون فيه الحقيير أميرا و الأمير حقيرا...<sup>3</sup>».

**ب - مؤلفات بعض طلبة الحاج عمر :** يتعلق الأمر بطالبيين لعبا

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- Ibid.

دورا كبيرا في نصرة الحاج عمر الفوتي و الطريقة التجانية على المستويين  
الفكري والعسكري السياسي. وهما عمر بن محمد الحوصي والمختار  
ابن وديعة الله المعروف ببيرك طلف، اللذان ألفا، كل على حدة، في الرد  
على خصم التجانية اللوذ أحمد البكاي.

### ✱ عمر بن محمد الحوصي : رسائل رد على البكاي <sup>1</sup>.

رد المؤلف في هذه الرسائل على كل القضايا والإشكالات في تعاليم  
الطريقة التجانية والتي رأى فيها الشيخ أحمد البكاي بدعة ومروقا  
وخروجا عن السنة، مؤكدا اعترافه بولاية الشيخ التجاني، وبكذب  
أصحابه عليه في الكثير مما نسب إليه <sup>2</sup>. ويتضح من مضمون هذه الرسائل  
أن أحمد البكاي حاول إقناع عمر الحوصي بالإرتداد عن التجانية، من  
خلال مجموعة الحجج والأسئلة الإستنباطية، والوقائع التاريخية التي  
تظهر مخاطبه كأنه مسلوب العقل والمنطق، منقاد إلى ما يراد له بدون  
حس ولا وعي.

و من الأمور التي عاتبه عليها :

- نصرته للشيخ التجاني و انعدام وجود أية قرابة بين فولاني

السودان و عمر الحوصي منهم، و الشيخ التجاني العربي الأصل <sup>3</sup>.

---

1- B.N.P, MO, FA, Man.. 5716, FF°.32 à 40 et 182 à 185.

2- IBID, F°.40.

3- Ibid, F°.183.

- إخباره أن التجاني غائب لا يسمع دفاع أحد عنه<sup>1</sup>.
- نهيه و ابتغاء رضى مخلوق عن رضى خالقه، إشارة إلى ولاءه للحاج عمر<sup>2</sup>.
- كيف يكون في التجانية أولياء، وهم يقولون أن لا ولي بعد شيخهم<sup>3</sup>؟
- التجانيون يقولون كلاما لا يعرفون معناه إن سئلوا عنه<sup>4</sup>.
- زعم التجانيين بأن شيخهم واسطة بين الأنبياء والأولياء<sup>5</sup>.
- قول التجانيين بكون شيخهم كان موجودا في الغيب قبل ولادته<sup>6</sup>.
- و قد رد صاحب هذه الرسالة على كل هذه الإنتقادات و غيرها، رافضا من خلال الحجج التي قدمها للبكاي كل تنقيص من قيمة شيخ الطريقة وتعاليمها و اعتقاد الناس لها، و بعض ردوده.
- فيما يخص لومه على نصره الشيخ التجاني، أجاب عمر الحوصي خصمه بأنه جانب الحق بغير سند، و رأى بأن الدفاع عن شيخه واجب واستشهد بقول بعض الفضلاء :

---

1- Ibid.

2-Ibid.

3- IBID, F° .184.

4- Ibid, F° .185.

5- Ibid.

6- Ibid.

من لم يزد العالم المقبولاً بالحق خان الله والرسولاً  
 إذ نصره من نصره تعالاً وخذله يشوش الجهالاً<sup>1</sup>.  
 كما استند في هذا الرأي إلى قوله تعالى<sup>2</sup>: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُوْذُونَ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا<sup>3</sup>﴾،  
 ومعناه يضيف نفس المصدر الذين يوذون أولياء الله، كما أورد رأي الإمام  
 أحمد الذي يؤيد كلامه. و عن مسألة النسب، أجابه، بأنه حاد عن الصواب  
 أيضاً، لأن أخوة الإيمان تقدم على أخوة النسب طبقاً لما هو معروف<sup>4</sup> كما  
 يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا  
 النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ<sup>5</sup>﴾.

أما الانتصار للغائب يفيد الحوصي، مخاطباً البكاي، فهو أحق وأولى  
 من الانتصار للحاضر. ويلاحظ هنا أن صاحب هذه الردود استغل فرصة  
 جوابه على هذه النقطة الأخيرة، لإغلاظ القول لخصمه جاعلاً إياه في  
 ورطة، عندما خاطبه قائلاً: «...يا عجباً كل العجب، أتريد أن تنصر الكافر  
 الذي جمع الظلم والظلمة، والشك والنفاق والنجاسة حين قلت له

1- Ibid, F° . 182.

2- Ibid.

3- سورة الاحزاب، 57.

4- Ibid, F° .183.

5 - سورة آل عمران، 68.



أن الله لا يخليكم فأنا لكم على ذلك، فلا تجزعوا، ولا تشكوا في ...  
وتمنعي من نصرة الذي أمرني الله بنصرته<sup>1</sup>...». و معلوم أن الأمر يتعلق  
هنا بالإستعداد الذي أظهره البكاي للنزول بكل ثقله إلى جانب ملك دولة  
سيكو الكافر للحيلولة دون اقتحام جيش الحاج عمر المسلم لبلاده، داعيا  
في نفس الوقت إلى تحالف دولة ماسينا معه لتحقيق نصر مبين ضد  
عدوهم المشترك<sup>2</sup> (الحاج عمر).

وهكذا واصل الردود فكرة فكرة، و ذكر بأن صحبته مع الشيخ عمر  
يفتخر بها و هي كصحبة الناس مع أولياء الله، بحيث لا يمكن اعتبار هذه  
الصحبة معصية للخالق، و أكد من جهة أخرى أن عدم زيارة التجانيين  
للأولياء، لطلب التبرك قد بينه الشيخ أحمد التجاني، و ذلك شرط مشروط  
لمن أخذ عنه الورد<sup>3</sup>. و حتى يظهر لخصمه من التجانيين يعرفون كل ما  
ورد في تعاليم الطريقة قدم شرحا ضافيا للكلمات و عبارات مثل :

- القطب.

- القطب المكتوم.

- البرزخ المختوم.<sup>4</sup>

---

1-Ibid, F°. 183.

2- Ibid, F°. 32.

3- Ibid, F°.184.

4- Ibid, F° 185;

ووضح بعد ذلك أن خاتم الأولياء له مقام أحاط بجميع مقامات  
الولاية، ومنه استمدوا، و ذلك هو الختمية مما لا يتنافى مع وجود أولياء  
بعد التجاني<sup>1</sup>.

و عن اتهام البكاي التجانيين بحبهم للجاه و المال، رد عليه الحوصي  
ضمن مراسلة أخرى بقوله : «لو كنا نفضل المال على العلم ما خرجنا من  
بلادنا مهاجرين إلى العلم، و إن شككت في ذلك فسل أهل قريتك هذا هو  
إن طلبت أحدا بما عنده دون ما حملت<sup>2</sup>».

### **\* المختار بن وديعة الله (يركي طلف) : تباكيات البكاي:<sup>3</sup>**

سبق أن عرفنا بهذا الفقيه التجاني الفولاني الماسيني الأصل الذي  
اختار الإلتحاق بالحاج عمر و الإخلاص له و للطريقة التجانية، بالكتابة  
وحمل السلاح، إذ من المعلوم أنه أبلى البلاء الحسن في الكثير من  
المعارك التي قاتل فيها كقائد كبير من قواد الشيخ الفوتي. أما عمله هذا  
الذي قصد بعنوانه إبقاء البكاي، فقد رد فيه على افتراءات الشيخ البكاي  
على التجانية و التجانيين كما فعل في الطريقة و الجهاد، عمر الحوصي  
السالف ذكره. وقد تعرض تقريبا في أجوبته لنفس القضايا التي رد عليها  
الحوصي، مع تسجيل فارق بين تأليفي الرجلين، بحيث نلاحظ أن

---

1- Ibid.

2- Ibid, F° .36.

3- B.N.P, MO, FA, Man .5697, FF° .29 à 42.

الإسهاب و عمق التحليل هما سمة عمل المختار بن وديعة الله، في حين تأليف عمر الحوصي الإختصار و البساطة، وإن كان كل منهما يعتمد أساسا في معلوماته بالدرجة الأولى على ما تضمنه كل من جواهر المعاني، ورماح حزب الرحيم من قضايا تتعلق بتعاليم الطريقة التجانية وفقهائها، بالإضافة إلى أن بعض تعابير ابن وديعة الله أتت أكثر جرأة وصرامة وشتما للبكاي، مع ما رافق ذلك من اجتهاد من قبله في تدعيم أقواله بسيل من الحجج المختلفة المصادر.

خاطب المؤلف خصمه، في بداية كتابه، بقوله : «...إعلام بأننا ربما وقفنا على أقاويل أغلاط، أخلاط صادرة عنك بخط يدك تنسبنا بها نحن معشر التجانية إلى الحماقة بل الزندقة، وتتقول علينا في بعضها ما لم نقله و لم تنقله<sup>1</sup>...».

ثم أخبره أنه لم يقرر الرد عليه إلا بعد أن قرأ رسالته لعمر الحوصي و تأكد بذلك من كل ما كان يسمعه من سعي البكاي إلى النيل من الطريقة التجانية، و من الشيخ عمر الفوتي، لذلك «فها نحن نستعين الله تعالى على الرد عليك و تكذيبك في ذلك كله<sup>2</sup>...» و من جملة الأمور التي ناقشه فيها :

- إنكار البكاي وجود الختم ، و هو باعتقاده هذا، يقول ابن وديعة

---

1- Ibid, F° .29.

2 - Ibid.

الله، إما أنه جاهل أو معاند، و استدل برأيه على عدة مصادر في مقدمتها الفتوحات لابن عربي. و ختم مناقشة هذه المسألة بتجهيل البكاي وتسفيهه<sup>1</sup>.

- إنكار البكاي لفيض الرسول صلى الله عليه و سلم على الخلائق، لا قبل البعثة و لا بعدها، و هو ما علق عليه المؤلف بقوله، بأنه لم يسمع قط أكذب و لا أفجر من هذا القول<sup>2</sup>.

- إنكار البكاي لختمية سيدي أحمد التجاني : و لدحض هذا الإنكار، أورد ابن وديعة الله قصة محيي الدين بن عربي في الموضوع، و ملخصها أنه رأى رؤيا أولها باختتام الولاية به، غير أن هاتفا أوحى له بأن هذه الختمة ليست له، و إنما هي لولي آخر. و مما يؤكد أنها للشيخ التجاني ما نسب من قول للشيخ المختار الكنتي جد أحمد البكاي، بخصوص هذه الختمية في كتاب «الطرائف و التلائد في كرامات الشيخين الوالد والوالدة»<sup>3</sup>، إذ في الوقت الذي لم يدعها لنفسه، رغم أنه من أهل القرن الذي ظهرت فيه، ذكر في المصدر المذكور: «إن القرن الثاني عشر من الهجرة المحمدية، يشاكل قرنه صلى الله عليه و سلم من وجوه، أحدها أنه

---

1 - Ibid.

2 - Ibid , F°. 31.

3- Ibid, FF°. 32. à 34.

فيه خاتم الأولياء كما أن في قرنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء<sup>1</sup>...».

انتقاد التجانية لمنعها زيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات : رد ابن وديعة الله على هذا بأن الزيارة غير واجبة، وتركها غير حرام. والشيخ التجاني لم يمنعها إذا كانت بغير نية التبرك والإستمداد. وكانت وصلة خاصة من قوم مخصوصين في حق قوم مخصوصين<sup>2</sup>.

انتقاده لاعتقاد التجانيين بعد رؤيتهم المحشر : نفى المؤلف هذا الإتهام بشدة، ووصفه بأنه كذب ظاهر و حماقة واضحة، إذ لا يخفى على حد قوله : ما فيه من الكذب والإفتراء والتلبيس والإجتراء<sup>3</sup>.

كما ورد على خصمه في هذا التأليف عن أمور أخرى مثل :

- جواز الذب عن الأولياء من عدمه.
- جواز رؤية النبي صلى الله عليه وسلم.
- التربية للشيوخ وليست للأنبياء.
- اختصاص الأولياء ببعض العلوم دون الأنبياء<sup>4</sup>.

و من العبارات التي تدل على حنق المؤلف و غضبه و تحامله إلى أبعد الحدود على خصمه من أجل تسفيهه قوله :

---

1 - Ibid, F°. 32.

2 - Ibid, FF°. 34 à 36.

3 - Ibid, FF°. 36-37.

4 - Ibid, FF°. 38-39.

- «إنك لا تخزينا بتلبيساتك و لا تضرنا بتسويلاتك ، فقد عرفناك  
فاستقم إن شئت في مشيك، وإلا فإنك على عرجك تماديا على عوجك»<sup>1</sup>.
- «الذي نعتقد فيك لست من أولياء الله»<sup>2</sup>.
- «فانظر أيها المنكر الحاسد و الجاهل المعاند إلى كلام هؤلاء  
الفضلاء الأتقياء، تجد نفسك جاهلا معاندا و مقتحما كاذبا»<sup>3</sup>.
- «قبح الله عمامة و لحية بيضاوي، يخرج من بينهما الكذب»<sup>4</sup>.
- «فلعلك أيها الجاهل لا تدري شرفا و لا فخرا إلا شرف الدنيا  
وفخرها»<sup>5</sup>.
- «فانظر أيها المقتحم اقتحام الحمار العادم من شجرة المعارف  
اجتناء الثمار»<sup>6</sup>.
- «إنك تقتحم و تصول و لا تعرف ما تقول»<sup>7</sup>.
- و كان آخر موضوع ختم به رسالته هذه هو نعت البكاي بعدو الله،  
لأنه والى أعداء الله الكفرة المشركين حكام سيكو، و دعا لهم بطول العمر.

1 - Ibid, F° .31.

2 - Ibid, F° .32?

3 - Ibid, F° .36.

4 - Ibid.

5 - Ibid, F° .38.

6- Ibid.

7- Ibid, F° .40.

والأمر يتعلق هنا، كما هو معروف بمساعي الشيخ البكاي لتكوين تحالف بين سلطان ماسينا المسلم و حاكم سيكو المشترك بتدعيم منه لكسر الحاج عمر، وإسقاط الدولة التجانية. وهو أمر جعل المختار بن وديعة الله في عمله هذا ينعت شيخه الحاج عمر بولي الله، لقيامه بجهد أعداء الله وكسر آلهتهم، بينما اختار البكاي في نظره معاداة الله بوقوفه إلى جانب الكفر والإلحاد<sup>1</sup>.

## 2 - كتابات بعض التجانيين الآخرين

هذه مجموعة أخرى من الرسائل، التي ارتأينا ترتيبها ضمن الكتابات الدفاعية التبريرية عن الطريقة التجانية و رجالاتها السودانيين منهم على الخصوص، رغم أنها لا تتضمن منافحة عن تعاليم هذه الطريقة بشكل مباشر. وكان المبرر وراء هذا الترتيب إذن هو دفاعها عن الشيخ عمر الفوتي، مؤسس هذه الطريقة بالسودان الغربي و ناشر تعاليمها به، وتشبثها بأبنائه و طلبته، وكل من ساهم في التجديد الذي حصل على يديه، و إبداء رغباتها في أن لا يأول أمر حكم هذه المنطقة إلى غير أسرة الشيخ الفوتي، التي وفقت في إرساء أسس المساواة و العدالة الإجتماعية بها. و نقدم فيما يلي بعض هذه الكتابات :

---

1- Ibid.

## أ - محمد الصغير المختار بن إبراهيم بن الشيخ المختار :

رسالة اعتذار و ندم عما صدر<sup>1</sup> إلى ألفا عمر : لا تحمل هذه الرسالة أي تاريخ كباقي الرسائل التي تحدثنا عنها سابقا، و التي نرجح أنها كتبت بعد قيام الدولة التجانية، و هي موجهة إلى خليفة الحاج عمر، الفقيه العالم المجاهد ألفا عمر. أما كاتبها فيبدو من خلال أسلوبه أنه على قدر كبير من الثقافة و المعرفة، و أنه حديث العهد بالارتباط بالتجانية لذلك أتت رسالته كلها اعتذار، و طلب الصفح من الحاج عمر و طلبته عما صدر عنه و عن أمثاله من مواقف خاطئة، سرعان ما تبين لهم زيفها، و مما يعبر عن موقف الإعتذار و الندم، و الإعتراف بمشروعية حكم الحاج عمر، قول المؤلف في مقدمة رسالته «...موجب إعلامه بأني أطلب منه العذر فيما وقع مني، لأنه كريم بن كريم و لأن فوق كل ذي علم عليم<sup>2</sup>...» و من المعلوم أن صاحب الرسالة هنا يطلب من ألفا عمر أن يبلغ لرئيسه الحاج عمر هذا الطلب..وإذا تساءلنا لماذا نجده في آخر هذه الرسالة يقول ، مخاطبا الحاج عمر ورجال سلطته و نظامه : «...ظهر أنكم على حق ...فتبنا ورجعنا عن كل ما وقع منا، و أيضا نريد منكم العفو والعافية و الأمان<sup>3</sup>...».

---

1- B.N.P, MO, FA, Man 5480, F° 72.

2- Ibid , F° .72.

3- Ibid, F° .72.



## ب - سري بن الشيخ فاز بن دند : رسالة بيعة و مناصرة

إلى أبناء الحاج عمر<sup>1</sup> : استهلها بقوله إلى أبناء من حج و اعتمر، و لبي و طاف و زار رسول الله ، الشيخ عمر خليفة رسول الله. ثم خص ابنين للحاج عمر بالذكر هما : محمد الحبيب و محمد الهادي . لينتقل بعد ذلك إلى ذكر الغرض الأساسي من رسالته فقال : «... لا دار لي إلا داركم و لا حبيب لي سواكم، أحب أن أكون لكم و تكونون لي و أدخل في زمركم، لأن من دخل في حصنكم دخل في حصن أبيكم و من دخل في حصن أبيكم دخل حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و من دخل في حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من الأمنين<sup>2</sup> » ثم أنهى المؤلف هذه الرسالة بأن طلب من الله أن يحقق رجاءه بجمعه بألفا عمر و شيخه الحاج عمر.

## ج - رسالة أحد مريدي الحاج عمر المسمى سعيد : حول

التشبث ببيعة أحمد المدني بن الشيخ عمر بعد وفاة والده<sup>3</sup> : يدافع المؤلف في هذه الرسالة عن مشروعية أحمد المدني بن الشيخ عمر ، في تولي الخلافة في السودان الغربي بعد وفاة والده . و يرى أن كل مخالف لرأيه سيساهم في تعريض الإمبراطورية التجانية للإنهيار. و بصفته أحد التجانيين الذين عايشوا الكثير من الأحداث التي مرت بها

1 - B.N.P, MO, FA, Man . 5598, FF° 128-129.

2 - Ibid, F° . 128.

3 - B.N.P, MO, FA, Man .5561, FF° .67 à 70.

الدولة التجانية، فإنه كان من بين الحاضرين يوم قدم الحاج عمر ابنه أحمد المدني هذا لأهل الحل والعقد وكبار رجال دولته، ليوصي بالخلافة له، فوافقوا جميعا وكانت الخطوة التالية في هذا التقديم وتلك الوصية، يقول المؤلف، مخاطبا، أحمد المدني: «ثم من الغد خرج (الحاج عمر) من المسجد، وجمع أهل فوت وأهل ماسن، ثم قام بينهم وأقامك معه، وجعل يده عليك، وقال للناس: أبلغ الخلافة أم لا؟ وقالوا كلهم، نعم، بلغ، فقال الشيخ عمر: من تنبكتو إلى فوت قد خلفته فيه، وكل من يطلب مني بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بركة الشيخ أحمد التجاني فليطلب بركاته منه<sup>1</sup>»، ثم ذكر سعيد صاحب هذه الرسالة الأمير أحمد المدني، أنه بعد مرور مدة معينة من الزمن على هذا الإجراء ناداه أبوه وأجلسه في مجلسه وبايعه وأمر الناس أن يبايعوه كلهم وأقسموا على ذلك، ودعا على من خالف ذلك بالهلاك<sup>2</sup>.

وهكذا نجد أن صاحب هذه الرسالة، يسعى من خلال هذه الشهادات إلى رص صفوف التجانية بالسودان الغربي، فكريا وسياسيا، حتى الانتصار، بسبب الخلافات التي قد تسهل على الأعداء النيل منها وإضعافها، في انتظار الإجهاز عليها وحتى يستنهض الهمم، وylft انتباه الرأي العام التجاني إلى خطورة الموقف، نجده في هذه الرسالة يستشهد

---

1 - Ibid, F°.67.

2 - Ibid.F°. 67.

بالكتاب و السنة و بقصص الأنبياء، و أقوال كبار الأئمة<sup>1</sup>. فاستشهد بقوله تعالى: ﴿و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا<sup>2</sup>﴾، كما أورد قوله صلى الله عليه و سلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما<sup>3</sup>»، وقوله صلى الله عليه و سلم: «لا تجتمع أمتي على ضلالة عليكم بالسواد الأعظم، من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه<sup>4</sup>... الحديث». كما استشهد بقصة قابيل و هابيل للعبرة<sup>5</sup>.

## II - إنتاج تاريخي و تنويري تثقيفي

تسمح مجموعة الكتابات و الوثائق، التي سنعرض لها في هذا المحور، بمعرفة الجوانب الفكرية الأخرى التي اهتم بها التجانيون، فضلا عما كتبوه عن الطريقة التجانية و شيوخها قصد نشر تعاليمها على أوسع نطاق بالسودان الغربي، و بهدف الوقوف ضد خصومها بالمنطقة. و قد أسفرت مجموعة الوثائق التي نتوفر عليها في هذا الصدد بعد تصنيفها، عن ظهور نوعين من هذا الإنتاج، أحدهما تاريخي و الآخر تنويري تثقيفي

---

1 - Ibid.

2 - سورة آل عمران، 103.

3 - B.N.P, MO, FA, Man .5561, F°.67.

4 - Ibid.

5 - Ibid, F°. 68.

بشكل عام.

## 1 - الإنتاج التاريخي :

أول ملاحظة يمكن تسجيلها بخصوص هذا الموضوع، هو قلة إن لم نقل ندرة الكتابات التاريخية المعاصرة للأحداث التي رافقت تطورات الحركة العمرية، وقيام الدولة التجانية بالسودان الغربي، رغم كثرة الطلبة والفقهاء والمثقفين الذين كانوا يعيشون في محيط الحاج عمر الفوتي منذ انطلاق حركته إلى نهايتها. ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بقصر عمر الدولة التجانية من جهة (1854-1864)، و تسارع الأحداث والوقائع، التي يبدو أنها شغلت فعاليات هذه الحركة عن التفرغ لأي تدوين تاريخي أو سوسيو اقتصادي جاد حول المنطقة. فحبذا لو أن الحاج عمر، اهتم بالإنتاج التاريخي مثل اهتمامه بالإنتاج الصوفي والديني. إذ لو تم ذلك لكانت معلوماتنا عن الكثير من الجوانب الإقتصادية والسياسية والاجتماعية بخصوص المجتمعات التي فتح بلدانها، واحتك بها لمدة طويلة تمكننا من الحكم على مدى مصداقية الكتابات التاريخية الأجنبية خصوصا الفرنسية منها والإنجليزية عن المنطقة خلال القرن 19م. إلا أنه يبدو أن الظروف المشار إليها لم تسمح للحاج عمر بالقيام بذلك، كما أسلفنا، هذا مع ملاحظة أنه من المحتمل أن يكون الحاج عمر، أو بعض طلبته، قد تركوا بعض الكتابات التاريخية التي لم تصل بعد إلينا لسبب من

الأسباب. و مما يدل على ندرة هاته الكتابات، أن جل الدراسات المنجزة عن المنطقة خلال القرن 19. و خصوصا النصف الثاني منه تعتمد بشكل أساسي على الأرشفة الأجنبي (الفرنسي-الأنجليزي) و على الدراسة الميدانية، التي يتم اللجوء خلالها إلى توظيف الرواية الشفوية في غالب الأحيان، لاستدراك النقص الحاصل في التوثيق، أو المقابلة و المقارنة قصد التأكد من بعض القضايا المكتوبة.

و نقدم فيما يلي التعريف ببعض عناصر الكتابات ذات الطابع التاريخي التي استطعنا الوصول إليه، و المتعلقة أساسا بفترة الحاج عمر الفوتي، و المؤلفة من قبل أشخاص مقربين من الحاج عمر أو متعاطفين معه و مخلصين له، أو من قبل الحاج عمر نفسه.

#### أ - الحاج عمر : بيان ما وقع<sup>1</sup> : سبقت الإشارة إلى هذا المؤلف

في مكان سابق . و نعود إليه هنا لاعتقادنا أنه يتضمن جردا تاريخيا لتطور العلاقات بين الحاج عمر سلطان الدولة التجانية و بين أحمد بن أحمد سلطان دولة ماسينا، و للأسباب التي أفضت إلى دخول الدولتين المسلمتين في نزاع مسلح أدى إلى انهزام ماسينا و حليفها سيكو الوثنية 1862. ورغم أن البعض اعتبر مضمون بيان ما وقع مرافعة فقهية قانونية، يبرر فيها المؤلف سبب حكمه على خصمه أمير ماسينا بالكفر، و بالتالي مشروعية إعلان الجهاد ضده لموالاته سيكو Ségou، الوثنية وتحالفه معها،

---

1- Mahibou (Sidi Momamed) et Triaud (Jean Louis), op; cité.

فإن الجانب التاريخي فيه يفرض نفسه، لتطرقه لتطور النزاع بين الجانبين من بدايته إلى نهايته. وتأتي أهمية العمل، علاوة على إفاداته التاريخية وتضمنه لجزء مهم من سيرة صاحبه الذاتية، من كونه يشكل الإنجاز التاريخي الوحيد الذي خلفه مؤسس الزاوية التجانية و باني دولتها بالسودان الغربي، بغض النظر عن ما يمكن أن تطالعنا به وثائق مالي الدفينة من جديد حول الإنتاج التاريخي للشيخ الفوتي، والمحتمل وجودها في مختلف المدن التي تعرضت أكثر من غيرها للنفوذ العمري، خلال خمسينيات و بداية ستينيات القرن 19، مثل نيورو Nioro وسيكو Sékou و حمد الله Hamdallahi، و باندياكارا Bandiagara وغيرها.

#### ب - تاريخ جهاد الحاج عمر و غزواته لأحد تلاميذه

**المدعو عبد الله عال<sup>1</sup>** : مؤلف هذا المخطوط، هو أحد تلاميذ الحاج عمر الذين رافقوه لمدة تقارب عقدين من الزمن، و رغم أن هذا التأليف لا يتعدى إحدى عشرة ورقة، إلا أن صاحبه اختصر فيه كل الأحداث التي عرفتتها حركة شيخه الحاج عمر منذ انطلاقها من دغراوي Dinguiray حوالي سنة 1852 حتى وصولها إلى ماسينا و تمبكتو سنة 1862، و قيام

---

1 - عبد الله عال (أحد تلامذة الحاج عمر)، تاريخ جهاد الحاج عمر و غزواته، خزانة علال الفاسي الرباط، مخطوط رقم 147ع.

الإمبراطورية التجانية مروراً بأعالي نهر السنغال، حيث اصطدم بالفرنسيين وحاربهم، و بكارطا Karta و سيكو Ségou، اللتين فتحهما وقضى على عقيدة الكفر والشرك بهما. هذا المخطوط يوجد بخزانة علال الفاسي بالرباط ضمن مجموع تحت رقم 147 ع، وهو المجموع الذي يتكون من حوالي 112 ورقة، يضم علاوة على الورقات التاريخية المشار إليها، بعض الرسائل التي تم تبادلها بين الحاج عمر و سلطان ماسينا أحمد ابن أحمد، وأخرى تبودلت بين أحمد البكاي والشيخ عمر، من جهة، والبكاي و سلطان ماسينا من جهة أخرى، تشتمل على معلومات تاريخية وسياسية قيمة تتكامل مع ما كتبه تلميذ الحاج عمر عبد الله عال.

### ج - محمد عليو تيام : قصيدة الفولانية Poular تؤرخ

**لحياة الحاج عمر<sup>1</sup> :** تم هذا التأليف على يد تلميذ أيضاً من تلامذة الحاج عمر، باللغة المحلية، لكن بأحرف عربية. ومما لا شك فيه أن هدفه من هذا الإنجاز كان هو التعريف على أوسع نطاق بالحاج عمر و بقيمته العلمية والنضالية. من أجل تخليص مجتمعات السودان الغربي من أنظمة الإستبداد، التي كانوا يخضعون لها، كما تطرقت هذه القصيدة لنبذة حياة أحمد المدني بن الشيخ عمر، والدور الذي قام به في مساعدة أبيه في حياته و خلافته بعد مماته، ويعتبر تيام Tyam هذا من الأشخاص

---

1- Tyam (M.A) : LA VIE D'El Haj Omar, Qacida en Poular...,op. cité.

الفوتين القلائل الذين رافقوا الحاج عمر منذ فترة مبكرة من حركته الجهادية، وقد تمت ترجمة هذه القصيدة إلى الفرنسية بقلم هنري كادن Henri Gaden ونشرت بباريس سنة 1935 كما سطرنا ذلك في الهامش.

د - مجهول : تاريخ الشيخ عمر<sup>1</sup> : صاحب هذا العمل المكتوب أصلاً باللهجة الفولانية و بأحرف عربية لم يذكر إسمه، وهو أحد طلبه الحاج عمر بفوتاجلون، باعتبار أنه ركز أكثر في هذا التأليف على الفترة ما بين 1840 و 1852، وهي المدة التي قضاها الشيخ الفوتي في فوتاجلون بجيكونكو Jégunko أولاً، ثم في دينغراوي Dinguiray بعد ذلك، قبل أن يعلن عن انطلاق عمليات الجهاد في اتجاه أعالي نهر السنغال. ويلاحظ على هذا التأليف أن معلوماته المتعلقة بفترة الجهاد أتت مختصرة، ويمكن رد ذلك، في تقديرنا إلى عدم مشاركته في هذه العملية، وعدم مغادرته بلده الأصلي فوتاجلون، واكتفى بتسجيل أحداث تطورات العمليات العسكرية العمرية في اتجاه كارطا و سيكو و ماسينا، عن طريق الرواية الشفوية، الأمر الذي يفسر اقتضابها واضطرابها أحياناً. وقد أشار دافيد روبانسون David Robinson في أحد هوامش كتابه عن جهاد الحاج عمر، إلى أن آخذ التلاميذ المسلمين اليوروبي الأصل الذي

---

1 - وردت المعلومات المتعلقة بهذا المؤلف في :

- Robinson (D.), la guerre Sainte d'al Haj Umar , op. cité, p. 27.



درس في فوتاجلون، نقل نص هذا المخطوط المكتوب بالعربية إلى فريطاون Freetown، في نهاية ستينيات القرن 19. و هو النص الذي نقله إلى الإنجليزية شارل ريشارد Charles Reichardt الأنكليكاني ذو الأصل الألماني الذي كان يشتغل على لغة الفولاني<sup>1</sup> (مبشر) .

**هـ - عبد الله علي Abdullay Ali: ذكر ابتداء جهاد شيخنا**

**إلى تمامه<sup>2</sup> :** يتناول هذا المخطوط ، كل مرحلة الجهاد العمري، و بعضا من فترة خلفه أحمد المدني المعروف بأحمدو شيخو. و تأتي أهمية هذا العمل (المؤلف بالعربية) من كون صاحبه، كان تلميذا خاصا للحاج عمر وأحد قواد جيشه الكبار، توجد نسخة من هذا المخطوط ضمن مستندات بريفيي Brevié بالمعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء، كما هو مبين في الهامش. وقد قام بترجمة هذا المخطوط ونشره الأستاذ سيسوكو<sup>3</sup> و Sis-soko ولا يختلف من حيث المحتوى عن مخطوط خزانة علال الفاسي المشار إليه آنفا لأن المؤلف هو نفسه مع بعض التحريف في اسمه.

---

1- Ibid, p. 27 et n. 27.

2- I.F.A.N, unv. de Dakar, Fonds Brevié, cahiers 3 et 10.

كما توجد نسخة من نفس المخطوط بخزانة علال الفاسي بالرباط تحت رقم 147 ع.

3- Sissoko Mamadou, "chronique d'El Haj Oumar et du Cheikh Tijani", Bull. de l'Enseignement de L'Afrique occidentale Française, 95-97

(1936-7).

## - أحمد المدني : قصيدة تؤرخ لبداية جهاد الحاج عمر<sup>1</sup> :

سبق أن عرفنا بهذه القصيدة في فصل سابق ووظفنا بعض أبياتها في المحور المخصص للإنتاج المدحي. و نظرا لاشتمالها على قدر كبير من المعلومات التي تهتم التاريخ ، فقد عدنا لإبراز أهميتها التاريخية هنا. وبما أن الناظم هو ابن الحاج عمر، فإن المعلومات التاريخية التي تضمنها بعضها من نظمه الذي تعدت أبياته ثلاثمائة، قل نظيرها رغم ما يرافقها من كرامات وفكر غيبي. وهكذا نجده يتعرض لوصول الحاج عمر إلى مصر وركوبه البحر بها، حيث عامله في السفينة وكيل مغربي ، من العاملين بها على ما يبدو، معاملة حسنة، و دارت بين الطرفين أحاديث<sup>2</sup>.

كما يخبرنا نفس المصدر أن علاقات الشيخ الفوتي تقوت مع هذا الوكيل المغربي الذي قام بالمساعي الضرورية لتيسير اجتماعه بعلماء مصر، والإجابة عن أسئلتهم المختلفة بنجاح كامل<sup>3</sup>، ثم واصلت أبيات القصيدة حديثها عن رحيله إلى الحج و التقائه بمحمد الغالي خليفة التجانية بالحجاز وأخذة الطريقة عنه، ثم عودته إلى السودان الغربي، و حصوله على الإذن الرباني بإعلان الجهاد ضد الكفر و الوثنية بتلك الأصقاع<sup>4</sup>. وهذه بعض الأبيات ذات الدلالات التاريخية .

---

1- B.N.P, MO, FA, Man. 5734, FF° . 116-127.

2- Ibid, F° .116.

3- IBID.

4- Ibid, F° . 122.

خرج في شهر ربيع الأول من بيته لبيت ربه العلي  
صحوۃ الأربعاء الأخير شمرا لحج بيت الله عام شمرا<sup>1</sup>  
ثم قوله على لسان الحاج عمر :  
فأنجز الله تعالى الوعدا بنصرنا شكراله وحمدا  
فلم أزل أبعث في الجهاد بعثا فبعثنا تم للأعداد<sup>2</sup>  
إلى أن قال :

ثم سمعت قائلًا يشير فتح كبير رزقه كثير  
ففتح الله تعالى جوارا وفتحت باغنة كماترا<sup>3</sup>

**ز - محمد المكي و أحمد التجاني : تقرير حول سير بعض  
المعارك العسكرية<sup>4</sup> :** كاتبا هذه الرسالة هما القائدان العسكريان، محمد  
المكي ابن الشيخ عمر و أحمد التجاني ابن أخيه، و هي عبارة عن تقرير  
مفصل من حوالي عشر صفحات رفعاه إلى أحمد الكبير المدني، بصفته  
رئيسهم المباشر، في قيادة المعارك و الشؤون الحربية، نيابة عن أبيه  
الحاج عمر الذي كان لازال على قيد الحياة آنذاك، رغم أن الرسالة لا تحمل  
تاريخا. و دليلنا في هذا التقدير هو أن التقرير يتحدث عن أحمد بن أحمد

---

1 - Ibid, F°. 116.

2 - Ibid, F°. 122.

3 - Ibid, F°. 126.

4 - B.N.P, FA, MO, Man. 5457, FF°. 1 à 5.

سلطان ماسينا و تحالفه مع أمير سيكو Ségou الكافر لصد جيش الحاج عمر المسلم. و من المعلوم أن القائد العام لسير عمليات الجهاد ضد تحالف ماسينا مع سيكو، هو الحاج عمر، الذي تمكن من هزمهم جميعا ودخول سيكو ثم ماسينا منتصرا خلال سنتي 1861 و 1862. وقد تطرقت هذه الرسالة بالفعل لكثير من العمليات العسكرية التي دارت بين الطرفين، والتي حاول المؤلفان تقديم الكثير من التفاصيل عنها يوما بعد يوم، و مما ورد في هذه الرسالة : «إعلام بأننا لما ارتحلنا من موضع عسكرينا يوم الإثنين الثاني و العشرين من شوال<sup>1</sup> نزلنا حول البحر وبتنا ثم قطعنا البحر من الصبح و سرنا ننزل منزلا بعد منزل حتى نزلنا في موضع قرب قرية تسمى دايل فلما غدونا منه رأينا طلائع أحمد بن أحمد<sup>2</sup> ...»، إلى أن يقولوا : «و انكشف المشركون و قتل منهم خلق كثير».

و في رواية أخرى نقرأ لهما : «...و تبعناهم ففروا و تفرقوا... و سار الشيخ مجدا، حتى وصل قرب حمد الله... وقت الغروب، ليلة الجمعة السادسة عشر من ذي الشهر... ووجدنا أهل حمد الله قد أجفلوا و تفرقوا من كل وجه<sup>3</sup> ...» و في آخرها ورد أن

---

1 - من غير ذكر السنة.

1. B.N.P, MO,FA, Man .5457, F°.

3. Ibid, F°.

الشيخ عمر دخل ماسينا بعد المغرب ليلة السابعة عشر من ذي القعدة أماناً مطمئناً.

ح - أحد تلامذة الحاج عمر بسيكو Ségou : تقرير حول انتصارات الحاج عمر بماسينا و طلبه المدد من ابنه أحمد المدني الخليفة عنه بسيكو Ségou<sup>1</sup>. هذه الرسالة ( التقرير ) التي لم يذكر صاحبها إسمه، من الرسائل القليلة المؤرخة، لأن الأحداث الواردة فيها، حسب تعبير المؤلف، «من وقائع السنة التاسعة و السبعين بعد المائتين والالف من الهجرة<sup>2</sup> [1279هـ = 1862م]» و يمكن رصد أهم المعلومات الواردة فيها كالآتي :

- وصول شخصيات و رسل إلى سيكو، التي يحكم بها أحمد المدني الكبير نيابة عن أبيه.

- وصول أبناء الشيخ عمر إلى سيكو : و هم الهادي، و محمد العاقب، و محمد الماحي حيث مقر حكم أخيهما الأكبر.

- وصول رسول مبعوث من قبل الشيخ عمر المنتصر بماسينا يبشر بفتح جميع هاته البلاد و قتل ملكها الكافر الباغي أحمد «لعنه الله تعالى»<sup>3</sup> و أسر ملك سيمو علي بن منز.

---

1 - Ibid, F° .4.

2 -B.N.P , MO, FA, Man .5713, F° .49.

3 - Ibid.

- في أوائل سنة تسع و سبعين بعد المائتين و الألف من الهجرة قدم علينا (إلى سيكو) يقول المؤلف أحمد التجاني (ابن أخ الحاج عمر) رسولا للشيخ عمر إلى أحمد الكبير المدني.

و من المعلومات المهمة الأخرى بنفس الرسالة، وصول أبو بكر الماسيني إلى سيكو «يوم الخميس لأربع ليل بقين من المحرم»<sup>1</sup>، مبعوثا من قبل الحاج عمر إلى ابنه و خليفته بها، يطلب منه بإلحاح أن يلتحق به في أقرب وقت بماسينا، و معه مدد من مائة رجل «مع جميع أصنام سنغ»<sup>2</sup>، التي تركها هناك، و هي التي ادعى الكافر أحمد ابن أحمد لعنه الله أنه كسرها كذبا و بهتاناً<sup>3</sup>...، و معلوم أن هذه الأصنام كانت بالنسبة للحاج عمر أكبر دليل على استمرار أهالي سيكو في وثنياتهم، عكس ما يدعيه ملك ماسينا من أنهم أسلموا على يديه، كما سنوضح ذلك في فصل لاحق.

#### ط - محمد بن ابراهيم : تاريخ استخلاف أحمد الكبير<sup>4</sup> :

نعرض في هذه الوريقات للظروف التي عين فيها الحاج عمر ابنه خليفة عنه، و استهل ذلك بقوله : «وبعد فهذا تاريخ استخلاف الإمام

1- Ibid.

2 - المقصود سيكو Ségou .

3- B.N.P, MO, FA, Man 5713, F° .49.

4- B.N.P, MO, FA, Man. 5683, FF° .150 à 151

العادل أمير المؤمنين أحمد الكبير المدني التجاني<sup>1</sup>....».

و كان ذلك يضيف المؤلف، بعد أن رجع والده الحاج عمر من بلاد فوت طور قاصدا الشرق حتى بلغ قاعدة أرض كرت و هي مدينة النور<sup>2</sup>....» و من مدينة النور التي هي نيورو Nioro يفيد نفس المصدر، بعث رسلا و في أيديهم رسالة إلى مدينة دينكراوي<sup>3</sup> بفوتاجلون، حيث يوجد مجموعة من أنصاره و تلاميذه، و على رأسهم ابنه أحمد المدني الكبير و أخوه محمد المكي، يبشرهم فيها بالانتصارات التي حققها، و يأمر فيها ابنه بالالتحاق به إلى كارطا<sup>4</sup>. و بما أن المسافة الفاصلة بين دينكراوي و بلاد كارطا كبيرة جدا، فإن قطعها تتطلب شهورا عانى فيها الأميران أحمد الكبير المدني و أخوه محمد المكي و الجيش المرافق لهما صعوبات جمة، بسبب تضاريس المنطقة و كثرة الأعداء، حسب ما يفهم من وثيقة الإستخلاف هاته التي تقدم في نفس الوقت جردا مفيدا لأسماء أهم الأقاليم التي مروا بها، و لكبار القواد العسكريين التجانيين الذين كانوا يعززون صفوف جيش الأميرين خلال هذه الرحلة الشاقة<sup>5</sup>.

و أهم هؤلاء القواد الذين أتى على ذكرهم هذا التأليف<sup>6</sup>:

---

1 - Ibid , F° .151.

2 - Ibid, F° 151.

3 - هي دينكراي Dinguiray

4 - B.N.P, MO, FA, Man 5683, FF° .151.

5 - 6 - Ibid.

- عبد الله الحوصي.

- محمد جال الطوري.

- الفاهم عثمان الفوتاجلي.

و بعد حوالي ثلاثة أشهر، وصل أحمد الكبير المدني على رأس جيش عرمرم إلى ميركوي<sup>1</sup> Méркоїа. جنوب شرق كارطا حيث يعسكر جيش والده. وتخبر هذه الوثيقة أن وصوله هذا تزامن مع بداية زحف جيش سيكو، في اتجاه ميركوي لصد الجيش العمري. و لاختبار كفاءة ابنه أحمد العسكرية، أسند الحاج عمر له قيادة سير هذه المعركة المصيرية، فكان الانتصار حليف المسلمين، و الهزيمة من نصيب المشركين، بسبب ما أظهره أحمد الكبير المدني من دراية في إدارة الشؤون الحربية و قدرة على الإقدام و الهجوم طلبا للنصر أو الإستشهاد. و هو أمر يقول المؤلف، أثلج صدر والده الذي قرر استخلافه بعد شهر و ستة عشر يوما من قدومه<sup>2</sup>.

## 2 - إنتاج تثقيفي تنويري

جمعنا وصنفنا تحت هذا العنوان، كل ما وقع بين أيدينا من مخطوطات ووثائق من شأنها أن تنور المجتمع السوداني و تثقفه، و تقربه

---

1 - Ibid.

2 - Ibid.



من بعض جوانب الفكر العربي الإسلامي و ثقافته، بغية السمو بانسانه روحيا و دينيا و أدبيا و حضاريا، و تنمية ملكته، و فتح دهنه على آفاق معرفية لا تزيده إلا تشبها بالعروبة و الإسلام، باعتبار أن كثرة الاحتكاك بالنصوص العربية، و المواظبة على استعمالها و التعامل معها، تجعل المهتم مالكا لخاصية آليات لغة الضاد التي بدون إجادتها لا يمكن فهم أسرار القرآن و تذوقه، و لا النفاذ إلى كنه مقاصد الشريعة الإسلامية.

غير أن أهم ملاحظة يمكن إثارة الإنتباه إليها هنا، بالنسبة لهذه المجموعة من الأعمال المخطوطة، هو أن البعض منها يعتبر بالفعل إنتاجا فكريا، أما البعض الآخر فهو منقول فقط و منسوخ عن أعمال سابقة لمفكرين مسلمين عرب و غير عرب، رمى ناسخوها من خلال ذلك، إلى إشاعة هذه المعارف بين الناس بالسودان الغربي، و إتاحة الفرصة لتداولها على أوسع نطاق ممكن للإستفادة منها، في وقت لم يكن بالإمكان الإستفادة بعد من خدمات المطبعة بإفريقيا جنوب الصحراء. و مما لا شك فيه أن مثل هذا العمل إلى جانب محاولات الإنتاج الفكري التجاني الأخرى، كان له فضل كبير في تعزيز الثقافة العربية الإسلامية، و إرساء أهم مقومات و أسباب النهوض بها بالسودان الغربي.

و يمكن تقسيم هذه الكتابات من حيث مضامينها إلى قسمين، أحدهما يتطرق لبعض أدبيات التصوف و الجهاد، و الآخر يعرض بعض الأعمال في مختلف علوم اللغة العربية و فنونها و آدابها.

١ - بعض النماذج من أدبيات التصوف و الجهاد و الفقه.  
1 - نصوص في السيرة النبوية و كرامات الأولياء من  
نسخ عبد الكريم الناقل<sup>1</sup> :

توجد هذه النصوص في شكل مخطوط من حوالي ستة عشرة  
صفحة من الحجم المتوسط، تطرقت بشكل مسهب إلى موضوعين  
أساسيين في التصوف :

✱ إمكان رؤية الرسول في اليقظة، خصوصا بالنسبة لمن رآه في  
المنام، و ما ورد في ذلك من شروح و آراء، في كلام طويل امتد على عدة  
صفحات من هذا المخطوط، مع ما ورد فيه من استشهادات بكلام بعض  
الصحابة مثل ابن عباس و عمر بن الخطاب، و عدد من الأئمة و المفسرين،  
من بينهم مسلم و الحاكم، و ابن سعد، و القاضي أبو بكر بن العربي،  
و ابن الحاج، و الشيخ سراج الدين الملقى، و الشيخ صفى الدين.

✱ شكلت مسألة الإعتقاد في كرامة الأولياء في نفس المخطوط  
الموضوع الثاني الذي يتكامل في الحقيقة مع الموضوع الأول. و قد أتى  
بدوره مدعما بالكثير من النصوص و الحجج المؤيدة لوجهة نظر المؤلف  
الذي لم يذكر الناسخ إسمه.

---

1- B.N.P, MO, FA, Man. 5410, FF° . 177 à 191.

و معلوم أن عبد الكريم الناقل هو شيخ الحاج عمر الأول في التجانية.

## 2 - قصيدة في وجود الله و صفاته و وحدانيته، من نسخ

عبد الكريم الناقل<sup>1</sup>.

تشتمل هذه القصيدة على مقدمة و فصول. و مما ورد في المقدمة :  
نعم بنور يقين القلب نعرفه      كما يليق به في أعدل السبل  
لهم مقال هنا إن شئت تعرفه      فاعرفه منهم و لا تعرفه من قبل  
أما الفصول فهذه أهم عناوينها، مع الإشارة إلى أن كل عنوان يتبعه  
عدد معين من الأبيات الشعرية :

- فصل في التنبيه على ما يوهم التشبيه.
- فصل في ثبوت صفاته المعنوية و أنها قديمة كذاته العلية.
- فصل في الحياة و السمع و البصر.
- فصل في العلم.
- فصل في الإرادة.
- فصل في القدرة.
- فصل فيما يستحيل على المولى الجليل جل ثناؤه و تقدست

أسماءه<sup>2</sup>.

---

1- B.N.P, MO, FA, Man. 5410, FF° 50 à 54.

2- Ibid, F° .53.

### 3 - قصيدة في توحيد الله و التشبث بسنة نبيه لناظم

سوداني لم يذكر اسمه <sup>1</sup>.

أشار ناظمها في الخاتمة إلى أنه نظمها في منتصف شوال من عام 1242هـ، و تتكون من حوالي مائة بيت، يقول مطلعها :

الحمد لله العظيم الأحد      ثم صلاته على محمد  
و بعد فاعلم أرشد الله الجميع      من ناظم و قارئ و مستمع  
فإنه فرض على المكلفين      أن يعلموا أن إله العالمين  
عز وجل واحد في ملكه      العالم الكل بدا بأمره <sup>2</sup>  
إلى أن يقول :

صلوا على نبيكم صلوا كما      صلى عليه ربنا و سلم  
هو البشير و هو النذير      سيدنا سراجنا المنير  
يدعو جميع الناس للإسلام      بأمر ذي الجلال و الإكرام <sup>3</sup>  
4 - أرجوزة حول علم التوحيد، نظم محمد الوالي  
الفولاني بن سليمان بن محمد الفولاني <sup>4</sup>.

هذه المخطوطة من النصوص القليلة جدا التي تحمل إسم المؤلف

---

1- B.N.P, MO, FA, Man . 5410 , FF°.71 à 75.

2 - Ibid, F°.71.

3 - Ibid, F°. 74.

4 - B.N.P, MO, FA, Man . 5410, FF°. 89 à 94.

الذي تصدر هذه الأرجوزة، وإسم الناسخ الذي ذكر إسمه في نهايتها، وهو عمار بن محمد مود بن عيسى الجلجلي.

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على نبيه و آله و صحبه، قدم المؤلف لأرجوزته المشروحة، بالتذكير بأن علم التوحيد أجل ما يطلب ويستفاد، إلى جانب تحقيق حدوث الخلق، لأن حدوث العالم يضيف نفس المصدر، هو أصل سائر العقائد و أساس تحصيل الفوائد. و لما كان الأمر كذلك يقول صاحب الأرجوزة :

نظمت نظماً شاملاً بيانه      يحل كل مشكل مكانه  
معتمداً على كلام الحبر      محمد بن يوسف ذي الخير  
و الله أستعين في التأليف      و أرتجي في النفع و التخفيف<sup>1</sup>  
أما الفصول التي تضمنتها هذه الأرجوزة فهي :

- ذكر البرهان القاطع على حدوث العالم<sup>2</sup> (28 بيتاً).
- ذكر الأصول التي ينبنى البرهان عليها<sup>3</sup> (10 أبيات)
- ذكر الإستدلال على الأصول السبعة<sup>4</sup> (47 بيتاً)
- الكلام في الزائد على الجرم و العرض و حدوثه على تقدير

---

1 - Ibid, F° .89.

2 - Ibid.

3 - Ibid, F° .91.

4 - Ibid, F° .92.

وجوده<sup>1</sup> (23 بيتا).

وإذا كان مؤلف هذه الأرجوزة وشارحها في نفس الوقت غير منتحل و غير مسبوق في هذا العمل المتميز، فيمكن تصنيفه من بين أبرز العلماء المسلمين الذين أنتجهم السودان الغربي، و كان للمغرب شرف الإسهام في تكوينهم بشكل مباشر أو غير مباشر.

## 5 - قصيدة في الدعاء للنجاة من شر الحوائج و المصائب من نقل عبد الكريم الناقل.<sup>2</sup>

يقول الناظم الذي لم يذكر إسمه، في مطلع هذه القصيدة، بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على الرسول صلى الله عليه و سلم :

و بعد ذا أطلب من الرب الرحيم      أن ينجيننا من كل جائح أليم  
كالدلف و الفيلات و الفئران      و الدود و الجراد و الحيتان

إلى أن يقول :

و الجيش و اللصوص و المعيان      لأنها سم فخذ بيان  
و الريح و النار فخذ فروع      و طامأ يفسد في الزروع

## 6 - وصايا جبريل لمحمد صلى الله عليه و سلم من نقل

عبد الكريم الناقل.<sup>3</sup>

يتعلق الأمر بمجموعة من الوصايا منها :

---

1 - Ibid, F° .93.

2- B.N.P, MO, FA, Man . 5410, F° 50.= =

قال صلى الله عليه وسلم: « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ضننت أنه سيورثني، و ما زال جبريل يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه يحرم طلاقهن... و ما زال جبريل يوصيني بصلاة الجماعة، حتى ظننت أنه لا تقبل الصلاة إلا في الجماعة، و ما زال جبريل يوصيني بالذكر حتى ظننت أنه لا ينفع قول إلا الذكر، يعني لا إله إلا الله محمد رسول الله، و ما زال جبريل يوصيني بالسواك حتى ظننت أنه فريضة».

## 7 - وصايا في الصبر و التمسك بحبل الله المتين للشيخ ألفا عمر بايلا البيضاوي<sup>1</sup>.

هذه الوصايا من إنشاء ألفا عمر بايلا طلبية الحاج عمر المرموقين، وأحد كبار قواده العسكريين الذين أبلوا البلاء الحسن في الجهاد. وهذه بعض وصاياه لمخاطبيه:

أذكرا نعمة الله علينا بإنجائنا من المصائب العظام و الكروب الجسام بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، و اصبرا على كد الزمان و اعلمنا أن الله مع الصابرين. زيدا صبركما و أحسنا الظن بالله لنيل ثوابه، فإن مع العسر يسرا. و كما قيل :

---

= = 3- Ibid.

1- B.N.P, MO, FA, Man . 5559, FF°. 164-165.

اشتدي أزمة تنفرجي قد أذن ليك بالبلج

و كما قيل: عسى فرج يأتي به الله...

إلى أن يقول :

الصبر أكثر الأعمال أجرا و هو الذي لا يعلم جزاؤه إلا الله الذي قال :

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب<sup>1</sup>﴾، هو قوله عز و جل :

﴿و لا يلقاها إلا الذين صبروا و لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم<sup>2</sup>﴾.

8 - حول أهمية الجهاد للحاج عمر الفوتي<sup>3</sup>.

ابتدأ الحاج عمر الفوتي هذا العمل بتعدد الآيات التي تحث على

الجهاد، و منها قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة

تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل

الله بأموالكم و أنفسكم<sup>4</sup>﴾. و قوله عز و جل : ﴿يا أيها النبي احرص

المومنين على القتال<sup>5</sup>﴾ ... الآية... إلى غير ذلك من الآيات، و كان آخرها:

---

1 - سورة الزمر، 10

2 - سورة القصص 80

3 - B N.P, MO. FA, Man. 5718, F°.

4 - سورة الصف 40

5 - سورة الأنفال 65



﴿وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم<sup>1</sup>...﴾.

بعد ذلك انتقل إلى الإستشهاد بقول الرسول صلى الله عليه و سلم في الموضوع عندما قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق أو كما قال...<sup>2</sup> » أو كما قال، و كذا التذكير بآل الرسول و صحابته، و كبار رجال الدولة الإسلامية الذين بذلوا نفوسهم و أموالهم في طاعة الله و رسوله، وفتحوا البلدان و الأقاليم و هم يقاتلون المشركين و الكفار في المشرق و المغرب، حتى دخلت كثير من الأمم في دين الله أفواجا.

و لم يفت الحاج عمر في هذا التأليف، تقديم النصيحة إلى كل من يعنيه الأمر، بضرورة مراعاة حقوق الله و واجباته في حسن معاملة أسرى الحرب و الرفق بهم، و عدم انتهاك حرمت النساء، و مراعاة سلامة الأطفال و الشيوخ، و عدم القيام بأعمال السلب و النهب.

## 9 - الحث على الجهاد لمحمد بن عثمان<sup>3</sup>

هذه الوثيقة عبارة عن خطاب وجهه المؤلف و هو تجاني من

---

1- سورة النور، 55.

2- B.N.P, MO, FA, Man. 5718, F<sup>o</sup>. 1.

3- B.N.P, MO, FA, Man . 5744. FF<sup>o</sup>. 71-72.

فوتاتورو، يحث أهلها على الإنخراط في الجهاد لشد أزر المجاهد الحاج عمر الفوتي، وينصحهم نصح الأخ لأخيه، والأب لابنيه على حد قوله، بالاجتهاد كل الإجتهد في الجهاد، لأن الجهاد ذروة الاسلام، فجعل الله من فضله ثمن نفوس أصحابه الجنة، لقوله تعالى<sup>1</sup> : ﴿إِن اللّٰهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ﴾. كما استشهد محمد بن عثمان بآيات أخرى في الموضوع، وأفاد أن الجهاد به تعلق كلمة الإيمان و تتسع دائرة الإسلام و يكثر الداخلون فيه و هو وظيفة الرسل و أتباعهم و به تصير كلمة الله هي العليا، لذلك ألح في القول و هو يخاطبهم «...فاعلموا أيدينا الله وإياكم، ورعانا ورعاكم أن الجهاد أولى ما تغتنمون و أفضل ما تلتزمون. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: «أفضل الأعمال إيمان بالله ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور...»<sup>3</sup>.

و بعد تقديم هذه الإستشهادات عاد المؤلف يخاطب مواطنيه ليذكرهم

---

1 - Ibid, F°. 71.

2 - سورة التوبة، 111.

3 - B.N.P, MO, FA, Man .5744, F°.71.

بأنهم خلان، حملهم الله راية الجهاد في هذه البلاد، وجعلهم حزب شيخ الإسلام وأمير الأنام، فشمروا عن ساق الجد والإجتهد ووقفوا على المراد، «فمن كان منكم ذا همة عالية ورتبة عند الله سامية، صبر وصابر ومضى في جهاده، و انفذ كلمة الله في عبادته، و تناسى الأهل والأوطان، وجعل الوطن حيثما كان، حتى يفتح الله للمسلمين البلاد، وينشر فيها بهم الرشاد، فيفوز بخير الدارين و يحوز كلتا الحسنين<sup>1</sup>»، فيملك ملك الدنيا وينال ملك الآخرة و ذلك غاية المراد من مومني العباد. و من كان خسيس همة، ذا رتبة دنية، تاقت نفسه إلى الوطن، و كثر تذكاره للسكن، و ذلك خلق البهائم و نقيض خير العزائم فيروغ هكذا عاصيا لربه و لشيخه أميره، فيذيقه الله نكال الآخرة و الأولى...قال الشاعر...:

تري قاصر الهمة يشتااق أهله و ذو الهمم العليا إذن يألو الصبرا<sup>2</sup>

**10 - نموذج من أدب فقه المعاملات من نسخ محمد بن**

**سلوت<sup>3</sup>**

ورد هذا النموذج في شكل قصيدة لم نعرف ناظمها. و تتضمن قضايا فقهية تهم بعض المشاكل المترتبة عن تعامل الناس يوميا فيما

---

1- Ibid, F° .72.

2- Ibid.

3- B.N.P, MO, FA, Man . 5410, FF° .61 à 65.

بينهم، من ذلك مثلاً قضية التولييع، وهو تسليم أو تفويت شيء من مال وغيره وانتقاله من شخص إلى آخر، والمشكل الذي يمكن أن يترتب عن ذلك بين الطرفين، بخصوص حصول هذا التسليم أو عدم حصوله، في حال ما إذا ادعى أحدهما كاذباً، أنه سلم ما عليه إلى صاحبه، أو عندما يقع العكس، فينكر المتسلم أنه لم يتسلم شيئاً. وفي هذه الحالة يقول الناظم:

و يثبت تولييع بإقرار مشترك

و بينة أو لم تفسر و قليل لا

و إلا فلا لكن يحلف إن جرى

نزاع بتولييع و ميل تحصلا

إذا لم يعاين قبض حق و إن بدا

فلا و خلاف فيه مع تهمة جلا<sup>1</sup>

و عن إمكان التوفيق بين العرف و الشريعة يقول :

بيان و تخصيص و تفسير مبهم

شهود و تقييد لعرف جرى جلا

به الحكم و الفتيا فإن صح ما جرى

من العرف فاحكم ناظرا و منخلا

صحيحاً و ضداً و الذي هو غالب

---

1- Ibid, F°. 61.

فاعط لكل ما اقتضاه وكملا<sup>1</sup>

إلى أن يقول بتواضع:

و في فاس أخصص بالنسا إن ادعى عليهن ذكران و في الغير أهملنا.  
إلى غير هذا من أمور و قصدنا

إراءة مبنا للبيت لينبلا

فإن قيل إن البعض مما نقلته

ضعيف نعم لكن على العرف عدلا<sup>2</sup>

و هنا خطورة مهمة القاضي، و ما يجب القيام به في حالة قصور  
معرفته إزاء نازلة معينة، يقول المؤلف :

و شاور ذوي علم و سو بمجلس

و لا تفتي في حكم و احضر ذوي العلا

و كن ذا تأن عارفا بعوائد

و احدث قضاء للفجور كما جلا

عن الأموي فالقضاء صناعة

كفتوى و نحل و احذر النقل مسجلا<sup>3</sup>

كما تضمنت نفس القصيدة فوائد فقهية ثمينة أخرى، لعبت بدون شك

---

1- Ibid, F° . 63.

2- Ibid.

3 - Ibid, F° .62.

دورها في تنوير مسلمي أهالي السودان الغربي.

## 11- منظومة ابن عاشر في فقه المالكية من نسخ عبد الله

مود صالح<sup>1</sup>

نقل الناسخ هذه المنظومة بكاملها مع شرحها، فشكلت مخطوطة من ثلاثة وعشرين ورقة، جاء في مطلع المنظومة كما نعلم :

يقول عبد الواحد بن عاشر مبتدئاً باسم الإله القادر

الحمد لله الذي علمنا من العلوم ما به كلفنا<sup>2</sup>

واختتم ابن عاشر نظمه الذي اشتمل على ثلاثمائة وأربعة عشر بيتاً

(314)، بقوله :

كفى ذا القدر نظماً لأن يفي بغاية وفي الذي ذكرته كفاية

أبياته أربعة عشرة تصل مع ثلاثمائة عد الرسل

سميته بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين<sup>3</sup>

ومما لا شك فيه ، أن الناسخ قدم خدمة جلية بنسخه لهذه المنظومة

وإشاعتها بين الناس في أدغال إفريقيا، فسهل عليهم بذلك إمكان التعرف

والإطلاع على ما يجب معرفته في الدين الإسلامي بالضرورة، وذلك في

أسلوب بسيط و مشوق يسهل التغني به من أجل حفظه عن ظهر قلب.

---

1 - B.N.P , MO, FA, Man . 5410, FF°. 95 à 117.

2- Ibid, F°. 95.

3- Ibid, F°. 117.

وأهم المواضيع الدينية التي تطرق إليها ابن عاشر في عمله هذا :

مقدمة لكتاب الإعتقاد معينة على الطاعات والمراد<sup>1</sup>.

– كتاب أم القواعد و ما انطوت عليه من العقائد<sup>2</sup>.

– كتاب الطهارة<sup>3</sup>.

– كتاب الصلاة<sup>4</sup>.

– كتاب الزكاة<sup>5</sup>.

– كتاب الصيام<sup>6</sup>.

– كتاب الحج<sup>7</sup>.

– كتاب مبادئ التصوف و هوادي التعرف<sup>8</sup>.

و من جهة أخرى يمكن اعتبار وصول هذه المنظومة الفقهية إلى إفريقيا جنوب الصحراء وانتشار تعاليمها بين الناس، أحد مظاهر إشعاع الفكر المغربي بالسودان الغربي، وإسهامه في توعية الناس وإطلاعهم على مكونات الحضارة العربية الإسلامية بالمنطقة، و هو إسهام لم ينقطع

---

1-Ibid, F°. 95.

2- Ibid, F° 96.

3- Ibid, F° .99.

4- Ibid, F° .102.

5- Ibid, F° .108.

6- Ibid, F° .110.

7- Ibid, F° .111.

8- Ibid, F° .115.

منذ أن وصلت الدعوة الإسلامية إلى شمال إفريقيا.

ب - نماذج من بعض الكتابات في علوم اللغة العربية  
وآدابها

1 - قصيدة في أبنية الأفعال و ما يتصل بها للإمام  
العلامة، جمال الدين أبوعبد الله محمد بن مالك الطائي  
الجياني<sup>1</sup>.

ناقل هذه القصيدة من مثقفي السودان الغربي خلال القرن 19، وهو  
عبد الكريم بن أحمد بن جلوت التجاني الطريقة، كما أن الفضل، على ما  
يبدو، في خروج هذا العمل من الإهمال و النسيان، يرجع إلى ابن المؤلف،  
كما يستفاد من المقدمة التي ورد فيها : «قال الشيخ الإمام أوحّد الفصحاء  
وفذ الأولياء بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الإمام العلامة، جمال الدين أبي  
عبد الله محمد بن مالك الطائي الجياني رحمه الله تعالى آمين، هذه أوراق  
تشتمل على قصيدة والدي رحمه الله في أبنية الأفعال و ما يتصل بها<sup>2</sup>...»  
و يلاحظ أن المؤلف بذل مجهودا محمودا في تأليفه هذا، بتخصيصه  
شرحا لمعظم أبيات هذه القصيدة، و ذكر ما يحتاج إليه من الأمثلة، لإيضاح  
ما أبهم على حد قوله. و قسم عمله إلى مقدمة و أبواب. يقول في المقدمة :

---

1- B.N.P, MO, FA, Man. 5410, FF°.132 à 137.

2- Ibid, F° . 132.



الحمد لله لا أبغي به بدلا  
 حمدا يبلغ من رضوانه الأملا  
 ثم الصلاة على خير الورى و على  
 ساداتنا آله و صحبه الفضلا  
 و بعد فالفعل من يحكم تصرفه  
 يحز من اللغة الأبواب و السبلا  
 فهناك نظما محيطا بالهمم و قد  
 يحوي التفاصيل من يستحضر الجملا<sup>1</sup>  
 أما الأبواب التي تطرق إليها فهي :  
 - باب أبنية الفعل المجرد و تصاريفه .<sup>2</sup>  
 - باب أبنية الفعل المزيد .<sup>3</sup>  
 - باب أبنية أسماء الفاعلين و المفعولين<sup>4</sup>  
 - باب أبنية المصادر .  
 - باب المفعول و معانيهما .<sup>5</sup>

---

1- Ibid, F° . 132.

2- Ibid.

3- Ibid, F° . 133.

4- Ibid, F° . 134.

5- Ibid, F° . 136

## 2 - شرح القصيدة اللامية المسماة بأبنية الأفعال في علم التصريف للإمام جمال الدين محمد بن مالك من نسخ البطل عبد الكريم بن أحمد الفوتي التجاني<sup>1</sup>.

لم يذكر مؤلف هذا الشرح المفصل والمفيد إسمه، وهو عمل امتد على حوالي 26 ورقة من الحجم الكبير، وتعدى مهمة شرح القصيدة المذكورة، إلى تطعيمها بإضافة قيمة وتنقيحها ونشر ذرها بين الناس. وكانت وراء هذا المجهود الذي يفتخر به، عدة اعتبارات حسب قوله.

أ - كون علم العربية في الدين بالمحل الأعلى والمقام الأعز والأسمى، إذ هو السلم الذي يرتقى إلى فهم الخطاب، والقنطرة التي عليها المجاز لفهم السنة والكتاب.

ب - إجماع أهل العلم سلفا وخلفا وتقربهم إلى الله بطلب علم العربية زلفى، وشرطوها في صحة الإمامة العظمى.

ج - فتور همم أبناء هذا الزمان وإعراضهم عن القيام بهذه المهمة العظيمة المتمثلة في طلب علوم اللغة العربية وتحصيلها والتضلع فيها<sup>2</sup>.

هذه إذن هي أهم الأسباب التي جعلت المؤلف، يصرح بأنه حاول اختصار مقاصد علوم اللغة العربية والإقتصار على الهمم من فوائدها، ليضرب بين أربابها بسهم مصيب ويفوز في الدعوة إليها بحظ نصيب،

---

1- B.N.P, MO, FA, Man . 5410, FF°; 138 à 164

2- Ibid, F° . 138.

فوفقه الله حسب تعبيره، أن شرح هذه القصيدة بضبط ألفاظها وفتح مقفلها و حل مشكلها، مع إكثار أمثلتها و التنبيه على كثرة معانيها بما يطابق ما أشار إليه ناظمها بقوله فيها<sup>1</sup>. و مما يعتبره إضافة منه لهذه القصيدة، ما ضمنه إليها، حسب قوله من فوائد و إشارات و تتمات و تنبيهات، بالإضافة إلى تقسيمات جديدة اختارها لها «فجاءت بحمد الله كتابا جامعا بين علمي اللغة و التصريف مانعا من الخطأ و التصحيف و التحريف، مغنيا عن حمل أسفار عديدة حاويا مع صغره لفوائد كثيرة...»، لذلك فهو يرى أنه لا يمكن أن يعرف قدر فضل عمله إلا من وقف عليه من مصنف و مدرس و غيرهما من طلبة العلم.

### 3 - أرجوزة مفسرة في النحو من نقل عبد الكريم الناقل<sup>2</sup>

لم يرد في هذا المخطوط ذكر للمؤلف. أما مواضيع النحو التي تطرقت لها هذه الأرجوزة فقدمها مع إرفاق كل موضوع منها ببيت من القصيدة الذي قيل فيه.

و هذه بعض الأمثلة :

أفعل التفضيل<sup>3</sup> :

و فعل التفضيل صله أبدا      تقديرا أو لفظا بمن إن جردا

---

1- Ibid

2- B.N.P , MO, FA, Man. 5410, FF°.54 à 61.

3- Ibid, F° ; 54.

النعته<sup>1</sup> :

يتبع في الإعراب الأسماء الأول . نعت و توكيد و عطف و بدل

التوكيد<sup>2</sup> :

بالنفس أو بالعين الإسم أكدا مع ضمير طابق المؤكدا

العطف<sup>3</sup> :

العطف إمانو بيان أو نسق و الغرض الآن بيان ما سبق

عطف النسق<sup>4</sup> :

فاعطف بواو لاحقا أو سابقا في الحكم أو مصاحبا موافقا

البدل<sup>5</sup> :

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلا

النداء<sup>6</sup> :

و للمنادي الناء أو كالناء يا و أي وءا كذا أي اثم هيا

المنادي المضاف إلى ياء المتكلم<sup>7</sup> :

---

1- Ibid, F° .55.

2- Ibid, F° .56.

3-Ibid, F° .57.

4- Ibid.

5- Ibid, F° .59.

6- Ibid .

7- Ibid, F° .60.

و اجعل منادى صح آخره أن يصف ليا

كعبد عبيدي عبدا عبيدا

أسماء لازمة للنداء<sup>1</sup> :

و قل بعض ما يخص بالنداء      لؤمان نومان كذا و المردا  
في سب الإثنين وزن يا خباث      و الأمر هكذا من الثلاث  
الإستغاثة<sup>2</sup> :

إذا استغيث اسم منادى ضبطا      باللام مفتوحا كيا للمرتضى.

4 - شرح لمتن الأجرومية للإمام الصنهاجي، من نقل عبد

الكريم الفوتي التجاني<sup>3</sup>.

متن الأجرومية، كما هو معروف من تأليف ابن أجروم أبي عبد الله  
الصنهاجي (ت 723/1323) النحوي، وهو من أهل فاس، وقد اشتهر  
بهذا المتن المعروف بـ «المقدمة الأجرومية في علم العربية»، وقد خص  
هذا التأليف بعدة شروح، أما الشرح الذي بين أيدينا هنا فهو للشيخ حسن  
الكفراوي<sup>4</sup> الشافعي المصري، وهو شرح مسهب شمل 39 ورقة،

---

1- Ibid, F° .61.

2- Ibid.

3-B.N.P, MO, FA, Man. 5581. FF° . 1à 39.

و ابن أجروم (أبو عبد الله الصنهاجي (ت 723 هـ)، نحوي من أهل فاس، اشتهر بكتابه  
«المقدمة الأجرومية في علم العربية» المعروفة بالأجرومية، أنظر المنجد في اللغة و الأعلام، ص 4.  
4 - الكفراوي حسن بن علي (ت 1202 هـ)، فقيه و مفتي شافعي مصري، ولد في كفر =

و قد اهتم بنسخه و التعريف به بين المسلمين من مثقفي إفريقيا جنوب الصحراء الفقيه التجاني عبد الكريم الفوتي خلال سنة 1245 هـ.

أخبرنا مؤلف هذا الشرح في المقدمة عن أن سبب إقدامه على هذا التأليف، يرجع إلى كون بعض المحبين له، المترددين عليه، المرة بعد المرة طلب منه أن يشرح متن الأجرومية للإمام الصنهاجي، شرحا لطيفا، يكون مشتملا على بيان المعنى و إعراب الكلمات، مع الإكثار فيه من الأمثلة، بشكل يجعلها متميزة عن باقي الشروح و بعد أخذ و رد يقول الشارح: قبل القيام بعمل على الوجه المذكور، ليكون سببا للنظر لوجه الله الكريم، موجبا للفوز لديه بجنت النعيم...<sup>1</sup> و يلاحظ أن الفقيه الكفراوي استهل عمله هذا بإعراب بسم الله الرحمان الرحيم<sup>2</sup>. أما آخر آية اشتغل بإعرابها في نهاية عمله فهي قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ<sup>3</sup>﴾

5 - أوراق تحتوي على لغة اسم الحيوانات و طبائعها  
لمؤلفه مرابط بن فندملك بن أبي بكر بن عثمان النوري بلدا

---

= = الشيخ من كتبه أعراب الأجرومية، أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، دارالمشرق،

بيروت، 1988، ص 464،

1 - B.N.P, MO, FA, Man .5581, F° .1.

2- Ibid.

3- Ibid, F° .39.

## ومسكنا<sup>1</sup>.

هذا التأليف من إنجاز أحد فقهاء السودان الغربي من مدينة نيورو قاعدة كارطا Karta، و مع أن هذا المخطوط المتكون من حوالي إحدى عشرة ورقة، غير مؤرخ، فإننا نرجح أن يكون صاحبه معاصرا لدولة الحاج عمر الفوتي التجانية، باعتبار أن بلاد كارطا كانت وثنية ولم يعتنق أهاليها الإسلام إلا بعد انتشار التجانية بها، بعد منتصف القرن 19 كما علمنا.

غير أن هذا لا يعني أن الإسلام كان غير موجود بصفة نهائية بهاته البلاد، بل كانت بها أقلية مسلمة خصوصا في نيورو، استفادت من الإشعاع الفكري لبلاد شنقيط من جهة، و تمبكتو من جهة ثانية. كما أنه يحتمل أن يكون ناسخ هذا العمل و ناشره بين الناس هو عبد الكريم الناقل أو أحد تلاميذه، و كلهم تجانيو الطريقة.

يقول المؤلف في مقدمة عمله بعد البسملة و الصلاة و السلام على الرسول: «أما بعد فهذه أوراق تحتوي على لغة إسم الحيوانات و طبائعها و سرده على الحروف الهجائية، ليسهل للمطلع نظر ما فيه<sup>2</sup>...». من الحيوانات التي أتى على ذكرها :

---

1- B.N.P, MO,FA, Man . 5410, FF°.166 à 170.

2- Ibid, F°.166.

## \* حرف الألف<sup>1</sup>.

الإنسان - الأسد - الإبل - الأبابيل - الأتان - الأخطب (حمار يعلو ظهره) - الأحنضر (ذباب أخضر) - الأرضة - الأساريح (دود أحمر) - الصرمان (الذئب) - الأضلة (حية كبيرة).

## \* حرف الباء<sup>2</sup>.

البابوس (الصغير من الأولاد) - البازل (البعير) - الباله (سمكة تكون في البحر الأعظم يبلغ طولها خمسون ذراعاً) - البيبغاء (بثلاث باءات) - البح (من طير الماء) - البخرم (ولد البقر وحش) - البخت (من الإبل الضخمة...).

## \* حرف التاء<sup>3</sup>:

التالب (الوعل والأنثى تالبه) - التبيع (ولد البقر أول سنة والأنثى تبعية و الجمعة تتابع وتباع) - التتفل (ولد الثعلب).

## \* حرف الثاء<sup>4</sup>:

الثاغبة (النعجة) - الثرملة (أنثى الثعالب) - الثعالة (اسم للثعلب) - الثلخ (فرخ العقاب).

---

1- Ibid.

2- Ibid, F° .167.

3- Ibid, F° .169.

4- Ibid.



## **\* حرف الجيم<sup>1</sup> :**

الجاموس - الجحلة (الحرباء) - الجرجس (الباعوض) - الجوارش  
(النحل) - الجمل...

## **\* حرف الحاء<sup>2</sup> :**

حاتم (الغراب الأسود) - الحية...

و نكتفي بهذا القدر من الأمثلة، لإعطاء نبذة عن أهمية هذا الكتاب،  
الذي يقدم فكرة عن المستوى الجيد الذي أدركه بعض مثقفي السودان  
الغربي خلال القرن التاسع عشر، في التمكن من اللغة العربية، و سبر  
أغوارها، مما مكنهم من إنجاز أعمال فكرية لها قيمتها كهذا الذي نعرف به.

**6- قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير بن أبي سلمى، من**

**نقل حميد بن الوال بن سليمان بن الوال بب<sup>3</sup>.**

يقول مطلع هذه القصيدة كما هو معروف :

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول      متيم إثرها لم يفد مكبول

و ما سعاد غداة البين إذ رحلوا      إلا أغن غضيض الطرف المكحول<sup>4</sup>

إلى أن يقول :

---

1- Ibid, F° .170.

2- Ibid, F° .171.

3- B.N.P, MO.FA, Man . 5410. FF° .66 à 70 .

4- Ibid, F° .66.

تطول بالمرء في الدنيا غرامته    تغره صحة فيـها ندامته  
لا تعجبوا قامت قيامته    كل ابن أنثى وإن طالت سلامته  
فلا بد يوما على آلة الحدية محمول<sup>1</sup>.

و مما لا شك فيه أن فشوا مثل هذه القصائد و النصوص الأدبية في  
عامة الناس و خاصتهم، من المثقفين بالسودان الغربي، ساهم في إنماء  
رصيدهم المعرفي باللغة العربية، و ساعدهم على الخوض في عوالمها  
الثرية بالعطاءات الحضارية.

7 - أبيات تجمع المثلث من الكلام للشيخ قطرب<sup>2</sup> بن  
أحمد، من نقل محمد السنوسي نساب الفوتاجلوني بلدا التجاني  
طريقة<sup>3</sup>.

ذكر المؤلف في مقدمة العمل أنه لما نظم أبيات هذه القصيدة التي

---

1- Ibid, F°. 69.

هذا مع ملاحظة أن نص القصيدة الذي حققه و علق عليه عبد الرحيم يوسف الجمل يختلف  
قليلا مع نص قصيدة هذه الوثيقة و نقصانا أنظر : كعب بن زهير، بانت سعاد ، تحقيق و تعليق عبد  
الرحيم يوسف الجمل، المطبعة النموذجية، الحلمية الجديدة، مصر 1990.

2 - قطرب (أبو علي ت 821 هـ)، لغوي نحوي مفسر من أهل البصرة، أخذ النحو عن  
سيبويه الذي لقبه بقطرب. ذهب مذهب المعتزلة. من كتبه «معاني القرآن» و «غريب الحديث»  
«والأضداد»، «و المثلثات»، أنظر منجد الطلاب، م.س، ص 440.

و القطرب : هو المصروع. و تشرح أيضا بمعنى دويبة لا تستريح من الحركة أو هي التي  
تضيء في الليل كأنها شعلة.... و في معنى آخر تشرح بصغار الجن. أنظر منجد الطلاب، ص 440.

3- B.N.P, MO, FA, Man.5573, FF°.146 à 148

تجمع لمثلث من الكلام مرتبة على أحرف المعجم، وابتدأها بقوله : «إن دموعي غمر»، لاحظت عليه ابنة له بقولها : «ياأبت، ألم يكن لهذه الأبيات أول لأنك لم تخاطب بها أحدا، و كان ينبغي لك أن تنادي شخصا ثم تتكلم عليه» فقال لها متسائلا، وما كنت أقول ؟ فأنشدت البيت الأول فأعجب به ووظفه كمنطلق لنظم أبيات قصيدته. وهذا البيت هو:

يا مولعا بالغضب      والهجر والتجنب<sup>1</sup>  
ثم واصل المؤلف قوله :

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| حبك قد برح بي                  | في جده واللعب                 |
| إن دموعي غمر <sup>2</sup>      | و ليس عندي غمر <sup>3</sup>   |
| يأيها الغمر <sup>4</sup>       | أقصر عن التعتب                |
| بدا وحيا بالسلام <sup>5</sup>  | رمى عودي بالسلام <sup>6</sup> |
| أشار نحوي بالسلام <sup>7</sup> | بكفه المختضب                  |

.1- Ibid, F° . 146.

1 - الغمر بالفتح الماء الكثير

2 - الغمر بالكسر الحقد.

3 - الغمر بالضم الذي لم يجرب الأمور.

4 - السلام بالفتح التحية.

5 - السلام بالكسر الحجارة الصغيرة.

6 - السلام بالضم ظاهر الكف.

تيم قلبي بالكلام<sup>1</sup> وفي الحشامنه الكلام<sup>2</sup>  
فسرت في أرض الكلام<sup>3</sup> لكي أنال مطلب<sup>4</sup>

إلى آخر ما قاله من مدح و غزل في محبوبته.

ومرة أخرى، نجد أن إشاعة و نشر مثل هذه المختارات الأدبية العربية النفيسة على أيدي مثقفين تجانين، يشكل أحسن دليل على الدور الذي قام به تلاميذ و مريدو الشيخ عمر الفوتي في نشر الثقافة العربية الإسلامية بالسودان الغربي خلال القرن 19.

---

1 - الكلام بالفتح الحديث.

2 - الكلام بالكسر الجراح.

3 - الكلام بالضم الأرض الصلبة.

4 - B.N.P, MO, FA, Man .5573, F° .147.

## الفصل الثالث

بعض مظاهر الحضور المغربي في  
الإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي



انطلقت الطريقة التجانية كما علمنا من فاس، و انتشرت بعد ذلك في كل أنحاء المغرب من أقصاه إلى أقصاه، ثم عم إشعاع تعاليم هذه الطريقة كل بلاد السودان الغربي، بفضل العمل الذي قام به الشناقطة بأقصى الجنوب المغربي، منذ أن أخذ شيخهم محمد الحافظ الطريقة عن الشيخ التجاني مباشرة، ونشرها ببلادها في بادئ الأمر، قبل أن تنتقل إلى ما وراء نهري السنغال و النيجر . غير أن الذي عمق جذورها ووطد أركانها في غرب إفريقيا حتى بحيرة تشاد، هو المجاهد الحاج عمر الفوتي، بفضل فتوحاته بالمنطقة التي مكنته من إنشاء إمبراطورية إسلامية تجانية خلال النصف الثاني من القرن 19، و هو ما فصلنا فيه القول سابقا.

و بما أن هذه الحركة الصوفية الإصلاحية بالسودان الغربي، بذرة مغربية طيبة، عبر كل أطوار نموها و ترعرعها إلى أن أثمرت قيادة إسلامية فذة جددت الإسلام و حاربت الوثنية و المسيحية بكل اقتدار، فإن الحضور المغربي الديني، الفكري و البشري، ظل متواصلا بإفريقيا جنوب الصحراء على طول المدى الزمني الذي شهد بداية قيام الزاوية التجانية هناك، و نشأتها و انتشار نفوذها في بلدان السنغال و النيجر و ما وراءهما، و إلى يومنا هذا، محافظة بذلك على استمرارية الروابط التاريخية التي جمعت بين المغرب و بلدان السودان الغربي عبر تاريخه الإسلامي.

إن عناصر المعلومات التي نود إدراجها ضمن هذا الفصل، لمن

شأنها أن تؤكد هذا الحضور المغربي، من خلال ما تركه بعض التجانيين المغاربة من إنتاج فكري متنوع، لكنه يدور بشكل عام حول مواضيع أهمها: التأريخ لحياة الحاج عمر وأهم أعماله الجهادية، و مباركة حركته الإصلاحية بمنطقته و تهنئتهم له بالمناسبة، و الاشادة بعدله و نوابه، وكذا طلب أوراده و الإلتجاء إليه أو الإحتماء به، مع تقديم بعض الأعذار من قبل من لم يساعدهم الحظ في نيل شرف الجهاد إلى جانبه. و مما ساعد على ربط هذا الإتصال و نقل الأخبار، وجود أحد المغاربة الشناقطة في ميدان القتال إلى جانب الحاج عمر، و الذي كان يبعث برسائله إلى تجانيي أهم المدن المغربية، كفاس و مكناس و مراكش، يخبرهم بتطور الأحداث في المنطقة. كما تسمح بعض هذه الوثائق، بمعرفة وجود تجانيين سودانيين قاموا بحمل رسائل من المغرب إلى الحاج عمر سلطان الدولة التجانية، بل نجد تجانيا مغربيا من فاس يشد الرحال إلى مركز حكم ابن الحاج عمر وخليفته بماسينا، أحمد المدني، بعد وفاة أبيه. و قد ارتأينا تصنيف هذه الوثيقة المتعلقة بقدوم هذه الشخصية الرفيعة المستوى إلى السودان الغربي، ضمن الكتابات المغربية بشكل استثنائي (تعسفي)، رغم أن كاتبها مشكوك في مغربيته، لسبب واحد مهم، و هو كون معلوماتها تدور حول هذا القادم من فاس، الذي هو أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن الشيخ محمد الغالي، يعني حفيد شيخ الحاج عمر الفوتي المباشر في الطريقة التجانية. و هذا أكبر دليل على العناية الفائقة التي تحتلها إفريقيا جنوب



الصحراء في قلوب المغاربة، و أحد أبرز مظاهر حضورهم بها.  
و قد ظهر التقارب بين المغرب و الدولة التجانية في الربع الأخير من  
القرن 19، أكثر وضوحا، عندما أصبح مجموع التراب الخاضع لنفوذ أحمد  
الكبير ابن الحاج عمر، مهددا من قبل الفرنسيين، فكتب هذا الأخير إلى  
السلطان المغربي في سنة 1301 هـ [1884]، يطلب منه المدد لمحاربة  
العدو الفرنسي، معلنا له أن البلاد بلاده و هو نائب عنه فيها فقط<sup>1</sup>.  
و يمكن تقسيم هذه الرسائل و الوثائق المغربية من حيث جهة  
صدورها إلى قسمين، مجموعة من شمال المغرب و أخرى من جنوبه.

## **I - مجموعة كتابات شمال المغرب (فاس-مراكش).**

و يتعلق الأمر هنا بما كتبه مجهول فاس، و بما كتب عن وصول حفيد  
محمد الغالي من نفس المدينة إلى السودان الغربي، بالإضافة إلى كتابات  
الفقيهين محمد أكنسوس، و محمد بن عبد الواحد النظيفي، وكلاهما من  
مراكش.

### **1 - مجهول فاس : تأليف حول حياة الحاج عمر<sup>2</sup>**

لم نتمكن للأسف من الحصول على نسخة للنص العربي لهذا

---

1 - محمد إبراهيم الكتاني ، مصادر تاريخ إفريقيا من خلال المخطوطات المغربية، مجلة  
الأكاديمية، عدد 4، نونبر 1987، ص 232. =

المخطوط المجهول المؤلف، و الذي قدم له و ترجم محتواه جول ساليك Jules Salenc ، مدير مدرسة فيدر ب Faidherbe بجزيرة كوري Gorée السنغالية، إلى الجنوب من دكار آنذاك. و عن كيفية حصوله على هذا المخطوط، يذكر في مقدمة عمله أن الذي سلمه له مشكوراً هو القائد العسكري كادن Lieutenant Colonel Gaden حاكم موريطانيا العام، والذي كان قد سلمه له بدوره مقدم الزاوية التجانية بفاس سيدي محمد العبدلاوي<sup>1</sup>.

هذا المخطوط الذي يحمل عنوان : سيرة الحاج عمر Biographie، يضم معلومات، قسمها المترجم إلى أربعة أقسام.

**أ- جرد بصفات الحاج عمر الحميدة، و بقوة شخصيته العلمية و الدينية، مع تتبع مراحل تعرفه على التجانية وانخراطه فيها.**

ب - رسالة موجهة إلى علماء المغرب من قبل شنقيطي بتاريخ 24 شوال 1282، هو أحمد بن العباس العلوي الشنقيطي، الذي رافق الحاج عمر لمدة من الزمن في عملياته الجهادية. و هي الرسالة التي حوت معلومات عن نوع دروس التربية و التعليم التي يعطيها الشيخ الفوتي

---

= 2- La vie d'al Hadj Omar, traduction d'un manuscrit arabe de la Zaouia Tidjaniya de Fés accompagnée, d'une introduction et de notes, par Jules Salenc, in Bulletin du Comité d'Etudes, Historiques et Scientifiques, 1918, pp. 405 à 431.

1- Ibid.

لتلاميذه و مريديه ، بالإضافة إلى تقديم جرد لأهم الأحداث التاريخية للنزاع المسلح الذي كان يخوضه ضد إمبراطور سيكو Ségou وملك ماسينا خلال سنوات 1861-1862-1863-1864<sup>1</sup>.

و كتعليق على هذه الرسالة نرى من جهتنا، أن مضمون نصها العربي، يوجد بكامله في كتاب كشف الحجاب لأحمد سكيرج (ص335)، الذي لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في الحصول عليها، إلا أنه من المحتمل جداً أن تكون هذه الرسالة هي واحدة من الرسائل التي وجهها أحمد بن العباس الشنقيطي إلى تجانيي المغرب كما سيأتي، و التي من المفروض أن تكون في ملكية مؤلف كشف الحجاب.

ج - بعض المعلومات المتعلقة بالجانب الفكري و الثقافي لشخصية الحاج عمر، مع لائحة لأهم الكتب التي ألفها.

د - الجزء الرابع و الأخير من هذا المخطوط و المتعلق بمناقب الحاج عمر هو الأكثر طولاً على حد تعبير المترجم، لكثرة ما سرده المؤلف من كرامات و خوارق ظهرت على هذا الشيخ<sup>2</sup> و رواها بلسانه. و مما تجدر ملاحظته هنا، أن كل هذه الكرامات المنسوبة للشيخ عمر في هذا العمل المترجم منقولة بكاملها من كتابه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم. و كتقييم إجمالي لعمل مجهول فاس، نرى أن مضمون مخطوطه

---

1-Ibid, p. 406.

2 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب مصدر سابق، ص 335 و ما بعدها.

يتكون في الحقيقة من ثلاثة مؤلفين<sup>1</sup>.

- المجهول و هو الذي قدم معلومات القسم الأول و الثالث.

- أحمد بن العباس العلوي الشنقيطي صاحب الرسالة الموجهة إلى المغرب.

- الحاج عمر الذي وردت أخبار الكرامات على لسانه.

و رغم ما يبدو من تلفيق في هذا المخطوط، فإن صاحبه بذل في الواقع مجهودا محمودا تحرى فيه الأمانة العلمية، بذكر المصادر التي اعتمد عليها في كتابة مؤلفه، و قدم إسهاما عز نظيره في ميدان الكتابة التاريخية المتعلقة بإفريقيا جنوب الصحراء، لما في ذلك من تعزيز لمقولة الحضور الفكري المغربي المستمر بالسودان الغربي، و انشغال المغاربة واهتمامهم بكل الأحداث الكبرى التي ميزت تاريخ المجتمعات الإسلامية الشقيقة بالسودان الغربي.

غير أن السؤال الذي لم تجب عنه معلومات هذا المخطوط، و لا استنتاجات المترجم له، هو كيفية حصول المؤلف المجهول نفسه على أوصاف الحاج عمر. هل ساقته الأقدار إلى السودان الغربي و عاش فترة من الزمن إلى جانب هذا الشيخ مما مكنه من إعطاء أوصاف دقيقة عن شخصية الحاج عمر المادية و المعنوية؟ أم استقى معلوماته من خلال

---

1- La vie d'Al Haj Omar, Traduction d'un manuscrit arabe de la Zaouia Tidjaniya, op. cité, p. 406.

الرواية الشفوية، وهو يستجوب بعض من يفد من بلدان الساحل و أعالي نهري السنغال و النيجر من حين لآخر لزيارة ضريح الشيخ التجاني بفاس، و الذهاب لأداء فريضة الحج، مع علمنا مسبقا بأن الإشكال غير مطروح بالنسبة للجوانب الأخرى من معلومات مخطوطه.

## 2 - محمد الصغير بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن موسى بن محمد الداري التجاني : حول وصول حفيد محمد الغالي إلى السودان الغربي<sup>1</sup>.

تحمل هذه الوثيقة المخطوطة تاريخ جمادى الأولى 1285هـ [1865م]، وقد أورد فيها صاحبها خبر قدوم أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن محمد الغالي أبو طالب، من فاس على أمير المومنين أحمد الكبير المدني، وهو حفيد شيخ الحاج عمر الفوتي المباشر في أخذ ورد الطريقة التجانية، الذي التقى به و لازمه مدة من الزمن في مكة و المدينة إلى أن تحقق مراده كما علمنا، و كان يوم وصوله يوما عظيما، و تاريخا مشهودا، لأن القادم أحد فروع الشجرة الطيبة التي كانت نبتتها الأولى، قيام الزاوية التجانية بفاس على يد الشيخ المؤسس، قبل أن تمتد فروعها إلى كل أنحاء المعمور، و مما يعبر عن أهمية هذا الحدث و جلاله، قول المؤلف :«و خرج الخليفة أيده الله و نصره لتلقيه و ملاقاته و فرح به جدا و أكرمه

---

1- B.N.P, MO, FA, Man .5679, FF° 59-60.

غاية الإكرام، وفرح به المسلمون عموما و خصوصا، والله تعالى الحمد و مزيد الشكر، وهذا من سعادة الخليفة المنصور...ولما لقيه الخليفة و حياه و صافحه، كنت أول من صافحه بعد الخليفة و لله تعالى الحمد و مزيد الشكر<sup>1</sup>...».

و قد صادف مجيء حفيد الشيخ محمد الغالي ضيفا على سلطان الدولة التجانية، صناعة أول خاتم للأمير أحمد الكبير المدني ليختم به وثائقه، و حتى يتبرك بهذا القدوم و يصير عنده طالع يمن و مصدر كل فتح مبين، يضيف نفس المصدر، كانت أول وثيقة ختمها بهذا الطابع، هي تلك التي بعث بها إلى حفيد شيخ الزاوية وضيفه يطلب منه فيها صالح الدعوات، فيما هو مقبل عليه من الأعمال و السياسات و يلتبس منه ضمنا تزكيته سلطانا على البلاد، و لما حصلت على ما يبدو هذه التزكية «اتفقت جماعة الإسلام و اجتمعت على دعاء الخليفة و تسميته نصره الله بأمر المؤمنين و ندائه بذلك و منع ما سوى ذلك<sup>2</sup>...». ويمكن أن نستنتج من هذا الكلام أن أحمد الكبير المدني استغل وجود السلطة الروحية المؤثرة ليدعو رعيته إلى تجديد بيعته سعيا وراء الحصول على دعم أكبر، مما لا يترك مجالا للشك في كون كبار الدولة التجانية بالسودان الغربي، كانوا يعتبرون أنفسهم

---

1- Ibid, F° .59.

2- Ibid, F° . 61.

امتداد المغرب من الناحية الدينية و الروحية، و أحيانا السياسية كما  
أشرنا إلى ذلك آنفا.

### 3 - ثلاث رسائل من الفقيه محمد أكنسوس إلى الحاج عمر.

تمكننا من وضع اليد على ثلاث رسائل للعلامة محمد أكنسوس، يمدح  
فيها الشيخ عمر الفوتي و يهنئه على ما فتح الله على يديه من بلدان  
بالسودان الغربي، و ما دخلت بفضل من أمم مشركة في الإسلام، كم  
يطلب منه قضاء بعض الأغراض في إحدى هذه الرسائل و كلها غير مؤرخة  
في إحدى هذه الرسائل و كلها غير مؤرخة باستثناء واحدة.

أ - الرسالة الأولى<sup>1</sup> : استهلها الفقيه أكنسوس، مخاطبا عمر بقوله

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على نبيه :

سلام كما فاحت أزهار سوسان

و ماست على كثرانها قضب البان

يحملها جيب الجنوب تحية

تنم بمسراها نواسم ريحان

تسير مسير الشمس و هنا فتنتني

من الغرب نحو الجوف تجري بحسبان<sup>2</sup>

---

1- B.N.P, MO, FA, Man .5582, FF° .57-60.

2- Ibid.

إلى أن يقول :  
أحملها نحو الحبيب رسالة  
مدونة في شرح حال ووجدان  
وناشدنا بالله إلا تفضلت  
بتبليغ أحبابي السلام و جيرانني  
تحية مشتاق إلى ذاك الحمى  
و سكانه النازحين بأظعان  
سقى الله هاتيك الديار وأهلها  
سحائب تحكي صوب مدمعي الفاني  
و حى ربوع الحي من كل بلدة  
تخيرها قوم أخاير سودان<sup>1</sup>  
و مما يدل على أن أخبار عمليات الجهاد بالسودان الغربي ضد الكفر  
والوثنية بقيادة الحاج عمر، كانت تصل أصدائها إلى المغرب قول الناظم  
في نفس القصيدة مواصلا تغنيه بشأن بطل هذه الأحداث :  
و أيده بالرعب تسري أمامه  
كتائبه تجلي غياهب كفران  
تشايعه أجناد كل موقف  
له قصبات السبق في كل ميدان

---

1- Ibid.



جيوش كقطع الليل للخيـل تحته  
إذا صـهلت مفتنة رجـع الحان  
فتومض من بيض الظبا ببوارق  
وتقذف من سمر الرماح بشهبان  
تراع لها الأصنام في أرض رمة  
ويخشى لظاها كل عابد أوثنان<sup>1</sup>  
إلى أن يقول :

أيا ناصر الإسلام شم بأرق المنى  
وباكر لروض في ذرى المجد فينان  
قضى الله جل الله أن تملك الدنى  
وتفتحها من بين سند و سودان  
و أنك تطوي الأرض غير مدافع  
فمن أرض سودان إلى أرض بغداد  
و تملأها عدلا يرف لواؤه  
على الهرمين أو على رأس غمدان<sup>2</sup>  
و بما أن الشاعر يرى في الشيخ عمر الشخص الذي حطم الأصنام  
وقهر عبدة الأوثان بالسودان الغربي، و ملأ أرضها عدلا بعد أن ملئت

---

1- Ibid.

2- Ibid.

جورا، فهو لا يتردد في تشبيه عمر هذا بعمر بن الخطاب :

أيا سمي الفاروق ووارث سمته

و ناصر دين الحق من غير بهتان

أيا سمي الفاروق تابع هديه

وسنته المثلى بتحقيق برهان

أيا سمي الفاروق وباني عزنا

فلا هدم المبنى ولا فقد البان

تضمن بك الدنيا وتحرسك العلى

<sup>1</sup> فتضحى لديها بين لحظ وأجفان

ثم أتم هذه القصيدة، التي بلغ عدد أبياتها خمسة و خمسين قائلا :

و كن واثقا بالله منتصرا به

فسلطانه يعنوله كل سلطان

فلازلت للدنيا تحوط جهاتها

<sup>2</sup> و للدين تحميه بملك سليمان

<sup>3</sup> ب - الرسالة الثانية:

هذه الرسالة غير مؤرخة أيضا، وهي عبارة عن قصيدة كذلك

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- C.E.D.R.A.B. Tombouctou. Man. 184.

تطرقت أبياتها لنفس المواضيع المطروقة في القصيدة السابقة تقريبا، مع ملاحظة تخصيص غناية أكبر في إنشائها من قبل الفقيه أكنسوس تقديرا لمخاطبه، وإبرازا لعلو كعبه على ما يبدو، في قرض الشعر و نظم القوافي، علاوة على إلمامه بعلوم أخرى، غير أن الأمر الأكثر دلالة في هذه القوافي، هو افتتان صاحبها بالحاج عمر، و تقديره الكبير له. يقول مطلع هذه القصيدة الخمسة، التي عثرنا عليها بمركز أحمد بابا بتمبكتو :

إلى نخبة الأخيار ياقوت أزمان

وقــــــــائد جند الله فوتي بلدان

من العاشق الفاسي نازح أوطان

سلام كما فاحت أزهار سوسان<sup>1</sup>

إلى أن يقول واصفا صلاح الحاج عمر و نسكه :

ديانة الله طاعة أروع

وعفته في الناس عفة أرفع

وإن رame سود القلوب تشرقت

وإن هزه حرر الثناء تدفقت<sup>2</sup>

ياشمس قطرنا ياسور حرزنا

و من خاض أمواج الخطوب لفوزنا

---

1- Ibid

2- Ibid

ويا من به نسمو على عروشنا

أيا سمي الفاروق يا باني عزنا<sup>1</sup>

و من مظاهر تمازج الفكر المغربي و السوداني و انصهار حضارة  
البلدين في بوتقة واحدة، إقدام أحد رعايا الدولة التجانية على تخميس  
قصيدة الفقيه أكنسوس الأنفة الذكر في مدح الحاج عمر. و الخمس هو  
محمد الأمين بن باي السوقي، الذي يذكر أنه قبل «تخميس قصيدة الشيخ  
الكنسوسي الفاسي التجاني... بإشارة من الذهب الأحمر و الياقوت  
الأخضر سيدنا أحمد التجاني بن ألفا أحمد الفوتي التجاني أعلى الله  
كعبه<sup>2</sup>...».

و نقدم في ما يلي بعض الأبيات من هذا التخميس.

إلى نخبة ياقوت أزمان

و قــــــــــــائد جند الله فوتي بلدان

من العاشق الفاسي نازح أوطان

سلام كما فاحت أزهار سوسان

و ماست على كتبائها قضب البان<sup>3</sup>.

ديانة الله طاعة أروع

---

1- Ibid.

2- C.E.D.R.A.B. Tombouctou. Man . 287, F° .2.

3- Ibid.

و عفته في الناس عفة أرفع  
وإن رامة سود القلوب تشرقت  
وإن هزه حر الثناء تدفقت  
أنامله عرقا تدفق خلجان<sup>1</sup>

### ج - الرسالة الثالثة<sup>2</sup>

هذه هي الرسالة الوحيدة المؤرخة، من بين هذه الرسائل الثلاثة،  
وتحمل تاريخ غرة ربيع الأول 1277هـ [1861م]، وهي الرسالة التي  
أتت أكثر تفصيلا وإفصاحا عن بعض الأغراض، مع اشتغالها على قدر  
مهم من المدح المنثور والمنظوم، وهذا ما جعل مضمونها يمتد على  
حوالي أربع ورقات. وهكذا بعد أن بسم المؤلف و صلى صلاة الفاتح  
على النبي الكريم، افتتح خطابه ببيتين شعريين مدحيين في حق الحاج  
عمر:

إني ليشفيني النسيم إذا سرى متضوعا من تلكم الآفاق  
من مبلغ بالحي أهل مودتي أني على حكم المحبة باق<sup>3</sup>  
ثم استطرد قائلا ومخاطبا :

«ناصر الحق عند تقاعد الأنصار، وفائدة الزمان والاعصار، وفتح

---

1- Ibid.

2- B.N.P , MO, FA, Man . 5705, FF° . 84 à 87.

3- Ibid, F° .84.

الأقطار والأمصار، وقدوة أولي الأيدي والأبصار... الذي لا يناله في طلب مرضاة الله تعالى قصور ولا اقتصار... عماد المريدين وأستاذ السالكين ومحط رحال المستفيدين والمتبركين... محيي طريقة الرجال، الفارس السابق في ذلك المجال... بحر المعارف والعلوم الزاخرة، التي لا يدرك مجده ولا فخاره... أبو حفص سيدي الحاج عمر الفوتي، أعز الله ذكرك ورفع ما ارتفعت السماوات قدرك...<sup>1</sup>.

بعد ذلك ينتقل الفقيه أكنسوس، شيئاً فشيئاً، إلى صلب الموضوع، الذي كان وراء كتابة هذه الرسالة، والذي يمكن تقسيم الأفكار الواردة فيها إلى أربع نقاط :

1 - تهنئة الحاج عمر بالفتح الأعظم الذي حصل على يده بالسودان الغربي، وقد عبر عن ذلك بقوله : « ... وإنه قد تشنفت الآذان بهذه البشرية الحاصلة لعلاكم، المطرزة لحلاكم، فيالها من بشرى لم يبق طائر إلا غرد بها وصدق، ولا شهاب دجنة إلا اقتبس منها واقتدح، ولا صدر مسلم من داء الحسد إلا انشرح...، فتح عظيم قلد أجياد المنابر عقوداً، وأحف الأمة المحمدية ظلاً ممدوداً، وفتح لها من الخير باباً كان مسدوداً... فالحمد لله الذي أقال بكم العثار، ونظم بدعوتكم الإنتثار، ويأخذ من أهل الزيف والفساد بالثار<sup>2</sup> ».

---

1- Ibid.

2- Ibid, F° . 84.

2 - التعريف بنفسه للحاج عمر وطلب النصح والموعظة والمدد منه.  
وقد أظهر الفقيه أكنسوس في هذا الموضوع تواضعا ما بعده  
تواضع تقدير وإجلال للحاج عمر ، كما يظهر من قوله : «و كاتبه يريد أن  
يعرفكم بعض التعريف بنفسه الحقيرة الذليلة الفقيرة، وهو وإن لم يكن من  
العرير ولا من النغير، فإنه يرجو أن يكون له من عظيم جاهكم وجاه  
أشياخكم مجير من جميع المخاوف وخفير<sup>1</sup>...». وبعد أن عرف بنفسه  
ونسبه وتاريخ أخذه الطريقة التجانية، طلب منه أن يخصه بمدد الباطن  
الذي أكرمه الله به، بما يضمن له خير الدنيا والآخرة وكفاية فتنتهما «لأننا  
ضعفاء فقراء<sup>2</sup>»، وحتى يشعر الشيخ أكنسوس مخاطبه بأنه مجد في  
طلبه، وعلى أشد ما يكون من الإصرار على الحصول على رضاه عليه  
ودعواته له، التمس منه أن يعقد له «عقد الأخوة في الله الخاصة وتكتبوا لنا  
بخطكم كتابا ندخره وتطمئن به نفوسنا...»، وذلك يضيف أكنسوس،  
راجع إلى أنه «لا غنى عن بركاتكم<sup>3</sup>...».

3 - إشعاره بالإعتناء بأخباره وتتبعها، والدليل على هذا القول، يفيد  
نفس المصدر : «قد ورد علينا قبيل هذه المدة بنحو خمس سنين أو أربع  
رجل إسمه السيد عثمان، وذكر أنه من خاصتكم، فأقام هنا مدة ثم

---

1- Ibid.

2- Ibid, F° .85.

3- Ibid.

وجهناه مع من يقوم بشأنه ذهابا وإيابا حتى يحج و يرجع<sup>1</sup>...» ثم أخبره  
بوصول رجل آخر إسمه أحمد بن عبد الله، من أهل جندم الذي «أفادنا من  
أخباركم و أحوالكم السعيدة ما طابت به نفوسنا<sup>2</sup>».

4 - التماسه من الحاج عمر إيلاء عناية خاصة لحامل الرسالة التاجر  
الحاج محمد القباج و مساعدته على قضاء الغرض الذي جاء من أجله.  
ورغم أن هذا الطلب أتى مرتبا في آخر أغراض الرسالة، فمما لا شك فيه أنه  
يشكل أهم مطالب الفقيه أكنسوس من الحاج عمر، بسبب أهميته  
الإقتصادية، لذلك فاق التركيز على هذا المطلب و الإلحاح في إنجاح مسعى  
صاحبه كل تركيز و إلحاح على باقي المطالب.

و يتعلق الأمر حسب منطوق الرسالة بكون الحاج محمد القباج  
الفاسي، كان أحد أقربائه تاجرا في البلاد التي تخضع لنفوذ الحاج عمر، ثم  
وافته المنية هناك، و ترك تجارته و ماله و أشياء أخرى متفرقة هنا وهناك،  
و عليه، يضيف نفس المصدر، فإن القباج المذكور يوجه إلى تلك الديار،  
ليحوز أموال قريبه، «فإذا وصل إليكم فالمرجو أن تكرموه وتؤوه  
وتحسنوا إليه حتى يحوز جميع ما يجب له من متروك ابن عمه فإنه رئيس  
قومه و أمين جنسه...<sup>3</sup>». و من دلائل حرص الفقيه أكنسوس على إنجاح

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- Ibid.



هذه المهمة، وبذله أقصى الجهد حتى يعود القباج سالما غانما من السودان الغربي، هذه العبارات «...وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه...»»، ثم قوله: «خذوا بيده أخذ اللطف والحنان، ولا تتكلموا في أمره على أحد حتى يقضى مراده»<sup>1</sup> قبل الحاج عمر، من جراء هذا الإلحاح المبالغ فيه، استطرد فقيها قائلًا: «...وقد علمنا وعلم الناس أن عدلكم واعتناءكم بالغرباء لا يحتاج معه إلى توصية ولا تأكيد ولكن أردنا الزيادة له لأنه من أحبائنا، وأولاده كلهم من أتباع وسيلتنا»<sup>2</sup>.

و غني عن الذكر، أن ما ورد في هذا المطلب الأخير من الرسالة، يعتبر مؤشرا مهما على وجود علاقات تجارية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، إلى جانب العلاقات الثقافية خلال القرن 19، رغم العراقل المختلفة التي خلقها المد الإستعماري على القارة الإفريقية عامة وعلى المغرب وعمقه الصحراوي السوداني خاصة.

#### 4 - محمد بن عبد الواحد النظيفي : إجازة في الأوراد

##### التجانية<sup>3</sup>.

عثرنا على هذه الوثيقة، من ورقة واحدة، بخزانة مركز أحمد بابا بتمبكتو، تتضمن إجازة في الأوراد التجانية، أجاز بها محمد النظيفي

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- C.E.D.R.A.B. Tombouctou. Man . 9201, F°1.

مولاي محمد بن مولاي البشير القاضي تمبكتو، بطلب من هذا الأخير، وتحمل تاريخ 1341 هـ [1923م]. غير أننا لم نتمكن من معرفة ما إذا كان قاضي تمبكتو حصل على هذه الإجازة بالمراسلة، أم زار الفقيه النظيفي بمراكش، بعد أن شد الرحال إليه؟ وهذا دليل آخر على الحضور الفكري المغربي بالسودان الغربي، ودوره في إثراء الإنتاج الفكري التجاني بالمنطقة.

## II - مجموعة كتابات جنوب المغرب

نتطرق تحت هذا العنوان للتعريف بمجموعة من التأليف و الرسائل المخطوطة بأقلام عدد من التجانيين الشناقطة الذين عززوا الحضور الفكري التجاني المغربي، في قسمه الجنوبي آنذاك بالسودان الغربي، باعتبار أن بلاد شنقيط خلال القرن 19، كانت جزءا لا يتجزأ من المغرب، وظلت الوضعية كذلك إلى أن تدخل المستعمر خلال القرن العشرين، فأدت أطماعه إلى فصل هذا الجزء عن الوطن الأب.

و مع وعينا بأن مضمون هذه الكتابات لا يشكل كله إنتاجا فكريا يرتبط بتعاليم الطريقة التجانية و فقيهاتها مائة في المائة، فإن مبرر اختيارنا لإدراجها ضمن الكتابات التجانية، هو كونها صادرة عن تجانيين مغاربة، كان المحرك الأساسي لكتابتهم لها، انشغالهم البالغ بحدث قيام الدولة التجانية بالسودان الغربي، فأسهموا من خلال : هذه الكتابات في التأريخ لقيام هذه الدولة و لبعض رجالاتها، و أبدوا تشبثهم بها و تعاطفهم

مع قاداتها، و عبروا عن استعدادهم للتضحية من أجلها و نصررة طريقتها، و المساهمة في المزيد من نشر أولوية عدالتها و هم يلفتون انتباه خلفاء الحاج عمر إلى بعض تجاوزات عمالهم في جباية الأموال. و نقدم فيما يلي نماذج هذه الكتابات.

## 1 - أحمد العلوي التجاني الشنقيطي كمؤرخ لبعض أحداث قيام الدولة التجانية بالسودان الغربي و التعريف ببعض رجالاتها.

لقد لعب هذا الفقيه الذي سبق التعريف به في فصل سابق دورا كبيرا في ربط الصلات بين المغرب و السودان الغربي لعدة أسباب أهمها :

- قرب بلاد شنقيط و محاداتها لمجال نفوذ الدولة التجانية بإفريقيا جنوب الصحراء، خلال النصف الثاني من القرن 19.
- مشاركته الفعلية في الأحداث التي مهدت لقيام هذه الدولة إلى جانب الحاج عمر.
- زيارته لشمال المغرب، و خصوصا فاس لتجديد تعلقه بشيوخه هناك، مثل محمد أكنسوس، و العربي بن السايح، و بلقاسم بصري.
- بعثه بعدة رسائل إلى تجانيي المغرب يخبرهم فيها عن تطور حركة الحاج عمر الجهادية بالمنطقة.

و لذلك فإن المعلومات التاريخية التي رصدها بخصوص جهاد الحاج عمر، و نشر طريقته التجانية، و الصعوبات التي لاقاها من جراء ذلك،

والتي حرص المؤلف على تنوير الرأي العام بها في شمال المغرب، انطلاقاً من ميدان الأحداث أو من بلاد شنقيط، ضمنها كتابه «روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة» الذي سبقت الإشارة إليه، وبعض رسائله.

## أ - بعض العناصر التاريخية من خلال كتاب روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر الطريقة<sup>1</sup>.

يعتبر هذا الكتاب كما علمنا كتاب تراجم، عرف فيه مؤلفه بكبار رجالات التجانية في شمال المغرب وفي جنوبه، بالإضافة إلى آخرين في السودان الغربي. وهذه أهم أسماء كبار فقهاء التجانية الواردة فيه، والذين وضعوا أنفسهم رهن إشارة شيخهم الحاج عمر، فكريا وسياسيا وعسكريا، فأبلاوا البلاء الحسن، في الإستماتة والدفاع بالغالي والنفيس، من أجل ضمان الإنتشار الواسع والنفوذ القوي للطريقة وإديولوجيتها.

✱ عبد الكريم الفوتجلي (الناقل)<sup>2</sup> : ذكر عنه المؤلف أنه من فوتاجلون، وكان مقدما للطريقة التجانية، وهو الذي لقن الطريقة للشيخ عمر قبل اجتماعه بمحمد الغالي. وعن علمه يضيف نفس المصدر، أنه كان

---

1 - خطوط بخزانة الباحث.

2 - أحمد العلوي الشنقيطي، روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر الطريقة، م.س،

على قدر عال من الإطلاع على علوم الدين و مصادرها، و كانت وفاته في ماسينا، دون أن يحدد المصدر تاريخ هذه الوفاة.

✱ **عمر بن سعيد الفوتي**<sup>1</sup> : هذا الشيخ الذي كان وراء نشر الطريقة التجانية و قيام دولتها بالسودان الغربي، و الذي أصبح معروفا لدينا، لأنه شغل نصف بحثنا تقريبا، خصص له المؤلف في روض شمائله حيزا كبيرا، لأنه شيخه، و للأدوار الكبيرة التي لعبها في نشر الإسلام وتجديده بإفريقيا جنوب الصحراء و هذا بعض ما قال عنه : «ومنهم شيخنا أمير المومنين عمر بن سعيد الفوتي، فتح الأقاليم والبلدان و كسر الأصنام و الأوثان، و أنار القلوب والأبدان و طهر السرائر و الإعلان...».

✱ **المختار بن وديعة الله (الماسيني)**<sup>2</sup> : سبق أن عرفنا به أيضا، أما المؤلف فقد وصفه بالعالم العامل، المحقق الفاضل، العارف الواصل، كان من أشبال الطريقة الجامعين بين الشريعة و الحقيقة، له مناقب كثيرة و تآليف شهيرة، منها: البروق اللامعة في أصحاب الفيوض الهامعة، والفتوح القدسانية في إعراب شواهد المعاني القرآنية، و فتح رب العالمين في شرح تذكرة الغافلين، و تحفة أهل الجبال في معرفة أحوال الرجال. توفي سنة 1280 هـ<sup>3</sup>.

---

1-م نفسه، ص 12.

2-م نفسه، ص 23.

3-م نفسه.

✱ عبد الله الحوصي<sup>1</sup> : تحدثنا عنه في مكان سابق، لكن المؤلف

قال عنه هنا أنه من أصحاب الشيخ عمر و أرفعهم درجة.

✱ الفاهم عمر البيضاوي<sup>2</sup> : هو حسب نفس المصدر، مثل عبد الله

الحوصي من حيث قيمته و تقربه من الحاج عمر، و كلاهما : «من أشهر أصحاب الشيخ عمر رضي الله عنه، بحيث لا نظير لهما في جميع عساكره<sup>3</sup>...».

كما ورد في هذا الكتاب أخبار تاريخية قيمة أخرى متفرقة، كان المؤلف شاهدا عليها، أو دونها من قائلها مباشرة، تعزز الارتباط الفكري للسودان الغربي بالمغرب، خلال الفترة التي تهمنا في البحث، و الدور المتميز الذي لعبته التجانية في ذلك، على يد الحاج عمر نفسه، مؤسس الزاوية التجانية بحوضي السنغال و النيجر. و من أمثلة ذلك ما رواه الحاج عمر لمؤلف روض شمائل أهل الحقيقة، من أنه حين اجتمع بالشيخ بناني المصري التجاني الطريقة بمصر، وجد عنده مراتب الفاتحة الثلاثة، و مراتب صلاة الفاتح لما أغلق الثلاثة، مقيدة عنده في كتاب، وأخبره بناني أن «سيدي الحاج علي حرازم برادة أتاه يوما و في يده كتاب، أخذ

---

1.م نفسه، ص 25-26.

2.م نفسه.

3.م نفسه.

الورقات في وسطه بأصبعيه وقال له (لبناني): أذنت لك في نسخ هذه الورقات، وإياك أن تنظر ما قبلها ولا ما بعدها، ونسخها فإذا هي محتوية على المراتب الستة المذكورة. قال الشيخ عمر: ونسختها من يده<sup>1</sup>. وقد ذكر المؤلف كتعقيب على هذا الخبر أنه رأى هذه المراتب عند شيخه الحاج عمر، فطالعها وتبرك بها.

وهكذا يمكن أن نخلص إلى القول أن هذا الكتاب، لما حواه من معلومات و تراجم لرجال التجانية في المغرب و السودان الغربي، قدم برهانا آخر على مدى اهتمام المغاربة بتجاني تلك البلاد و تتبعهم لأخبارهم، و مساندتهم الفعلية بالفكر و السلاح، ناهيك عن الخدمة الجليلة التي قدمها نفس الكتاب لأسرة الطريقة و مريديها، كمصدر يعرف بأكابر هاته الطريقة، و يخلد أسماءها و لتبقى نبراسا يهتدي به الخلف في المغرب و السودان الغربي، و بلدان إسلامية أخرى.

#### **ب - معلومات تاريخية من خلال بعض رسائل المؤلف.**

أهمية هذه الرسائل رغم قلتها، تكمن في الدور الإخباري الذي قامت به لفائدة المغرب عن تطور الأحداث بالسودان الغربي، و جعل تجانيي المدن المغربية و الرأي العام المغربي، على علم بما يطرأ من تطورات جديدة في ساحة الجهاد من نصر و هزيمة. و مما يزيد من قيمة أخبار هذه

---

1-م نفسه، ص 42.

الرسائل أن مؤلفها الشنقيطي كان ينتقل بين المغرب و مسرح العمليات  
الجهادية العمرية التجانية.

و نظرا للأهمية التي كان يعلقها أحمد العلوي الشنقيطي على رسائله  
هاته، في نقل أخبار حركة الحاج عمر الجهادية، بفعل معاشته لها، فقد  
حرص على إشاعة معلوماتها على أوسع نطاق داخل المغرب. و اعتمد من  
أجل ذلك منهجية خاصة، عمد فيها إلى توجيه خطاب عام لكل تجانيي  
المغرب، ثم خطابات خاصة لأبرز فقهاء الطريقة مثل أكنسوس، و بلقاسم  
بصري، و العربي بن السائح، و طلب من كل هؤلاء الأخيرين أن ينقل  
أخبار ما تضمنته الرسالة الموجهة إليه من معلومات تتعلق بعمليات الحاج  
عمر الجهادية بالسودان الغربي. و عدد هذه الرسائل أربعة، تحمل كلها  
نفس التاريخ الذي كتبت فيه، و هو يوم 24 شوال من عام شرفاء أي سنة  
1282هـ بحساب الجمل. و هي حسب الأطراف الموجهة إليها كالآتي :

– رسالة إلى عدد من تجانيي فاس، مكناس، مراكش، رباط الفتح  
وغيرها من مدن المغرب<sup>1</sup>.

– رسالة إلى محمد أكنسوس<sup>2</sup>.

– رسالة إلى محمد بلقاسم بصري<sup>3</sup>.

---

1- B.N.P, MO, FA, Man.5484, FF°. 114 à 116.

2- Ibid, FF°. 114-115.

3- Ibid, FF°. 113-114.



- رسالة إلى محمد العربي بن السايح<sup>1</sup>.

الرسائل الثلاثة الأخيرة، يناقش فيها كاتبها، أمور تخص كل واحد من هؤلاء الشيوخ على حدة، مما يكتنه من احترام لهم، و شوقه إلى رؤيتهم بهم، و إعلامهم بأنه سر لورود أخبار مطمئنة عنهم بواسطة أحد التجانيين المغاربة، الذي حل ضيفا عليه، و هو الحاج محمد بن عاشور السمغوني، كما يعتذر من خلال إحداها لمحمد بلقاسم بصري عن ما صدر منه من خطأ، عندما قضى ستة أشهر في فاس و لم يزره. غير أن الرسالة الأكثر أهمية بالنظر إلى ما اشتملت عليه من معلومات تاريخية تهم السودان الغربي عموما، و تطور عمليات جهاد الحاج عمر خصوصا، هي الرسالة الأولى الموجهة إلى كل المغاربة، تجانيين و غير تجانيين، كما يفهم من بعض العبارات الواردة فيها، و لذلك فهو يطلب من كل واحد من شيوخه الثلاثة الذين راسلهم فردا فردا، بأن يذيعوا و ينشروا فحوى هذه الرسالة الموجهة للجميع.

فخطابه بهذا موجه للخصوص و العموم. الخصوص عنده هم: «ساداته و أشياخه و أحبابه و إخوانه، الساكنون بمدينة فاس، ومكناس، و مراكش، و رباط الفتح، و غير ذلك من مدن المغرب، و خصوصا الفقيه أكنسوس، و المقدم سيدي محمد بلقاسم

---

1- Ibid, F° .116.

بصري، و سيدي العربي بن السايح<sup>1</sup>.

أما خطابه للعموم فقد أشعر به المؤلف شيوخه الثلاثة، و فسر لهم سبب ذلك كما يتضح من هذا النص : «و قد كتبنا إلى كل واحد منكم وثيقة مستقلة به، و جمعناكم في هذه الوثيقة، لأن ما فيها لا يختص بواحد منكم عن واحد، بل يختص بتجاني عن قادري، عن شاذلي، عن ناصري. و لا يختص بمالكي، عن شافعي، عن حنفي، عن حنبلي، لأن جميع المومنين يحبون من يعز الإسلام وأهله و يوهن الكافر و دولته<sup>2</sup>». و حتى يضمن لمحتوى هذه الرسالة انتشار على أوسع نطاق، طلب من كل واحد من مخاطبيه أن ينسخها ويرسلها إلى الثاني، و الثاني إلى الثالث و هكذا.

و عندما نقرأ فحوى ما جاء في هذه الرسالة، التي يصر فقيها على إطلاع الجميع عليها، نجد أنها تتضمن موضوعين هامين، هما طلب التوصل بأخبار سلطان المغرب مولاي محمد بن عبد الرحمان، ثم تقرير موجز و مركز، يعرف بالحاج عمر و يقدم جردا لأهم الأحداث التي طبعت مسيرة حركته بالسودان الغربي. و لا يستبعد وجود علاقة و ترابط بين هذين الموضوعين، فإلحاح المؤلف و إبداءه الرغبة في التوصل «بخبير السلطان مولانا سيدي محمد نصره الله و أيده و أعلى كلمته، مع أول

---

1- Ibid, F°. 115.

2- Ibid.

قادم إلينا من جهتك<sup>1</sup>، يمكن تفسيره بانشغال الرأي العام في بلاد شنقيط والأوساط التجانية العمرية في السودان الغربي، بما كان يعرفه المغرب في : التاريخ الذي كتبت فيه هذه الرسالة (1863) من أحداث مؤلمة بعد انهزامه في حرب تطوان، و ما فرض عليه من غرامات مالية ثقيلة نتيجة لذلك. و عليه فمن المحتمل أن للمؤلف غيرة على بلاده، كان يريد الإطلاع على الوضع الحقيقي المعيش، حتى إذا ما تيقن أن كل شيء يسير على أحسن ما يرام، و أن المغرب قد استرجع عافيته، اقترح على الحاج عمر شيخ الطريقة التجانية و أمير دولتها بغرب إفريقيا، أن يتقدم بطلب المساعدة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان لمواصلة الجهاد ضد وثنبي المنطقة. إنه مجرد افتراض ، في غياب أي دليل مادي يؤكد هذا الطرح، رغم أن احتمال وقوعه على أرض الواقع تعزز به بعض المؤشرات التي تحدثت عن توصل الحاج عمر بالفعل ببعض المساعدات من المغرب بطلب منه<sup>2</sup> ، دون أن يقدم المصدر الذي أورد هذا الخبر، ما يكفي من الحجج المطمئنة.

و مع ذلك نقول إنه لا وجود لدخان بدون نار، كما أن العناصر الإخبارية كانت خرافية، فهي تنطوي في كثير من الأحيان على بعض الحقيقة. و مما يقوي أيضا احتمال تقدم الحاج عمر بمثل الطلب المذكور،

---

1- Ibid.

2- Robinson (D.), op. cité, pp 344-345.

أن ابنه و خلفه أحمد الكبير المدني تقدم فعلا بطلب المساعدة من المغرب بعد انتصار القوات الفرنسية عليه، و إطاحتها بالدولة التجانية، و اجتياحها لمدينة تمبكتو خلال العقد الأخير من القرن 19، تشهد على ذلك رسالته إلى سلطان مولاي الحسن<sup>1</sup>، بالإضافة إلى رسائل و وفد أعيان نفس المدينة إلى نفس السلطان، ملتمسة منه العون و المدد للدفاع عن بلاده و رعاياه هناك<sup>2</sup>.

أما الموضوع الثاني المتعلق بالحاج عمر، فقد قدم حوله مؤلف الرسالة الأولى العامة الخطاب، كل ما يكفي من المعلومات التي تعطي فكرة عن شخصيته و عمله و أهدافه. و إذا كان يبدو لنا اليوم في نهاية القرن العشرين، و نحن ندرس موضوع التجانية في المغرب و السودان الغربي، أن مثل هذه المعلومات فقدت بريقها و أهميتها، فإن الأمر كان مختلفا خلال النصف الثاني من القرن 19، لذلك نقدر أن توصل المغاربة بمضمون هذه الرسالة التي تسلط الأضواء على قائد مسلم، تجاني الطريقة بالسودان الغربي أخلص النية لله، فرفع راية الإسلام خفاقة،

---

1 - سبقت الإشارة إلى ذلك، أنظر:

- عبد الله الفاسي، مسلك الصلاح و ملهم الرشد و الفلاح، في قضية انتصار أهل السودان بالسلطان الجليل المقدس مولانا الحسن، مطبوع على الحجر بفاس، عام 1325 هـ.

2 - محمد إبراهيم الكتاني، تاريخ إفريقيا من خلال المخطوطات المغربية، ص 231 و

ما بعدها.

وألقى عبادة الأوثان ووقف في وجه المد الاستعماري، كان بدون شك مثار  
فخر واعتزاز لإنهاض الهمم وشدح العزائم، التي نالت منها الإنكسارات  
المتتالية.

إن الحاج عمر، حسب هذه الرسالة، شيخ علم وتعليم وتربية، له  
مريدون عديدون سكن بهم في خلاء من الأرض، يعلمهم العلم الظاهر  
والباطن ويعظمهم صباحا ومساء «و يربيههم بالنظرة واللقمة، تكفل  
بكسوتهم ونفقتهم، سمعته مرة يقول أقل: ما يخرج من بيتي للأضياف  
في كل ليلة قبل هذا الجهاد، خمسمائة مائدة، وأقل ما يكون في المائدة  
الواحدة قرى خمسة أضياف...»<sup>1</sup>.

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن مرحلة الجهاد، وذكر الحاج  
عمر لم يقرر إعلان الحرب على الأعداء حتى كانوا هم البادئين في الإعتداء،  
فأخذ الإذن بعد ذلك من قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم  
ظلموا...﴾، بل قبيل إعلان انطلاق عمليات الجهاد أورد نفس المصدر على  
لسان الحاج عمر أن الله تعالى، أعلمه بعد العشاء، لليلة الإثنين لعشر بقين  
من ذي القعدة الحرام، عام حص شر<sup>2</sup>، بأنه مأذون في الجهاد في سبيل  
الله، بهاتف رباني، ثلاث مرات<sup>3</sup>، فانطلقت بذلك مرحلة الجهاد.

---

1- Ibid, FF°. 115-116.

2 - 1268 بحساب الجمل

3- B.N.P,MO, FA, Man .5484, FF°. 115-116.

ثم واصل المؤلف من خلال نفس الرسالة تفصيل الحديث عن أهم مراحل هذا الجهاد الذي تغلب بفضلله على بلاد كارطا، و بلاد سيكو الوثنيين كما تعرض للخلاف الإيديولوجي الذي حصل بين الحاج عمر وملك إمارة ماسينا المسلمة، و الذي كان سببا في دخول الدولتين المسلمتين في حرب طاحنة فيما بينهما، بسبب تشبث كل طرف بموقفه، ولاعتقاد الصواب معه دون الآخر. و لم يغفل أحمد العلوي في هذه الرسالة موقف أحمد البكاي القادري الطريقة، المعادي للحاج عمر، ووقوفه إلى جانب سلطان ماسينا و ما ترتب عن ذلك من هزائم في صفوف دولة ماسينا Macina و حليفها البكاي، قبل أن تنهار الدولة التجانية نفسها، مع ملاحظة أن المؤلف لا يتحدث عن هذا الإنهيار<sup>1</sup>.

و من العناصر الإخبارية المهمة في هذه الرسالة المرتبطة دائما بموضوع الحاج عمر، ما أورده المؤلف من تفاصيل عن نوايا ملك ماسينا التوسعية التي لا يصدقها العقل، و يدخل في ذلك ما كتبه مرة - يضيف نفس المصدر - «إلى السلطان مولانا عبد الرحمان تغمده الله برحمته، أنه يجب عليه مبايعته، و مر الحاملون للكتاب بمن أخذ الكتاب منهم من الذهاب به إلى المغرب، و قد كتب أيضا بمثل هذا سلطان هوص عتيق بن الشيخ عثمان بن فودي، وكذلك كتب إلى كل سلطان من الجهات الأربعة<sup>2</sup>...».

---

1- Ibid, FF° . 115-116.

2- Ibid.

هذا الأمير المسلم المستبد، القادري الطريقة، ذو الأطماع اللامتناهية، هو الذي جعل الحاج عمر حدا له، وقضى على أحلامه كما تخبر بذلك هذه الرسالة.

هذه كانت إذن، هي بعض جوانب مساهمة أحمد العلوي الشنقيطي في التأريخ لأحداث السودان الغربي، و تقريبها من أذهان المغاربة، مثل ما نقل بعض أخبار المغرب إلى إفريقيا جنوب الصحراء، فشكل بذلك صلة وصل بين القطرين الشقيقتين، و عزز الحضور الفكري التجاني المغربي بغرب إفريقيا.

## 2 - شنقيطي مجهول الاسم، يطلب الورد و النيابة و خطة القضاء من الحاج عمر<sup>1</sup>.

دخل المؤلف مباشرة في الموضوع، فأعلن أن من أهم المهمات عنده، الإعتصام بحبل الحاج عمر و الإنحياش إليه، و الدخول في زمرته، بأخذ التلقين منه ليكون من جملة عياله و عيال «شيخنا أحمد التجاني سلم وصول الأولياء و خاتم فصهم رضي الله عنه<sup>2</sup>...»، و يقصد المؤلف بالتلقين، أخذ الورد من الحاج عمر و الترخيص له في إعطائه لمن طلبه منه. ثم التمس منه بعد ذلك إجازته له في مروياته، من كتب الحديث

---

1- B.N.P, MO, FA, Man.5678, FF° . 64 à 66

2- Ibid, F° . 64.

والتفسير، بذكر سندها المتصل إلى مؤلفيها، مع مساعدته على الحصول على مؤلفاته مثل المقاصد و الرماح و السيوف، و ذلك حسب تعبير صاحب هذه الرسالة «كي أنقلها في بلدي لنفسي و لإخواني، فإن ذلك أدعى للقبول و أرجى للإجابة إن شاء الله تعالى<sup>1</sup>». و الهدف من كل هذا، يقول المؤلف، لكي يكون حقيقة من جملة تلامذته الناصحين له وللشريعة، ولكي لا ينقطع الخبر بينهما، و يعرف الناس ذلك، فتأمن الطريق و يختفي قطاعها.

و من الأمور الملفتة للنظر في هذا الكتاب، رغبة صاحبه في أن يبسط الحاج عمر نفوذه على بلاد شنقيط التي كانت تعرف في هذا الوقت فوضى و تمزقا، إذ رغم أن الكثير من المغاربة الشناقطة تطوعوا للعمل ضمن حركة الشيخ الفوتي الجهادية، فإن دولة هذا الأخير ركزت اهتمامها على ما يوجد شرق تيشيت وولاته، مما يشمل بلاد كارطا و سيكو الوثنيتين، ثم سيكو وباقي بلدان منحني نهر النيجر. و هذا يعني أن الحاج عمر ركز على بلاد السودان دون البيضان، و عن العجم دون العرب و البربر، لكن أولوية العدالة التي نشرها الحاج عمر في مناطق نفوذه، على ما يبدو، هي التي جعلت صاحب هذه الرسالة يقترح على أمير الدولة التجانية صراحة، أن يهتم بما يشمل ودان، وولاته و تكانت Tagant و سائر الجنوب الشنقيطي، لما يشكله ذلك من دعم لسياسته : « فلتكن أهم جهة عندكم أرض العرب إذ

---

1- Ibid.



هي سفينة الإسلام، فبالتمكن منهم ينتشر الإسلام... ولا أظن أن واحدا يعصيك... فإن فعلتم ذلك أطاعتكم العرب و العجم إن شاء الله بغير كثير قتال<sup>1</sup>...».

و مما يدل على أن المؤلف يريد الحكم لنفسه و النيابة عن الحاج عمر في بلاد شنقيط، و ترسيمه في خطة القضاء، إبلاغه لمخاطبه أنه على استعداد للقيام بالواجب، إن أراد منه معلومات عن أحوال القبائل وأسمائها ورؤسائها و مناقب هؤلاء الرؤساء و الأعيان، ثم بعد ذلك : «أريد العون على ما ابتليت به من خطة القضاء، ببعثكم معي أعوانا يعينونني على تنفيذ الحق و لكم الأجر إن شاء الله<sup>2</sup>...».

### 3 - نقل بعض فقهيات الحاج عمر من كتابه المقاصد السنية على يد محمد بن محنض التجاني اليعقوبي (الشنقيطي)<sup>3</sup>.

مضمون هذه الوثيقة بدوره، يشهد على مدى الإهتمام الذي أولاه المغاربة في الجزء الجنوبي من البلاد، للحاج عمر، كرجل سياسة و فكر وإفتاء، نظرا لما قدمته الكثير من مؤلفاته من أجوبة على عدد من الأسئلة، التي كان يفرزها واقع المجتمع في السودان الغربي. و مع وعينا بأن

---

1- Ibid, F° . 65.

2- Ibid.

3- B.N.P, MO, FA, Man. 5608, FF° . 289 à 291.

الشناقطة لم يكونوا في حاجة إلى فتاوي الحاج عمر : لكثرة علمائهم، فإن آراء كبار العلماء لا يمكن الإستغناء عنها لما يمكن أن تشكله من إضافة أو تعديل، وهذا أمر كان يدركه فقهاء شنقيط تمام الإدراك، نظرا لما تميزوا به من تسامح و ميل إلى القبول بالاختلاف في الرأي.

و الأمر يتعلق في هذه الوثيقة ببعض آراء الحاج عمر الفقهية، عمل محمد اليعقوبي على نقلها من كتاب المقاصد السننية الذي سبق التعريف به، و تحبيسها على الزاوية التجانية كما عبر عن ذلك في آخر نفس الوثيقة، التي تعكس موقف الحاج عمر ممن لم يجد قوتا و ألبأته عوارض الأقدار لحكم القهر و التحتم إلى أن يأخذ قوته من المحرم شرعا، بحيث إذا لم يأخذ منه مات في الحين، أو مات بعض عياله لضيق الوقت و فقد السبيل. وهل يمكن إدخال السماح بمثل هذا في قوله تعالى : ﴿فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا إثم عليه<sup>1</sup>﴾.

و كان جواب الشيخ عمر أن الترخيص بالأكل من المحرم شرعا والدخول في حكم هذه الآية الكريمة، يجب أن يراعي حالة الإضطراب القصوى، و لا يجب الإلتفات، تفيد هذه الفتوى، لما نقل عن السيد الحسن ابن رجال من تساهل في الموضوع، بحيث لا ينبغي التغافل في هذه الحالة عن ضبط القاعدة الشرعية و التحقق فيها، مراعاة لقول النبي صلى الله

---

1- Ibid.

عليه و سلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، و قوله صلى الله عليه وسلم «إذا أمرتكم بشيء، فافعلوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا»، و قوله سبحانه و تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا<sup>1</sup>﴾. و قول الشاعر :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه و جاوزه إلى ما تستطيع  
و زيادة على هذا الرأي الفقهي ذيلت نفس الورقة ببعض الوصايا المنسوبة للحاج عمر، و قد تكون لغيره إنما ضمنها كتابه المقاصد السنية، ومنها : «عليك بإصلاح نفسك قدر الإستطاعة، فإن العمر قصير و السفر طويل و العقبة كؤود، و العمل ثقيل، و الحساب بين يدي الله شديد و العمل بأمر الله هو المنجي من هذه الأمور<sup>2</sup>»، بالإضافة إلى ما نسب من كلام في نفس المصدر لسيد محمد بن السماك رضي الله عنه كقوله : «من أقبل على الله بقلبه، أقبل الله عليه برحمته و صرف وجوه الناس إليه، و من أعرض عن الله، أعرض الله عنه جملة<sup>3</sup>...».

4 - محمد بن أحمد الخليل التيشيتي يدعو قومه إلى  
مبايعة الحاج عمر و مناصرته<sup>4</sup>

---

1- Ibid, F° .289.

2- Ibid.

3- Ibid.

4-B.N.P, MO, FA, Man. 5480, FF° .26 à 28.

في وثيقة سابقة تعرفنا على أحد الشناقطة، الذي طلب من الحاج عمر توجيه اهتمامه لبسط نفوذه على جنوب بلاد شنقيط، و رغبة في ذلك بكل الوسائل، و اقترح نفسه لمساعدته على ذلك، و في هذا التأليف نجد شنقيطيا آخر من تشيت، كما سنرى آخرين، يوجه خطابا لقومه من مسرح عمليات الجهاد، مستنهضا همهم لمبايعة الحاج عمر و نصرته، لما علم فيه من علم و صلاح و رغبة في إصلاح الأوضاع الفاسدة، كما يتضح من خطابه إلى أركيب و أركيز و جامر و غيرها من الزوايا...«اعلموا رحمكم الله و لطف بالجميع و وقاه من كل ما تخشونه على أنفسكم، و عليكم نخشاه أن الله تبارك و تعالى أقام لنا هذا الولي الأكبر و الإمام الأشهر و السلطان الأزهر شيخ الإسلام عمر، مجددا لفرض الجهاد قائما بحق الله على العباد<sup>1</sup>...»، و بما أن محمد الخليل يتكلم كواحد من جنود الحاج عمر و خدامه المخلصين، و كشاهد على ما يسر الله على يد هذا الرجل من فتح و تدمير لقواعد الشرك و الوثنية بالسودان الغربي، فقد واصل حثه لأبناء وطنه في نفس الرسالة على المبادرة إلى نصرته هذا الإمام الأشهر، لما في ذلك من مصالح دينية و دنيوية أهمها :

— سلامة الأنفس و صيانة الأعراض و الأحوال.

— الإمتثال لقول الرسول صلى الله عليه و سلم، «من مات و ليس

---

1- Ibid, F°. 26.

## تحت بيعة سلطان فقد مات ميتة جاهلية<sup>1</sup>...».

و حتى يكون خطابه أكثر تأثيراً في القوم، نجده يرفع لهجة الكلام،  
مظهراً من خلال ذلك مساوئ الأوضاع العامة في بلاد شنقيط و تردي  
الأحوال بها، مع إبراز بعض أسباب ذلك : «فانظروا أيها الإخوان واعتبروا  
أيها الخلان كونكم تحت زنايق البيضان و نهبة الكفار السودان، يطأونكم  
بأرجلهم و نعالهم و يسبونكم بأقوالهم و أفعالهم و يقتلونكم بمدافعهم و  
نصالهم، فصدق عليكم قول الرسول صلى الله عليه و سلم : «أذل الله من  
أذل نفسه<sup>2</sup>...»، بل نجده ينتقل إلى أسلوب التهديد و الوعيد:

«و من أبى و تكبر و خالف أمري بالبيعة و تجبر، فليعلم علم اليقين لا  
يحتاج أن يؤكد بيمين، أن كل ما الجيش حواه بأيديه من حر أو غيره، لا  
أتكلم فيه و لا بمال<sup>3</sup>...»، فكأنه بهذا يريد أن يقول لهم، انضموا إلى الحاج  
عمر طائعين، قبل أن تنضموا إليه مكرهين كارهين، ثم خلص إلى التأكيد  
على أن اختيار الانضمام إلى هذا الشيخ فوز ما بعده فوز : «و لولا أنني  
عاينت الحق و ترقبت الصدق، لما تركت أولادي و مالي فيكم، و أنتم  
تعلمون أنني أكثر منكم مالا و أوسع فيه مجالا، و الحمد لله فانسخت منه  
لما عاينت في الشيخ من إزالة الطخاء و الطيخ<sup>4</sup>...».

---

1- Ibid, F°. 26.

2- Ibid.

3-Ibid, F°. 27.

4- Ibid.

## 5 - حول اعتذار أهل ولاته عن الإبطاء عن الحاج عمر<sup>1</sup>.

وجهت هذه الرسالة إلى الحاج عمر باسم جماعة من الولايتين عن إخوانهم، وهذه أسماؤهم : المحجوب بن الإمام - دبو بن العناية - أحمد بن بركة الله. وقد خاطبوه هكذا :

إلى أمير المؤمنين و حامل لواء المسلمين، شيخنا و قدوتنا ووسيلتنا إلى ربنا، شيخ مشايخ الشيوخ، و الوند الأرسخ في الدين أمتن الرسوخ قدوة المحققين و نخبة المدققين، سائس الأمور، و ذائد الفجور، من قمع عن المسلمين ظلمة الجهل بإضاءة سيف العدل، فसार السائر في الأرض وحده و بذل في أنواع التجارات جهده.

أما الأعمال الجليلة التي نسبتها هذه الرسالة للحاج عمر فهي :

- نشر ألوية السلم و العدل.

- أجرى الأنهار و من فيها الأبرار و أجلى منها الفجار، و مهدها للمسلمين تمهيدا.

- أخدم نيران حروبها الباطلة و أبطل مكوسها الجائرة.

- قبض على الضعفاء يد الخوف و هدم جبال الظلم.

- باني صوامع العلم و مكسر الأصنام تكسيرا<sup>2</sup>.

- بنى المساجد وعمرها وأمر الأمراء وسخرها ومن أوساخ الكافر

---

1- B.N.P, MO, FA, Man .5713, FF° .33 à 36.

2- Ibid, F° .33.

طهرها.

- أهرق الخمر وكسر القدور.

و قبل أن تتطرق الرسالة لصلب الموضوع، استطردت مادحة: فيالها من نعمة ما أشملها وأنفعها ويالها من ملة ما أحسنها وأرفعها، عز بها الذليل و ذل بها الجليل وأمنت بها الطرق و زال بها الحمق.

ثم انتقل منطوق الرسالة، بعد هذه المقدمة الطويلة إلى الأهم «...لتعلم أعلمك الله أن قومنا إليك وافدون من عند جماعة ولاتة لنبلغك خبرهم ونسمعك عذورهم في الإبطاء عليك والتشوف إليك<sup>1</sup>...»

و يلاحظ من خلال المقدمة الطويلة، و ما تخلل الأفكار الرئيسية لهذه الوثيقة من مدح، و تكلف في نحت و اختيار العبارات الفائقة الدلالات، أن أهل ولاته كانوا غير مطمئنين من جهة الحاج عمر، إما لأنهم أخطأوا معه فعلا، كما فعل بعض الشناقطة، فتأخروا عنه متعمدين، و معتمدين على حسابات خاطئة جعلتهم يتوقعون الهزيمة له، و إما أنهم كانوا يتطلعون حقيقة إلى الوقوف إلى جانبه، غير أن موانع حالت دون تحقيق رغبتهم. ومما يؤكد هذا الطرح لجوء كاتب الوثيقة إلى القسم: «... و الذي رفعك وعلى الهداية طبعك لفي قلوبهم من حبك و بين أعينهم من قربك ما لا يسعه فضاء و لا يطاوله بناء<sup>2</sup>...». فما السبب إذن الذي منعهم عن التحرك في

---

1- Ibid, F°.34.

2- Ibid.

الوقت المناسب ؟

قبل تقديم العذر، احتّمى أصحاب الرسالة بموقف مماثل وقع في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، التماسا ربما، لقبول هذا العذر :  
«...ولكن نقول لك كما قال وفد عبد القيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قد حال بيننا وبينك كفار مصر، و لا نصل إليك إلا في شهر حرام<sup>1</sup>». أما في حالتهم هذه فقد حال بينهم وبين الإلتحاق بالحاج عمر: «فشقة البيضان و كفرة السودان، و لم نستطع أن نصل إليك إن خرجنا مع الطريق<sup>2</sup>...».

هذه إذن صورة أخرى، من صور الحضور المغربي في السودان الغربي و معاشيته لأهله في السراء و الضراء، و على مختلف المستويات الفكرية و السياسية و العسكرية.

## 6 - من طلبه الحوض إلى الفاهم عمر بشأن النهي عن التعسف في جباية الأموال<sup>3</sup>.

هذه الرسالة الموجهة من طلبه الحوض بجنوب شرق بلاد شنقيط إلى خليفة الحاج عمر و الحاكم باسمه و أحد قواده الكبار الفاهم عمر، تتطرق لموضوع الجبايات و تعسف بعض عمال الدولة في تحصيلها.

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- B.N.P, MO, FA, Man. 5680, FF° . 18 à 20



وبقدر ما تستنكر الطريقة التي يتصرف بها الجبابة مع الرعية، لكن عدل الفاهم عمر وحرصه على تطبيق الأحكام كما يريده شيخه وأميره الحاج عمر، أعادت الأمور إلى نصابها. كما يلاحظ من جهة أخرى حذف كاتب الرسالة ومهارته في معالجة الموضوع بشكل موضوعي صارم و صريح، دون أن يحط من قيمة نائب الحاج عمر، الفاهم عمر الذي خاطبته الرسالة بالقول : «...أخينا الفاهم عمر وقانا الله وإياه كل شر موجب لإعلامكم أننا منذ بلغنا خبركم سررنا بكم كل السرور وتشوقنا إليكم كل التشوق<sup>1</sup>...»، ثم انتقل مباشرة إلى صلب الموضوع، ليذكر له أن عامله قدم إليها و صار يسلك بالمسلمين مسلك الحربيين و الذميين، بل يأخذ العشر ممن لم يبيع، و ذلك لا يجوز في الحربيين أخرى المسلمين. وعن تعسف الجبابة يضيف نفس المصدر : «وبلغتنا سعادتكم عام أول، لأخذ الزكاة و شاهدنا منهم ما شاهدنا، هالنا ذلك هولا عظيما و بلغ في صدورنا مبلغا جسيما<sup>2</sup>...». وبشكل لبق ومسؤول التمس المؤلف العذر للفاهم عمر، مخبراً إياه بأن الكل على علم باستقامته وحسن سيرته اهتداء بسيرة شيخه الحاج عمر، و أن ما يحدث من ظلم الرعية و سلبها لا علم له به. والدليل على ذلك، - تقول الرسالة - التغيير الذي حصل بشأن تعيين مسؤول جديد عن الجبابة، و الذي يرد سببه في الغالب إلى ما بلغ الفاهم

---

1- Ibid, F° .18.

2- Ibid.

عمر من سوء سيرة المسؤول السابق «....حتى أتانا عاملكم الحاج سعيد أسعدنا الله وإياه، وبلغنا ما به أوصيتموه، أن يجبي من مال الذي استخلف عليه ما كسر السعاة، و ما اقترفوا من التبعات، فجزاكم الله عن الإسلام خيراً<sup>1</sup>...». هذا التغيير حسب مضمون الرسالة، انشרכת له الصدور وسكنت به القلوب، مما جعل الكاتب يسترسل في إيراد الكثير من الوصايا و الحكم التي تبرز أهمية العدل ودوره في استمرارية الحكم مع إسعاد الرعية بالنسبة للحكام<sup>2</sup>.

## 7 - شنقيطي من أرض الترارزة يخبر الفاهم عمر بسوء حاله من جراء نصرته للحاج عمر و حركته<sup>3</sup>.

توجه صاحب هذه الرسالة الذي لم يذكر إسمه، إلى مخاطبه في المقدمة بالقول : «...يا ألفا عمر الذي يقوم مقام ألف عمر، كما يقول الناس: رب رجل كألف أو أكثر، و ما أنت في الناس إلا كالفاروق عمر<sup>4</sup>...»، ونظرا لهذا التشابه و ذلك الارتباط، واصل المؤلف إشادته، بنائب الحاج عمر واضعا إياه في أعلى الرتب لتأييد الله به جيش الشيخ عمر، كما أيد الله جيش النبي صلى الله عليه و سلم بالفاروق عمر، «وقد رأيتك تشبهه في

---

1- Ibid.

2- Ibid, FF° . 19-20.1

3- B.N.P, MO, FA, Man . 5747, FF° .70.71.

4- Ibid, F° . 70.

الشجاعة والعدالة والورع والزهد والقناعة<sup>1</sup>...».

أما السبب الرئيسي لكتابة هذه الرسالة و غرض صاحبها منها، هو إعلام الفاعل عمر، خليفة الشيخ عمر، بحاله الذي يغنيه حسب تعبيره عن سؤاله، وإطلاع على المشاكل التي يتخبط فيها، بسبب ما وقع له عندما غادر أرض الترارزة بعياله، واستقر ب باغن Baghunu شرق نيورو-Nio ro عاصمة كارطا Karta، التي أصبحت جزءا من الدولة التجانية ليعيش في الرخاء والعدل اللذين وفرهما الحاج عمر لها. لكن الذي حدث، يقول المشتكي، هو أنه وصل إلى هذه الأرض بأحماله و أثقاله في زمن فتنها وخسارتها، فضاع منه كل شيء بسبب السلب والنهب و عدم الاستقرار.

و كتعقيب على ما أفاد به صاحب الرسالة نرى أن ما يرويه من فتن وانعدام أمن بكار طا وقت وصوله إليها، شيء منتظر الوقوع رغم أن هذه الرسالة لا تحمل تاريخا. إذ من المحتمل جدا أن يكون وصول هذا التروزي<sup>2</sup> إلى المكان المشار إليه حدث بعد مغادرة الحاج عمر لكارطا في اتجاه سيكو Ségou سنة 1859. ورغم أنه مهد البلاد قبل مغادرته وتركها لخلفائه، فإن محاولات الثورة على الوضع الجديد تكررت، كمحاولة من الذين فقدوا امتيازاتهم ومراكز نفوذهم لقلب الأوضاع وإعادة البنى السياسية القديمة إلى ما كانت عليه من كفر واستبداد واستغلال، ولذلك

---

1- Ibid.

2 - نسبة إلى الترارزة.

فإن صاحبنا وجد المتاعب عوض الرخاء<sup>2</sup>.

أمام هذه الوضعية الخطيرة التي تهدد ظروفها حياته و حياة عائلته، خرج صاحب الرسالة من كارطا و طلب الإلتحاق بالشيخ عمر، لكن تلبية طلبه تعذر بسبب انعدام الأمن في الطرق لظروف الحرب، كما نفهم من النص التالي : «...ثم بلغتني أخبار الشيخ الحاج عمر فرحلت من ذلك البلد إلى بلده شوقا إليه فأتيت إلى تلميذه عبد الله حوس، فأخبرته بحالي أولا وأخرا و قلت له أن يوصلني إلى الشيخ، قال لي: الشيخ بعيد و أنت عندك نساء ضعيفات و صبيان صغار، و لا نقدر على الوصول إليه<sup>2</sup>...».

هذه الصعوبات التي لقيها و المحن التي عاشها مع أسرته من أجل الإلتحاق بالحاج عمر و العيش في كنف دولته هي التي يبلغ تفاصيلها في الرسالة إلى الفاهم عمر نائب الحاج عمر و خليفته في كل الأمور، و كله أمل في أن يجد الأذان الصاغية لندائه للإلتفات إليه و إنقاذه.

كانت هذه باختصار هي أهم مظاهر الحضور المغربي في الإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي، و هو الحضور الذي زاد من متانة الأواصر التاريخية الموجودة بين المغرب و بلدان السودان الغربي.

---

1- Ibid.

2- Ibid

# الباب السادس

المازق والنفسة:  
سقوط الامبراطورية التجانية.



يتناول هذا الباب بشيء من التفصيل، موضوع سقوط الامبراطورية التجانبة، بعد المجد الكبير الذي حققته على يد زعيمها الروحي الحاج عمر الفوتي، على الرغم من قصر فترة حكمه. وكما هو معلوم، فقد أتى بناء هذه الامبراطورية بعد سلسلة من عمليات الجهاد الموفقة، السريعة والمتلاحقة التي لم تتعد عقداً أو نصف العقد من الزمن، على أكبر تقدير. ورغم أن إقصاء آخر وريث للحاج عمر من الحكم، على يد الفرنسيين، لم يتم إلا في نهاية القرن 19، فإن السقوط الحقيقي للدولة التجانبة بالسودان الغربي بدأ مع وفاة بانيها سنة 1864، باعتبار ما شكلته الفترة الزمنية الفاصلة بين هذا التاريخ ونهاية القرن، أي إلى حين إحالة عجيبو Agibou، أحد أبناء الحاج عمر على التقاعد سنة 1902، من أحداث متلاحقة أصابت كيان هذه الدولة في صميمها، وقطعت أوصالها إلى عدة أجزاء من جراء حرب الوراثة بين الإخوة الأمراء الطامعين في الحكم من جهة، والدسائس الفرنسية التي استغلت هذا الوضع، من جهة ثانية، لتحقيق أهدافها بترجيح كفة هذا المدعي أو ذلك، إلى أن تمكنت من احتلال المنطقة بكاملها، بعد إبرام سلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات، عن طريق الخداع والوعد والوعيد، واستعمال القوة إما مع بعض أبناء الحاج عمر، بصفتهم الورثة الشرعيين للدولة التجانبة، أو بواسطة أعيان بعض القبائل وكبرائها، عبر الأقاليم الممتدة، من مصب نهر السنغال بالمحيط الأطلسي حتى مدينة تمبكتو على منحنى نهر النيجر.

هذه الأوضاع المأساوية التي آلت إليها الدولة التجانية في نهاية القرن 19، من تجزئة واحتلال فرنسي، أتت بكل تأكيد في اعتقادنا، نتيجة لوفاة الحاج عمر الفوتي سنة 1864، مما شكل نكسة حقيقية للحركة الجهادية الإصلاحية التجانية، بعد المأزق الذي وجد فيه مؤسسها نفسه، بسبب كثير من العوامل الموضوعية والادولوجية، التي ساهمت فيها عدة أطراف إسلامية وغير إسلامية بشكل يجد معه الباحث الموضوعي صعوبة في تحميل مسؤولية هذه النكسة لأحد هذه الأطراف. وماذا نريد قوله هنا بشكل واضح، هو التساؤل عمن كان وراء قتل الحاج عمر وسقوط الدولة التجانية؟ هل يصح تحميل هذه المسؤولية لدولة ماسينا الإسلامية، التي تحالفت مع الوثنيين في سيكو لدحر الدولة التجانية؟ والحالة هذه أن عذر ملك ماسينا فيما قام به كما يرى، هو واجب الدفاع عن سيكو Segou، بصفتها جزءا لا يتجزأ من مملكته باعتبار دخول أمير هذه البلاد علي مونزو Ali Monzu ومعظم رعيته في الإسلام على يد سلطان ماسينا نفسه، بسبب الجهود التي بذلها أجداده ولا زال يبذلها هو، في سبيل نشر العقيدة الإسلامية في كل الأقاليم المجاورة. وهو أمر أنكره الحاج عمر، واحتج عليه بمجموعة الأصنام التي وجدها بالمعابد والقصور بعد دخوله فاتحا لسيكو Segou. أم نحمل هذه المسؤولية لشيخ الطريقة القادرية المختارية الكنتية احمد البكاي بتمبكتو، الذي حث كلا من ملك ماسينا، أحمدو أحمدو، وأمير سيكو الوثني علي مونزو، على توحيد جهودهما



## العسكرية ضد الحاج عمر؟

بل نجد هذا الشيخ، بعدما لاحظ من زحف للجيش العمرية ودحرها لحلف ماسينا وسيكو، يأمر بتكوين جيش من أنصاره وتمبكتو، ويدخل في تحالف مع جيش ماسينا، مما كان سببا في الحاق هزيمة نكراء بالجيش التجاني، و وفاة الحاج عمر نفسه. وبذلك نجد أن المسلمين من دولة ماسينا والدولة التجانية يقتتلون فيما بينهم، عوض توحيد جهودهم لمواصلة القضاء على الوثنية، وتمتين قواعد الإسلام بالسودان الغربي، مما يجعلنا نشبه ما حدث في هذه الديار بالفتنة الكبرى، هذا في الوقت الذي نجد فيه كل طرف يتهم الطرف الآخر بإشعال الحرب بين المسلمين.

بناء على ما سبق نتصور أن سقوط الدولة التجانية والإجهاز عليها في نهاية القرن 19 تحت ضربات القوات الفرنسية، ما كان يتم بدون دحر الجيش التجاني نتيجة تحالف جيوش إسلامية قادرية من ماسينا وتمبكتو، لأسباب إيديولوجية كما سيأتي.

ولتسليط مزيد من الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بظروف تجزئة أملاك الامبراطورية التجانية في السودان الغربي والاستيلاء عليها من قبل الفرنسيين بعد ذلك، وكذا مناقشة بعض التساؤلات المتعلقة بالأسباب الحقيقية الكامنة وراء اقتتال المسلمين فيما بينهم، ارتأينا أن نقسم هذا الباب إلى فصلين، يتطرق الأول منهما لسقوط الدولة التجانية وقيام الاستعمار الفرنسي على أنقاضها، بينما نعرض في الثاني لأهم

الأسباب الموضوعية والإيديولوجية التي حتمت الحاق الهزيمة بجيش الحاج  
عمر ومقتله وإسقاط دولته.

## الفصل الأول

سقوط الامبراطورية التجانية  
وقيام الاستعمار الفرنسي:



وصلت فرنسا متأخرة إلى الساحل الأطلسي لغرب إفريقيا، مقارنة مع دول أوروبية أخرى، مثل البرتغال وإسبانيا وهولندا وانجلترا التي بدأت سفنها تعبر مياه ذلك الساحل منذ القرن 16 على الأقل. إلا أنه رغم هذا الوصول الفرنسي المتأخر نسبيا، فإن فعالية السياسة الفرنسية، وإيمانها بحتمية النصر والوصول إلى الأهداف المتوخاة، بالمشابرة في مواصلة العمل الجاد، فقد تحقق لها من المكاسب بالسودان الغربي، ما لم يتحقق لمن سبقها من الدول الأوروبية إلى التعرف على شواطئ نفس الجهة.

ولعل سر النجاح في كل ما حازته فرنسا من مكاسب سياسية واقتصادية في غرب إفريقيا حتى نهاية القرن 19، يكمن في تأسيسها لمركز تجاري في مصب نهر السنغال خلال سنة 1659، حمل اسم سان لوي Saint Louis<sup>1</sup>، وهو الموقع الذي ما فتئ ينمو حتى أصبح مركزا حضريا وعسكريا مهما، ليتطور مع مرور الوقت إلى مدينة مهمة. فشكّلت سان لوي بذلك المفتاح السحري، الذي سمح للفرنسيين بركوب نهر السنغال والتوغل عبره داخل القارة في اتجاه نهر النيجر، من جهة، كما مكنهم من جهة ثانية من إقفال هذا المدخل في وجه أية قوة منافسة أخرى. ومن المعلوم أن نجاح فرنسا في الاستحواذ بنهر السنغال الأدنى، منذ القرن 17، لم يتأت لها إلا بعد صراع مرير مع دولتين على الخصوص،

---

1-Saint - Martin (Y.), l'Empire Toucouleur et la France...,op. cite, p. 45.

هما هولندا وبريطانيا، وبما أن بعض مظاهر هذا الصراع قد سبقت الإشارة إليها في فصل سابق من هذا البحث، فسوف لن نعود إليه مرة أخرى، لنركز اهتمامنا بشكل أساسي في هذا الفصل على تتبع أهم مراحل السياسية الفرنسية، في سعيها الحثيث لبسط نفوذها على معظم أقاليم السودان الغربي انطلاقاً من سان لوي Saint Louis، وما تطلب ذلك من ضرورة إقصاء كل منافس لها باستعمال كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، السلمية والحربية.

وبما أن القوة السياسية والعسكرية الوحيدة التي كانت قد شكلت عقبة في وجه الأطماع الفرنسية بالمنطقة، هي حركة الحاج عمر الإصلاحية الجهادية التي تطورت إلى دولة تجانية خلال القرن 19، فإن فرنسا ممثلة في حكامها بالسنغال، ستعمل كل ما في وسعها لاحتواء الحاج عمر ودولته، بالوسائل السلمية مع شيء من الوعد والوعيد أولاً، ثم باستعمال القوة، بعد وفاة هذا الأخير، وفشل سياستها في تدجين خلفه أحمدو، وهي الوفاة التي أذنت ببداية انهيار الدولة التجانية ومكنت فرنسا من الاجهاز عليها بنهج سياسة التفرقة بين الأمراء الورثة من جهة، واستعمال لغة الحديد والنار لدعم المنصاعين لها من جهة ثانية، مما مكنها من فرض استعمارها على أنقاض الامبراطورية التجانية بشكل نهائي مع نهاية القرن.

## **I - مساعي فرنسا السلمية لاحتواء الدولة التيجانية:**

بما أن هذه المساعي، انطلقت منذ عهد الحاج عمر وإلى ما بعد وفاته، فسنقسم هذا المحور إلى قسمين، مساعي في عهد الحاج عمر، ومساعي في الفترة التي تلت وفاته، لنتطرق بعد ذلك إلى المحور الثاني من هذا الفصل، الخاص برصد أهم مظاهر سياسة القوة والعنف التي سلكتها فرنسا، لفرض استعمارها على المنطقة.

### **1 - المساعي السلمية حتى وفاة الحاج عمر سنة 1864:**

مرت علاقات فرنسيي السنغال مع الحاج عمر بمراحل عصيبة، خلال خمسينيات القرن 19، كما علمنا، وخصوصا سنة 1857 عندما وصلت هذه العلاقات إلى أسوأ فتراتهما، بعد الحصار القاسي الذي تعرضت له مدينة Medine وحاميتها العسكرية الفرنسية على يد القوات التيجانية العمرية.

ورغم أن النصر في نهاية هذا الحصار كان حليف الفرنسيين، فإن السلطات سان لوي العسكرية، وعلى رأسها الوالي فيدرب Faidherbe، قد رأت في حركة الحاج عمر الجهادية، خطرا كبيرا على مستقبل وجودها بالمنطقة، لما لاقوه من صعوبة في فك الحصار عنهم، ولما حظيت واستمرت تحظى به هذه الحركة من تعاطف شعوب سينيجاميبيا وحوض النيجر، مما كان ينبئ بإمكان حدوث ثورة عارمة بقيادة هذا الشيخ لطرد الفرنسيين من السنغال، بصفتهم دخلاء على البلاد ومحتلين لها، مع ما

بدا منهم من استغلال واضطهاد واستعباد لساكنتها. ومما يزكي هذا التخوف من قبل الفرنسيين، الانتصارات المتلاحقة، وسقوط الأقاليم، الواحد بعد الآخر، تحت نفوذ هذه الحركة الفتية، أمام انظارهم على مشارف مناطق نفوذهم. وسعيا وراء تجنب اصطدام جديد بقوات الحاج عمر، تكون عواقبه وخيمة عليهم، فضلوا الجنوح إلى السلم معه، وقاموا بمساع حثيثة لتهيئ أرضية توافقية للتعايش بين القوتين الإسلامية والمسيحية، ساعدهم على العمل من أجل تحقيقها، ابتعاد الحاج عمر نفسه عنهم بجيوشه وفتوحاته في اتجاه الشرق بعيدا عن مناطق نفوذهم بالسنگال، على الرغم من وعيهم بأن خصمهم لم يتخل عن محاربتهم إلا مضطرا وبشكل مؤقت، ريثما يحقق فتوحات جديدة في سىكو Segou ويوطد نفوذه في كارتا Karta، ثم يعود إليهم بعد تحقيق هذه المنجزات بجيوش إسلامية جرارة، قادرة على دحر الفرنسيين وطردهم من غرب إفريقيا، غير أن عامل الزمن الذي راهن عليه الحاج عمر في مناورته، هو نفسه الذي اعتمد عليه خصومه، باعتبار أن عسكري سان لوى كانوا عازمين على نهج كل السبل، التي تمكنهم في النهاية من تحقيق أهدافهم، فهم في الوقت الذي يتقدمون فيه نحو بلدان النيجر، عبر نهر السنغال مستولين على الأراضي التي يصلون إليها بإبرام المعاهدات أحيانا، واستعمال القوة أحيانا أخرى، وتعيين حكام من الأهالي عليها بدعم منهم وتحت وصايتهم، كانوا يحسبون، بذلك، لكل شيء حسابه، ويستعدون



لربح الرهان بالمنطقة كيفما كانت تطورات الأحداث. فإذا سارت أحوال الحاج عمر على أحسن مايرام في المشرق وعاد لمحاربتهم، تكون استعداداتهم للمواجهة قد أصبحت أكبر بالإكثار من المراكز العسكرية على طول النهر، وبكسب عطف المزيد من زعماء القبائل ووجهائها عن طريق إبرام المعاهدات والتحالفات، خصوصا مع أولئك الذين أطاحت بهم حركة الشيخ التجاني الجهادية، وصاروا بذلك رعايا عاديين، بعد أن كانوا سادة يحكمون وهي عوامل ساعدتهم على تحقيق النصر على عدوهم.

أما في حالة انهزام الحاج عمر وفشل حركته على ضفاف نهر النيجر في سيكو وماسينا، فإن أبواب السودان الغربي ستفتح أمام الفرنسيين على مصراعيها، بعد زوال أكبر عقبة في طريقهم. غير أنه إذا تحقق افتراض ثالث، بانتصار الحاج عمر في غزواته، وتربعه على عرش امبراطورية إسلامية تجانية تمتد من نهر السنغال إلى تمبكتو، مرورا بفوتاجلون، وسيكو وماسينا، وتحقيق الأمن والازدهار على يديه، فإن ذلك يخدم بدوره مصالح التجارة الفرنسية بالمنطقة، لما يضمنه لسلعها من رواج وأسواق واسعة، مع ما يمكن أن تحققه علاقات السلم والتجارة، من مكاسب مادية واختراقات سياسية على المدى البعيد.

واستعدادا لكل الاحتمالات لجأ الفرنسيون إلى سلاح الدبلوماسية مع الحاج عمر لمحاولة تطبيع العلاقات معه، واختبار مدى استجابته لهذه الرغبة، خصوصا بعد الأخبار التي راجت حول انعدام أية نية عند هذا

الشيخ في مواجهة الفرنسيين، وأن ما وقع من هجوم على مدينة Medine وحصار لها كان خارجا عن رغبته وإرادته<sup>1</sup>، بل أشيع سنة 1859 أن أحد ضباط الحاج عمر المخلصين المدعو تييرنو موسى Terno Moussa قدم للفرنسيين اقتراحات بالسلم<sup>2</sup>. ولعل هذه الأخبار، مع ما عرف من تغير وجهة جيوش الجهاد نحو الشرق، هو الذي جعل فيدرب Faidherbe نفسه يأمر بالقيام بالاجراءات الضرورية لابرام علاقات ودية مع التجانيين. فإلى أي نتيجة ستفضي إذن، المساعي الفرنسية السلمية على طول الفترة الممتدة بين 1859 و 1864 تاريخ وفاة الحاج عمر؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الصفحات التالية.

تفيدنا بعض التقارير المعاصرة لهذه الأحداث، أن رغبة الفرنسيين في مسالمة الحاج عمر ومهادنته، رغم ما شابها من الحذر، قد ظهرت منذ السنوات الأولى لخمسينيات القرن 19، وقت زيارة الحاج عمر الأولى لفوتا مسقط رأسه ونهر السنغال، بعد عودته من المشرق، وبعد الطلب الذي تقدم به لسلطات سان لوي، قصد تزويده بالسلاح مقابل ضمان حرية التجارة الفرنسية بالمنطقة، ثم تأكدت هذه الرغبة سنة 1856، أي قبل سنة واحدة من حصار المجاهدين للمركز الفرنسي بمدينة Medine،

---

1-Traditions Historiques et legendaires du Soudan occidental; traduites par Mauric Delafosse; Bulletin du comite de l'Afrique française; renseignement coloniaux; octobre 1913; p 362

2-Saint-Martin (Y);l'Empire Toucouleur et la France...; op.cite p.90.

وكما تنص على ذلك التوصية التي أصدرها القائد فيدرب في السنة المذكورة، وهو بصدد السفر في عطلة إلى فرنسا، لخلفه على مستعمرة السنغال القائد موريل Morel. ومما ورد في هذه التوصية: «...يمكن جس نبض الحاج عمر، كأن نقترح عليه الاعتراف به ملكا على كارطا، شريطة أن ينحصر عمله في هذه البلاد...»<sup>1</sup>.

ثم نجد فيدرب Faidherbe يعود سنة 1859، ليكرر نفس الطرح، مخاطبا هذه المرة القبطان كورني Cornu قائد مركز باكل Bakel العسكري: «قل للحاج عمر أن يكون ملكا على كارطا لحماية التجارة والتزام السلم معنا لنلتزم معه»<sup>2</sup>. ومما يدل على أن رغبة فرنسا في السلم هذه المرة كانت جدية، كون التعبير عنها صدر من أول مسؤول في مستعمرة السنغال، بعد العودة من عطلة في فرنسا، استغلها بدون شك للتحادث مع كبار رؤسائه في الموضوع. ولذلك يبدو أنه بمجرد عودته، بعث بخطابه السابق إلى قائد باكل لقرب مركز قيادة هذا الأخير من كارطا، مجال نفوذ وسيادة الدولة التجانية العمرية انطلاقا من قاعدتها نيورو Nioro.

وهذا يعني أن العقيد كورني Cronu كان يوجد في موقع جغرافي، يسمح له بالقيام، بجس النبض ومباشرة الاتصالات الضرورية مع خلفاء

---

1- Archives du Senegal; 13 G23; piece 5; 12 Juin 1856.

2-Saint-Martin (Y); l'Empire Toucouleur et la France ...; op. cit;p94

الحاج عمر في كارطا، لعدم إمكان الاتصال بهذا الأخير المشغول بغزواته بعيدا، على ضفاف نهر النيجر. وفي الوقت نفسه يلاحظ أن الظرفية كانت مناسبة جدا للتطلع إلى انفراج سياسي بين القوتين، بسبب تراجع التوتر الناجم عن حصار مدينة، منذ ما يزيد عن سنتين من جهة، وزوال التهديد الإسلامي التجاني للفرنسين بالسنغال من جهة ثانية، مما أتاح عودة النشاط التجاري الفرنسي في المنطقة إلى حالته الطبيعية، وهو أمر بعث الثقة في النفوس عند الجميع وشجع على النظر بتفاؤل إلى مستقبل العلاقات بين الطرفين.

وتكريسا لجو الانفراج والتقارب هذا، تخبرنا المصادر الفرنسية أن أحد كبار قواد الحاج عمر تييرنو موسى Tierno Moussa الحاكم بالنيابة عنه في كونيا كاري Koniakary عاصمة ديومبوخو Diombokho أحد أقاليم كارطا الكبرى، فاتح في صيف 1859، قائد باكل في موضوع السلم، مؤكدا أنه مكلف بالتفاوض بخصوص هذا الموضوع من قبل سيده<sup>1</sup>.

فهل أتى هذا الانفتاح نتيجة ما قام به القائد كورني Cornu من اتصالات، كما أمره رئيسه فيدر ب Faidherbe بذلك ؟ أم أن موسى تييرنو، أقدم على هذه الخطوة من تلقاء نفسه، ودون أن يكون مفوضا في ذلك من

---

1-Ibid; p. 96.

قبل شيخه الحاج عمر، لاتقاء أي عدوان فرنسي، في غياب القوة الضاربة العمرية، المنهمكة في فتوحاتها بسيكو وبلدان حوض النيجر؟ وأيا كان الأمر، فيبدو أن الرغبة في تحسين العلاقات كانت في مصلحة الجميع، واستمرارا بهذا التوجه، نجد تييرنو موسى يجدد طلبه إلى حاكم باكل في ربيع 1860<sup>1</sup>. ونجد حاكم مدينة Medina هو الذي أخبر قائده فيدرب Faidherbe سان لوي على الفور بهذا الانفتاح التجاني المتجدد من جهة تييرنو: «وقد أخبر أنه يثق بنا ويريد السلم، وأنه أرسل عدة أشخاص إلى قائد باكل، كما يطلب سراح أسرى له فروا إلى مدين»<sup>2</sup>. وبالفعل فقد أكدت رسالة واردة من باكل إلى فيدرب هذا الخبر، عندما أفادت بتوصل قائد هذا المركز بكتاب صادر عن: «طامبو كاديها Tambo Kadihia وكل رجال كونيا كاري Koniakary الخيرين، إلى قائد باكل»<sup>3</sup>.

وقبل مواصلة الحديث عن بعض مضمون هذه الرسالة، نشير إلى أن طامبو الوارد ذكره هنا، هو شخص متنفذ من أشد المخلصين إلى الحاج عمر، يعمل إلى جانب تييرنو موسى بكونيكاري Koniakary ويحظى هو أيضا بثقة كبيرة في الأوساط العمرية، وبذلك فإن خطابها صادر عنهما

---

1 - Archives du Sénégal; 15 G 62 piece 1; Mai 1860.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

معا. وفيما يلي، أهم ما جاء في هذا الكتاب الذي يحمل تاريخ 23 يونيو 1860: «إن هدف هذه الرسالة هو إخباركم أننا نوجد اليوم بينكم وبين الشيخ الحاج عمر، لتسوية الأمور وإقرار السلم...»<sup>1</sup>.

ومما يثير الانتباه في هذه الرسالة، ما نصت عليه من عبارات التواضع خاصة، والميل الشديد إلى التقرب من الفرنسيين إلى درجة الولاء واستدرار الشفقة: «لنا تحالف مع البيض ونحن نلتجئ دوما إليهم، والآن فرغم أننا منفصلون جسديا فلسنا كذلك قلبا وصادقة، لأنكم أجدادنا، ولا يجمل بالإبن أن ينسى أباه وأمه...»<sup>2</sup>. ثم تواصل الرسالة الحديث عن الغرض الأساسي: «والآن نطلب منكم أن تتفقوا معنا ومع الشيخ، ويمكن أن نفعل ذلك نيابة عن الشيخ لأنه منحنا ذلك. نعتقد هذا ونرجوه من جانبكم، لأنكم أمنا وأبانا، وكل غصن يكتسي أهميته من الجذر الذي خرج منه...»<sup>3</sup> وإذا ما صدقنا أخيرا، ما ورد في نهاية هذه الرسالة، فيمكن القول إن الجانب التجاني العمري هو الذي كان في أمس الحاجة لهذه السلم: «...إننا نتوجه إليكم بصفتكم الحكام الكبار، وبهذه الصفة نطلب منكم السلم. أطلب وأرجو أن تتصرفوا بشكل لا أفقد معه الأمل»<sup>4</sup>. وعلاوة على السلم الذي تنشده هذه الرسالة، فإن الأهم فيها

---

1- Archives du Sénégal; 15 G62; pièce 7; lettre parvenue à Saint Louis le 23 juin 1860.

2 - Ibid.

3 - Ibid.

4-Ibid

أيضا هو تصريح مراسليها أن لهم تفويضا من قائدهم الأعلى، بإجراء المفاوضات مع الفرنسيين. غير أن هذا التصريح لم يكن كافيا في نظر فيدرب Faidherbe، الذي بدا متشككا في مصداقية ما يعد به التجانيون، مما جعله ينبه حاكم باكل Bakel، القائد كورني Cornu، إلى ضرورة ملازمة الحيطة والحذر في الحوار الذي يجريه مع أصحاب الرسالة المذكورة<sup>1</sup>.

وقد نقل بالفعل تحفظات رئيسية إلى حكام كونياكاري Koniakary كجواب على رسالتهم، وأبلغهم أن فيدرب كأعلى سلطة في السنغال لا يثق كثيرا بوعودهم. وقد رد تييرنو موسى Tierno Moussa فورا على هذا التحفظ. مؤكدا على صدق رغبتهم في تحسين العلاقات مع الفرنسيين. ومما جاء في هذه الرسالة على الخصوص: «الإنسان المنصف لا يمكن أن يتراجع عن كلمته»<sup>2</sup>. ومما يدل أن فيدرب كان حريصا على التوصل إلى السلم، قيامه بزيارة إلى مدينة Medine في منتصف شهر يوليوز 1860<sup>3</sup>، حيث ترابط الحامية العسكرية الفرنسية الأكثر قربا من كونياكاري Koniakary، قاعدة حكم المتفاوضين معهم للإطلاع بدون شك على النوايا الحقيقية لخلفاء الحاج عمر في السلم، من خلال معاينة

---

1-Ibid

2-Archives du Sénégal; 3 B 78; 25 Juin 1860; piece 6 et s.

3-Ibid; 15 G 62; piece 4.

ميدانية، تترك له انطبعا بمدى سيادة جو السلم من عدمه بين الجانبين، وتطلعه في نفس الوقت على المراحل التي قطعتها المفاوضات بين الطرفين. ويبدو أن فيدرب عاد إلى سان لوي Saint Louis، بعد هذه الزيارة مطمئنا على وضعية السلم التي ينعم بها الفرنسيون مع جيرانهم في الإقليم الذي زاره، ومتفائلا بإمكان توصل الطرفين المتفاوضين إلى نتيجة إيجابية في المستقبل القريب، وهو ما تحقق بالفعل، في نهاية شهر يوليو 1860، بإبرام اتفاقية بين قائد باكل Bakel عن الجانب الفرنسي، وتييرنو موسى عن الجانب العمري. وأهم البنود التي تضمنتها هذه الاتفاقية<sup>1</sup>:

- حرية التجارة بين كارطا ومدينة، مع ما يرافق ذلك من تحرك الأشخاص والقوافل والبضائع والأموال داخل أراضي كل طرف.
  - منع كل أنواع الغزو والسلب والنهب من هذا الجانب أو ذاك.
  - يتوجب على طلبة ديومبوخو<sup>2</sup> Diomobokho أن يسمحوا بالمرور بكل حرية لكل الفارين الراغبين في الالتحاق ببلدانهم.
- هذه الاتفاقية المحدودة البنود، كما هو واضح، رغم أن بندها الأخير لا يخدم بتاتا مصلحة الدولة التجانية، فإن والي السنغال القائد فيدرب

---

1-Saint-Martin (Y); l'Empire Toucouleur et la France...; op. cite; pp. 99 -100

2- هي بلدة في كارطا، تدخل ضمنها مدينة كونياكاري والطلبة هنا، يقصد بهم أتباع الحاج عمر.



أبدى تحفظه إزاءها بعد اطلاعه عليها، بحجة أن مضمونها يتعلق بكارطا فقط، ولا يشمل كل أراضي الدولة التجانية، كما أن مسألة الحدود وترسيمها بين الدولتين، لا ينص عليها أي بند. وهذا ما جعله يحزر مسودة معدلة لهذه الاتفاقية في شهر غشت 1860، ويعرضها على أنظار تييرنو موسى الذي وافق عليها دون تردد، رغم ما ورد فيها من تغييرات تخدم المصالح الفرنسية بشكل ملفت للنظر. واشترط فيدرب موافقة الحاج عمر عليها، ولذلك سماها: معاهدة السلم مع الحاج عمر، غشت 1860<sup>1</sup>، تتكون من سبعة بنود، نورد فيما يلي أهم ما نصت عليه:

1 - الحد الفاصل بين مناطق نفوذ الحاج عمر، والبلدان الخاضعة لحماية فرنسا هي نهر البافينك Bafing المجرى الأعلى لنهر السنغال، من بافولابي Bafulabé حتى مدينة. فما يوجد على يسار هذا النهر حتى المحيط الأطلسي تابع إلى شمال مدينة، يدخل في ملكية فرنسا، بموجب هذا البند، رغم وجوده على يمين النهر.

2 - يتطرق هذا البند لأسماء الأقاليم التي تدخل ضمن ممتلكات الحاج عمر شرق الحدود المشار إليها في البند السابق.

3 - لا يسمح للحاج عمر ببناء أية تحصينات (طاطا Tata) أو قرى حربية في بلاد خولو Khoulou (وهي القرية جدا من مدينة)، ولا في

---

1-Archives du Senegal; 15 G 1; piece 6.

كاناماخونو Kanamakhounou (قرية أيضا من مدينة Médine).

4 - يتوجب على الحاج عمر رد السلع التي استولى عليها في مدينة.

5- توقف كل أعمال الغزو والنهب من هذا الطرف أو ذاك.

6- ضمان حرية التجارة بين البلدين، و سنبيع للحاج عمر كل ما

يطلبه منا.

7- كل بلد يحتفظ برعاياه و أسراه كما يرى، و لا يلزم أي طرف برد

الرعايا و الأسرى الفارين من بلد إلى آخر . هذا الشرط ضروري لأنه بدونهُ سنمضي كل وقتنا في الصراع حول الفارين.

هذه إذن هي أبرز مضامين بنود معاهدة غشت 1860، التي أعدها

فيدرب ووافق عليها تيرنو موسى Tierno Moussa و طامبو Tambo، بصفتهم مفوضين من قبل رئيسهما. و كما هو واضح، فقد صيغت مواد هذه المعاهدة بشكل يقلم أظافر الدولة التجانية و يحجمها، و يقيد حركتها لكبح جماحها، و إجبارها على التقليل من التحصينات و تضخيم جيوشها داخل حدودها، في الوقت الذي أطلقت يد فرنسا، و جعلتها حامية للكثير من شعوب المنطقة بمن فيهم بعض رعايا الحاج عمر أنفسهم، علاوة على ضمان السلم الذي يسمح بحرية التجارة و ازدهارها.

غير أنه مما لا شك فيه أن الموافقين على بنود هذه المعاهدة من

العمرين بديومبوخو Diombokho (كونياكاري)، كانوا واعين بانعدام توازن بنودها، غير راضين على ما انتزعت منهم من مكتسبات، و ما

خولتها خصومهم من صلاحيات و امتيازات تتصل بالسيادة و اتخاذ القرار و المبادرة بالمنطقة. و رغم ذلك، يبدو، أنهم لم يكن أمامهم خيار آخر غير القبول و الموافقة كإجراء وقائي و احترازي أمام الهيمنة الفرنسية المتزايدة، و نجاح حكام سان لوي في بسط نفوذهم و فرض حمايتهم على كل الأقاليم الممتدة من المحيط الأطلسي حتى بلدان أعالي نهر السنغال المجاورة للممتلكات التجانية، في وقت كانت قوات الجهاد الضاربة، تواصل في أماكن أخرى تبعد بآلاف الكيلومترات شرق كارطا و تتضارب الأخبار حولها بخصوص النصر و الهزيمة.

هذه الوضعية إذن، التي كانت توجد عليها حاميات الدولة التجانية بكارطا و ديومبوخو Dimbokho المتاخمة للمراكز العسكرية الفرنسية بمدينة Médina و باكل Bakel، هي التي تفسر في نظرنا الموافقة، من جانب تييرنو موسى على بنود المعاهدة المذكورة رغم علاقتها، في انتظار عودة قائد الدولة مظفرا، تدعّمه جيوش إمبراطورية إسلامية يكون باستطاعتها إجبار فيدرب Faidherbe، و من حذا حذوه على تعديل بنود المعاهدة أو إلغائها، إذا ما كان طرد الفرنسيين (المسيحيين)، أحد أهداف الحركة الجهادية بالسودان الغربي.

و مما ساعد خلفاء الحاج عمر و المتفاوضين على الإستمرارية في الإمساك بالوضع و الحيلولة دون انهياره لصالح الفرنسيين، حتى لا تقع الكارثة، إلحاح فيدرب على ضرورة إطلاع الحاج عمر على نص [مشروع]

هذه المعاهدة، قصد الحصول على موافقته و التوقيع عليها و لو تطلب الأمر قطع المسافات الطوال للقدوم إليه و أخذ رأيه. و هذا ما تطلب وقتا طويلا عاش خلاله الطرفان فترة من السلم الحقيقية<sup>1</sup> ساعدت أمير الدولة التجانية على مواصلة غزواته ضد سيكو و ماسينا، بفضل الإمدادات من الرجال و المؤن التي كانت تصله من هذا الجزء الغربي من دولته الذي ظل محافظا على تماسكه النسبي، كنتيجة لتطبيق مقتضيات المعاهدة التي أبرمها أصحابه مع الفرنسيين ، إلى حين وفاة الشيخ الفوتي نفسه سنة 1864 تاريخ بداية العد التنازلي لسقوط الدولة التجانية بالسودان الغربي، و هو أمر سر سلطات سان لوي و أراحها، و قدم لها خدمات من حيث لم تكن تنتظر.

و نعود لموضوع الحرص على ضرورة الحصول على موافقة الحاج عمر على المعاهدة، من قبل والي مستعمرة السنغال، فنقول بأن فيدرب Faidherbe، كان مقتنعا في قرارة نفسه، بأن الإتصال بالشيخ الفوتي وإقامة علاقات مباشرة معه، هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تطمئن الفرنسيين على مستقبل علاقاتهم، مع الدولة التكرورية التجانية، باعتباره صاحب القرار و السلطتين الزمنية و الدينية، و هذا يعني أن كل اتفاق لا يحظى بمباركته مصيره الفشل.

---

1- Robinson (D.), op. cité, pp . 311 et ss.

و تحقيقا لهذه الغاية، عقد فيدرب Faidherbe العزم على إرسال مبعوث خاص إلى سيكو Séguou، للإلتقاء بالحاج عمر و التباحث معه حول موضوع معاهدة غشت 1860، و هي المعاهدة التي يلتزم تييرنو موسى Tierno Moussa بالعمل على إرسال نصها إلى قائده، و تسليمها له قبل وصول المبعوث الفرنسي إليه، الذي من المفروض، في حالة حلوله بسيكو ضيفا على الحاج عمر، يكون هذا الأخير ملما بكل جوانب الموضوع.

عين فيدرب الملازم ماج Mage، و هو قائد سفينة كمبعوث و سفير من قبله إلى سيكو Séguou، قصد الحصول على تصديق الحاج عمر على المعاهدة، و عين إلى جانبه على الخصوص في هذه المهمة الشاقة والمحفوفة بالأخطار، الطبيب الجراح كانتان Quantain باقتراح من ماج<sup>1</sup> Mage. و كان على فيدرب بذل كل ما يمكن من المهارات السياسية والدبلوماسية للحصول على موافقة مجلس الإدارة بسان لوي، ثم وزير البحرية الفرنسي<sup>2</sup>، قبل أن يأذن لبعثة ماج Mage بالإنطلاق، ذلك أن رجال الأعمال الفرنسيين و أعيان سان لوي من سياسيين و مثقفين، اعترضوا في البداية على مبدأ إرسال هذه البعثة، لعدم ثقتهم بنوايا الحاج

---

1- Saint-Martin (Y.), l'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, p . 113.

2- Ibid, p . 112.

عمر و رجاله، في حين كانت الحكومة الفرنسية في باريس Paris تخشى من مغامرة غير محمودّة العواقب بشرياً و مادياً، سيما و أن تجربة رحلة رافنيل Raffenel في أربعينيات القرن 19، لم تكن نتائجها مشجعة، باعتبار و أن بعثة ماج كما حدد أهدافها فيدرب Faidherbe، كان يتضمن برنامجها علاوة على الإتصال بالحاج عمر سيكو، العمل على تحقيق ما فشلت فيه بعثة رافنيل Raffenel سنة 1846<sup>1</sup>، و هو النزول حتى مصب نهر النيجر أو الذهاب للجزائر و المغرب أو طرابلس، و التعرف على الطرق التجارية و إنجاز تقرير مفصل حول جغرافية المنطقة و شعوبها و أنواع المنتوجات المطلوبة للإستهلاك بالدرجة الأولى و غير ذلك من المعلومات.

و تشدد رسالة فيدرب إلى ماج Mage، بخصوص مهمته هذه، وبشكل محدد و أكثر إلحاحاً على الإسراع بالإلتقاء بالحاج عمر و « الحصول منه على معاهدة تقضي بالسماح لفرنسا بمراقبة المنطقة بشكل منفرد، قبل أن تسبقها إنجلترا للحصول على مثل هذا الإعتراف »<sup>2</sup>. غادر ماج Mage سان لوي في اتجاه سيكو، على رأس بعثة، بصفته مستكشفاً، و سفيراً لفرنسا يوم 25 أكتوبر 1863، و استقل أفراد البعثة

---

1- Ibid, p . 114.

2- p. 17. Mage (E.), Voyage dans le Soudan occidental (1863-1866), op. cité,

سفينة أقلتهم حتى باكل<sup>1</sup> Bakel و منها توجهوا إلى مدينة Médina، مستقلين مع أمتعتهم الخيول و الحمير و البغال. و في 25 نونبر غادروا هاته المدينة بأمتعتهم و دوابهم، في اتجاه الشرق عبر مسافات طويلة، وأقاليم يجهلون كل شيء عن جغرافيتها الطبيعية و البشرية.

و قد أعجب ماج خلال هذه الرحلة الطويلة بحسن انضباط رعايا إمبراطورية الحاج عمر، و حسن استقبالهم للفرنسيين حيثما مروا، ورد ذلك الإنضباط إلى كون عاصمة كل إقليم محاطة بأسوار محصنة. و نظرا لطول المسافة الفاصلة بين مدينة Médina على نهر السنغال، و سيكو على نهر النيجر، لم تتمكن البعثة الفرنسية من الوصول إلى قاعدة حكم التجانيين في الجناح الشرقي لدولتهم، إلا في شهر فبراير 1864، حيث استقبلهم الشيخ أحمد المدني (أحمدو) بسيكو Ségou، نيابة عن أبيه الحاج عمر الذي كان يخوض معارك ضارية في ماسينا ضد التحالف الإسلامي الذي تكون ضده من الماسينيين أنفسهم و من قادري تمبكتو الكنتيين.

و نظرا لعنف المعارك و تساوي الخصمين في الهزيمة و الإنتصار لمدة طويلة، و لجوء أعداء الحاج عمر خلالها إلى قطع كل اتصال بين ماسينا و سيكو، منعا لوصول أي دعم أو مدد، فقد كان من المستحيل على

---

1- Saint-Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France..., op . cité, p . 118.

ماج Mage و أفراد بعثته مواصلة السفر للإلتقاء بالحاج عمر. و رغم إلحاح رئيس البعثة الفرنسية على طلب السماح بالسير قدما حيث يوجد والد أحمدو، فقد رفض له هذا الأخير طلبه بشكل قاطع، خوفا على حياة أفراد البعثة و صيانة لأرواحهم، و حفاظا أيضا على سمعة الدولة التجانية. و مما يلفت الإنتباه في هذا الصدد أن أحمدو استقبل ماج يوم 28 فبراير 1864 بسيكو نيابة عن أبيه، دون أن تكون له صلاحية التفاوض معهم في انتظار أن تسمح الظروف بعودة أبيه الذي كان في واقع الأمر قد فارق الحياة في ماسينا منذ 12 فبراير من نفس السنة، و لم يصله خبر هذه الوفاة بشكل مؤكد، إلا في شهر شتنبر 1865<sup>1</sup>، و هذا مايفسر مكوث ماج و بعثته إلى جانب أحمدو في سيكو حتى سنة 1886، مما يعني أن الشيخ الفوتي توفي دون أن يتمكن ماج Mage من مقابله و معرفة رأيه حول بنود المعاهدة التي أتى من أجل الحصول على تصديقه عليها.

و بما أن أحمدو المدني (أحمدو) صار خليفة لأبيه على الدولة التجانية في السودان الغربي، بشكل رسمي، فإنه أصبح مخولا للتفاوض مع رئيس البعثة الفرنسية بشكل قانوني. و قد أسفرت مفاوضاته معه، بالفعل، عن إبرام معاهدة بين الطرفين خلال سنة 1866. و هذه المعاهدة، و إن حفظت ماء وجه ماج، و بررت طول غيابه، فإنها لم ترض الفرنسيين،

---

1- Ibid, p . 124.



لا في سان لوي و لا في باريس، بسبب ما طرأ على معاهدة 1860 من تعديلات، خدمت المصالح<sup>1</sup> التجانية بالدرجة الأولى، حسب رأي نفس الأوساط، خصوصا ما يتعلق بمشكل الحدود.

و مع ذلك فقد شكلت مرجعية محورية، لمواصلة المفاوضات مع الشيخ أحمدو، و للتلويح بها: مثل سابقتها، و توظيفها سياسيا في المؤتمرات و المحافل الدولية، ضد كل دولة منافسة لها بالمنطقة كإنجلترا. وبما أن السياسة دهاء و مكر و خداع، فإن الفرنسيين لم يرفضوا معاهدة 1866 بشكل كامل، بل سيعملون على استغلالها استغلالا جيدا و هم يوهمون خصمهم أنهم يتفاوضون، لما فيه خير الدولتين.

و إدراكا منهم أن الإمبراطورية التجانية، في طريقها إلى زوال لا محالة، بعد وفاة بانيها، فقد اتخذ الفرنسيون من هذه المعاهدة و ما سيأتي بعدها من معاهدات وسيلة فقط لربح الوقت، و استدراج أحمدو بالتدريج إلى مآهات، و مآزق، و إكراهات، تجعله يعبر عن بعض مظاهر الاستياء و عدم الرضا، تتيح للفرنسيين إعلان الحرب عليه، و ستستغل سلطات سان لوي العسكرية مسألة الخلاف حول الحدود، لإشعال الحرب ضد أحمدو و الهجوم على عاصمة سيكو و طرده من الحكم بشكل نهائي كما سيأتي. لكن قبل ذلك ما هي باقي مراحل مساعي السلم و إبرام المعاهدات

---

1- Traités et Conventions du 26 Août 1782 au 2 Mai 1889, Archives du Sénégal, 13 G 2.

التي قام بها الفرنسيون في تفاوضهم مع الشيخ أحمدو، قبل أن يعلنوا الحرب عليه؟

## 2 - المساعي السلمية بعد وفاة الحاج عمر .

شكل التوقيع في سيكو على معاهدة 3 ماي 1866<sup>1</sup> بين الأمير أحمدو، كوريث و خلف لأبيه في الحكم، و بين ماج Mage بصفته سفيرا لفرنسا، أحد أبرز نتائج مساعي فرنسا السلمية في علاقاتها مع الدولة التجانية خلال النصف الثاني من القرن 19، بعد وفاة الحاج عمر مباشرة. و تضمنت هذه المعاهدة، كسابقتها سبعة بنود، مع إدخال بعض التعديلات التي أغضبت السلطات الفرنسية على أعلى مستوى. و تقتصر فيما يلي على الإشارة لبعض بنود هذه المعاهدة، التي لم ترض الطموحات الفرنسية، و التي شكلت في رأي منتقديها خدمة لمصالح الدولة الاسلامية التجانية مع تعليقنا عليها.

البند الثاني : «يسمح لرعايا والي السنغال بالمرور بكل حرية في كل البلدان التي يحكمها أحمدو، و في كل تلك التي يمكن أن يحكمها لاحقا وستضمن لهم هناك الحماية، بصفتهم تجارا أو مبعوثين أو للإطلاع فقط». البند الخامس : «وعد حاكم السنغال بفتح الطريق المؤدية من فوتا إلى بلدان أحمدو، و السماح بالمرور عبرها بحرية للرجال و النساء، دون

---

1- Mage (E.), Voyage dans le Soudan occidental..., op. cité, pp.580 et ss.

أن يستطيع أي حاكم إيقافهم».

البند السادس : «السماح لرجال أحمدمو المبعوثين إلى سان لوي، بأن يشتروا منها كل ما هم في حاجة إليه، و يتلقون في الطريق الحماية ضد كل من أراد بهم سوء<sup>1</sup>».

هذه هي البنود الثلاثة بشكل عام، التي أغضبت كبار المسؤولين والرأي العام الفرنسي. ففيما يخص البند الثاني، وجه لوم لماج Mage لقبوله إدخال عبارة : «و في كل تلك التي يمكن أن يحكمها لاحقا». لأن هذه العبارة، بقدر ما تطلق يد أمير الدولة التجانية في توسيع مناطق نفوذه، بالسودان الغربي، بقدر ما تحرم فرنسا من ذلك.

كما اعتبر ماج Mage مغفلا و ساذجا، بموافقته على مضمون البند الخامس، كعنصر دخیل، مقارنة مع مواد المعاهدة السابقة، لما يشكله تطبيق مقتضاه من خطر على مستقبل السيادة الفرنسية بالمنطقة، باعتبار أن الإلتزام من الجانب الفرنسي بالسماح بحرية المرور من بلاد فوتا الخاضع للفرنسيين إلى أقاليم الدولة التجانية، يعني تمكين خصمهم الشيخ أحمدمو من الحصول على ما هو في حاجة إليه من الجنود و المؤن و العتاد، نظرا لأواصر الدم و القرابة التي تربطه بشعوب هذه الأقاليم من جهة، ولكون معظم الجيوش التي قاتلت إلى جانب أبيه، و كذا ضباطها الأكثر

---

1- Saint- Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, pp. 130 et ss.

إخلاصا للدولة التجانية، يرجعون في أصولهم إلى بلاد فوتاتورو، بل جيش أحمدو نفسه يتكون عموده الفقري من نفس العناصر.

أما بخصوص ما ورد في البند السادس، فإن المستفيد الأكبر من تطبيقه هو الشيخ أحمدو، في رأي منتقدي المعاهدة، باعتبار أن الجانب الفرنسي باستطاعته فعلا أن يضمن حماية و أمن المبعوثين التجانيين إلى سان لوي أو أية جهة من الجهات الخاضعة لنفوذ فرنسا بالسنگال، في حين ليس بإمكان الشيخ أحمدو فعل نفس الشيء لأنه لا يسيطر سيطرة تامة على كل أراضي الإمبراطورية التي ورثها عن والده.

هذه باختصار هي أهم الأسباب التي أدت في النهاية بباريس إلى عدم التصديق على هذه المعاهدة، مع ترك الباب مفتوحا في نفس الوقت لإجراء مزيد من المفاوضات<sup>1</sup> لإبرام معاهدات أخرى، كان الهدف منها في الحقيقة هو ربح الوقت و انتظار حصول المزيد من المتاعب لخصمهم، حتى يسهل عليهم الإجهاز عليه بالقوة، مستغلين في ذلك الخلافات الحدودية.

عندما وصل ماج Mage إلى سان لوي، يوم 28 ماي 1866، قدما من سيكو Ségou، و معه المعاهدة التي أبرمها مع الشيخ أحمدو، كان الوالي فيدرب، صاحب فكرة البعثة إلى الحاج عمر، قد غادر السنغال بصفة نهائية، منذ سنة 1865، و حل محله كوال عليها، الكولونيل بيني

---

1- Ibid, p . 124.

لابراد<sup>1</sup> Pinet Laprade، الذي لم يكن له و لا خلفه فاليير<sup>2</sup> Valière من بعده نفس الرؤية، بخصوص التعامل مع مسألة التقدم و الزحف صوب نهر النيجر، مع ما يتطلب ذلك من توضيحات مختلفة، و ذلك انسجاما مع السياسة الحكومية الفرنسية، التي انتابها نوع من الضعف في بداية سبعينيات القرن 19، بسبب حربها مع ألمانيا، و من جراء التزاماتها الدولية الأخرى، مثل قضية المكسيك و قضية كوشين شين<sup>3</sup> Cochine chine. وهي مشاكل لا يستهان بها أجبرت باريس على تجميد مسألة السودان الغربي إلى وقت لاحق، كما يتضح ذلك من تعليمات وزير البحرية إلى والي السنغال فاليير Valière سنة 1874، بضرورة التزام أقصى ما يمكن من الحذر «لتجنب البلاد المزيد من المصاريف و المشاكل الخارجية»<sup>4</sup>، وكان الوالي بيني لابراد Pinet Laprade، قد كتب منذ سنة 1865 إلى حاكم باكل Baki يوصيه بعدم التهور و المغامرة في الإندفاع نحو أعالي نهر السنغال، لأن ذلك يتطلب اعتمادات كبيرة، و بلادنا لها التزامات مالية باهضة، تكتسي طابع الأولوية و الإستعجال، و هذه تعليمات من السيد الوزير يضيف والي السنغال بيني لابراد<sup>1</sup> Pinet Laprade، و هذا

---

1- Monsieur du Sénégal et Dépendances, n° 475, 2 Mai 1865.

2- Meniaud (J.), les pionniers du Soudan..., op . cité, T 1, P .112.

3- Archives du Sénégal, 5 D5, 18 Janvier 1864.

4- Saint Martun (y.), L'Empire Toucouleur et la France, op. cité, pp . 137-138.

يعني على ما يبدو أن فرنسا كانت تعرف التعبئة الشاملة خلال النصف الثاني من ستينيات القرن 19 لمنازلة ألمانيا.

هذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها فرنسا ساهمت فقط في تأجيل الإطاحة بأحمدو وإسقاط الدولة التجانية بشكل نهائي. ولم يستطع هذا الأخير انشغال باريس بهزيمتها أمام ألمانيا خلال سنة 1870-1871، لفرض شروطه على الفرنسيين واسترجاع ما أخذوه منه، وإجبارهم على التعامل معه ندا لندا. بل ظل على العكس من ذلك ملتزما بشروط السلم المنصوص عليها في معاهدة 1866 التي وقع عليها وحده، ورفضت السلطات الفرنسية التصديق عليها كما علمنا.

ولا يمكن تفسير هذا الموقف، حسب تقديرنا، إلا بكون الشيخ أحمدو كان مغلوبا على أمره، غير قادر على السيطرة على كل أطراف الإمبراطورية الشاسعة التي تركها أبوه لكثرة إثنياتها وشعوبها، وتطلع معظمها إلى العودة إلى أوضاعها السياسية الأصلية، وبسبب ثورات إخوته الانفصالية على الخصوص، التي تطلبت منه الكثير من الجهد والوقت والمال، للقضاء على بعضهم وأرجاع البعض الآخر إلى الصواب. ومن تكون وضعيته السياسية من رجال الدولة كهذه، فليس له في تصورنا من مخرج سوى الإستمرار في البرهنة عن حسن النية تجاه أعتى دولة في المنطقة، وهي فرنسا بالتعاون معها ومسالمتها لكسب ثقتها،

---

1- Ibid.

والحصول منها على ما يريد من الأسلحة و الذخيرة للتصدي لكل الأخطار المحدقة به من كل جهة. لكن الشيخ أحمدو كما سنرى راهن على جواد خاسر.

و من مظاهر مراهنه الشيخ أحمدو، في حل مشاكل دولته، على تحسين علاقاته مع الفرنسيين، ما قام به من إجراءات الود و حسن الجوار، و الإسهام في تنشيط حركتهم التجارية بنهر السنغال، إلى جانب البعثات التي أرسلها الوالي الفرنسي بسان لوي خلال سنة 1874 من أجل إخراج المفاوضات من مرحلة الجمود التي عرفتھا، على إثر الأحداث الصعبة التي كانت تمر بها فرنسا في بداية السبعينيات.

و قد كان سفير الشيخ أحمدو في هذه البعثة هو طامبو باخيري Tambo Bakhiri، الذي سلم إلى الوالي الفرنسي فاليري Valière ثلاث رسائل من سيده<sup>1</sup>، أهمها على الإطلاق الرسالة الثالثة التي يطلب فيها سلطان الدولة التجانية تزويده ببعض المدافع. و بما أن التفاوض بالنسبة للفرنسيين وسيلة لا غاية، فإن الوالي فاليري Valière بعد مناقشات مستفيضة، توصل مع المبعوث التجاني إلى صياغة مشروع معاهدة من خمسة بنود، تأخذ بعين الاعتبار بعض ما تم التوصل إليه في معاهدة 1866، مع إدخال بعض التعديلات عليها التي تخدم المصالح الفرنسية، وخصوصا التجارية منها، كما تعمد فاليري Valière الغموض في بعض

---

1- Archive du Sénégal, 2B 73 . F<sup>o</sup>. 27 -23 Septembre 1874.

العبارات المتعلقة بالحدود و السيادة على بعض المناطق و عدم إدراج أي إشارة تفيد تزويد مفاوضه بالمدافع أو أي نوع آخر من الأسلحة<sup>1</sup>. و قد تم تحرير هذه الوثيقة يوم 23 شتنبر 1874. ووعيا منه، على ما يبدو، بأن الشيخ أحمدو، لن يقبل بسهولة مثل هذه المعاهدة، بعد الإطلاع عليها عند عودة سفيره إليه، فقد بادر إلى تقديم بعض الهدايا لهذا السفير و لسيدته<sup>2</sup>، عندما كان بصدد مغادرة سان لوي، في اتجاه سيكو، لجبر خواطرهما، وامتصاص غضب السلطان التجاني على الخصوص.

إلا أن الآمال التي بنيت على مشروع هذه المعاهدة، كوسيلة لتعزيز السلم و التجارة بين البلدين، ذهبت أدراج الرياح، بسبب الإعتداء الذي تعرض له السفير باخيري Bakhiri، في إقليم ديافونو Diafounou الثائر ببلاد كارطا، ضاعت معه الهدايا و الرسائل و مشروع المعاهدة، و مات على إثره السفير نفسه<sup>3</sup> خلال شهر نونبر 1874 و بذلك لم يتأت للسلطان التجاني الإطلاع على مضمون مشروع هذه المعاهدة، و هو أمر أسف له فاليير Valière و الي سان لوي، لما كان يعقده من آمال، على إمكان موافقة الشيخ أحمدو عليها، كما استاء هذا الأخير بدوره على وفاة سفيره

---

1- Soleillet (P.), Voyage à Ségou (1878-1879), op. cité, p. 385.

2- Ibid.

3- Saint-Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France..., op. cité.155.



متأثرا بضربات رعايا الدولة التجانية نفسها من جهة، و على عدم اطلاعه على رد الفرنسيين بخصوص الرسائل التي بعثها إليهم من جهة أخرى، لا سيما الثالثة منها المتعلقة بتزويده بالمدافع.

ووعيا من الشيخ أحمدو بأن مقتل سفيره بخيري Bakhiri داخل الأراضي الخاضعة للدولة التجانية، يساهم بشكل كبير في إضعاف موقعه التفاوضي مع الفرنسيين، بحجة عدم قدرته على ضبط كل رعاياه، وجه تعليمات إلى إخوته الحاكمين نيابة عنه بكارطا و ديومبوخو Dimbokho بضرورة ملاحقة المتسببين في الإعتداء على السفير و بعثته، و تمهيد بلده ديافونو Diafunu و إنزال أقسى العقوبات بثوارها، و هو ما تم فعلا خلال سنة 1876<sup>1</sup>. لكن كيف ستتطور العلاقات بين الطرفين بعد هذا الفشل بين الجديد الذي آل إليه مشروع معاهدة 1874؟

إن استقراء الأحداث و رصد أهم التطورات التي ميزت العلاقات بين الطرفين، بعد فشل مفاوضات سنة 1874، يبين أن حسن نية أمير الدولة التجانية في تمتين علاقاته مع الفرنسيين، لم يكن يلقي نفس التجاوب من الطرف الآخر. ففي الوقت الذي كان يعمل جادا، للتوصل معهم إلى الاتفاق على إبرام معاهدة، تكون بنودها ملزمة لكل الأطراف المتفاوضة، بشأن كل ما يتعلق برسم الحدود بين الدولتين، و حرية التجارة، و الضرائب

---

1- Ibid. p . 156.

الجمركية، وبيع الأسلحة، كانت سلطات سان لوي العسكرية، على العكس من ذلك، ترى في المفاوضات وسيلة فقط لربح الوقت، وانتظار تآكل الدولة التجانية من الداخل، لوعيمهم بحتمية انهيارها الشامل، الذي بدأ منذ وفاة بانيها الحاج عمر.

وبذلك فهم لا يريدون في الواقع الإلتزام ولا الإعتراف بأي شيء، بل نجدهم يتراجعون في كثير من الأوقات عن كل ما التزموا به، كإجراء مرحلي استراتيجي فقط، انسجاما مع رغبتهم في الوصول إلى نهر النيجر، وإخضاع إرث الإمبراطورية التجانية لنفوذهم. وقد ساعدهم على نهج سياسة التلكؤ والمرأوغة هاته حاجة الشيخ أحمدو الماسة إليهم، للحصول على ما يحتاج إليه من الأسلحة المتطورة، بغية إخماد الثورات المتزايدة بين رعايا دولته بما فيها انتفاضات أشقائه المتكررة، ناهيك عن الخطر الذي أصبحت تشكله حركة ساموري في الجنوب على سلطته<sup>1</sup>.

ومما ساعد الفرنسيين على معرفة المشاكل التي تتخبط فيها الإمبراطورية التجانية بشكل دقيق، و حالة الضعف التي آلت إليها، بفعل ذلك بسلطة أميرها، التقارير التي عاد وسيعود بها الرحالة والمستكشفون والسفراء الفرنسيون، بعد زيارتهم للعاصمة التجانية سيكو، ومرورهم بالكثير من أراضي ضفاف نهر النيجر الخاضعة للتجانين، بدءا ب رافنيل Raffenel، و ماج Mage و كانتان Quantain، ثم صوليي Soleillet

---

1- Dumont (F), L'Anti-Sultan...,op. cité, pp. 136-137.

وكالييني Gallieni و مارشان Marchand فيما بعد<sup>1</sup>.

و مما يؤكد خيار مراهنة السياسة الفرنسية على عامل الزمن في تعاملها الدبلوماسي و السياسي مع سلطان الدولة التجانية، عدم جدية الفرنسيين في التصديق على ما سيتم إبرامه من معاهدات لاحقا بين الطرفين، مثل معاهدة نانكو Nango سنة 1880<sup>2</sup>، و معاهدة كوري-Gou سنة 1887<sup>3</sup>، و ما تخللهما من بعثات دبلوماسية، ورحلات استكشافية، و اعتداءات و خروقات متنوعة المظاهر لأهم بنود السلم التي دأب الطرفان على احترامها، حتى و لو لم يتم التصديق عليها من هذا الطرف أو ذاك. و من بين هذه الخروقات و الإعتداءات ما اكتسب أشكالا بالغة الخطورة، كلجوء البعثات الفرنسية إلى إبرام معاهدات خاضعة مع أعيان بعض القبائل من رعايا الدولة التجانية، تقضي بخضوعهم للحماية الفرنسية<sup>4</sup>، و كاستيلائهم بالقوة على أجزاء من تراب الدولة التجانية توجد على الضفة اليمنى لنهر السنغال، أي ضمن المجال الذي اعترفت به سلطات سان لوي خاضعا لنفوذ الشيخ أحمدو<sup>5</sup>.

---

1- Saint-Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, pp 68, 111, 158, 225, 392.

2- La France dans l'Afrique occidentale. Ministère de la Marine et des Colonies, Paris, Challamel ainé 1884, pp .405 à 414.

3-Saint-Martin(Y),l'Emire Toucouleur et la France...,op.cité, p.339.

4- Robinson(D), op . cité, pp. 355-356.

5- Saint-Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, pp. 163, 212, 214, 215-216-237-307-436.

و مما كان يثلج صدر العسكريين الفرنسيين و يجعلهم يسرون قدما في تنفيذ هذه السياسة العدوانية، عدم قدرة الشيخ أحمدو على الرد بفعالية على تحديات أعدائه، و قد لا نبالغ، أمام هذا الواقع، إذا قلنا، إن استعمال القوة للإجهاز على الإمبراطورية التجانية، كان واردا منذ وقت طويل، من قبل السلطات الفرنسية، و أن المساعي الدبلوماسية، كانت تسخر للإيهام والخديعة فقط، في انتظار أن تحيط المتاعب بعدوهم من كل جهة، وتجعله غير قادر على المقاومة. و هذا ما سنعمل على توضيحه في المحور الآتي.

## II - مرحلة الصدام و القوة في المساعي الفرنسية

### لإخضاع الدولة التجانية .

يهتم هذا المحور برصد أهم التطورات التي عجلت بالإجهاز على الإمبراطورية التكرورية التجانية خلال السنوات الأولى من تسعينيات القرن التاسع عشر . و بما أن أعنف الضربات وجهت لأحمدو و لدولته، خلال فترة حكم القائد أرشينار Archinard بصفته قائدا أعلى ، لأقاليم أعالي نهر السنغال ما بين 1888 و 1894، أو السودان الفرنسي فيما بعد، فإننا نرى من المفيد تقسيم هذا المحور إلى جزئين، جزء يتطرق لتتبع أبرز مظاهر الاعتداءات و الخروقات و الاستفزازات الصادرة من الجانب الفرنسي ضد دولة الشيخ أحمدو التجانية، قبل فترة حكم الكولونيل أرشينار Archinard على أن نخصص الجزء الثاني لبسط

الخطوط العريضة لسياسة الحديد و النار التي نهجها ضد السلطان التيجاني، فتمكن بذلك من احتلال عاصمة حكمه الأولى سيكو، و طرده منها، ثم تعقبه إلى كل المدن التي فر إليها، إلى أن أجبره على الفرار خارج ماسينا في اتجاه شمال نيجيريا خلال سنة 1893، و هي السنة التي فقدت فيها الإمبراطورية الإسلامية التيجانية استقلالها بشكل نهائي، و دخلت في نفس الوقت تحت نفوذ الاحتلال الفرنسي بمساعدة أحد أبناء الشيخ أحمدو التيجاني كما سنرى.

## 1 - أبرز مظاهر الاعتداءات و الخروقات الفرنسية ضد الدولة التيجانية قبل فترة حكم أرشينار Archinard.

بناء على ما تقدم من قرائن و استنتاجات و أدلة ملموسة تفيد أن استراتيجية المفاوضات في عمل فرنسا الدبلوماسي تجاه أمير الدولة التيجانية الشيخ أحمدو، لم يكن سوى وسيلة لربح الوقت، و بما أن مشروع معاهدة 1874، المعد من قبل فاليري Valière والي السنغال، لم يتم تمريره بسبب وفاة السفير التيجاني، فإن سلطات سان لوي Saint Louis ستقوم بمناورة جديدة لإيهام أمير سيكو و جعله يقتنع بجديتها في التوصل إلى السلم و حسن الجوار بين الدولتين.

و تنحصر هذه المناورة في إرسال بعثة استكشافية يرأسها بول صوليبي Paul Solleillet، ما بين سنة 1878 و 1879، إلى سيكو للاتصال بالسلطان التيجاني دون أن تكون له صلاحية التفاوض معه.

وكانت التعليمات المزود بها في هذا الصدد ، تقتصر على جس نبضه فقط ومحاولة سبر أغوار نواياه الحقيقية ، بخصوص مشاعره و مواقفه تجاه السياسة الفرنسية بالمنطقة ، مخبرا إياه في نفس الوقت أن بعثة رسمية مكلفة بالتفاوض معه ، ستصل إلى قاعدة حكمه لاحقا . وهذا يعني أن مهمة بول صوليبي Paul Soleillet كانت تجسسية بامتياز ، كما يفهم ذلك على لسانه ، عندما ذكر أن مهمته كانت محددة في نقطتين أساسيتين<sup>1</sup> :

أ - التعرف على الطريق التجارية و على الممتلكات الفرنسية بالضفة اليسرى لنهر النيجر

ب - القيام ببحث مدقق ، داخل إمبراطورية سيكو عن المنتوجات المستهلكة بالسودان الغربي<sup>2</sup> .

و مما يدل أيضا على أن نية التجسس على سلطات الدولة التجانية في السودان الغربي ، كانت واردة في رحلة صوليبي Soleillet هذه ، وفق ما أراد لها والي سان لوي ، (بريير دوليسل Brière de l'Isle) ، ما ورد في تقرير لهذا الأخير إلى رؤسائه بباريس ، لطمأنتهم على أنه لا خوف من إمكان اكتشاف حقيقة هذا المبعوث ، من قبل أحمدو ، لأنه يضيف نفس المصدر ، « حملت صوليبي Soleillet رسالة إلى الأمير التجاني تخبره أن مهمة هذا الطالب تتحدد في البحث عن بعض الأعشاب و المعادن

---

1- Soleillet (P.), Voyage à Ségou (1878-1879), op. cité, p.3.

2- Ibid, Introduction, p. 8.

لمعالجة الأمراض<sup>1</sup>....».

و تبعا لبعض المصادر فقد راهن والي سان لوي على شخصية صوليي Soleillet و للقيام بهذه المهمة بشكل سري، لتحسين مستوى معلومات الفرنسيين على منطقة حوض نهر النيجر الأقرب إلى نهر السنغال، لشغف هذا الرجل بالمغامرات و الأسفار، كما يشهد على ذلك سجله الحافل بالرحلات في بعض جهات إفريقيا مثل تونس سنة 1867، و قبلها الجزائر سنة 1865، حيث ساعدته معرفته بالعربية ليتوغل جنوبا حتى عين صالح خلال سنة 1874، و منها بدا له إمكانية الوصول إلى تمبكتو و سان لوي<sup>2</sup>.

و في سنة 1877 خطط لرحلة أخرى، تقوده من سان لوي إلى سيكو و تمبكتو، ثم الجزائر بعد ذلك، و قام بمجموعة من الاتصالات والمحاضرات بفرنسا و بعث بعدة رسائل للسلطات المعنية بباريس للتعريف بمشروعه و إثارة انتباه الرأي العام حول أهميته، لما يمكن أن يفتح من آفاق واعدة للتجارة و النفوذ الفرنسيين بالسودان الغربي. و تبعا لما سبق، وسعيا وراء نهج سياسة استعمارية واقعية و فعالة يرى صوليي Soleillet أنه : « لا الجزائر، و لا السنغال، يمكن أن تفتح قلب إفريقيا لنا،

---

1- Archives du Sénégal, 2B 74, F° 20, Années 1878 et 1879.

2- Chailley (Cmt Marcel), "Paul Soleillet", Encyclopédie mensuelle d'outre-Mer, 1952, pp. 140 à 143.

بل بالرباط بين الجزائر و السنغال...إنه الهدف الذي لازالت أواصل العمل من أجله منذ 1865<sup>1</sup> .

في إطار هذا الاستعداد الذي أبداه صوليبي Soleillet إذن، يأتي تكليفه خلال سنة 1878-1879 بمهمة استطلاعية إلى سيكو، من قبل بريير دو ليسل Brière de L'Isle والي السنغال لقضاء عدة مآرب أبرزها: - الاستجابة لرغبة صوليبي Soleillet في القيام بهذا السفر. - الحصول على معلومات جديدة حول الجغرافية الطبيعية و البشرية للإمبراطورية التجانية.

- ربح الوقت عن طريق إيهام الشيخ أحمدو، بأن فرنسا جادة في التفاوض معه.

غادر بول صوليبي P. Soleillet سان لوي في طريقه إلى سيكو يوم 17 أبريل 1878<sup>2</sup>. و يذكر في تقاريره أنه كان يستقبل بترحاب، حيث ما حل، و زاد من قبوله لدى الأوساط الشعبية، علاجه لبعض المرضى وتخفيف الآلام عنهم. و كان وصوله إلى قاعدة حكم الشيخ أحمدو بسيكو يوم فاتح أكتوبر من نفس السنة حيث حظي بأحسن المعاملة، و أحيط بكل مراسيم الاستقبال الرسمي<sup>3</sup>، لاعتقاد المسؤولين التجانيين في البداية أن

---

1- Soleillet (P.), Voyage à Ségou..., op. cité, Introduction, p. §.

2- Archives du Sénégal, 1 D 35.

3- Ibid.



ضعيفهم موفد رسمي، من قبل سان لوي و لكن سرعان ما أطلعوا على الحقيقة. و عليه، فإنه لم يترتب عن هذه الرحلة إجراء مفاوضات و لا إبرام معاهدة، و اكتفى صوليبي بإخبار محاوريه، أن مهمته تعتبر إعدادا فقط لبعثة دبلوماسية فرنسية لاحقة إلى سيكو.

غادر صوليبي Soleillet في نهاية رحلته سيكو، يوم 20 يناير 1879، بعد أن مكث بها حوالي ثلاثة أشهر و نصف و في 21 مارس حل بسان لوي ليقدّم تقريراً إلى الوالي حول المهمة التي قام بها<sup>1</sup>، و هو التقرير الذي ترك انطبعا بأن هذه الرحلة لم تأت بشيء مهم زيادة على ما تم التعرف عليه من خلال ما دونته رحلة ماج Mage و كانتان Quintain إلى نفس العاصمة، ما بين 1863 و 1866 باستثناء بعض المعلومات التي لا تخلو بدورها من أهمية مثل<sup>2</sup>:

- الإلحاح على أهمية التجارة التي لاحظ صوليبي Soleillet بشأنها وجود سلع بريطانية إلى جانب سلع فرنسية بسيكو.  
- تميز شخصية عجيبو أحد أبناء الحاج عمر Agibou عن بقية إخوته المنحليين و الفساق.

- استعداد أحمدو و رغبته في إبرام السلم مع الفرنسيين، رغم ما

---

1- Saint-Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France..., op.cité, p. 174.

2- Ibid, pp. 172-173.

يصله من أخبار حول اعتداءاتهم و خروقاتهم على الحدود.

على أن أهم نتيجة علمية حقيقية لرحلة صوليبي إلى سيكو، على المستوى السياسي، هي جعل الشيخ أحمدو يتطلع من جديد إلى وصول بعثة فرنسية رسمية إلى عاصمته للتفاوض معه، في أقرب الآجال وهذا الخبر في حد ذاته مطمئن بالنسبة للفرنسيين، لأنهم لا يريدون مواجهة عسكرية مع خصمهم، قبل توفير الشروط الضرورية لذلك، عن طريق الاستيلاء بالقوة على بعض المواقع و القلاع التجانية على الضفة اليمنى لنهر السنغال، الخاضعة حسب المعاهدات السابقة للنفوذ التكروري، و بواسطة إبرام اتفاقيات خاصة مع حكام بعض الأقاليم في المجال التجاني أيضا. و حسب تصريحات الكثير من الساسة و القادة العسكريين الفرنسيين، فإن العمل الدبلوماسي يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع بعض الأعمال العسكرية.

و لذلك لم يمر وقت طويل على عودة صوليبي من رحلته، حتى بدأت سلطات سان لوي تفكر في إرسال بعثة دبلوماسية إلى العاهل التجاني، لها كل صلاحيات التفاوض و إبرام معاهدة. و كان الباعث الحقيقي بكل تأكيد على إرسال هذه البعثة خلال ربيع 1880، ليس رغبتهم الأكيدة في التوصل إلى السلم مع محاورهم كما يزعمون، و لكن خوفا من أن يتمكن الإنجليز من كسب الرهان في البلاط التكروري و ينتزعون منهم المبادرة الدبلوماسية، سيما و أن الأخبار الواردة عليهم بخصوص التقارب

الإنجليزي التجاني<sup>1</sup> لا تبعث على الإطمئنان، و آخرها ما أكده صولي في تقريره، مما يعني أن الإسراع بإرسال هذه البعثة سيدعم حضورهم بحوض نهر النيجر، و يقوي علاقتهم بسادة البلاد، و يمكنهم من مراقبة وصد كل من أراد أن يسحب البساط من تحت أقدامهم، يساعدهم في ذلك المعاهدات المبرمة سابقا مع الدولة التجانية<sup>2</sup> رغم عدم تصديق فرنسا عليها، و هذا أحد وجوه المروق الدبلوماسي إن صح التعبير في السياسة الفرنسية، تجاه خصومها بالسودان الغربي. أما الهدف الأساسي لهذه البعثة فقد تحدد في ثلاثة نقاط أساسية<sup>3</sup> :

أ - دراسة ووضع رسم لسكة حديدية من مدينة Médina إلى بامكو Bamako و النيجر عبر بافولابي Bafoulabé.

ب - ضمان مراقبة البلدان الموجودة بين نهري السنغال و النيجر (التي تمر عبرها السكة الحديدية)، بواسطة إبرام معاهدات مع الزعماء المحليين لضمان توسع النفوذ دون علم سلطان الدولة التجانية. و بذلك تصبح الحدود المتفق عليها لا قيمة لها، في وقت لا يستطيع فيه الشيخ أحمدو أن يفعل شيئا.

ج - إبرام معاهدة للتجارة وحرية المرور البري والنهري مع

---

1- Robinson (D), op. cité, pp. 136-137 et 311.

2- Archives du Sénégal, 1 G 52, pièce 25, 19 Juillet 1880.

3- Archives du Sénégal, 1 G 50, pièce 11,12 Novembre 1879.

الشيخ أحمدو<sup>1</sup>.

وهكذا يبدو جليا، أن النية في استعمال القوة و الدسائس من قبل الفرنسيين ضد الدولة التكرورية التجانية بالسودان الغربي، صارت شيئا مؤكدا، كما هو واضح من النقط المسطرة آنفا، وأن عهد استعمال الحوار و الأسلوب الدبلوماسي من أجل التفاهم، قد بدأ يولي، إن لم يكن قد ولى، بدليل ما قامت به القوات الفرنسية بأعلى نهر السنغال شرقا، في اتجاه نهر النيجر من تغيير لمعالم الحدود، وإقامة تحصينات خاصة بها، و تدمير أخرى في ملكية الدولة التجانية، و إبرام معاهدات تحت الإغراء و التهديد أحيانا، مع شيوخ بعض القبائل لضمان ولائها. و قد تمت بعض هذه الخروقات و الاعتداءات في الوقت نفسه الذي كان فيه الرحالة صوليي Soleillet ضيفا على ملك سيكو، و بعضها قبل ذلك، على أن وقوع هذه الاعتداءات و توالي الضربات من قبل الفرنسيين، سوف يزداد قوة و عنفا طيلة معظم سنوات العقدين المكملين للقرن 19، إلى أن يتم إسقاط الإمبراطورية التجانية بشكل نهائي.

و في ما يلي لتلك الاعتداءات:

- منذ 1855 كان فيدرب Faidherebe قد توصل إلى إبرام معاهدة مع كنفدرالية خاسو Khassou<sup>2</sup>.

1- Ibid.

2- Saint -Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France..., op . cité, p. 201.

- الاستيلاء على تحصينات سابوسيري Sabouciré في شهر  
شتنبر 1878 رغم وجودها على الضفة اليمنى لنهر السنغال<sup>1</sup>.  
- الاستيلاء على بافولابي Bafulabé و تحصيناتها خلال شهر  
أكتوبر 1879، رغم وجودها ضمن ممتلكات الدولة التجانية<sup>2</sup> في نقطة  
التقاء نهر الباخوي Bakhoy بالبافينك Bafing.  
- تمكن كاليني Galliéni من إبرام عدة اتفاقيات مع أعيان القبائل،  
أهمها تلك التي أبرمها مع سلطات كيتا Kita، وهو في طريقه إلى سيكو  
يوم 25 أبريل 1880، تقضي بتسليم الفرنسيين ما هم في حاجة إليه من  
الأراضي، وبتزويدهم بما هم في حاجة إليه من اليد العاملة، لتنفيذ أعمال  
شق الطرق وتشبيد التحصينات<sup>3</sup>. وقد صار هذا النموذج مثالا اقتدت به  
قبائل وأقاليم أخرى فيما بعد. كما شكل خضوع بلدة Kita في الواقع  
للفرنسيين ضربة موجعة لأحمد، بالنظر إلى موقعها الاستراتيجي، في  
منتصف المسافة تقريبا بين نهر النيجر حيث سيكو عاصمة الشيخ أحمدو،  
ومدينة Médina، قاعدة النفوذ الفرنسي بأعلى نهر السنغال.  
- تزامنا مع تنفيذ هذه الخروقات، عملت فرنسا على إقامة خطوط

1- Archives du Sénégal, 1 D 37, pièce (1-2-7-71...)

2- Ibid, 1 G41, pièce 23.

3- Galliéni (J.), un voyage au Soudan Français (1879-1881), op.  
cité, pp . 83-84.

للتلغراف في الأماكن التي استولت عليها<sup>1</sup>.

في أوائل شهر أبريل 1880 وأصدر بريير دوليسل Brière de L'Isle أوامره لكالييني Gallièni و لينطلق ببعثته الدبلوماسية في اتجاه سيكو<sup>2</sup>، محملاً برسالة اعتماد لسلطان الدولة التجانية، يؤكد له فيها أن هذا السفير يتمتع من قبله بكامل الصلاحيات للتفاوض، وهي الرسالة التي تفيد بعض المصادر أنها ضاعت بسبب ما تعرضت له هذه البعثة، في الطريق من سلب ونهب على يد بعض قبائل البامبراء. ورغم هذه المضايقات فإن البعثة حرصت على إبرام مجموعة من المعاهدات مع القبائل، في الطريق، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

وفي 13 ماي حل كالييني Gallièni ببماكو Bamako على رأس بعثته لأول مرة انسياب نهر النيجر في هدوء وعظمة، ومنها وصلوا الطريق في اتجاه سيكو قاعدة الحكم التي وصلوا إلى ضواحيها في نهاية الشهر. وسوف لن يسمح للسفير الفرنسي بأن تطأ رجله أرض هذه المدينة، في رحلته هذه، بأمر من ملك البلاد كإجراء وقائي واحتياطي، على ما يبدو، من جواسيس البعثة. وخصص لهم مكان فاخر للإقامة، في بلدة نانكو Nango التي تبعد بحوالي أربعين كيلومتراً جنوب سيكو،

---

1- Saint-Martin (Y.), l'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, pp. 181-182

2- Ibid

ابتداء من فاتح يونيو 1880. و رغم ما حظوا به من حسن الاستقبال وجميل العناية خلال مدة إقامتهم التي قاربت السنة، فإن المسؤولين الفرنسيين كما سنرى صبوا جام غضبهم على الأمير التجاني لعدم استقباله لبعثتهم في عاصمته. متهمين إياه بتعمد إهانة أفراد البعثة وإدلالها، معتبرين أن حصر إقامة كالييني لمدة عشرة أشهر في مكان واحد، لا يمكن تفسيره إلا كعقوبة سجن في حقه. و لا يخفى ما في هذا التأويل من قبل مستعمرة السنغال من شطط، ليس له من تفسير سوى البحث عن الذرائع لإدانة الشيخ أحمدو، و استدراجه في مرحلة من الصدام و العنف طالما انتظروها.

كان الضابط كالييني في هذه البعثة مرفوقا بترجمين اختارهم ممن يتكلمون اللهجات المحلية، إضافة إلى الفرنسية ، و كان هؤلاء المترجمون هم الذين يتنقلون، رفقة بعض مساعدي السفير الأقربين، بين العاصمة سيكو لمقابلة السلطان، و بين نانكو Nango مقر إقامة البعثة.

و يبدو أن هذه الطريقة الغير مباشرة التي دارت فيها المفاوضات ، مع تباعد الأطراف المتفاوضة جغرافيا في الإقامة، هي التي جعلت مدة هذه المفاوضات تطول أكثر من اللازم، في نظر الفرنسيين سوف يحتجون على ذلك بوقاحة. و طبقا لما تفيدنا به المصادر، فإن هذه المفاوضات دارت في ثلاث مراحل<sup>1</sup>:

---

1- Gallièni (J.), op. cité, 362 et ss.

- المرحلة الأولى : من (5 إلى 25 يونيو 1880): تم فيها عرض الشكاوي والاحتجاجات، والاحتجاجات المضادة من كلا الطرفين.

- المرحلة الثانية : من (31 أكتوبر إلى 3 نونبر 1880) : توصلت خلالها المفاوضات التي انتهت بإبرام معاهدة.

- المرحلة الثالثة : من (5 إلى 10 مارس 1881) : تم على إثرها التصديق في ظروف صعبة على هذه المعاهدة من قبل الشيخ أحمدو<sup>1</sup>. ونقصد بالظروف الصعبة هنا، أن السلطان التفاوض معه، وافق على المعاهدة تحت الضغط و التهديد و مما يدعم هذا القول قصر المرحلة الثالثة من المفاوضات زمنيا، بشكل مثير للانتباه، من جهة، ورسالة الإحتجاج والتهديد بتاريخ 2 دجنبر 1880 التي وصلت من والي سان لوي بريير دو ليسل Brière de L'isle، يوبخه فيها عن احتجازه لمدة طويلة السفير كالييني، و ينذره بأوخم العواقب، في حالة ما إذا لم يصادق على المعاهدة وفق الشروط التي يطرحها المتفاوضون الفرنسيون : « إن كبير الفرنسيين (تقول الرسالة مخاطبة الشيخ أحمدو) الذي يعرض عليك صداقته، مندهش أكثر ما يكون الاندهاش لسكوتك، إنه لا يفهم، لماذا، أنت الذي طالما طلبت منا أن نرسل إليك سفارة، تحتفظ بسفيرنا لهذه المدة الطويلة<sup>2</sup> ؟...»، ثم

---

1- Ibid.

2- Archives du Sénégal, 15 G 79, Chemise I ,2 Decembre 1880.



يصعدُ الوالي لهجة الخطاب، من خلال نفس الرسالة، فيضيف : «لقد تلقيت الأمر بالانتقام بشكل فظيع من الاعتداء التي تعرض له القبطان كالييني Galliéni و مرافقوه، حتى يعلم أمثال هؤلاء المعتدين، الجزاء الذي ينتظرهم... سوف ننزل بكيثا Kita لنصير أقرب ما نكون إذن...، كذلك فإن علاقات الصداقة التي سوف نقوي عراها كما لا أشك في ذلك بالمعاهدة التي سوف تبرمها مع سفيري، سوف تستمر قائمة بين إمبراطوريتكم ونحن...<sup>1</sup>». وكأنه يلتمس العذر بشكل مكرر للشيخ أحمدو، يضيف نفس المصدر : «...أعتقد أن رداءة الفصل هي التي منعتك، عن السماح للقبطان كالييني بالعودة... لكن الشيء الذي لا نستطيع نحن الفرنسيون فهمه، هو أنك لم تضع رهن إشارته رصاصين Courriers ليتسنى له الكتابة إلينا...<sup>2</sup>». ثم ختم بريير Brière رسالته قائلا : «إنني مكلف من قبل الفرنسيين أن أبلغك أنه يأمل أنك ستسرح سفيره بمجرد انحباس الأمطار، بعد أن تكون قبلت كل الاقتراحات التي يقدمها لك باسمه<sup>3</sup>...».

هذه إذن الظروف التي وافق فيها الشيخ أحمدو على معاهدة نانكو Nango بتاريخ 10 مارس 1881، والتي كانت الأطراف المتفاوضة قد اتفقت على بنودها منذ 3 نونبر 1880، وأبرزها احتلال القوات الفرنسية

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- Ibid.

لكيتا Kita في الوقت نفسه الذي كان يوقع فيه على هذه الإتفاقية. تضمنت هذه المعاهدة ستة عشرة بندا، ورغم أن المتفاوضين انطلقوا شكلا من بعض أفكار المعاهدات السابقة، فإن الصياغة الجديدة ركزت على المصالح الفرنسية بشكل أساسي، رغم ما تنص عليه بعض بنود هذه المعاهدة من اعتراف ببعض مظاهر السيادة التجانية على الأقاليم المحصورة بين نهر السنغال و نهر النيجر.

و قد تم تعمد المواصلة بهذا الاعتراف، ضمانا لتصديق السلطان من جهة، وإدراكا منهم أن كل هذه المفاوضات ما هي إلا مسرحية لربح الوقت، في انتظار مزيد من وهن الدولة التجانية من جهة ثانية. و المعاهدة التي تنص في بنودها الخمسة الأولى بشكل عام على السلم و حرية التجارة<sup>1</sup>، و مرور السلع و الأشخاص في مجال نفوذ هذه الدولة أو تلك، و تلتزم بموجب الفصل الثامن بتقديم قدر مالي متفق عليه، و كمية من السلع و الأسلحة، و مجموعة من الهدايا سنويا، بموجب الفصل الثامن والتاسع و العاشر و الحادي عشر، يقضي البند الرابع منها بخضوع نهر النيجر بكل مكوناته الجغرافية و البشرية للحماية الفرنسية دون غيرها، من منبعه إلى تمبكتو<sup>2</sup>. و هو ما شكل بداية نهاية استقلال الدولة التكرورية

---

1- Saint-Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France, op. cité, pp. 268 et ss.

2- Ibid.

التجانية. و رغم أن ما وافق عليه الشيخ أحمدو ضمن المعاهدة لا يرضي طموحاته، و لا يجعله في مأمن من اجتياحه من قبل القوات الفرنسية المتنامية، فإنه لم يكن له خيار آخر، أمام انتفاضات إخوته المزمنة، وثورات مختلف الاثنيات داخل الإمبراطورية، بل المراهنة على كسب الصداقة الفرنسية، و ضمان الحصول منها بما يكفي من المال و الأسلحة، كان هو الخيار الأمثل بالنسبة له لإعادة الاستقرار للبلاد، و إخماد الثورات.

رغم المكتسبات السياسية الكبيرة التي حصل عليها المفاوضون الرسميون بموجب هذه المعاهدة، فإن باريس Paris سوف لن تصادق عليها، لأن بعض ما ورد فيها لا يخدم مصالحها، كالاتزام بدفع ضريبة سنوية، و تقديم بعض الهدايا المتنوعة، علاوة على أداء ضرائب جمركية و تزويد السلطان التجاني بما يحتاجه من الأسلحة، ناهيك عما حوته المعاهدة من تعابير غامضة.

و قد علق بعضهم على هذه المعاهدة، بأن الامتياز الوحيد فيها هو ربح الوقت<sup>1</sup>. و قد تزامن هذا الموقف الفرنسي الرافض، مع وصول مبعوث رسمي من قبل الشيخ أحمدو إلى سان لوي، هو أبو بكر سادا، Boubakar Sada محملاً برسالة احتجاج من سيده، ضد ما قام به

---

1- Archives du Sénégal, 1 D 58, pièce 305.

الفرنسيون من احتلال لكيتا Kita، و غيره من المواقع، منذ 1879، مما يتنافى في نظره مع البند الثاني عشر من المعاهدة، الذي يحرم على والي السنغال احتلال جزء من تراب التكرارة.

وقد استغل والي السنغال الجديد كانار Canard (1881-1882)<sup>1</sup> وجود السفير التجاني بسان لوي في خريف 1881 ليطالعه على موقف السلطات الفرنسية في باريس الراضة للمعاهدة، وليستدرجه إلى توقيع مشروع معاهدة جديد معدل، دون أن يستجيب لما أتى من أجله هذا السفير، الذي رضخ في النهاية لإلحاح الوالي قبل التوقيع على مضمون معاهدة جديدة بتاريخ 30 أكتوبر 1881<sup>2</sup>، تنصلت من خلالها فرنسا من معظم ما التزمت به بقبول كبار المسؤولين الفرنسيين، واقتربت باسم مهندسها كانار Canard، لم تنل قبول السلطان التجاني<sup>3</sup>، فلم يكن بذلك حظها أفضل من معاهدة كاليني Galliéni السابقة.

و مما لا شك فيه أن الأكثر تضررا من فترات توقف المفاوضات، كما حصل أخيرا، هو أمير الدولة التجانية لأنه الطرف الأضعف في كل شيء قوة و مناورة، و «تكتيكا». و سوف لن تزيد وضعيته إلا تراجعاً ووهنا

---

1 - تدل هذه المدة على فترة حكم هذا الوالي

2- Archives Nationales, Sénégal III, 10 bis b. Mission Galliéni du haute-Niger (1880-1881)

3- Saint-Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, p 291.

مع مرور الوقت. وإذا كان اليوم يجد نفسه في حيرة من أمره، بسبب توقف المفاوضات، و من جراء ما أصبح للفرنسيين من نقط ارتكاز، و من تحالفات داخل تراب دولته، فإن سلطات المستعمرة السنغالية على العكس من ذلك تزحف نحو أهدافها في حوض نهر النيجر، ببطء لكن بثبات، شعارها المفضل في ذلك، العمل بمبدأ القضم العسكري المتأني، بما لا يتنافى مع التظاهر بالرغبة في مواصلة الحوار الدبلوماسي.

و هذا ما يفسر استمرار زحفها بالقوة صوب النيجر، مستولية على البلدة بعد الأخرى، و مبرمة الاتفاقية تلو الأخرى مع زعماء القبائل، خلال الفترة الفاصلة بين توقف المفاوضات الرسمية سنة 1881 (بعد فشل مشروع معاهدة كالييني و كانار) و بين إحيائها سنة 1887 و ليتفق الطرفان أخيرا، خلال نفس السنة على إبرام معاهدة كوري Gouri<sup>1</sup>. فما هي إذن أهم مظاهر هذا الرصيد الفرنسي من المكتسبات خلال الفترة المذكورة ؟

للإجابة على هذا التساؤل، سنقتصر على ذكر أبرز الأحداث والإنجازات التي قام بها الضباط الفرنسيون، خلال المدة المذكورة، وعززت حضورهم في المجال المحصور بين نهر السنغال غربا، و نهر النيجر شرقا، التابع أصلا، و طبقا للمعاهدات السابقة، للدولة التكرورية

---

1 - بلدة تقع على الضفة اليسرى لنهر الباولي Baulé

التجانية. وقبل ذلك لا نريد أن نترك الفرصة تمر دون الإشارة إلى أن أحد العوامل الحاسمة في تحقيق الزحف صوب النيجر شرقا، يرجع إلى قرار باريس، بإصدار مرسوم في 6 شتنبر 1880 يقضي بتعيين قائد على رأس أفراد الجيش ، الذين تسند لهم مهمة القتال في أعالي نهر السنغال<sup>1</sup>. و هو المرسوم الذي أطلق أيدي كبار العسكريين الذين تحملوا مسؤولية هذه المهمة، وجعلهم يتصرفون طبقا لما تمليه الظروف المحيطة بهم، دون ما حاجة إلى طلب رأي ولاية سان لوي Louis Saint الذين يوجدون تحت سلطتهم من الناحية القانونية<sup>2</sup>. هذه الاستقلالية الشبه كاملة في اتخاذ القرار و المبادرة هي التي ساعدت على تحقيق ما يلي :

- إسقاط بلدة موركولا Mourgoula الواقعة إلى جنوب كيتا Kita، خلال شهر دجنبر 1882، دون إراقة دماء ، وقد تحقق هذا الإنجاز في إطار حملة 1882-1883 التي قادها الكولونيل بورنييس دييوري Borgnis Desbordes<sup>3</sup> (1880-1883)<sup>4</sup> في اتجاه النيجر، بعد أن

---

1- Meniaud (J.), les pionniers du Soudan, op. cité, T1, P .32.

2 - عندما امتد نفوذ الفرنسيين حتى نهر النيجر، تم الاستغناء عن اسم السنغال الأعلى ليحل محله السودان الفرنسي. وقد حصل الكولونيل أرشيناك على الاستقلال الإداري والعسكري للسودان سنة 1892. انظر: Meniaud (J.), les pionniers du Soudan, op. cité, T 1, p . 12.

3- Archives du Sénégal, 1 D 69, pièce 76 à 81.

4 - كان حاكما على أعالي نهر السنغال خلال هذه الفترة.

تلقى أمر الزحف من وزير البحرية<sup>1</sup>، وهي الحملة التي كان من المقرر تنفيذها خلال سنة 1881-1882، وتم تأجيلها بسبب تفشي مرض الحمى الصفراء بالسنگال<sup>2</sup>.

- وصول القوات الفرنسية إلى باماكو Bamako في فاتح فبراير 1883، مما سجل مكسبا مهما للهيمنة الفرنسية على يد القائد بورنيس دييورد<sup>3</sup> Borgnis - Desbordes.

- إبرام مجموعة من الاتفاقيات ما بين 18 أبريل و 29 ماي 1883، على يد كل من الدكتور بايول Bayol والضابط كيكاندون Quiquandon، انطلاقا من موركو والأقاليم المحيطة بهما، والتي تصل إلى ضفة نهر النيجر اليسرى، في اتجاه الجنوب و الشمال<sup>4</sup>....

- ما رافق حملتي 1883-1884-1885، الاستعراضيتين الاستفزازيتين في اتجاه النيجر من شق للمسالك البرية ومد للخطوط الحديدية والتلغرافية، بما يمكن من الإتصال بين مختلف المراكز العسكرية المنبثة بين نهر السنغال و النيجر، و يضمن وصول المؤن إليها وصيانتها<sup>5</sup>.

---

1- Archives du Sénégal, 1 D 69, pièce 83.

2- Saint -Martin (Y), l'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, p.300.

3- Requin (E.), Archinard et le Soudan, Paris, 1946, Avant propos, pp. VI et X.

4- Archives du Sénégal, 13 G 8, pièce 56 à 76.

5- Ibid.

- دخول أول سفينة فرنسية لمياه نهر النيجر، في خريف 1885، بعد أن تم بناؤها بالقرب من نفس النهر<sup>1</sup>، وهو حدث كان له أبلغ الأثر في نفوس السكان القاطنين على الضفتين، و تطبيقاً لأوامر رؤسائهم، فقد قام قواد السفينة وكبار المسؤولين بها، بإبرام مجموعة من المعاهدات مع حكام الجهات التي يمرون بها، وأبرزها تلك التي وقعوها في 14 شتنبر 1885<sup>2</sup> مع نيامينا Niamina الواقعة جنوب غرب سيكو التي صدرت تعليمات بشأن الاتصال بزعمائها أيضاً، بغية سلطانها الشرعي أحمدو الذي كان يوجد في نيورو<sup>3</sup> عاصمة الجزء الغربي من إمبراطوريته.

- تمكن فرنسا في عهد حكم فري Frey على أعالي السنغال من إبرام معاهدة مع ساموري Samori في 29 مارس 1886 ببلدة كينييباكورا<sup>4</sup> Keniébakoura، اعترف بموجبها بنفوذ الفرنسيين على الضفة اليسرى لنهر النيجر، وبذلك نجح الفرنسيون في تحييد هذا الخصم، الذي يشكل خطراً على التقدم الفرنسي صوب النيجر، باعتبار أن ساموري Samori، قاد بدوره حركة إسلامية انطلاقاً من غينيا وما والاها من بلدان شرقاً وجنوباً، وهي حركة معادية للفرنسيين، و متطلعة

---

1- Archives du Sénégal, 2B 75, F° . 91.

2- Ibid, 13 G8, pièce 112.

3- Dumont (F.), L'Anti-Sultan, op. cité, p. 136.

4- Frey (Lt . Colonel H .), Compagne dans le Haut- Sénégal et le Haut-Niger, (1885-1886), Paris, Palon, 1888, pp . 177 à 181.



للاستيلاء على أملاك الدولة التجانية المنهارة.

هذه المكتسبات ، بقدر ما زادت الهيمنة الفرنسية تجذرا و انتشارا في الأصقاع السودانية بقدر ما عرت حقيقة الأوضاع المزرية للدولة التجانية التي لم يعد حالها، من جراء ذلك يخفى على أحد. و لحفظ ماء الوجه، وسعيا وراء استرجاع بعض ما فقدته الامبراطورية التجانية من هيبة ونفوذ، أقر الشيخ أحمدو العزم منذ نهاية سنة 1884 على نقل مقر حكمه مؤقتا إلى نيورو Nioro عاصمة حكمه الثانية في بلاد كارطا وديومبوخو Dimbokho بالجنح الغربي للدولة التجانية التكرورية. و قد راهن على هذا «التكتيك» الاستراتيجي الذي رأى فيه حلا لمشاكله لعدة أسباب :

- قرب بلاد كارطا من الأصدقاء و الأعداء في نفس الوقت. و نعني بذلك الحصول على بعض ما هو في حاجة إليه من الجنود و العتاد والأموال، من إقليم فوتاتور Futatoro أرض أجداده، المحادية لبلاد كارطا، مما قد يمكنه من مواجهة أعدائه الفرنسيين على الضفة اليسرى لنهر السنغال.

- كثرة الثورات و الانشقاقات، خصوصا على يد إخوته بإقليم كارطا.

- تقوية موقفه التفاوضي أمام الفرنسيين في حالة تمكنه من إخماد الثورات و الانشقاقات.

و قد تمكن أحمدو بالفعل خلال سنة 1885 من شن بعض الحملات  
التأديبية ضد الجهات الثائرة في كارطا، كما تمكن خلال نفس السنة من  
إحباط حركات العصيان التي أعلنها ضده إخوته<sup>1</sup>، و خصوصا منتقى  
Mountaqa الذي فضل تفجير نفسه عوض الاستسلام لأخيه في الحصار  
الذي فرضه عليه في نيورو. و رغم أن هذه الانتصارات أعادت بعض  
الاعتبار للدولة التجانية في أعين الفرنسيين، و زادت من هيبتها في أوساط  
الرعية، إلا أنها كانت محصورة في الزمان و المكان، إذ سرعان ما عادت  
الأوضاع إلى سابق عهدها، من ظهور تمردات هنا و هناك على السلطة  
الشرعية، و ضد المصالح الفرنسية على ضفتي نهر السنغال في نفس  
الوقت، مما كان يدفع الضباط الفرنسيين بأعالي نهر السنغال إلى توجيه  
رسائل الإهانة و التهديد لأمير الدولة التجانية، بشأن الفوضى التي تعم  
الأراضي التي يدعي امتلاكه لها. و نمثل لذلك ببعض ما جاء من رسائل  
الضابط فري Frey القائد الأعلى لأعالي السنغال من 1885 إلى 1886،  
ومن الضابط كالييني Galliéni القائد على نفس المنطقة ما بين  
1886 و 1888.

فقد كتب فري Frey إلى أحمدو يلومه على عدم قدرته على ضبط  
رعاياه و إلحاق العقاب بهم من جراء ما يقومون به<sup>2</sup> من اعتداءات ضد

---

1- Archives du Sénégal, 1 D 80, Télégramme du Directeur des affaires politiques au Gouverneur, 17 Février 1885.

2- Saint-Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, p. 331.

المصالح الفرنسية قي الضفتين اليمنى و اليسرى لنهر السنغال. و دون أن ينتظر ما سيقوم به السلطان التجاني من إجراءات للاستجابة لطلبه، عبر فري Frey بجيوشه إلى الضفة اليسرى لنهر : السنغال من 10 أبريل إلى فاتح ماي 1886، و شرع في تدمير البلاد قرية قرية، دون أن يلقى مقاومة.

أما كالييني Galliéni الذي عين في غشت 1886 قائدا على السودان الفرنسي<sup>1</sup> فقد ظهر بالمنطقة بوجه جديد و مخالف للوجه الذي ظهر به أثناء مفاوضات نانكو Nango كأنه ينتقم لما اعتبره الفرنسيون إذلالا للبعثة الفرنسية من الشيخ أحمدو، و هي البعثة التي كان يرأسها كالييني نفسه ، خلال سنة 1880.

ومما يبرز هذه الروح العدوانية، بعض ما جاء في رسالة كالييني Galliéni الأمير التجاني، بتاريخ 6 نونبر 1886 : «أنبك أن رئيس الجمهورية، بعد أن وشحني بإحدى أعلى مراتب الجيش الفرنسي، عينني على رأس القيادة العليا للسودان الفرنسي، إنني مسرور أن يكون مقر عملي قريبا منك، لأنه رغم أنك احتجزتنا بنانكو Nango، مدة أطول مما كنا نريد، فإن علاقاتنا كانت على الجملة، علاقات صداقة...إنني متوفر

---

1 - نذكر أن السودان الفرنسي هي التسمية التي عوضت منذ 1886 تسمية أعالي نهر السنغال، بعد أن أصبحت الممتلكات الفرنسية تشمل النيجر على إثر المعاهدة المبرمة مع ساموري Samori بتاريخ 29 مارس 1886. كما سلف.

على كامل الصلاحيات لمعاقبة الفتانين و الخونة<sup>1</sup>...»، لكن رسالة نفس الشخص إلى نفس الشخص في 5 فبراير 1887، تضمنت عبارات لا تترك مجالاً للشك في أن الفرنسيين، لا يريدون بديلاً عن استسلام السلطان التجاني، و موافقته على خضوع أجزاء إمبراطوريته للاحتلال الفرنسي : «...إنك لا تجهل أن فترة من الزمان مرت منذ ذلك الوقت [1880]، و أن الأحداث غيرت وضعية السودان. عدد من السكان الذين لم تكن تعرفهم، وضعوا أنفسهم بكل حرية، عن طريق معاهدات ، تحت حمايتنا. و أن حصونا عسكرية أنشئت، مع مدينة Médina حتى النيجر، لحماية تجارنا، و أن مقبلة بخارية تجوب نهر النيجر لحماية قواربنا و عملياتنا التجارية، التي نريد مدها إلى أبعد حد ممكن<sup>2</sup>...».

و قد استمر الفرنسيون في توجيه الضربات لخصمهم، و مواصلة ما أسموه بالقضم العسكري المتأني Le long grignotage militaire، مع تعمد عدم القيام من جانبهم بأي انفتاح تجاه الشيخ أحمدو، في السنوات الأخيرة، بغية استئناف المفاوضات. و قد نجح كل من فري Frey و كالييني Galliéni في ترويض خصمهما بالفعل. و الحالة هذه أن الفرنسيين هذه المرة كانوا قرارة أنفسهم أحوج ما يكونون إلى إبرام

---

1- Archives du Sénégal, 15 G 76, pièce 101, expédié de Kayes le 16 Novembre 1886.

2- Galliéni (J.), Deux Compagnes au Soudan Français (1886-1888), Paris, Hachette, 1891, pp. 34-35.

معاهدة تفاهم قبل غيرهم مع الإمبراطورية التكرورية، بعد مؤتمر برلين بتاريخ 5 فبراير 1885<sup>1</sup>، الذين أفضى إلى إضفاء الشرعية على التسابق الدولي على إفريقيا وتقنية، لذلك صدرت تعليمات خاصة من باريس إلى حكام السنغال للإسراع بتنشيط المفاوضات حتى لا يسبقهم الإنجليز إلى ذلك<sup>2</sup>.

و أمام هذا الواقع المر من تعدد الثورات و الانشقاقات داخل البلاد، ونجاح ضباط أعالي النهر في الوصول إلى ضواحي سيكو Ségou، يساعدهم في ذلك وقوف الأهالي إلى جانبهم، و قبول ساموري إبرام السلم معهم، و اعترافه بخضوع الضفة اليمنى من نهر النيجر للهيمنة الفرنسية. أمام كل هذا، لم يجد سلطان الدولة التجانية بدا من طلب استئناف المفاوضات مع الفرنسيين، لإبرام معاهدة سلم و صداقة بين الطرفين، تسمح له باقتناء ما هو في حاجة إليه من الأسلحة، لإعادة الوحدة و الاستقرار إلى البلاد.

و قد تقدم بهذا الطلب في البداية إلى سلطات أعالي النهر بدون نتيجة، ليرسل موفديه مباشرة إلى والي سان لوي، للتفاوض مع كبير ندار<sup>3</sup> Ndar. غير أن رئيس البعثة صامبا نداي Samba N'Diay عاد خاوي

---

1- Saint-Martin (Y.), L'Empire Toucouleur et le France..., op. cité, pp. 333-334.

2- Ibid, p. 325.

3 - ندار Ndar يقصد بذلك سان لوي. Saint Louis، انظر: Robinson (D.), OP., CITÉ, P. 155.

الوفاض في صيف 1886، دون تحقيق رغبة سيده في تحريك المفاوضات والحصول على الأسلحة. وكان لابد من انتظار فترة حكم كالييني على السودان الفرنسي (1886-1888)، لتتم الاستجابة لطلب الشيخ أحمدو باستئناف المفاوضات التي توجب بإبرام معاهدة كوري Gouri بين الطرفين في 12 ماي 1887<sup>1</sup>، حظيت هذه المرة بموافقة باريس Paris، لأن البند الثاني من بنودها العشرة ينص صراحة على قبول السلطان أحمدو بوضع بلاده حاضرا ومستقبلا تحت الحماية الفرنسية، مقابل التزام القائد الأعلى باسم حكومته بأن لا يوجه قط جيشه ضده، مع التأكيد في نفس الوقت على أن مقتضيات الفقرة الأخيرة من هذا البند، تصبح لاغية، في حالة ما إذا لم ينزل السلطان ما يلزم من العقاب على مرتكبي أعمال السلب والنهب والاعتداءات ضد التجار الفرنسيين، ومصالح فرنسا بالمنطقة<sup>2</sup>.

وقد جر هذا الشرط الأخير على الأمير التجاني كل المصائب، لأنه مكن أعداءه، بكل سذاجة من أداة قانونية، صارت سيفاً مسلطاً على رقبته، إلى أن تم الإجهاز عليه. فهو في الوقت الذي قبل هذا الشرط كانت بلاده تشكو من الكثير من بؤر التوتر والفتن، خصوصاً في إقليم كارطا المحادي لمنطقة نفوذ الفرنسيين بالسنگال.

---

1- Saint-Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France..., op, cité, pp . 353 et ss.

2- Ibid.

و بما أن هؤلاء الأخيرين كانوا على علم بهذا الواقع، فإنهم منحوا مفاوضاتهم سلما ملغومة و استقلالا مؤقتا لتأكدهم من عدم قدرته على إلحاق القصاص بالمعتدين من رعاياه، مما يتيح لهم الملاحقة و الغزو، وهذا ما كانوا يصبون إليه في قرارة أنفسهم.

و قد قبل السلطان أحمدو شروط فرنسا للخروج من النفق المسدود الذي وجد نفسه فيه، إذ لا حل لمشاكله، حسب تقديره، إلا بإرضاء سادة سان لوي Saint Louis، و قبول المعاهدة على علاقتها، خصوصا إذا علمنا أن مفاوضاته عليه في آخر لحظة بورقة بالغة الخطورة، لا تدع له أي هامش للتناور. و نقصد بذلك معاهدة 12 مارس 1887<sup>1</sup>، التي مكنت بعثة فرنسية برئاسة أوبردوف Oberdof، من إبرامها مع أخيه الأمير عجيبو Agibou حاكم دينكراي Dinguiry، يقبل فيها الخضوع للحماية الفرنسية. غير أن الشيخ أحمدو بموافقته على معاهدة كوري Gouri لكسب صداقة فرنسا القادرة وحدها في نظره على تسليحه و مساعدته على مواجهة كل التحديات، ذهبت أحلامه على العكس من ذلك أدراج الرياح، ليرى أجزاء متفرقة من إمبراطوريته، تسقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي الاحتلال الفرنسي، دون أن تكون له القدرة على الدفاع عن استقلال بلاده، إلى أن تم طرده من العاصمة سيكو Sékou سنة 1890، على يد

---

1- Gallieni (J), Deux Compagnes au Soudan Français..., op. cité, p. 302.

القائد أرشينار<sup>1</sup> Archinard (1888-1894) قائد السودان الفرنسي الجديد، الذي سيطارد سلطان الدولة التجانية من إقليم إلى آخر إلى أن أجبره على الفرار خارج الامبراطورية، بعد حوالي ثلاث سنوات من طرده من سيكو Sékou<sup>2</sup>. وقد ساعد أرشينار Archinard على دحر الشيخ أحمدو وطرده، وإسقاط دولته بشكل نهائي، الجزء الأخير من مقتضيات البند الثاني من معاهدة كوري Gouri كما أسلفنا. وحتى تكتمل الفائدة، نعرض في المحور التالي لبعض تفاصيل الظروف التي تمكن فيها أرشينار من إزاحة سلطان الامبراطورية التجانية أحمدو بالقوة.

## 2 - بعض فصول القوة المفضية إلى الإجهاز على

### الإمبراطورية التجانية في عهد أرشينار Archinard.

عندما آلت مسؤولية حكم السودان الفرنسي إلى أرشينار في صيف 1888، كان النفوذ الفرنسي قد امتد بالقوة حتى حوض نهر النيجر، كما أسلفنا، رغم احتجاجات السلطان أحمدو المتكررة، لأن إخضاع الإمبراطورية التجانية برمتها للاحتلال الفرنسي كهدف كان أمرا مقررا. أما المفاوضات فلم تكن أكثر من أداة سياسية لتمرير الوقت مع إضعاف الخصم بالتدريج. وقد تميزت فترة حكم أرشينار Archinard

---

1- Meniaud (J), Les pionniers du Soudan..., op. cité, T1, P . 14.

2- Dumont (F), L'Anti Sultan ..., op . cité, pp. 136-137.



العسكرية، بنهج سياسة العنف و التدمير، بشكل فاق ما قام به أسلافه بكثير، و لعل الظرفية التاريخية التي تحمل فيها هذه المسؤولية و ما يمكن أن يتحقق على يديه من أمجاد وطنية، مع ما يرافق ذلك من ترقية و توشيح للعسكريين في حالة الانتصار، هي التي أملت على هذا القائد العسكري التحلي قدر من الصبر و الجدية و عدم التردد أمام استعمال أي وسيلة مهما كانت دنيئة و عنيفة و غير إنسانية، للوصول إلى الأهداف المسطرة.

أما الظرفية التاريخية و الإكراهات السياسية لا ترحم، فنقصد بها هنا ما انبثق عن مؤتمر برلين سنة 1885<sup>1</sup>، من حقوق تسمح للدول الأوروبية باقتسام أجزاء القارة الإفريقية فيما بينها. و بما أن حق كل دولة من هذه القسمة، كان يتناسب مع حجم قوتها، نجاحها في الاستيلاء على هذه الجهة من القارة أو تلك قبل غيرها، فإن السباق المحموم بين هذه القوى من حين لآخر، كان يؤدي إلى الاصطدامات المسلحة فيما بينها<sup>2</sup>. يضاف إلى كل هذا أنه في الوقت الذي التحق فيه أرشيناك كحاكم بالسودان الفرنسي، كانت بريطانيا تبسط نفوذها على شرق القارة الإفريقية من مصر حتى جنوب إفريقيا، مع استثناءات قليلة، و من المحيط الأطلسي غربا حتى شمال نيجيريا مرورا بغانا، يضاف إلى كل ما سبق خوف فرنسا من عودة الحياة إلى الحركة الإسلامية التجانية التي لازالت في

---

1- Antoine Bonifacio et Jean Michaud, l'Epoque contemporaine (1789-1970), p . 228.

2- Ibid, pp. 229-230.

نظرها، من حوض السنغال إلى حوض النيجر تعاني من مخلفاتها.

أمام كل هذه التحديات، لم تجد فرنسا التي لم يكن أرشينار سوى المنفذ المخلص لقراراتها السياسية، بدءاً من الإسراع بتوقيع معاهدة سلطان الامبراطورية بتوقيع معاهدة مع سلطان الامبراطورية التجانية، للتلويح بها كحجة في وجه كل دولة تروم منافستها على المنطقة. فكانت معاهدة كوري Gouri الموقعة بين الطرفين بتاريخ 12 ماي 1887، والتي أشرنا خلال الحديث عنها آنفاً، إلى الفخ الذي نصبه الفرنسيون لشريكهم في المعاهدة، باشتراطهم عليه معاقبة كل من ثبت إلحاقه الضرر بالمصالح الفرنسية من رعايا الدولة التجانية، وهو شرط تعجيزي بدون شك، مكن أرشينار Archinard لاحقاً من استغلال مضمونه لإدانة الشيخ أحمدو واتهامه بعدم القدرة على الوفاء بما التزم به، وتهديده تبعاً لذلك، باحتفاظ فرنسا لحقها بالرد والمتابعة، والقيام بما من شأنه أن يحمي الفرنسيين، ويحول دون تعرض مصالح فرنسا السياسية والاقتصادية للخطر، في حالة عجز السلطات التجانية عن إقرار الأمن.

و بما أن إمكانية السيطرة على كل تراب الامبراطورية من قبل الشيخ أحمدو وحكومته، كانت مستبعدة تماماً، لأسباب تم بسطها، فإن أرشينار اختلق من الأسباب ما جعله في اجتياح مختلف جهات الممتلكات التجانية حتى النهاية.

و يلاحظ أن أرشينار، لم يغفل الجانب الدبلوماسي، في محاولة

تطويق الشيخ وإقصائه من الحكم، مثل مهادنة و مغازلة أخيه الأمير التجاني عجيبو Agibou ، في دينكراي Dinguiray و بذل الوعود تلو الأخرى إليه، بخصوص تتويجه خليفة على الدولة التجانية، عوض أخيه في الوقت الذي ضمن فيه الفرنسيون حياد ساموري قائد الحركة الإسلامية في غينيا، و اعترافه بنفوذهم على النيجر بموجب معاهدة أبرمت بين الطرفين منذ 1886.

و قبل أن ينطلق أرشينار Archinard في سلسلة غزواته باتجاه النيجر، بادر إلى مراسلة الشيخ أحمدو بتاريخ 24 نونبر 1888 لجس نبضه، مخبرا إياه في نفس الوقت بتعيينه قائدا أعلى على السودان الفرنسي، بلهجة لا تخلو من التعالي و العجرفة : «...إني على علم بالمعاهدة التي وقعتها، سأبقى وفيا لها، إذا كنت أنت نفسك وفيا ، إنني الآن بصدد التعرف على كل ما يتعلق بالبلدان التي أحكمها، لأتصرف بعدالة...هذه الرسالة خاصة بتحياتك فقط<sup>1</sup>».

و قد رد الأمير التجاني على هذه الرسالة بشكل إيجابي جدا. غير أن تطور الأحداث مع مرور الوقت، لم تزد هذا الأخير إلا قناعة، بعدم اكتراث أرشينار، بما نصت عليه معاهدة كوري Gouri من عدم استباحة الأراضي الخاضعة للسلطان، فالشيخ أحمدو الذي استبشر خيرا بتعيين هذا القائد الجديد سرعان ما بلغه خبر سقوط بلدة كونديان، Koundian في

---

1- Archives du Sénégal, 15 G 81, pièce 4, 24 Novembre 1888.

أيدي القوات الفرنسية، بعد معارك ضارية خلال النصف الثاني من شهر فبراير 1889<sup>1</sup>. وعندما استنكر السلطان هذا الاحتلال واعتبره خرقا للمعاهدة، كان جواب أرشينار أن إخضاعه لحصن هذه البلدة المنيع على ضفاف البافينك Bafing، أملت ظروف أمنية وسياسية، نظرا للاعتداءات وأعمال السلب و النهب التي يتعرض لها الفرنسيون و حلفاؤهم باستمرار، من قبل بعض سكان هذه البلدة دون الخوف من أي عقاب<sup>2</sup>، من جهة، وبسبب الطلب الذي تقدم به عناصر المالينكي، إحدى ساكنة كونديان Koundian للدخول تحت الحماية الفرنسية، من جهة ثانية، يضاف إلى هذا سبب سياسي آخر، وهو أن هذا الحصن الذي تم الاستيلاء عليه بصعوبة كبيرة، كان يشكل آخر قلعة دفاعية تجانية منيعة<sup>3</sup> على نهر البافينك Bafing تحول دون اتصال منطقة نفوذ الفرنسيين بأعالي السنغال و مع دينكراي في الجنوب التي أصبحت خاضعة لمراقبتهم بموجب معاهدة 1887 التي أبرموها مع حاكمها الأمير عجيبو Agibou، مع ما يسمح به نفس الاحتلال، في تصور أرشينار من سهولة الاتصال المباشر بسيكييري Siguiri أحد أهم المراكز الحضرية بأعالي نهر النيجر، الذي شرعت السفن الفرنسية تجوب مياهه من باماكو Bamako حتى مشارف

---

1- Ibid, 15 G 81, pièce 5.

2- Saint- Martin (Y.), l'Empire Toucouleur et la France..., op. cité, pp. 378-379.

3- Ibid.

تمبكتو جيئة و ذهابا، منذ ما يزيد عن سنتين.

و لتبرير هذا العمل العدواني، تجاه الشيخ أحمدو ، و محاولة البرهنة على أنه لا يعتبر خرقا للمعاهدة المبرمة بين الطرفين، وجه إليه رسالة، ورد فيها على الخصوص : «...إنه صحيح أن كونديان Koudian من بناء أبيك، لكنها لم تعد تابعة لدولتك، لأنك لم تزرها قط، قط ، و لم تكن تدفع لك الجباية. كما أنه لم يكن بها من يمثلك<sup>1</sup>...». و عليه فإن احتجاجا من قبل السلطان التجاني على سقوط كونديان Koundian، لا تكتسي أي صبغة قانونية، في نظر الفرنسيين. ولإنقاذ ماء وجه الشيخ أحمدو، اقترح على أرشينار Archinard بعض التنازلات التافهة مثل إرجاع الأسرى، ووضع زوجة سابقة لأبيه رهن إشارته وجدت بكونديان. غير أن أحمدو رفض هذا الاقتراح وأعلن أنه لا يستطيع التخلي عن البلدة التي استولى عليها العدو بالقوة<sup>2</sup>.

لكن بعد أن فشل في تكوين قوات في مستوى التحدي، و تجنباً للدخول في معركة تعجل باندحاره، عاد لمسالمة الفرنسيين، عله، ربما يتوصل منهم ببعض الأسلحة و يعتمد عليهم ضد أعدائه كحلفاء. إلا أن تطور الأحداث ميدانيا سيظهر أن الشيخ أحمدو كان واهما، فالقائد

---

1- Archives du Sénégal, 15 G 81, pièce 10 Lettre d'Archinard à Ahmadou, 22 Février 1889.

2- Meniaud (J.), les pionniers du Soudan..., op, cité, T1, p . 443.

أرشيغار، أمام سلبية خصمه و تآكل آليات دولته و نجاحه في كسب الكثير من الأهالي إلى صفه، صار يخطط للزحف والاستيلاء على قاعدة حكم الامبراطورية التجانية الأولى، سيكو Ségou، التي كان السلطان غائبا عنها، منذ 1884، عندما شد الرحال غربا إلى العاصمة الثانية نورو Nioro لقمع الثورات الإثنية و الانشقاقات الأسرية في كارطا كما علمنا.

و قد مهد أرشغار في ربيع 1889 للهجوم على سيكو بالاستلاء أولا على نيامينا Niamina الواقعة في جنوبها الغربي بحوالي مرحلتين، و تدعيمها ببناء قلاع ترابط بها حماية عسكرية مسلحة أحسن تسليح. و لنفس الغاية كلف الضابط مارشان Marchand في صيف 1889 بالقيام بمهمة لدى قبائل البامبارا في إقليمي فاراكو Farako و سامافولا<sup>1</sup> Sama-foula المتموقعين جغرافيا بين سيكو Ségou و نيامينا Niamina على الضفة اليسرى لنهر النيجر، مكنته من إبرام لاتفاقيتي صداقة و تحالف مع حاكميها لرغبتها الأكيدة في التخلص من السيطرة التجانية<sup>2</sup>.

و إذا علمنا بالإضافة لما سبق أن سكان المناطق المجاورة لنيامينا Niamina، بدأوا يتوافدون زرافات و وحدانا لوضع أنفسهم في خدمة الفرنسيين، و أن سفنا فرنسية مقبلة تجوب نهر النيجر ذهابا و إيابا، من باماكوحتى مشارف تمبكتو لتقدم ما يلزم من دعم « لوجستي »، فإن

---

1 - Saint Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France....., op. cité, pp. 392 et 394.

2 - Ibid.

مسألة استسلام سيكو Ségou المعزولة عن أميرها، باتت أمرا واردا في كل وقت و حين، زاد من احتمال وقوعه، نجاح أرشينار في تطويق أحمدو بالفعل و عزله بنيورو Nioro، للحيلولة دون تمكنه من العودة إلى عاصمته على نهر النيجر. و يدخل إخضاع كونديان Koundian، و فرض الحماية على دينكراي Dinguiray، و الاستيلاء على سيكيري Siguri، و نيامينا و إبرام السلم مع ساموري Samori علاوة على نقط الارتكاز العسكرية الفرنسية المتعددة الأخرى بين نهر السنغال و النيجر، ضمن استراتيجية قطع طريق العودة عليه.

و إذا كان قائد السودان الفرنسي قد هيا جميع الظروف المساعدة ميدانيا على غزو سيكو، فإنه وجد نفسه مجبرا على استشارة وزرائه في باريس لعدة اعتبارات أهمها:

أ - ارتباط فرنسا بمعاهدة سلم و صداقة و عدم اعتداء مع سلطان الدولة التجانية، هي معاهدة كوري Gouri المبرمة يوم 12 ماي 1887.

ب - ضرورة الحصول على إذن باريس، لغزو سيكو، للحصول على الاعتمادات الضرورية من جهة، خوفا من وضع فرنسا في ورطة تجرها إلى هزيمة عسكرية مدوية، يتحمل أرشمار مسؤوليتها وحده، في حالة تنفيذ الحملة دون استشارة رؤسائه.

ج - عدم رضى الرأي العام الفرنسي على المغامرات الاستعمارية الفرنسية، و تدمره من هدر الأموال، إما لشق الطرق و مد السكك الحديدية

أو لتمويل العمليات العسكرية في مختلف البلدان الإفريقية<sup>1</sup>، كتونس،  
و السنغال، و مصر، و آسيا كقضية الطونكان بالصين.

د - احتفاظ الرأي العام الفرنسي بذكریات مؤلمة عن حرب السبعينية  
ضد ألمانيا<sup>2</sup>، زاد من مرارتها سقوط المئات من الضحايا الفرنسيين، إما  
نتيجة لتفشي مرض الحمى الصفراء بالسنغال، أو سقوطهم قتلى بعد  
دخولهم في معارك مسلحة ضد الأهالي في السودان الغربي، أو بسبب ما  
نصب لبعض البعثات الاستكشافية من كمائن، كما حصل لتجريدة فلاترز  
Flatters التي لقي معظم أفرادها حتفهم في الصحراء بتاريخ 16 فبراير  
1881<sup>3</sup>.

هـ - الظروف الصعبة التي كانت تجتازها فرنسا نتيجة معارضة  
البولونجيين<sup>4</sup> للنظام البرلماني على عهد وزارة فلوكي Floquet (3 أبريل  
1888 - 14 فبراير 1889)، و الحالة هذه أن معظم كبار العسكريين

---

1 - Honoré (M), *Le Transsaharien pénétration Française en Afrique*, Paris, 1901, pp. 10 et ss.

2 - Gros (J), *les voyages et découvertes de Paul Soleillet dans la sa-hara et dans le Soudan*, Paris 1880, Introduction, p. XIV.

3 - Honoré (M), *Le Transsaharien*, op. cité, p. 21.

4 - نسبة إلى الجنرال الفرنسي جورج بولونجي Georges Boulanger (1837 -

1891) الذي جمع حوله معارضة ضد النظام البرلماني، لكنه تراجع عن فكرة الاستيلاء على السلطة

سنة 1889. و بانتحاره جعل حدا لحركته. انظر:

-Micbert, *Dictionnaire de Culture général*, Paris, 1990, p. 77.



الاستعماريين الفرنسيين كانوا «بولنجهين».

هذه إذن باختصار هي أهم الاعتبارات الموضوعية و السياسية التي جعلت أرشينار يؤجل الهجوم على سيكو إلى حين حصوله على الترخيص بذلك. و لتحقيق هذا الهدف الذي أخذ بلبله، شد الرحال إلى فرنسا، التي أقام بها من يوليو إلى بداية أكتوبر 1889<sup>1</sup>.

و خلال هذه الإقامة بذل كل ما في وسعه لإقناع أوجين إتيان Eugène Etienne كاتب الدولة في المستعمرات، و من خلاله الحكومة بالموافقة على إعلان الحرب على سلطان الدولة التجانية، بدءا باحتلال عاصمته على نهر النيجر، و نهاية بإسقاطه و احتلال كل البلدان الخاضعة له نظريا. و قد أرفق أرشينار طلبه هذا بكل التقارير و الحجج التي تستدعي التعجيل بهذا الهجوم، و الإجراءات و الاحتياطات التي اتخذت ميدانيا لتحقيق انتصار بين. و من الأمور الخطيرة التي برع أرشينار في التحذير من عواقبها و جعلت أوجين إتيان يعده بدعمه:

- تعاطف الحركة الإسلامية في المنطقة تضامنا مع الشيخ أحمدو، تقديرا لأبيه الحاج عمر الذي ترك صدى طيبا في السودان<sup>2</sup> الغربي بعد وفاته. و لذلك فكل تأخير في تنفيذ الهجوم لن يكون في صالح فرنسا.

- نجاح الإنجليز في بسط نفوذهم على أجزاء هامة من شرق إفريقيا

---

1 - Archives du Sénégal, 1D 97, pièces 157 et 158, 16 Juin 1889.

2 - Archives du Sénégal, 15G 76, chemise 3. Notes du Commandant de kayes, 5 Octobre 1889.

و غربها، كما أن وصولهم إلى نجيريا جعلهم قاب قوسين أو أدنى من الإمبراطورية التجانية. و بما أن مؤتمر برلين<sup>1</sup> فتح باب التسابق على مصراعيه في وجه الدول الأوروبية من أجل اقتسامها، فإن ابريطانيا لن تتردد في الانقضاض على الجزء الغربي من نهر النيجر في حالة تقاعس الفرنسيين أو ترددهم في أخذ المبادرة.

- يرتبط بالنقطتين السابقتين أمر بالغ الأهمية بالنسبة للمستقبل السياسي الفرنسي بالمنطقة، و هو أن حالة الخصاص التي تشكو منها ميزانية الدولة باستمرار، و ما تجده الحكومة، تبعا لذلك من صعوبة في إقناع البرلمان بالمصادقة على ميزانية المستعمرات، كلها أمور لا يمكن علاجها إلا بإسقاط الإمبراطورية التجانية واحتلالها، بعد ذلك فقط تقل المصاريف، ليستفيد الوطن الأب عى العكس من ذلك، من ثروات السودان الغربي المتنوعة.<sup>2</sup>

رغم كل ما سبق من تبريرات مقنعة من قبل أرشينا فإن أوجين إتيان Eugène Etienne، لم يرحص له بتنفيذ خطته إلا بعد أن أخبره بحقيقة حالة الضعف والوهن التي يوجد عليها الشيخ أحمدو وحكومته، وغياب أية مؤسسة عسكرية تجانية نظامية قادرة على الصمود في وجه

---

1 - Vuillot (P), L'Exploration du sahara, étude historique et géographique, Paris, 1895, introduction, P. XI.

2-Abadie (Colonel Br. Maurice), Nos Richesses Soudanaises et le chemin de fer Transsaharien, Paris, 1928, pp. 9 et ss.

القوات الفرنسية، معترفا له أن ما وقع سابقا من تضخيم لقوات سلطان سيكو، كان الهدف منه الضغط من أجل الحصول على الزيادة في الاعتمادات المخصصة للمستعمرات والبعثات الاستكشافية وما يرافق ذلك من شق الطرق، ومد السكك الحديدية.

أما القضية الشائكة الأخرى التي أثارها إتيان، والمتعلقة بشرف فرنسا التي التزمت بموجب معاهدة كوري Gouri بعدم الاعتداء على أراضي السلطان أحمدو، فقد طمأنه أرشينا، بأنه سيتصرف قبل شن أي هجوم، بما يعمل على تصعيد الموقف مع الخصم واستدراجه ليظهر وكأنه هو المعتدي، مما يتوجب معه الرد بالمثل، دفاعا عن النفس وبذلك تندلع الحرب الكفيلة بحل كل المشاكل.

عاد أرشينا Archinard لمزاولة مسؤوليته كقائد أعلى للسودان منذ أكتوبر 1889<sup>1</sup>، ومعه الترخيص والدعم اللذين سافر من أجلهما إلى باريس. لكن ما هي الخطة أو الخدعة التي سينهجها لجعل خصمه هو المعتدي في نظر الرأي العام الفرنسي والمحلي، خصوصا وأن التقارير التي اطلع عليها بعد وصوله إلى النيجر تفيد أن الشيخ أحمدو لا زال يحافظ على علاقات السلم مع جيرانه، وهو أمر لا يخدم مصلحة أرشينا الذي يريد البدء بقطع العلاقات بين الطرفين.

---

1- Réquin (E), Archinard et le Sludan, op. cité; pp. 51 et ss.

وبما أن مثل هذا الإجراء لا ينتظر أن يصدر من الأمير التجاني، فإن القائد الأعلى على السودان الفرنسي سيفتعل خلافات حدودية لتسميم العلاقات بين الجانبين<sup>1</sup>، وساعده في ذلك خلو معاهدة كوري Gouri من أي بند يتطرق لمعالجة مشكلة الحدود<sup>2</sup>. وهكذا سيكون الخلاف حول ملكية قرية صابوني Saboné على الضفة اليسرى لنهر الباولي Baulé هو السبب المباشر الذي تذرعه به أرشينا لغزو سيكو، Ségou مستندا في ذلك، إلى ما اتفق عليه الطرفان، في مشروع معاهدة 1860 و 1866، اللذين ينصان على أن نهر السنغال يشكل الحد الطبيعي بين أراضي الدولتين، وهذا يعني أن ما يوجد وراء الضفة اليمنى إسلامي تجاني تكرر، وما يوجد وراء الضفة اليسرى فرنسي.

غير أن أرشينا، طبق على نهر الباولي الذي يعتبر أحد روافد نهر السنغال، نفس الحكم، فاعتبر قرية صابوني التي توجد على ضفته اليسرى فرنسية<sup>3</sup>. وهذا ما رفضه الشيخ أحمدو صراحة، فقدم بذلك خدمة جليلة لخصمه، الذي أدرك لعد ذلك أن ساعة الصفر قد اقتربت بكل تأكيد. وحتى يظهر أرشinar أمام رؤسائه و الرأي العام الفرنسي، و كأنه

---

1-Ibid.

2-Saint-Martin (Y.), L'Empire Toucouleur et la France ..., op cité, p. 404.

3-Archives du Sénégal, 15 G 76, chemise 2. lettre d'Archinard à Ahmadou, 6 Novembre, 1889.

جرب جميع السبل مع خصمه من أجل تجنب الحرب، فإنه رغم توصله بخبر عدم استعداد أحمدو للتنازل عن صابوني، فقد راسله بتاريخ 6 نونبر 1889، ليؤكد له مرة أخرى أن هذه البلدة للفرنسيين<sup>1</sup>، وأنه إذا لم يتوصل منه بجواب قبل هذا العرض، في ظرف عشرين يوما، فسوف يأمر بإرسال قوات فرنسية لاحتلالها بغية وضع حد للضرر الذي يلحق المصالح الفرنسية من رعايا هذه القرية من جهة، و لحسم الأمر عسكريا بين الطرفين من جهة ثانية.

و قد رد الشيخ أحمدو على هذا التهديد، برسالة وصلت متأخرة إلى كايس Kayes يوم 23 دجنبر، بدل مضمونها على رفضه مجددا، رغم ما ظهر من بعض عباراتها، من شعور بالدونية، أمام الفرنسيين، و من حرص على وزن معاني الكلمات بميزان الذهب، تجنباً لتصعيد الموقف معهم، و سعياً وراء نزع فتيل الحرب التي لم يعد لها الشيخ أحمدو شيئا.

و هذه بعض العبارات التي وردت في الرسالة: «... هدف هذه الرسالة هو أن أعلمك أننا اطلعنا على كتابك، و وجدنا أنه لا يستدعي جوابا ... نحن لا نوافقك و لا نمنعك ... أنت لم تطلب منا نصيحة حتى ننصحك.

لقد كتبت إلينا من أجل أمر تريد القيام به، و ليس لشيء آخر<sup>2</sup>...». فشجع هذا الجواب أرشيتار على مواصلة الخيار الدبلوماسي الملعوم، بغية إغضاب

---

1 - Ibid.

2 - Saint Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France ..., op. cité, p. 406.

أعصابه، فجدد إلحاحه من خلال رسالة 28 دجنبر 1889 على ضرورة إخضاع صابوني Saboné للنفوذ الفرنسي، مستنكرا في نفس الوقت أعمال السلب و النهب التي تصدر من السكان المجاورين لنفس القرية، و محملا مسؤولية ذلك له. و بكثير من الاستكبار و الوقاحة خاطبه، من أجل حسم الأمر معه قائلا: « ... الآن أطرح عليك سؤالا بكل وضوح، أطلب منك أن تجيب عليه: هل تريد أن تعترف أن صابوني Saboné و الأراضي المجاورة لها على يسار النهر ، هي لنا؟

إذا قلت: نعم، فسوف لن يكون إلا السلم، و المسألة منتهية. إذا قلت: لا، لن أرسل الجنود [إلى صابوني]، و في هذه الحالة سوف نتصرف معا تصرف الأمم المتحضرة. أريد القول أنك لن ترسل جنودا أيضا، و نتفق على ترك الحرية لهؤلاء السكان لكي يبيعوا و يشتروا مع من يريدون، و كل هذه الكلمات تدل على السلم<sup>1</sup>....».

لكن هذا الكلام المعسول ينطوي في الحقيقة على خبث و على نية مبيتة للإيقاع بالخصم، كما تؤكد ذلك العبارات الواردة في آخر نفس الرسالة: « ... لقد عملت، مرة أخرى اليوم أن السكان الآتين من ديانجيريتي Dianghirité [المجاورة لصابوني]، اعتدوا على مزارعات إحدى القرى و أخذوا بعض سكانها أسرى. هل تريد هؤلاء الناس

---

1 - Archives du Sénégal, 15G 76, chemise 2. lettre d'Archinard à Ahmadou, Kayes, le 28 Décembre 1889.

الحرب<sup>1</sup>...؟».

أجاب أحمدو على هذه المزاعم برسالة وصلت إلى كاييس Kayes يوم 15 يناير 1890، و اتسمت عباراتها بالصدق و الوقاية بخصوص الاعتداءات التي أشار إليها أرشينار في رسالته: «... هؤلاء الناس خلقوا للإساءة و النهب و السلب، فهم يسيئون إلينا أيضا، و يأخذون أموالنا، ونحن لا نقاتلهم، لأننا لا نولي أهمية لتصرفاتهم التي نعتبرها تصرفات أطفال<sup>2</sup>....».

استمر أرشينار في مواصلة اللعبة الدبلوماسية، و بعث رسالة أخرى بتاريخ 16 يناير 1890 إلى محاوره، لا تنطوي على أي جديد. و يبدو أن الهدف منها كما كان سابقا، هو إيهام الأوساط السياسية و الشعبية في فرنسا و السودان، أنه لم يدخر جهدا لمحاولة التفاهم و إرساء السلم. و هذه بعض عبارات اللف و الدوران في الرسالة: «... قل لي، ما هي الحدود التي تقترح بالنسبة للبلدان التي تعترف بها للفرنسيين، و سأرى هل لنا نفس التصور. ما كان لك، كنتم أخذتموه بالقوة، لكن عندما وصلنا، معظم البلدان التي تخضع لنا اليوم بموجب معاهدات، لم تكن تعترف بكم منذ مدة طويلة<sup>3</sup>....».

---

1 - Ibid.

2 - Saint Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France ..., op, cité, p.408.

3 - Archives du Sénégal, 15 G76, chemise 2, 16 Janvier 1890.

وقد علق أرشনার على هذا المضمون، مفصحا عن نواياه الحقيقية لأحد أقاربه بباريس، بأن هذه الرسالة، هي آخر رسائله إلى أحمدو الذي: «لم يرد الاعتراف لنا بملكية أي شيء، ولا يريد أن يسمع أي حديث عن الحدود، ويقول لي في رسالته إنه يملك كل شيء، وإنه لا يتسامح معنا إلا من أجل التجارة ... إنني طيب معه كما ترى، وهو يعتقد بذلك أنني لا أستطيع أن أفعل شيئا ... فبعد عشر سنوات، لازال متعجرفا، وغير آبه بنا<sup>1</sup>».

أجاب الشيخ أحمدو على مراسلة أرشينار بالصرامة والصرامة المطلوبتين، لكن بكل ما يتطلب الموقف من اللياقة والكلام الموزون. وقد دحض، من خلال رسالة له، مسجلة بكاييس Kayes يوم 22 فبراير 1890، كل حجج خصمه نافيا أن تكون البلدان التي أخضعوها بالقوة والمعاهدات في كارطا والنيجر، كانت خارجة عن النفوذ التكروري التجاني، و متهما الفرنسيين بخرق بنود المعاهدات. وختم رسالته بالقول: «... معنا القوة الإلهية، وما دمننا على قيد الحياة، فسنظل نقاتل ضد كل من تمرد علينا، و سنبحث عن كل من سولت لهم أنفسهم الخروج عن طاعتنا، حتى نخضعهم بالقوة، و يخلون من أنفسهم. من أجل هذا سوف لن نعيد الكلام على الحدود، و سوف لن نلتزم بموضوعها<sup>2</sup>...».

1 - Méniard (J), les poinniers du Soudan, op. cité, T1, p. 443.

2 - saint Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France ..., op. cité, p. 410.



سجل هذا الجواب آخر حلقة من حلقات الحوار و المفاوضات الدبلوماسية بين الطرفين الفرنسي و التجاني، في عهد القائد أرشينار و خصمه أحمدو، بل سوف لن تتاح الفرصة للسلطان أحمدو، بعد هذا المأزق المفضي إلى القطيعة، لكي يفرض نفسه مفاوضا للفرنسيين، بعدما تعرض له من نكبات، فأرشينار الذي ارتاح لمضمون الرسالة الأخيرة، التي عبر فيها صاحبها عن تشبثه بموافقة الاستقلالية السابقة، أصدر أوامره بالزحف على سيكو في غياب أميرها المعزول بنيورو، و لينطلق بذلك مسلسل مطاردة السلطان التجاني أحمدو، بعد إخضاع عاصمته. و إجباره على الفرار خارج حدود دولته، ليتأتى بعد ذلك محو الإمبراطورية التجانية من خريطة السودان الغربي بشكل نهائي. و نقدم فيما يلي الخطوط العريضة التي أدت بهذه الإمبراطورية إلى هذه الوضعية. غادرت التجريدة العسكرية الموكولة إليها مهمة الزحف في اتجاه سيكو، كاييس Kayes يوم 16 فبراير 1890<sup>1</sup>، لتصل إلى نيامينا -Niami na مروراً بياماكو Bamako يوم فاتح أبريل 1890. و في 16 من نفس الشهر سقطت قاعدة حكم الإمبراطورية التجانية في أيدي الفرنسيين، بعد قنبلتها و اقتحامها. و فر منها حاكمها بالنيابجة مدني Madani بعد مقاومة طويلة، ليلتحق بأبيه في نيورو عاصمة كارطا<sup>2</sup>.

1 - Réquin (E), Archinard et le Soudan, op. cité, pp. 51 et ss.

2 - Dumont (F), L'anti-Sultan ..., op. cité, pp. 136-137.

بعد هذا الإنجاز التاريخي في سجل الحركة الاستعمارية الفرنسية قرر أرشনার استئصال التكاثر من الحكم بالسودان الغربي، و تعويضهم في مراكز السلطة بشعوب البنابارة و المالينكي المعادية للإسلام، بغية إخماد جذور الحركة الإسلامية التي زادت توهجا مع التجانيين في السودان الغربي. و تحقيقا لهذا الهدف، سيعمل على مطاردة خليفة الحاج عمر، الشيخ أحمدو، حيثما حل و ارتحل.<sup>1</sup>

و هذا يعني بالنسبة لأرشنار ضرورة إخضاع كارطا. و حتى يمهّد لذلك أرسل إلى قاضي مدينة Médine بنهر السنغال و كلفه بأن يقترح على الشيخ أحمدو أحد أمرين: إما الاستسلام المشرف شريطة قبول مغادرة نيورو Nioro إلى دينكراي Dinguiray<sup>2</sup>، أو الحرب. لكن أحمدو رفض هذا الاقتراح، بل لجأ إلى استعمال القوة ضد الفرنسيين لفك أسر من وقع في قبضتهم من أقربائه و حريمه الذين كان أرشنار احتفظ بهم بعد إسقاط سيكو للتأثير على خصمه و إزالته، و هو الإذلال الذي ظهر بشكل فظيع و صريح من خلال و ا ورد في رسالة بتاريخ 9 أبريل 1890 كلها تشف و شماته، من أرشينار: «.... فأنا أعاقبك بأخذ عاصمتك و إرجاعها إلى من أخذها منهم أبوك<sup>3</sup>....».

---

1 - Ibid.

2 - Archives du Sénégal, 15 G76, chemise 2, Dépêche n° 1576, du 28 Avril 1890.

3 - Archives du Sénégal, 15 G76, chemise 2 Ségou, 9 Avril 1890. Lettre autographe d'Archinard.

لكن هجوم قوات الشيخ أحمدو يوم 31 ماي 1890، ضد بعض المواقع الفرنسية على الضفة اليسرى لنهر السنغال، لم يدم طويلا، لعدم قدرتها على مواصلة الزحف بسبب فشل قوادها في استقطاب الأنصار و الحلفاء إلى جانبهم كما تعودوا على ذلك في عهد الشيخ المؤسس الحاج عمر.

و أمام هذه المحاولة التي اعتبرها أرشينار مقدمة لإعلان حرب شاملة ضد جيشه، لجأ على التو إلى إجراءات لا إنسانية و لا أخلاقية، فوزع نساء و بنات السلطان التجاني على الأفارقة الذين دخلوا في خدمة الفرنسيين<sup>1</sup>.

و قبل أن يسافر أرشينار في عطلة استجمام إلى باريس، استغلها ليعرض أمام رؤسائه ما حققته فرنسا في عهده من تقدم و أمجاد في السودان الغربي، قرر القيام بما من شأنه رفع كفاءته العسكرية، فأعد حملة انتقامية زحف بها على بلاد كارطا، حيث كان يتحصن في عاصمتها بنيورو، و تمكن على إثرها من تحقيق:

نصر ساحق، مكن جيشه في 16 يونيو 1890 من الاستيلاء على كونيأكاري Koniakari<sup>2</sup>، حيث توجد إحدى أكبر القواعد العسكرية التجانية، دون أن يلقى مقاومة ضارية، مما شجع القوات الفرنسية على

---

1 - saint Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France ....., op. cité, p. 422.

2-Ibid, p. 424

مواصلة الزحف.

عاد أرشينا إلى السودان الفرنسي، من عطلته التي دامت حوالي شهرين، في شهر أكتوبر 1890، وانكب عقب وصوله على التهييء لحملة عسكرية، تاريخية ومصيرية، ويكون هدفها الاستيلاء على مدينة نيورو التي يحتمي بها السلطان<sup>1</sup>.

ومع أن الشيخ أحمدو كان ينتظر مثل هذه الحملة منذ سقوط كونياكاري، ورغم ما اتخذته من احتياطات، فإن جيوش أرشينا التي انطلقت من كوري نجحت يوم فاتح يناير 1891 في الاستيلاء على نيورو العاصمة الثانية للأمبراطورية بعد أن أجبر السلطان على الفرار، عندما أذهلته قوة المدفعية الفرنسية، مفضلاً بذلك النجاة بنفسه، خوفاً من أن ينكل به الأعداء إمعاناً في إذلاله<sup>2</sup>.

حل الشيخ أحمدو بماسينا بعد فراره في حالة يرثى لها، واستقر بمدينة باندياكارا Bandiagara الواقعة إلى الشمال من حمد الله، وبهذه المدينة تنازل له أخوه منيرو Monirou عن العرش<sup>3</sup>، تحت ضغط الرأي العام الماسيني الذي كان يتطلع إلى استخلاف الأمير أحمدو منذ وفاة أحمد التجاني<sup>4</sup>، الذي حكم ماسينا بعد رحيل عمه الحاج عمر، ولم يقبلوا بخلافه

---

1-Requin (E), Archinaud et le Soudan, op. cité, p. 52 et ss.

2-Ibid.

3-Dumont(F); L'Anti Sultan..., op. cité; p. 136.

4 - هو ابن أخ الحاج عمر الذي حاول الانتقام لمقتل عمه. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

منيرو إلا بسبب عدم تمكنهم من الاتصال بأحمدو الذي كان مجبرا على ملازمة نيورو كما سبق.

هذا التتويج الجديد الذي جرى لصالح الشيخ أحمدو في ماسينا، لم يكن ليخدم المصالح الفرنسية. وبذلك سوف لن يهدأ لأرشيواربال، حتى يجعل حدا نهائيا لطموحات خصمه الذي يحتمل، في تصوره أن يستعمل ماسينا قاعدة جديدة ومنطلقا للإنتقام من الفرنسيين، خصوصا بعد الأخبار التي وصلتته عن ردود الفعل القوية والمستنكرة في كل أنحاء السنغال، بعد سريان أنباء سقوط نيورو وطرد ملكها<sup>1</sup>.

وأخشى ما كان يخشاه الفرنسيون، هو تحالف شعوب السنغال والنيجر الإسلامية التجانية، تعاطفا مع ابن الحاج عمر، لطرد الغزاة المسيحيين. وكان أحسن حل في نظرهم هو تنحية الأسرة التكرورية التجانية، كإثنية من كل مناصب الحكم والمسؤولية بالسودان الغربي.

وسوف يلجأ أرشيوارمرة أخرى إلى سياسة الوعد والوعيد، وضرب أبناء الحاج عمر بعضهم ببعض، لتحقيق أهدافه. ومما سهل عليه اللعب بمصالح الأمراء التجانيين واستعمالهم دمي لأغراضه، موقف الضعف الذي صاروا يوجدون فيه، أمام تزايد الطغيان الفرنسي. وهكذا فلكي يكتسي تحرك أرشيوارالسياسي والعسكري طابع المشروعية لملاحقة خصمه

---

1-Webester (J.B.) and Bohen (A.A.) with Idowu (H.O.); op. cité; p.27.

أحمدو، عمد إلى مغازلة الأمير عجيبو Agibou حاكم دينكراي Dinguiray بالهدايا والوعود، وهو الذي تربطهم به معاهدة سلم وصداقة منذ 12 مارس 1887<sup>1</sup>، وسبق لهم أن أرسلوا حملة تأديبية ضده عندما حاول الاحتجاج على سقوط كوندان سنة 1889. ووعيا من عجيبو بقدرة الفرنسيين على إقصاء كل من حاول الوقوف ضدهم. فإنه لم يحتج لا على سقوط سيكو وكونياكاري سنة 1890، ولا على احتلال نيورو سنة 1891<sup>2</sup>. وجزاءً له على هذا «التفهم»، وعده أرشينا بتتويجه على ماسينا خلفاً لأخيه، حفاظاً على خيط رفيع من المشروعية، لجبر الخواطر وتهدئة الرأي العام التجاني بالمنطقة مرحلياً، في انتظار اجتثاث شأفة كل من يمت بصلة للحاج عمر.

لكن هذا التتويج الموعود به، كان مرتبطاً بما سيقدمه عجيبو نفسه من خدمات وتضحيات ميدانية للإطاحة بأخيه من عرش ماسينا، نظراً لمعرفته بالمسالك والممالك وعقليات شعوبها. وقد كان عجيبو حاضراً بالفعل إلى جانب أرشينار الذي أشرف على عمليات حصار باندياكار مقر إقامة خصمه، وهي العمليات التي توجت بسقوط هذه المدينة في أبريل 1893، وانسحاب أحمدو شرقاً في اتجاه شمال نجيريا، حيث وافته المنية سنة 1898<sup>3</sup>.

---

1-Ibid, p. 433.

2-Requin (E), Archinard et le Soudan, op. cité; pp. 51 et ss.

3-Spencer Trimingham (J.), op. cité, p. 186.

وقد أوفى أرشينا بوعده فتوج عجيبو يوم 4 ماي من نفس السنة ملكا على ماسينا Macinal، تحت الحماية الفرنسية<sup>1</sup>. وفي الوقت نفسه طرد مكي Makki من مقر حكمه، كنائب عن أبيه بياندياكارا Bandiagara التي أصبحت إحدى محافظات الحكم الفرنسي بالمنطقة، في حين لم يكن تتويج عجيبو سوى وسيلة للتهدة وريح الوقت، إذ سرعان ما أطاحوا به في بحر سنة 1902، ولم يتجشموا عناء الاحتفاظ به في الحكم حتى وفاته سنة 1907، بعد أن تنكر له الجميع من ذويه والمقربين إليه، عندما أصبح بلا جاه ولا مال<sup>2</sup>.

وهكذا تربعت فرنسا منذ نهاية القرن 19 على حكم السودان الفرنسي إلى جانب السنغال بعد أن تمكنت من الاجهاز على ما تبقى من حياة في جسم الإمبراطورية التجانية ومن إقصاء كل من يمت بصلة لذرية الشيخ الحاج عمر الفتوي من الحكم، خوفا من صحوة جديدة للحركة الإسلامية بالمنطقة. غير أن الأثر الذي تركته الحركة الإسلامية التجانية العمرية في نفوس شعوب السودان الغربي، ونجاح الخلف في مواصلة العمل بنفس الحماس والإخلاص واليقظة، كان كفيلا بالتصدي لمقاومة كل التيارات الهدامة، والعمليات التنصيرية المسخرة طيلة فترة الاستعمار. ومن جهة أخرى ما كان للإمبراطورية التجانية أن تؤول لمثل ما آلت

---

1-Dumont (F.), L'Anti-sultan..., op. cité, p. 136

2-Saint-Martin (Y), L'Empire Toucouleur et la France...,op. cité, p. 449.

إليه ، لولا النهاية المأساوية التي عجلت بوفاة الحاج عمر. فمن المسؤول عن  
إجهاض حركته ، وتعرض السودان الغربي بالتالي لعبث الاستعمار  
الفرنسي؟



## الفصل الثاني

من المسؤول عن الانهيار والسقوط،  
مغامرة التأويل أم حب السلطة والرئاسة؟



الانهيار الذي سوف نتحدث عنه في هذا الفصل، بدأ بعد وفاة الحاج عمر الفوتي مباشرة سنة 1864، على إثر الهزائم المتلاحقة التي مني بها جيشه بسبب تحالفات إسلامية وثنية ضده. وهذا يعني في تصورنا أن التطاحن الإسلامي الإسلامي (القدرى التجانى)، هو الذى فتح أبواب النيجر على مصراعيها أمام القوات الفرنسية، التى وجدت فى مقتل الحاج عمر، بسبب التحالفات المذكورة، انزىاح أكبر عقبة كانت تحول دون تحقيق أهدافها التوسعية بالمنطقة.

فما أن آل الأمر إلى الشيخ أحمدو الخليفة، حتى بادرت فرنسا إلى اعتماد سلسلة من الإجراءات الدبلوماسية والعسكرية، كما علمنا، أفضت بها فى النهاية إلى احتلال إرث الامبراطورية التجانية.

وبما أن الحاج عمر كان هو الدعامة الأساسية للدولة التجانية وحامل مشعلها، وسر قوتها، بفضل الاجماع الذى يتكون حوله، كشخصية علم وصلاح لا تضاهى، وكعدو لذو للوثنية ومجدد للإسلام ومخلص للشعوب من القهر والاستعباد بالسودان الغربى، فإننا سنعمل ضمن نفس الفصل على التركيز على الجوانب الإيديولوجية على الخصوص، التى قادت شيخنا إلى المأزق والهلاك، لينتهى معه العهد المشرق للامبراطورية التجانية، بسبب كبد إخوته فى الدين. ونقصد بذلك تحالف دولة ماسينا الإسلامية مع إمارة سيكو الوثنية لصد الخطر العمري التجانى عن بلدان حوض النيجر، فى مرحلة أولى، ثم التحالف الإسلامى، بين قوات

السلطان ماسينا القادري الطريقة، وقوات الفقيه أحمد البكاي شيخ الزاوية القادرية المختارية الكنتية بتمبكتو، ضد نفس الخطر، في مرحلة لاحقة، بعد أن تم التأكد من لا فعالية التحالف الأول الذي سحق في زمن قياسي تحت ضربات الجيوش العمرية التجانية. وهو التحالف الذي جعل بالفعل حداً لحياة الحاج عمر الفوتي نفسه ولطموحاته، وقصم بذلك ظهر الامبراطورية التجانية، مقدماً بذلك خدمة لا تقدر بثمن لفرنسا، مما يمكن معه القول أن نزول الشيخ البكاي بكل ثقله كان حاسماً في تحديد نتيجة المعركة.

ولا يمكن تفسير دخوله في هذا التحالف الأخير رلاً بشعوره بالخطر الذي تشكله الزاوية التجانية على مستقبل الزاوية القادرية الكنتية وعلى نفوذها السياسي والاقتصادي بالسودان الغربي، وهي الزاوية التي سبقت التجانية إلى الوجود بالمنطقة منذ عدة قرون، وصار لها بها الكثير من المزيدين، والأتباع، بما في ذلك عليّة القوم من حكام وأمرأء. فالصراع على النفوذ بحوض النيجر كان في مقدمة العوامل التي حتمت المواجهة في نهاية المطاف بين الزاويتين القادرية والتجانية. ويمكن تقديم أكثر من دليل على قلق القادريين الكنتيين، وشعورهم بعدم الرضى للنجاح الذي حققته التجانية، سواء في المغرب أو في السودان الغربي، مثل مراسلات البكاي مع تلاميذه بمراكش، ومع الفقيه محمد أكنسوس، يدعو الجميع من خلالها إلى التشبث بالقادرية كطريقة، والابتعاد عن التجانية إضافة إلى الدسائس

والمكائد التي كان وراءها نفس الشخص، من أجل تضيق الخناق على الشيخ عمر الفوتي في بورنو وماسينا وسيكو، خلال رحلتي الذهاب والعودة إلى الديار المقدسة. أما عندما وصلت جيوش الحاج عمر الفوتي إلى سيكو سنة 1861، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من ماسينا وتمبكتو، صار عداءه للتجانية مكشوفاً.

فبعد أن بذل البكاي ما في وسعه، بحث كل من سلطان إمارة ماسينا وأمير دولة سيكو الوثنية على العمل سوياً لوقف زحف الجيش التجاني على بلديهما، وبعد أن أدرك أن التحالف الذي تكون بإيعاز منه بين هاتين الدولتين لم يحقق الهدف المنشود منه، تحرك شخصياً لإبرام تحالف مع ماسينا، فتحقق بذلك مبتغاه، وتمكن من إسقاط خصمه، ليتضح بعد ذلك أن مشاعر الود والاحترام التي كان يعبر عنها تجاه الحاج عمر من خلال ما بعثه إليه من رسائل، لم تكن سوى نفاق وتقية.

غير أن المسألة الشائكة في هذا الموضوع الذي شبهناه في مكان سابق بالفتنة الكبرى، بالنسبة للباحث، تتعلق بصعوبة تحديد مسؤولية الطرف الذي تسبب في إشعال الحرب بين المسلمين بحوض النيجر، مما أذن ببداية أفول الكيان التجاني. ومرد ذلك إلى كون كل طرف يحمل مسؤولية إيقاظ الفتنة إلى الطرف الآخر، وبما أن الفتنة اندلعت أساساً بين دولتين إسلاميتين، هما ماسينا والامبراطورية التجانية، فإن كلا من السلطانين لجأ إلى الكتاب والسنة لتبرير موقفه والدفاع عن وجهة نظره،

بما يبرئ ذمته، ويدين خصمه فيما حدث. وبما أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يمكن الاستشهاد بها في مثل هذه النازلة متعددة وتسمح بتقديم أكثر من تفسير، فإن الشيخ أحمد بن أحمد ملك ماسينا والحاج عمر سلطان الامبراطورية التجانية، استغل عددا من هذه النصوص المقدسة، كل على حدة بشكل يخدم أهدافه، ويجعله القائد الأكثر امتثالا للسنة، والمدافع عن بيضة الإسلام، ناعتا خصمه بأشنع النعوت وأقبحها، مثل: النفاق والكفر، ومستنهضا همم الرأي العام للوقوف ضده كقوة شر تتربص بالسوء بالمسلمين، والحالة هذه أن السلطانين المتحاربين إخوة في الدين والعرق، بصفتهم مسلمين من أصل فولاني.

وإذا كان الباحث يجد نفسه أمام هذه الحالة في حيرة من أمره، بخصوص إدانة هذا السلطان وتبرئة ساحة الآخر، لاحتماء كل منهما بالكتاب والسنة بغية تبرير موقفه السياسي والعسكري، والبرهنة على أنه لم يكن وراء ما آلت إليه أحوال المسلمين بالسودان الغربي، فإن هذا لا يمنعنا من تحميل مسؤولية ما حدث للسلطانين معا، إما بسبب مبالغتهما في التأويل إلى حدود المغامرة، أو بسبب حب السلطة والرئاسة، أو من جراء هذه الأسباب مجتمعة.

وحتى تتضح الصورة أكثر، سنعمل من خلال محورين على إبراز وجهة نظر كل طرف، كما تقدمها المصادر التي وقفنا عليها.

## I- وجهة نظر سلطان ماسينا وموقفه من الحاج عمر.

لم يكن الشيخ أحمد بن أحمد سلطان ماسينا منفردا بموقفه المعادي لحركة الجهاد العمري، بل شاركه في هذا الموقف أطراف أخرى، يأتي في مقدمتها الفقيه أحمد البكاي شيخ الطريقة القادرية المختارية الكنتية بتمبكتو، ثم الفقيه محمد بن أحمد بن أحمد، الذي رغم محاولته التزام الموضوعية في التأريخ لأهم ما وقع بين الطرفين من تطورات عسكرية وسياسية، فإنه مع ذلك لم يستطع إخفاء تعاطفه مع العاهل الماسيني، مثله في هذا الموقف مثل الفاهم سليمان أستاذ سلطان ماسينا في العربية. ولأخذ فكرة عن رأي مختلف هذه الأطراف في الموضوع، نقترح التطرق لكل طرف على حدة مبتدئين بأهمها.

### 1 - موقف سلطان ماسينا.

نظرت بعض الكيانات الإسلامية الصغيرة بفوتاجلون وفوتاتورو، بعدم الرضا<sup>1</sup> لحركة الجهاد العمري قبل انطلاقها، عندما كان يبحث عن المؤيدين لها، أو بعد الانطلاق، لما رأوا في الانخراط فيها من المهالك، باعتبار أن الثورة تآكل أبنائها. ورغم ذلك فقد جاملوا الحاج عمر وتزلفوا له إلى أن ابتعد عنهم في اتجاه كارطا وسيكو شرقا. ولم يمهله الموت للعودة ثانية لاختبار مدى إخلاصهم له بعد تدخل الفرنسيين في نهر السنغال واحتماء نفس الكيانات بهم.

---

1-Marty(P), L'Islam en Guinée, op. cité, pp. 106 à 109.

أما سلطان ماسينا الشيخ أحمد بن أحمد، فقد أعلن أن موقفه الرفض للهيمنة العمرية التجانية بشكل صريح وواضح، من منطلقات قوية ومشروعة في نظره، أبرزها:

– قدم دولته الإسلامية بالمنطقة، وسبقها للوجود بحوض نهر النيجر الأعلى والأوسط، منذ الربع الأول من القرن 19.

– انخرط أسرته الفولانية المعروفة بباري Bari، في خدمة الإسلام منذ وقت مبكر، في المنطقة، وقيادته منذ ذلك الوقت لعدد من عمليات الجهاد، أدخلت شعوبا وثنية ودمية بكاملها في الإسلام.

– استفادة أسرته من تجربة حركة جهادية فولانية أخرى ناجحة، في شمال نيجريا منذ نهاية القرن 18 وبداية القرن التاسع عشر، ويتعلق الأمر بأسرة عثمان بن فوزي، التي تمكنت من إنشاء دولة إسلامية قاعدتها سكوطو Sokoto، إلى الشرق من ماسينا Macinal.

– استمراره في خدمة الإسلام، حفاظا على نهج أسلافه، حسب أقواله (سلطان ماسينا)، وحرصه على مواصلة أسلمة ما تبقى من شعوب وثنية، تقطن بالمجالات الفاصلة بين جنوب شرق موريطانيا ونهر السنغال من جهة، وبين نهر النيجر من جهة ثانية. وهي الشعوب التي تعتبرها سلطنة ماسينا تابعة لها ومستعدة لصد كل من يروم بسط نفوذه عليها كما فعل الحاج عمر.

– احتكامه إلى الكتاب والسنة لإثبات مشروعية موقفه من الأفكار



والآراء التي تعبر عن احتجاجه، ورفضه القاطع لتدخل الحاج عمر سياسيا وعسكريا في مناطق نفوذه، وهذه الأفكار ضمنها رسائله الخمسة إلى خصمه<sup>1</sup>، وهي على نوعين: رسائل تمكنا من الحصول على نصوصها كاملة وعددها اثنتان. وأخرى تمكنا من فهم مضمونها فقط من خلال أجوبة الحاج عمر عليها، الواردة في كتاب بيان ما وقع. ومما يجعلنا نطمئن إلى مصداقية ما نسبته هذا الأخير في « بيانه »، لسلطان ماسينا من مواقف معادية، له صحة معلوماته المتعلقة بالرسالتين اللتين نتوفر على نصهما بعد المقارنة.

ونقدم فيما يلي الخطوط العريضة لوجهة نظر أحمد بن أحمد (أحمدو أحمدو) العاهل الماسيني، الرافضة بشكل صريح، للهيمنة التجانية من خلال الرسائل المذكورة، مع ملاحظة حدة لهجة هذه الرسائل في بداية النزاع، واعتدالها بعد ذلك لتتنزل بشكل ملفت للانتباه بعد انقلاب الموازين لصالح الحاج عمر، في النهاية، ونذكر مرة أخرى بالعيب الملازم للوثائق المتعلقة بالتصوف عامة والتجانية خاصة، وضمنها هذه الرسائل، وهو خلوها من أي تاريخ في غالب الأحيان، أول رد فعل صدر من سلطان ماسينا ضد الجيوش التجانية، كان باستعمال القوة، إذا صدقنا، ما أورده الحاج عمر في « بيان ما وقع »<sup>1</sup>، بعد أن خضعت باغن<sup>2</sup> الواقعة شرق

---

1 - نقصد بذلك أن الأفكار التي يعقب عليها الحاج عمر مأخوذة من رسائل سلطان ماسينا.

1-Mahibou(S.M.) et Triaud(J.L.), Voilà ce qui est arrivé (Bayan ma waqaa.) d'al Hadji Umar al Futi C.N.R.S,Paris,1983, Fo 2 V et Fo 3 R.=

كارطا للهيمنة العمرية سنة 1856، فالقوة كانت ضرورية إذن للدفاع عن هذا الإقليم، الذي يعتبره الماسينيون تابعا لهم، لما لهم فيه من حقوق تاريخية ترتبط بالمجهود الذي بذله أسلافهم من أجل نشر الإسلام بين أهاليه البامبارا الوثنيين، وهو أمر ينكره الحاج عمر بحجة أن سكان هذا الإقليم لم يعتنقوا الإسلام حقيقة إلا بعد فتحه من قبل التجانيين.

ويفهم من خلال نفس المصدر (بيان ما وقع)، أن السلطان الماسيني كان يعبر عن موقفه الرفض بالقوة والدبلوماسية في نفس الوقت، إذ بعث برسالتي احتجاج خلال هذه الظروف، لا نعلم الكثير عن تفاصيل مضمونهما، باستثناء ما ذكره بشأنهما الحاج عير، وهو يتحدث عن الانتصارات التي حققها في كارطا عموما، وفي باغن خصوصا ضد الوثنيين ومن ساندتهم من الماسينيين، ثم عودته مغربا مع جيوشه لمناوشة الفرنسيين في سابوسيري Sabusiré. ونقترح هنا إدراج المقطع الذي يهمنا بحذافره لأهميته: «... ثم انصرفنا مغربين، فما زلنا نفتص آثار الكفر حتى وصلنا مدينة سابسر<sup>1</sup>، فأقمنا هناك في مكابدة النصارى

---

= نرى من المفيد أن نشير هنا إلى أن نص «بيان ما وقع»، المخطوط من 29 ورقة، يوجد في آخر هذه الدراسة التي ترجمت هذا المخطوط إلى الفرنسية وحققته وعلقت عليه، وامتد هذا العمل على حوالي 260 ص.

2 - يوجد إقليم باغن Baguna شمال شرق كارطا كما يتضح من الخريطة، وهو قريب نسبيا من مملكة ماسينا التي تدعي ملكيتها، وسبقها إلى نشر الإسلام بها.

1 - Sabusiré: تقع هذه المدينة على الضفة اليمنى لنهر السنغال، إلى الجنوب من ==

ومشركيهم ومحاربتهم، فما راعنا إلا وثيقة<sup>1</sup> أحمد بن أحمد هذا بأيدي رسله، فنظرناها فإذا هي كالوثيقة الأولى في منوالها مع كثرة ما فيها من السب واللعن والشتم والإذاية والتهديد والوعيد، فأعرضنا عنها وكتبنا إليه جوابا يليق أن يصدر منا<sup>1</sup>...».

أما رسالة رسالة سلطان ماسينا الثالثة، فيبدو أن الحاج عمو توصل بها بعد استيلائه على مدينة سنسند<sup>2</sup> وإقليمها، التابع لدولة سيكو الوثنية، بعد سلسلة من عمليات الجهاد الموفقة، انطلاقا من بلاد كارطا غربا في اتجاه نهر النيجر شرقا. وبما أن بلاد سيكو وإقليم سنسند التابع لها، يشكلان مجالا حيويا لمملكة ماسينا، كما هو الشأن بالنسبة «لباغن» شرق كارطا، ونظرا لما يدعيه حكام هذه المملكة الإسلامية، من حقوق تاريخية على هذه الأقاليم رغم وثنيتهما، بسبب ما بذله الأجداد من جهود مهما كانت متواضعة من أجل نشر الإسلام بين ربوعها، فإن احتجاجات السلطان أحمد بن أحمد، وتحركاته السياسية والعسكرية ضد الزحف التجاني، ستزداد حدتها. وهو ما يتحدث عنه الحاج بقوله: «...ثم سرنا

---

= = مدينة Médine الواقعة على ضفته اليسرى.

1 - أي رسالة أحمد بن أحمد.

2-Mahibou(S.M.) et Triaud(J.L.),op. cité, Fo. 3 V.

3-Sansandi: توجد هذه المدينة على الضفة اليسرى لنهر النيجر المقابل لنهر السنغال، إلى الشمال من مدينة سيكو الواقعة على الضفة اليمنى لنفس النهر، وسيكو Ségou هو اسم البلاد واسم العاصمة في نفس الوقت.

حتى نزلنا سنسند في آخر يوم من ربيع الأول من سنة جاء نصر من الله وفتح قريب<sup>1</sup> فمارعنا إلا رسله<sup>2</sup>، ووثيقته بأيديهم يجادل فيها عن المشركين، وينتقص من أعراض المسلمين بعد ما أعطاه علي بن منذر<sup>3</sup> ألف مثقال وتحكمت معيته معه علينا، فوجهنا رسلا منا إليه مع رسله بوثيقة فيها تفصيل رد ما في وثيقته من الكذب<sup>4</sup>....».

وإذا كان من السابق لأوانه الحديث عن مدى حقيقة الاتهامات التي وجهها الحاج عمر إلى ملك ماسينا بخصوص تحالفه مع محاكم سيكو الوثنى ضد المسلمين مقابل ألف مثقال، كما هو واضح من النص، فإن الأمر الذي نود التركيز عليه هنا، هو إبراز ما جاء في نفس الرسالة من أفكار تعبر عن موقف أحمد بن أحمد من زحف خصمه على حدود بلاده، في انتظار التطرق إلى موضوع اتهامه بالموالاة للكفار من قبل الحاج عمر في محور قادم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الرسالة الثالثة التي نتوفر على نسخة لنصها الكامل، يتطابق مضمونها تماما مع ما أورده الحاج عمر في كتابه، «بيان ما وقع»، وهو ما اعتبر مؤشرا على صحة ما قدمه نفس

---

1 - جاء نصر الله وفتح قريب تساوي 1277 هـ بحساب الجمل.

2 - رسل ملك ماسينا أحمد بن أحمد.

3 - علي بن منذر هو أمير سيكو وحكامها. ويكتب هذا الاسم على شكل منذر أو منذو.

4- Mahibou(S.M.) et Triaud(J.L.),op. cité, Fo. 4 V.

المؤلف في نفس الكتاب، من معلومات حول الرسائل الأخرى التي لا تتوفر على نصوصها. وهذه بعض أفكار الرسالة الثالثة، ونستهلها بالديباجة التي لا تخلو بدورها من دلالات وتلميحات تروم إدانة الخصم: «الحمد لله رب العالمين الأمر بإصلاح ذات البين بقوله ﴿وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>1</sup> والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>...».

وتعقيبا على بداية هذه الرسالة، يمكن القول، أن صاحبها يرمي من وراء هذه المقدمة إلى إفهام مخاطبه أنه باعته على ممتلكات دولة إسلامية، عصى الله ورسوله وجانب الحق، واختار بذلك طريق الضلال. ولكي يفهمه أن الأمر أصبح لا يطاق بعد أن أصبحت الجيوش التجانية قاب قوسين أو أدنى من سيكو وماسينا، أتى في هذه الرسالة على ذكر أهم الحملات العسكرية التي شنتها الجيوش العمرية، من شرق كارطا (باغن) إلى سنسند، على ضفاف نهر النيجر واستولت بموجبها على كل الأراضي الشاسعة الواقعة بين هذين الإقليمين، والمنضوية أصلا تحت الحكم الإسلامي الماسيني كما هو واضح من هذا النص: «أما بعد فقد بلغنا على السنة الواردين، بحيث صح لدينا أنك حلت سنسند ودخلتها بعد ما

---

1 - سورة الأنفال ، 1.

2 - مخطوط رقم 147 ع، خزانة علال الفاسي الرباط - الورقة 78.

بلغك، وسمعت أنهم بايعونا، وأنهم من سائر رعايانا لشهرة ذلك وشيوعه،  
وعلم العام والخاص بوقوعه فساءنا منك ما بلغنا عنك إذ أنت المعتقد  
المرموق المقتدى به بين الناس الموثوق<sup>1</sup>....».

هذا عن اجتياح الحاج عمر لسنسند القريية من سيكو سنة 1860،  
والتي يعتبر ملك ماسينا أن بيعة أهلها في عنقه، وبنفس المناسبة ذكره  
بفعل مماثل يعود لسنة 1856 تاريخ إخضاعه لباغن وأهلها بغير حق «إذ  
كلهم داخلون تحت بيعتنا من رئيسهم المختار إلى مرؤوسهم صنبن وغيره  
كما يعلمه كل أحد<sup>2</sup>...». مثل هذه الأعمال في نظر أحمد ابن أحمد لا تليق  
برجل يدعي لنفسه الصلاح والجهاد، وحماية المسلمين وتقويتهم كالحاج  
عمر الذي على العكس من ذلك أفسد وعاث واعتدى بغير حق، مما دفعه إلى  
إغلاظ القول له، وتحميله مسؤولية فتح باب الفوضى وعدم الاستقرار  
 بالمنطقة، خصوصا وأنهم القدوة في كل شيء، وهذا ما لا يرضي  
الله ورسوله: «فإن صرت إلى مثل هذا من الأفاعيل والأخذ في إثارة الفتن  
وإحياء الأباطيل اتخذ كأهل الأهواء حجة في ذلك وذريعة  
إلى ما هنالك، فعاثوا وأفسدوا، وأضلوا، وتصير مصيبا لقوله تعالى<sup>3</sup>:

---

1 م نفسه.

2 م نفسه.

3 - سورة النحل، 25.

﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾<sup>1</sup>، ومن الأحاديث النبوية التي استشهد بها في الموضوع:

– «الفتنة نائمة ملعون من أيقظها»<sup>2</sup> ثم قوله صلى الله عليه وسلم:  
«إذا تواجه المسلمان بسيفهما فكلاهما في النار قيل: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ فقال: إنه أراد قتل صاحبه»<sup>3</sup> وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»<sup>4</sup>.  
وليبرهن لخصمه عن تعلقه وبعد نظره ورباطة جأشه، وعدم رغبته في اللجوء إلى استعمال القوة رغم قدرته على ذلك، حرصا على حقن دماء المسلمين من رعاياه، واصل خطابه للحاج عمر، متسائلا: «فياليت شعري بماذا استحللت قتالنا... وقد علمت أن لنا قتال الباغي ففي خليل: الباغية فرقة خالفت الإمام... فللعدل قتالهم... فأعرضنا عنك خوفا من الله تعالى في إثارة الفتن بين المسلمين لا خوفا منك، لأننا لا نراك تجاهد وتغلب إلا من وجدتنا غلبناه، من باغن إلى هنالك»<sup>5</sup>.

---

1 - مخطوط رقم 147 ع، م. س ورقة 78.

2 م نفسه.

3 م نفسه.

4 م نفسه.

5 م نفسه.

ولم يترك سلطان ماسينا المناسبة تمر، دون أن يؤكد له في نفس الرسالة أن سيكو وما يحيط بها من أقاليم، تخضع لسلطة دولته الإسلامية، وأن أميرها علي بن المنز أعلن إسلامه، وتبعه في ذلك معظم رعاياه، والكل متفان في بناء المساجد وتحطيم الأصنام، والقيام بكل الشعائر الإسلامية، وهو ما يدحض مزاعم خصمه في نظره، بخصوص بقاء أهاليها على الوثنية، ووجوب قتالهم، مما يترتب عنهم حسب أطروحة الحاج عمر تكفير كل من وقف إلى جانبهم وفي ذلك يقول أحمد بن أحمد: «فان هؤلاء البنابرة وجدتنا أضعفناهم كل الضعف نغزوهم ولا يغزوننا، ونغير عليهم ولا يغيرون علينا، فأتيتهم وهم في أضعف حال وأتيناهم فأخذوا في طلب صلحنا كما كانوا يفعلون قبل مجيئك إليهم، والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا وكتبنا إليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك<sup>1</sup>...».

وبما أن سكان الأقاليم التي استولى عليها الحاج عمر مدعيا أنهم وثنيون، وحقيقة الأمر خلاف ذلك حسب ما يظهر من هذا النص، ناهيك عن بيعتهم وتبعيةهم لدولة ماسينا، فإن السلطان أحمد بن أحمد، يطلب من شيخ الدولة التجانية الابتعاد عن هذه الأقاليم، راجيا منه أن يتدارك ما صدر عنه، حتى لا يعرض عن الله فيعرض عنه، لأنه يضيف نفس المصدر مهددا، إذا تمادى الحاج عمر في غيه واستمر يسفك دماء المسلمين دون خوف من

---

1 م نفسه.



الله «فإننا لله وإنا إليه راجعون ومن أنذر فقد أعذر، وجاز دفع صائل ولو  
بقتل بعد الإنذار<sup>1</sup>»، لينهي رسالته مستشهدا بقوله تعالى<sup>2</sup>: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾<sup>3</sup>.

وبما أن الحاج عمر لم يكن مقتنعا بطروحات سلطان ماسينا ووجهة  
نظره، غير معترف بتبعية سيكو وإقليمها سنسند لحكمه، ومقتنع تمام  
الاعتناع بوثنية أهاليها، فإننا نؤكد مرة أخرى أن الصخرة التي تحطمت  
عليها محاولات التفاهم بين الأميرين المسلمين هي عدم اتفاقهما عن  
العقيدة التي تدين بها سيكو حكاما ورعية. ففي الوقت الذي نجد فيه أحمد  
ابن أحمد يجهد نفسه للبرهنة على أن دين هذه البلاد هو الإسلام، تطالعنا  
حجج الحاج عمر بما يفيد العكس كما سنعمل على إبراز ذلك لاحقا.

وتفيد المصادر المتوفرة، خصوصا العمرية منها أن شيخ الدولة  
التجانية اقترح على خصمه إبرام تحالف بينهما للقيام بعمل جهادي  
مشترك ضد الوثنيين عامة ووثنى سيكو خاصة، وهو ما رفضه سلطان  
ماسينا رفضا باتا من خلال رسالته الرابعة إلى الحاج عمر بواسطة رسل  
رافقوا مبعوثي هذا الأخير إلى ماسينا، عند عودتهم، ضمنها حججا تثبت  
إسلام حاكم سيكو وأهاليها، ونؤكد مرة أخرى تبعيةها له، واستعداداه

<sup>1</sup> م نفسه.

<sup>2</sup> - سورة النساء، الآية 135.

<sup>3</sup> - مخطوط رقم 147 ع، م. س ورقة 170.

للدفاع عنها. ويدرك الحاج عمر أن حاصل ما استدل به السلطان أحمد بن أحمد في هذه الرسالة للدفاع عن وجهة نظره بشكل مجاني للصواب، منقول من كتاب (سراج الإخوان) للشيخ عثمان بن الفودي وكلام إبراهيم اللقاني في شرح عمدة المريد، ومما استدل به حديث:

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله،<sup>1</sup> (الحديث) وهذا يعني في نظر صاحب الرسالة أحمد بن أحمد، أن كل من نطق من الناس بالشهادة يعتبر مسلماً دون مراعاة أي اعتبارات أخرى، بل يحرم في رأيه البحث عن سرائرهم وتحريك عقائدهم<sup>2</sup>. إنه اعتراف ضمني من سلطان ماسينا بضعف العقيدة الإسلامية في سيكو وهو ضعف يمكن أن يصل إلى أقصى درجاته، غير أنه لا يعترف به لتبرير حقوق بلاده التاريخية في هذا الأقليم المجاور له بدعم وسند أحمد البكاي، وهو ما دفع بالفعل، إذا ما صدقنا المصادر التجانية، سلطان ماسينا إلى التحالف مع علي بن منز، أمير سيكو ضد المسلمين، مما جعل الحاج عمر يتهمه بالكفر لمولاته الكفار.

وبذلك تكون محاولات التفاهم وتقريب وجهات النظر بين الدولتين المسلمتين قد وصلت إلى الباب المسدود. وهكذا ففي الوقت الذي أصبحت فيه الجيوش التجانية على أتم الاستعداد للانقضاض على سيكو، كانت

---

1-Mahibou(S.M.) et Triaud(J.L.), op. cité, Fo. 13.

2-Ibid.

القوات الماسينية في أقصى درجات الاستنفار، بل منها ما اتجه إلى سلكو لمساندة جيشها والوقوف إلى جانب حاكمها ضد القوات التجانية. ويشعر خصمه أن صبره قد نفذ، أرسل أحمد بن أحمد إلى الحاج عمر رسالة خامسة واضحة العبارات وشديدة اللهجة، بما تضمنته من إنذار وتهديد، وفي شأنها بقول الحاج عمر: « وأما وثيقته الخامسة وهي التي وجه إلينا وقدمت علينا بعد اختلاط جيشه بجيش المشركين وإقامتهم متفقين على شاطئ البحر ونحن في سنسند، وبعد تجهيز جيوشه إلينا على شاطئ البحر الذي نحن عليه أيام ظن تمام ملكه، ولو كان في ذلك عين هلكه»<sup>1</sup>.

هذه إذن هي الظروف التي وصلت فيها هذه الرسالة. وأهم ما يميزها، كما يظهر من النص، اعتداد سلطان ماسينا بنفسه، وإقدامه على التحالف مع جيش سيكو، في وقت اعتقد فيه أن مملكته بلغت أقصى درجات قوتها، مما يجعله قادرا على حسم النزاع لصالحه ضد التجانيين، لذلك أتى مضمون الرسالة معبرا عن هذه القناعة، دون ترك أي هامش للمناورة للخصم: «...إذا أذاك كتابي هذا فاختر لنفسك إحدى خلتين، إما الدخول تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك إذ لا يجوز التعدد في العصر الواحد أو في البلاد المتقاربة اجماعا... وإما أن ترحل عن تلك البلاد وتتوجه إلى أعداء الله فإنه أولى بك من إثارة الفتنة... ثم اعلم أنك إن لم

---

1-Ibid, Fo. 142.

تفعل إحدى الخلتين المذكورتين، فليس بيننا إلا القتال الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم به...»<sup>1</sup>.

ولم يفت سلطان ماسينا، تدعيم موقفه هذا، ببعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تخللت عبارات التهديد الواردة في هذه الرسالة، مثل حديث «فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم كائن من كان فاقتلوه... الحديث»<sup>2</sup>.

لم يجب الحاج عمر على هذه الرسالة، بطبيعة الحال، بسبب مطالبها التعجيزية، من جهة، ولكون باعثها كان قد أرسل بجيشه في نفس الوقت لتعزيز صفوف قوات علي بن مونزر، أمير سيكو من جهة ثانية، مما اعتبره الشيخ الفوتي موالاة للكفار. وبما أن أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم، في «التكتيك» العسكري، تفيد المصادر المحلية أن القوات التجانية بادرت إلى الهجوم بشراسة على سيكو، بمجرد اطلاع قائدها الأعلى على مضمون الرسالة. وهو الهجوم الذي مكن من إخضاع سيكو في شهر مارس 1861<sup>3</sup>، وأجبر حاكمهما على الفرار إلى حمد الله قاعدة حكم ماسينا، بعد اندحار جيشه المتحالف مع الجيش الماسيني.

وبلجائه هذا، تأكد الحاج عمر، مرة أخرى من تحالف خصمه مع

---

1-Ibid, Fo. 14 r et v.

2-Ibid, Fo. 14 r v.

3-Robinson (D.), op. cité, p. 251.

الوثنيين، بإيوائه لزعيمهم اللاجئ إليه مما سمح له بوجود التبريرات الشرعية لاتهامه بالكفر، بسبب موالاته أعداء الإسلام، ولا نترك الفرصة تمر دون الإشارة إلى أن الحاج عمر، استغل هذا التحالف بين دولة إسلامية وأخرى وثنية، ليؤلف كتابا اشتهر بعنوان «بيان ما وقع»، والذي دون فيه الأسباب التي جعلته يدخل في حرب مكشوفة ضد دولة ماسينا الإسلامية، اعتبرها مشروعة من وجهة نظره، لأن أحمد بن أحمد بموالاته للكفار وتحالفه معهم أصبح كافرا بدوره ووجب إعلان الجهاد ضده. وقد وثق أطروحته هذه بعدد كبير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لإقناع الرأي العام الإسلامي في ماسينا خاصة والسودان الغربي عامة بوجهة نظره. وسوف نفصل القول في هذا الموضوع في المكان الخاص به.

غير أن ما يجب لفت الانتباه إليه، ونحن بصدد تطور الصراع بين دولة ماسينا من جهة، ودولة الحاج عمر من جهة ثانيه هو تغير موقف أحمد بن أحمد ولهجته من خصمه، بعد سقوط سيكو في أيدي التجانيين ولجوء حاكمها علي بن مونزو إليه. وقبل مواصلة الحديث عن تطور العلاقات بين سلطان ماسينا والحاج عمر، نعرض باختصار، كما وعدنا بذلك للموقفين الآخرين من الزحف التجاني على المنطقة.

## 2 موقف الفقيه محمد بن أحمد بن أحمد:

ينسب إلى هذا الفقيه مخطوط يحمل اسم « بيان ما جرى »<sup>1</sup>،

1 - محمد بن أحمد، بيان ما جرى، مخطوط رقم 27، مركز أحمد بابا للتوثيق والبحث التاريخي، تمبكتو (جمهورية مالي).

ويتكون من حوالي سبعة عشرة صفحة، أجمل فيه الأحاديث المؤلفة التي وقعت في سيكو وماسينا، خلال ستينيات القرن التاسع عشر على الخصوص بين الحاج عمر الفوتي والسلطان الماسيني، كما قدم نتفا من المراسلات التي دارت بين الطرفين. وتأتي أهمية هذا المخطوط من كونه الوحيد، حسب علمنا، الذي يؤرخ للتطاحن الإسلامي الإسلامي بمنحني حوض نهر النيجر خلال النصف الثاني من القرن 19، من وجهة نظر ماسينية غير تجانية. ورغم أن المؤلف لم يعرف بنفسه ولم يذكر تأليفه فإن بعض التعابير والجمل، وبعض أحكام القيمة التي يقدمها المخطوط، تسمح باستنتاج أنه ماسيني، وأن الأحداث التي دونها، وقعت وهو صغير السن. وبالمقارنة مع ما كتبه الحاج عمر حول نفس الأحداث في كتابه «بيان ما وقع»، فإن الفقيه محمد بن أحمد الذي يفترض أنه كتب «بيان ما جرى»، من وجهة نظر ماسينية، حاول التزام قدر لا بأس به من الموضوعية، لعدم تضمين عمله أي عبارات للقذف والتشهير ونعت هذا الطرف أو ذاك بالكفر، وهو موقف ينم عن معرفة صاحبه بأخلاقية الكتابة والتأليف، رغم ما أحاط به من ظروف ساعدته على ذلك، كبعده زمنيا عن الأحداث، وعدم ارتباطه بخدمة هذا السلطان أو ذاك، لكن مع ملاحظة بعض التحامل على الحاج عمر.

ومما يؤكد سجايه الحميدة ورغبته في خدمة الحقيقة، قوله في المقدمة، معتذرا لمن طلب منه القيام بهذا التأليف: « فأجبتة عنه بعد أن

اعتذرت له اعتذاراً من يظن أن لا علم عنده، ولا يجب أن يطلع الناس على ذلك ليستر نفسه من الفضيحة<sup>1</sup>...». وقبل أن يدخل في صلب الموضوع، عاد مرة أخرى للاعتراف بضعفه وتواضعه، مبيناً بعض أسباب تخوفه من خوض غمار مثل هذا العمل: «اعلم وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، بأنني ابتدأت بمن الله ونعمته، مع أن هذا المقام ليس مقامى لقلّة علمي وقصر فهمي وصغر سني في تلك الأوان وعدم اطلاعي على ذلك الزمان<sup>2</sup>...». إلا أنه رغم كل هذه الصفات الحميدة التي تطبع شخصية المؤلف، فإن ميوله إلى ماسينا وسلطانها، وربما حبه لبلده لم يستطع إخفاءهما، مما يمكن معه القول إن موقف صاحب بيان ما جرى، من الحاج عمر موقف رفض وإدانة بشكل ضمني. ونقدم فيما يلي بعض ما يوحى بذلك، من مضمون المخطوط.

ونبدأ بالمقدمة التي ورد فيها: «...فقد سألني بعض الإخوان أن أؤرخ له نبذة من أخبار البلدان، وذلك أن أبين له ما جرى بين الإمام أمير المؤمنين أحمد بن أحمد أمير المؤمنين بن الشيخ أمير المؤمنين...وبين الحاج عمر بن سعيد الفوتي من الرسائل والوقائع<sup>3</sup>...». ونثير الإنتباه هنا إلى لقب أمير المؤمنين الذي وسم به سلطان ماسينا، مقابل تجريد الشيخ

1 م نفسه، ص 1.

2 م نفسه.

3 م نفسه.

الفوتي من أي لقب من ألقاب الحكم.

وعن استقبال الحاج عمر لرسل أحمد بن أحمد، يقول: «ولما وصلوا إليه وبلغوه الرسالة أبى وامتنع وتضجر وزمجر وشدد عليهم وردهم إليه أشنع ردد...»<sup>1</sup>، إنه سلوك غير لائق في نظر المؤلف، على ما يبدو، وأكثر منه غدر الجيوش التجانية بجنود ماسينا...إلى أن فاجأهم في آخر الليل حين طلوع الفجر ووجدوهم في المضاجع واضعون السلاح غافلون (كذا) عن النفط والرماح مسلبين الثياب آمنين التضارب...ولما اشتد الحرب بينهم وكثر فيهم المقتولين والمجروحين (كذا) انهزم جيش عبد الله وتولى وظفر بهم الحاج عمر...»<sup>2</sup>.

هذا الموقف المساند لماسينا ضمناً، حسب تصورنا، يعكسه أيضاً انتقاء بعض نصوص الكتاب والسنة، التي توحى بأن السلطان أحمد بن أحمد، هو المعتدي عليه، وهي نصوص تم مناقشتها ضمن اجتماع هذا الأخير مع كبار قواده ومستشاريه للتداول حول الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه تجاه الخصم، فقال بعضهم: «...بل ارسل إليه رسلاً أخرى، بأن لا يعرض لنا وأن لا يثير بيننا الحرب، لما في السنة والكتاب والاجماع، قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز، ﴿وإن طائفتان من المؤمنين

---

1 م نفسه، ص 2.

2 م نفسه.



**اقتتلوا» الآية، وفي الآثار المدونة عن الثقات: «من قتل دون ماله وعياله وأهله فهو شهيد»، واتفقوا على ذلك وأرسلوه إليه...»<sup>1</sup>.**

ويبقى الموقف الأكثر مساندة لوجهة نظر سلطان ماسينا، هو المتعلق، بتبني المؤلف لرواية إسلام أمير سيكو وزعيته، وإعلان بيعته وتبعيته لإمارة ماسينا الإسلامية، مع استعداده لوضع نفسه رهن إشارة سلطانها. وما من شك في أن صاحب **«بيان ما جرى»**، رمى من وراء اعتماد هذه الرواية إلى تجريد أطروحة الحاج عمر من كل مصداقية، وهي الأطروحة التي تمحور حولها تأليف **«بيان ما وقع»**، لإثبات كفر خصمه، وعن إعلان بيعة حاكم سيكو لسلطان ماسينا، يقول الفقيه محمد بن أحمد: **«أرسل إلى أحمد بن أحمد بالبيعة الصحيحة له والدخول في دين الله على يده وتحت طاعته وقبل منه تلك البيعة، وأمره أحمد أن يعطيه شيئاً من الذهب من خزائنه ليعلم حقيقة بيعته، وجعل عليه كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا»<sup>2</sup>...». تقبل رئيس سيكو هذا العرض بكل سرور، وبعث الذهب المطلوب، وانقاد لله ولرسوله وله، والحمد لله على ذلك، يضيف نفس المصدر، مؤكداً حسن تصرف سلطان ماسينا في هذا المال بقوله: **«ولما وصل المال لديه، أخذها وفرقها بين المهاجرين لجده الشيخ الوالد****

---

1 - نفسه، ص 3.

2 - نفسه.

أحمد بن أحمد<sup>1</sup>... ولم يكتف السلطان بهذا الإجراء، لقبول بيعة سيكو ودخولها في الإسلام ضمن مملكته، تبعا لإفادات المخطوط، بل أرسل أحمد بن أحمد لجنة إلى علي بن منزور<sup>2</sup> «ليكسروا صنمه وليعلموهم (كذا) كلمتي الشهادة، وأحلاق رؤوسهم، وأرسل إليهم من يعلمهم دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقواعد دينهم، ويصحح لهم إسلامهم وإيمانهم ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم... وأن يبنوا مسجدا ليصلوا فيه...»<sup>3</sup>.

وهكذا يفهم من كلام هذا النص أن العقيدة الإسلامية لم تكن مجهولة تماما وسط أهالي سيكو، بل يتعبد بها البعض، وغير متجذرة في نفوس البعض الآخر، بفضل المجهود الذي قامت به الأسر الماسينية الحاكمة، منذ عقود، وكأن المؤلف يريد القول أن الإجراءات الأخيرة من قبل أحمد بن أحمد تجاه سيكو، تشكل استمرارا ومواصلة لما قام به أجداده وأبوه، من عناية في توسيع دائرة الإسلام بالمناطق المحيطة بهم، وهو أمر ينفيه الحاج عمر في بيانه جملة وتفصيلا.

وحتى لا يبقى أي شك حول ما إذا كانت اللجنة قامت بمهمتها أم لا في سيكو، واصل صاحب «بيان ما جرى» حديثه في الموضوع ليفيد أن أعضاء اللجنة: «فعلوا جميع ما أمرهم الشيخ به من كسر الأصنام

---

1 - نفسه، ص 4.

2 - يقصد علي بن منز أمير سيكو.

3 - محمد بن أحمد، بيان ما جرى، م. س، ص 4.

وتحليق الرؤوس وإهراق الخمر»<sup>1</sup>، ثم صدر من المؤلف ما لا يدع مجالا للشك أنه مناصر لسلطان ماسينا هذه المرة، وهو يختم خبر أعمال هذه اللجنة، عندما قال: «والحمد لله الذي يثبت الحق ويزهق الباطل»<sup>2</sup>.

ويلاحظ من جهة أخرى، أن المؤلف، نسب إلى الحاج عمر المثير من الصفات والتصرفات التي تجعله أكثر ما يكون بعدا عن الولاية والصلاح، وأكثر انتهاكا لشريعة الله وسنة رسوله، وهذا يعني بشكل ضمني أن الشيخ الفتوي يتحمل مسؤوليه الفتنة التي أصابت المسلمين في منحنى نهر النيجر. ونقتصر على إيراد بعض ما ورد منها في المخطوط فهو إما شديد الغضب والانفعال: «ثم ان الحاج عمر لما اتصل بهذه الرسالة أنفض رأسه وتنفس الصعداء، وأطرق وأرغد ولم يزل يحملق حتى خافوا على أنفسهم»<sup>3</sup>. وإما ميال لسفك الدماء بشكل مثير، خصوصا بعد هزيمة سلطان ماسينا، وسقوطه أسيرا، ثم إعدامه مع علي ابن منزو رئيس سيكو «وقتلوه هنالك وقطعوا رأسه، كما قطع عبد الله بن زياد رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما، وحملوا رأسه إلى الحاج عمر، وأخذوا علي بن منزو أيضا وقتلوه»<sup>4</sup>.

---

1 م نفسه.

2 م نفسه.

3 م نفسه، ص 6.

4 م نفسه، ص 11.

ونفس المصير لقيه مبعوث من أحمد البكاي إلى الحاج عمر، يطلب منه إطلاق سراح سلطان ماسينا وإخلاء بلاده، فكان رد الشيخ الفوتي ليس الرفض فقط بل: «أخذ الرسول وقتله شر قتلة، وشقه نصفين<sup>1</sup>...» أما عندما تمكن قريبا سلطان ماسينا: بالبو Balobbo، وعبد السلام من الفرار من أسر التجانيين، وهو ما انتبه له المؤلف، فإن الحاج عمر أنزل جام غضبه على أفراد أسرتهما وعشيرتهما، عندما فشل في العثور على الفارين: «ثم إنه جمع جميع عشائهم حتى الغلام الذي لم يبلغ الحلم (كذا) وقتلهم جميعا<sup>2</sup>...». وإلى الصفات الذميمة هذه يضيف المؤلف خلاصا لا تقل قبحا عن الاعداء، ويتعلق الأمر بالاسترقاق والأسر هنا، دون تمييز بين السادة والسفلة، إمعانا في الاحتقار والانتقام، كما يتضح من هذا المقطع: «...وأخذ أيضا جدة أحمد بن أحمد هي عج زوجة الشيخ أحمد واسترقها وقومها بسبعمائة ودعة وفرق الودع بين جيشه، وأخذوا في نفس الوقت بعض كبراء ماسن وعياله، وزوجاته وزوجات أعمامه وزوجات إخوانه، وزوجات وزرائه جميعا... وأهداهم إلى ابنه الذي في بلد سغ سيكر<sup>3</sup>، ليسجن الرجال وينكح من الزوجات ما شاء<sup>4</sup>...».

1 م نفسه، ص 12.

2 م نفسه، ص 13.

3 - سيكو سيكورو Ségou Sikourou، وهي سيكو العاصمة.

4 - محمد بن أحمد، بيان ما جرى، م. س، ص 12.

ونختتم هذه السلسلة من الاستشهادا، التي تضمنها مخطوط «بيان ما جرى» الذي يعبر عن وجهة نظر جل الماسيين المتعاطفين مع ملكهم، وليس وجهة نظر المؤلف فقط، بدون شك، برواية إعلان الحاج عمر من استسلامه وقبوله بيعة الفولانيين حكام ماسينا، وهو خبر انفرد به هذا المصدر دون غيره، مما يجعل أمر مصداقيته محل تساؤل، خصوصا عندما نفترض احتمال تعمد الماسيين، ربما اختلاق مثل هذه المزاعم للبرهنة على أن الذي ذل سلطانهم بغير حق ما لبث أن أدله الله: «...ثم أرسل إلى الفلان بالبيعة لهم، وطلب منهم أن يؤمنوه بعد البيعة وأرسل إليهم سيفه إمارة لبيعته إياهم<sup>1</sup>...».

هذه المجموعة من النصوص المنتقاة من هذا المخطوط، تدل في اعتقادنا على أن صاحبه كان ضد الهيمنة التجانية، ومع الأطروحة الماسينية رغم ما بذله من جهد، في التزام الموضوعية.

### 3 - موقف أستاذ سلطان ماسينا الفا سليمان

الفقيه سليمان هذا، كان أستاذ العربية لسلطان ماسينا ومرتبطا بخدمته، وبما أنه من أصل فوتي ولم يشارك في أي قتال ضد التجانيين، فقد وقع عليه اختيار سلطانه أحمد بن أحمد للتوسط في نزاعه مع الحاج عمر، الذي صمم على عدم قبول أي عذر من خصمه بعد ما صدر منه من

---

1م نفسه، ص16.

تحالف مع الوثنيين، وبعد ما حققته الجيوش التجانية من انتصارات ودخولها إلى سيكو، رغم وقوف الماسيين إلى جانب العدو. وتدل أفكار الرسالة<sup>1</sup> التي وجهها ألفا سليمان إلى الحاج عمر لحسم النزاع بين الطرفين المتخاصمين، على أن كاتبها حاول التوفيق بين وجهتي نظر كل من السلطان الماسيني والأمير التجاني، مع تحميل جزء من المسؤولية فيما حدث لسيدته، بل وتصريحه باعتراف هذا الأخير بذنبه، لأنه لاشيء، حسب نفس المصدر، يبرر إصدار أحمد بن أحمد أوامره لجيشه، بمحاربة التجانيين في كارطا وباغون Baguna، وسنسد وسيكو<sup>2</sup>. لكن لا يجوز، أيضا، أن يستمر الإخوة المسلمون في الاقتتال بينهم، ولذلك بضيف الفا سليمان، فإن سلطان ماسينا يوافق على إقرار هدنة بين الجانبين، على أن ينسحب الحاج عمر من سيكو مكتفيا بحمل ما جمعه بها من أموال، لأن رعايا هذه البلاد في نظر صاحب الرسالة مسلمون تابعون للسيادة الماسينية.

لم يكن مضمون هذه الرسالة ليخدم مصالح الحاج عمر، حتى ولو تعلق الأمر بشطرها الأول المتعلق بالهدنة فقط، فما بالك، بجزئها الأخير الذي يؤيد الأطروحة الماسينية، التي تجعل من بلاد سيكو أرض إسلام وتشكل جزءا لا يتجزأ من أملاك خصمه، والحالة هذه أن الشيخ الفوتي

---

1-Mahibou(S.M.) et Triaud (J.L.), op. cité; Fo. 15 v.

2-Ibid.

ينفي هذا الواقع نفياً باتاً، من خلال بيان ما وقع، مستشهداً بكتاب الله وسنة رسوله في الإدلاء بالبراهين والحجج التي تثبت في رأيه كفر السلطان أحمد بن أحمد، بسبب موالاته لبلاد سيكو الوثنية.

وبما أن الحاج عمر كان في موقف قوة، فقد رفض عرض الفا سليمان، واستغل على العكس من ذلك استغلالاً سياسياً، ما ورد في نفس الرسالة من اعتراف خصمه بتحملة مسؤولية بعض ما آلت إليه الأوضاع بالمنطقة، لكسب مزيد من الأنصار والمؤيدين له، استعداداً لشن هجوم كاسح ضد العاصمة الماسينية حمداً لله.

بعد استعراض هذه المواقف من الزحف التجاني، في اتجاه نهر النيجر نعود للقول بأن السلطان الماسيني الذي كان بالأمس القريب، يستعمل لغة الانذار والتهديد، ويلوح باللجوء إلى القوة ضد خصمه، تغير موقفه بشكل جذري، يعد هزيمة جيشه المتحالف مع دولة الكفر في نظر التجانيين، وصار يجنح إلى السلم، ويطلب الصلح، كما رأينا، معبراً في الوقت نفسه عن أسفه لما حدث. لكن الوقت كان قد فات، باعتبار أن الأوضاع في نظر الشيخ الفوتي قد تطورت إلى ما هو أسوأ، والواجب في نظره يفرض عليه إنزال العقاب على من تسبب في هذا التردي الذي ما كان ليقع لولا موالاته أحمد بن أحمد للوثنيين وتحالفه معهم. ولتصحيح الأوضاع حسب تصوره، كان لابد من تطبيق حكم الله وشرعه، بدل اللجوء إلى الصلح الذي لم يطلبه خصمه إلا بعد حصول الهزيمة.

ولتحقيق هذا الهدف، لا مناص من إعلان الجهاد ضد السلطان ماسينا الذي أصبح كافراً، بموالاته للكفار، وهي قناعة لم يتزحزح عنها الحاج عمر قيد أنملة، بل وظف كل ما يملك من علم ودراية وإحاطة بكتاب الله وسنة رسوله، من أجل إثبات صفة الكفر على خصمه. وهي الأطروحة التي ضمنها كتابة: «بيان ما وقع». وهذا ما يفسر عدم تجاوبه مع كل اقتراحات حكام ماسينا الداعية إلى الصلح، كالاحتكام إلى وساطة أمير سكوطو مثلاً، أو قبول الانسحاب من سيكو، مكتفياً بما أخذه من أموال بعد الاستيلاء عليها<sup>1</sup>، رافضاً بذلك الارتكان إلى مبدأ التفاوض والتفاهم باستثناء المبادرة التي صدرت منه، والتي كان يقصد بها، في الواقع، على ما يبدو، تعجيز الخصم الذي كان في وضعية من الضعف لا تسمح له بالحصول على الكثير من المؤيدين لأطروحته، في الوقت الذي كان يخاف فيه الجميع من سطوة الحاج عمر، الذي كانت آلته العسكرية، تسير من نصر إلى آخر أمام انبهار الجميع.

ويقضي الاقتراح المذكور - حسب بعض المصادر - بأن يأتي سلطان ماسينا على رأس جيشه إلى مكان يتم الاتفاق عليه، وقبالاته سيحضر الحاج عمر بدوره في مقدمة جيشه، ليتم الاحتكام بعد ذلك إلى مجلس الفقهاء والصلحاء، الذي عليه أن يحدد الجهة التي تتحمل المسؤولية

---

1-Ibid, p. 33.



فيما حدث، والحكم الصادر عنه يصبح ملزماً للطرفين<sup>1</sup>. لم يقبل أحمد بن أحمد هذا الاقتراح، لعلمه بأنه لا يخدم مصالحه بدون شك، وتشبث باقتراحاته السابقة، وهذا ما كان ينتظره الحاج عمر ويتطلع إليه، لإعلان الجهاد ضده، وهو ما تم بالفعل. وبما أن الجيش الماسيني لم يكن بعد قد خرج من تأثير النكسة التي تعرض لها بعد هزيمته في سيكو. وهو يقاتل إلى جانب الجيش الوثني في نظر الخصم، منذ حوالي سنة، فإن جنود الفيالق العمرية الجرارة، التي أسندت إليها مهمة اكتساح عاصمة ماسينا، تمكنوا من دك أسوار حمد الله واقتحامها بعد إجبار المدافعين عنها على الفرار، ليدخلوا إليها دخول المنتصر يوم 16 ماي 1862<sup>2</sup>. وبذلك تبددت كل أحلام أحمد بن أحمد، الذي أعدم في نفس السنة، لتخضع بعد ذلك كل البلاد للهيمنة التجانية، وهو الحدث الذي جعل أحمد البكاي شيخ الطريقة القادرية الكنتية بتمبكتو يخرج عن صمته، ويلجأ إلى حض القادة الماسينيين على عدم الارتكان إلى اليأس، ودعوتهم إلى التكتل واستجماع قواتهم، واعداء إياهم بالوقوف إلى جانبهم والتحالف معهم مادياً ومعنوياً. ونظراً للسمعة الطيبة التي كان يتمتع بها الشيوخ الكنتيون بالمنطقة منذ عدة قرون، فإن مساعي الشيخ أحمد البكاي أثمرت تحالفاً ماسينياً كنتياً حقق الهدف الذي تكون من أجله، وهو إيقاف زحف جيش الحاج

---

1-Ibid.

2-Ducoudray (E.) El Hadji Omar le prophète armé.op.cité;pp.81et ss

عمر، وإسقاط دولته وجعل حداً للهيمنة السياسية التجانية بالمنطقة، بعد مقتل الحاج عمر في ظروف قاسية ومذلة سنة 1864.

غير أنه لم يكتب للبكاي أن ينعم بهذا النصر، الذي كان جيشه أحد صانعيه، فقد لقي حتفه بدوره سنة 1865<sup>1</sup>، في خضم المعارك التي كان يخوضها جنوده ضد أحمد التجاني<sup>2</sup>، الذي تمكن من تكوين جيش حددت مهمته في الانتقام لمقتل عمه الحاج عمر، والقضاء على الحلف الماسيني المنتي التمبكتي. وهذا ما تحقق بالفعل، رغم أن الامبراطورية التجانية سوف لن تستعيد عافيتها بعد رحيل بانيها الأول، بسبب كثرة الطامعين في الحكم من الأمراء الورثة، ولجوء الفرنسيين إلى استغلال هذا الوضع لصالحهم، بالوقوف إلى جانب هذا الأمير أو ذاك، ضد باقي إخوته، إلى أن أخضعوا كل الممتلكات التجانية بحوض نهر النيجر لسلطتهم. إنه لأمر مؤسف حقاً.

ومما يزيد من تعميق الشعور في التآمر على تدمير دولة إسلامية أخرى، هي دولة الحاج عمر الفوتي التجانية. وهو عمل جانب الصواب، لما ترتب عنه من إضعاف للمسلمين بالسودان الغربي وتقوية للعدو المسيحي، الذي ساعده الوضع الجديد على التعجيل بتحقيق أهدافه

---

1 - جهاد أحمد التجاني، مخطوط 147 ع، خزانة علال الفاسي الرباط الورقة الورقة 67 وما بعدها.

2 - هو ابن أخ الحاج عمر.

الاستعمارية. إلا أنه، ونحن نصدر هذا الحكم بالإدانة، ضد التحالف الماسيني التمبكتي، لانستطيع بكل موضوعية في الوقت نفسه، تبرئة ساحة الحاج عمر من تحمل أي نصيب في مسؤولية ما آلت إليه امبراطوريته، رغم ما أتى به من حجج في «بيان ما وقع» لإثبات العكس. وهو الكتاب/ الأطروحة، الذي نود تقديم خطوطه العريضة في المحور الثاني من هذا الفصل، ليتسنى معرفة وجهة نظر الشيخ الفوتي، والإطلاع على مرافعته التي تدين الخصم، وتحمله كامل المسؤولية في ما حدث من فتننة واقتتال بين المسلمين، من جراء موالاته للكفار.

## II- وجهة نظر الحاج عمر الفوتي وأطروحته: إدانة

### سلطان ماسينا وتكفيره:

بعد أن حاولنا في المحور السابق إبراز موقف سلطان ماسينا المعادي لحركة الحاج عمر الجهادية بالسودان الغربي، وتعرفنا على الحجج التي استند إليها لتبرير ذلك الموقف، سنتحدث في هذا المحور عن وجهة نظر الخصم، أو الطرف الآخر في القضية، وأطروحته التي حاول من خلالها البرهنة على بطلان كل ما دفع به أحمد بن أحمد، بل وتقديم دليل بالكتاب والسنة على أن ما قام به هذا الأخير من وقوف إلى جانب الوثنيين، أدى به إلى خلع ربقة الإسلام، واعتناق ملة الكفر. وهذه الأطروحة هي التي يدافع عنها في كتابه «بيان ما وقع»، كما تمت الإشارة

إلى ذلك أكثر من مرة. ولإبراز أهم ما ورد في هذه الأطروحة / الكتاب، ونظرا لطول نصوص المرافعة، نقتصر على تقديم عناصرها الأكثر دلالة وتركيزا وإثارة، بغض النظر عن البعد التأويلي فيها الذي نهجه صاحبها، وذلك من خلال القضايا الأربعة التي شكلت العمود الفقري للأطروحة، وهي:

- إثبات كذب السلطان ماسينا، فيما ادعى له من نفوذ على باغون وسنسند.

- تسفيه أحمد بن أحمد وإثبات جهله بأمور الدين.

- إثبات كذبه فيما نسب لسيكو من إسلام.

- إثبات كفر سلطان ماسينا.

ونقدم فيما يلي عرضا موجزا لكل عنصر من هذه العناصر الأربعة، معتمدين في ذلك على ما ورد بشأنها في بيان ما وقع.

**1 - إثبات كذب أحمد بن أحمد في ادعائه خضوع باغون Baguna وسنسند Sansandi وسيكو Ségou له.**

بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق، قدم الحاج عمر عنوان عمله بقوله: «أما بعد، فهذا بيان ما وقع بيننا وبين أمير ماسن أحمد بن أحمد، ابن الشيخ أحمد بل وتفصيله وتحقيقه وتنزيله، بيناه ليراه من تبلغه حقيقة الخبر وليتبصر فيه من غاب ومن حضر» **﴿اليهلك من هلك عن بينة**

ويحيى من حيي عن بينة<sup>1</sup>. ومما لا شك فيه أن المؤلف يرمي من وراء كلامه هذا إلى الإيحاء، بأن كل من اطلع على بيانه، سيجد أن الحق إلى جانبه، وأن خصمه افتري عليه، وبغى وتعدى. وقد ورد في مقدمة هذا العمل أيضا ما يفيد أنه يشتمل على مقدمة ومقامين: «أما المقدمة ففي بيان ابتداء ما وقع بيننا وبينه أولاً وآخرأ حتى شرعنا في هذا المجموع الآن، وبها يتضح ما سيأتي بعدها، وأما المقام الأول ففي رد ما أرسل به إلينا من وثائقه الباطلة وحججه العاطلة، وأما المقام الثاني ففي بيان حقيقته هو، بيان السبب الذي أوقعه في حربنا حتى جره إلى تجهيز الجيوش إلينا، وإباحة أموالنا وأعراضنا ودمائنا، واستحلال ذلك، وبيان ما ورد في هنالك<sup>2</sup>...».

فالحاج، عمر تبعاً لما ورد في هذا النص، مظلوم ومعتدى ومفتري عليه من البداية إلى النهاية، ولذلك فهو مستعد ومصمم على كشف كل الأوراق. فماذا يقول بخصوص القضية الأولى قضية ما ادعاه خصمه من حقوق له في باغون Baguna وسنسد Sansandi وسيكو؟.

يذكر الحاج عمر أنه في إطار الانتصارات المتلاحقة، التي فتح الله عليه بها، منذ انطلاق عمليات الجهاد من طامبا بفوتاجلون سنة 1853

---

1-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L); op. cité; Fo. 2r

2-Ibid.

وحتى سنة 1859، بعد إخضاع بلاد كارطا الوثنية، ودخول عاصمتها نيورو مروراً ببلدان أعالي نهر السنغال، كان حريصاً على الإسترشاد برأي أئمة المسلمين، وكبار القادة والأعيان بالمنطقة، لطلب دعمهم المادي والمعنوي، من أجل مواصلة إعلاء كلمة الله، والقضاء على مواطن الشرك والوثنية بكل أقاليم السودان الغربي، موفداً إليهم من وقت لآخر، من رسله من يخبرهم بما جد من انتصارات.

وهكذا يضيف نفس المصدر، أنه بعد أن دخلت الجيوش التجانية إلى مدينة نيورو Nioro عاصمة كارطا، وبعد أخذ قسط من الراحة «كتبنا وثيقة نبشر فيها جميع من نعلم من المسلمين بجميع ما أوقع الله في أعدائهم من المشركين، واحدة إلى فوت، وواحدة إلى ماسين وأخرى إلى البيضان لتبشيرهم فقط<sup>1</sup>...»، غير أن سلطان ماسينا، الذي كان مصراً على محاربة التجانيين، في تصور الحاج عمر، لم يرتح لما حملته هذه الرسالة من بشرى، ولم يعبأ بها، وكان رده على ذلك، هو إرسال تجريدة من قواته إلى باغون Baguna شرق كارطا لمقاتلة الجنود العمريين الذي أخضعوها، وبما أن هذا الإجراء كان فاشلاً في ميدان القتال مثل فشل الجيش الماسيني لاحقاً في حملات عسكرية أخرى بسنسنند وسيكو ضد عدوه، فإن المساعي الدبلوماسية، ورسائل الاحتجاج والوعد والوعيد، صارت هي الوسيلة الوحيدة المعتمدة من قبل أحمد بن أحمد، لحمل خصمه على

---

1-Ibid, Fo. 2v.

التوقف عن مواصلة الزحف في اتجاه نهر النيجر، مدعيا أن الأقاليم السابق ذكرها والتي أصبحت خاضعة في نهاية المطاف للحاج عمر، تابعة لنفوذه، وأهاليها مسلمون، في عنقه بيعتهم، وهو ما أنكره، صاحب «بيان ما وقع» واعتبره «من الدعاوي الباطلة المضمحلة»<sup>1</sup>، باعتبار أن تلك الأراضي، مأهولة بالكفار، وادعاء أحمد بن أحمد دخول سكانها تحت بيعته من الكذب الذي لا تقبله أذن سامع، والكلام فيها لا فائدة فيه حسب تعبير الحاج عمر، الذي أضاف موضحا أن بلاد كارطا وباغون «أرض شرك وعبادة أصنام وكفر صريح، فادعائهم أن أهلها تحت بيعته مثل ادعائه أن أهل سغ بايعوه وكلتا الدعوتين باطلة قطعاً<sup>2</sup>...». وهو أمر، طبقاً لنفس المصدر، يعرفه الخاص والعام، ولا ينكره إلا ناقص عقل، مما جعله يستشهد بقول بعضهم:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل<sup>3</sup>  
وبما أن سلطان ماسينا تسليح ببعض ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله وبآراء بعض الفقهاء وفي مقدمتهم الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي، لكي يبرهن لخصمه عبر رسائله الخمسة إليه، أن الأراضي التي استولى عليها ضمن حركته الجهادية تخضع لسلطته، فإن الحاج

---

1-Ibid, Fo. 5v.

2-Ibid, Fo. 10v.

3-Ibid.

عمر سيتصدى لكل ما ورد من هذه الأقوال، ناقدا وداحضا بالحجة والدليل، كل مزاعم صاحبها، مبرزاً له سوء فهمه للنصوص التي اعتمد عليها من جهة، ومطلعا للرأي العام الماسيني، خصوصا، والسوداني عموما، على كذب هذا السلطان وتهوره في إصدار الأحكام الباطلة ضد إخوانه المسلمين.

وقد وردت احتجاجات أحمد بن أحمد واستشهاداته ضمن الرسالة الثالثة<sup>1</sup> إلى الحاج عمر، والتي لا يمكن معرفة ما ورد فيها إلا من خلال رد هذا الأخير عليها، وهو الرد الذي سنوظف أهم مضامينه لإبراز وجهة نظر مؤلف بيان ما وقع. هذه الرسالة الثالثة، في رأي الحاج عمر، ليس فيها كبير جدوى، ما دام أنها تعكس نفس أطروحة الخصم، وهي الإدانة، ووصف جيش المجاهدين بالمعتدي والظالم مع تحميل المسؤولية إلى القائد الأعلى خصوصا: «بعدما بلغك أنهم بايعونا وأنهم من سائر رعايانا.. فإن صرت إلى مثل هذا من الأفاعيل وإحياء الأباطيل اتخذك أهل الأهواء حجة في ذلك...»<sup>2</sup>.

هذا بالنسبة لما يدعيه أحمد بن أحمد، من حقوق له في باغون (شرق كارطا)، وفي سنسند (جنوب ماسينا على الضفة اليسرى لنهر النيجر)، أما بالنسبة لحقوقه في سيكو، فقد ورد في نفس الرسالة وهي الثالثة، وفق ما

---

1-Ibid,Fo.11.

2-Ibid.



نقرأ في «بيان ما وقع»، تهديد صريح للعدو إن لم ينسحب منها، ومن الأقاليم الأخرى، ويتركها وشأنها «فلا شيء بيننا إلا القتال لأنهم أسلموا وكسروا الأصنام...وبايعونا وكتبنا إليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك»<sup>1</sup>.

بعد أن قدم الحاج عمر هذه العناصر التنويرية (الاخبارية)، عاد للتذكير والتأكيد بأن مجموع ما ذكر في هذه الرسالة ثلاث مسائل:

– مسألة باغن: Baguna

– مسألة سنسند: Sansandi

– مسألة سيكو: Ségou

فما هو إذن، بشيء من التفصيل، موقف الحاج عمر، من كل مسألة من هذه المسألة، التي يتهمه خصمه بالاعتداء عليها واغتصابها، وما هي المبررات الشرعية التي يتذرع بها لنفي هذا الاتهام؟

#### أ – مسألة باغن Baguna .

يرى الحاج عمر بخصوص هذا الإقليم الواقع في شرق كارطا، والقريب نسبيا من حدود ماسينا الشمالية الغربية، أن أرضه في الحالة التي هو عليها تنقسم بشريا إلى ثلاثة أقسام، قسم أول مأهول بالبنابرة الكفار، الذين لازالوا على شركهم ووثنياتهم، وقسم ثان يتكون من سكان يقطعون الطرق ويأخوذون المكوس قهرا من السكان، ويستحلون

1-Ibid.

المحرمات، وينهبون المشركين والمسلمين على حد سواء. وهم يقولون لا إله إلا الله «ليسوا تحت بيعته (سلطان ماسينا) منذ سكونها إلى أيام دخولنا فيها»<sup>1</sup>. ثم قسم ثالث يتكون من مسلمين مستضعفين، خاضعين لنفوذ القسمين السابقين، ويعيشون تحت رحمتهم، ووفق أهوائهم. وتبعاً لهذه التركيبية البشرية العقدية، التي يشكل المسلمون ضمنها أقلية مقهورة ومغلوبة على أمرها، وبما أن الحكم السائد داخل هذا الإقليم، تبعاً لما سبق، هو حكم الأغلبية أي حكم الكفار، فالجهاد كان في نظر الحاج عمر، هو الوسيلة الوحيدة المشروعة لنصرة الأقلية المسلمة، بإجبار باقي الكفار المتحكمين فيهم على اعتناق الإسلام «أما الكفر الصريح فظاهر، وجوب قتاله على جميع المسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾<sup>2</sup>، والامر للوجوب ما دام الشرك موجوداً»<sup>3</sup>. وحتى يكون رأي الحاج عمر أكثر مصداقية هي هذا الطرح، أورد قول عدد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾<sup>4</sup>. فأكد أن معنى هذه الآية عندهم جميعاً، هو ضرورة

1-Ibid, Fo. 12.

2 - سورة التوبة، 36.

3-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.), op. cité, Fo. 12.

4 - سورة البقرة، 193.

5-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.), op. cité, Fo. 12.

مواصلة القتال حتى لا يوجد شرك والمصادر المعتمدة في ذلك هي<sup>1</sup> :  
- تفسير الجلالين، تفسير الخازن، مدارك التنزيل للنسفي، الذهب  
البيضاوي، الذهب الإبريز، ضياء التأويل.

ومما يدل على وجهة هذا التفسير، في نظر الحاج عمر، منطوق الآية  
في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾<sup>2</sup> ، وفي قوله عز وجل ﴿حَتَّى  
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾<sup>3</sup> . مفيدا أن الإجماع حاصل بأن ذلك يعني: حتى  
لا يوجد إلا مسلم أو مسالم، ولم يفته الاستشهاد لتبرير جهاده في باغن  
التي ينازعه أحمد بن أحمد فيها، بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:  
«الجهاد ماض في أمتي إلى قيام الساعة»<sup>4</sup> .

ومن المصادر الأخرى التي استدل بها المؤلف للبرهنة على ما يقدمه  
من أفكار<sup>5</sup> :

- شرح الأجهوري على المختصر على ابن شاس في كتاب الجواهر.
- ابن الحاجب في مختصره الفرعي.
- حاشية البناني على عبد الباقي الزرقاني على التوضيح.

---

1-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.), op. cité, Fo. 12.

2- سورة البقرة، 193.

3- سورة محمد، 4.

4-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.), op. cité, Fo. 12.

5-Ibid, Fo. 12 v et 13 r.

- المدونة.

- العتبية.

### ب - مسألة سنسند Sansandi.

«مسألة دخولنا سنسند، مسألة ظاهرة لمن أعطاه الله عقلا وليس في دخولنا إياه أمر يبيح لأحمد بن أحمد هذا، تجهيز الجيوش إلينا ولا مظاهره المشركين علينا<sup>1</sup>...».

بهذه العبارات شرع المؤلف في الحديث عن مسألة سنسند، ومن الحجج التي يقدمها لتكذيب ادعاءات خصمه وإفحامه، أن الحاكم الذي وجدوه بهذه المدينة عند استسلامها لهم، كان كافرا، يتبع في حكمه لبلاد سيكو الوثنية. وبما أن حكم البلاد حكم سلطانها، حسب ما أورده عثمان بن فودي<sup>2</sup> في كتاب بيان وجوب الهجرة، وهو رأي أحمد بن سعيد في مختصر كمال الاكمال أيضا، وما دام أن سلطان هذين الإقليمين (سنسند وسيكو)، وما ارتبط بهما من أرض، يدين بالشرك والوثنية، فإن كل الأهالي الخاضعين لهذا الحكم بدخلون في عداد الكفار، ومن ثم وجب إعلان الجهاد عليهم، كما حدث بالنسبة لإقليم باغنا Baguna. إن أرض سنسند التابعة لسيكو، أرض كفر واقعا وفعلا، وأرض إسلام وتحت بيعة أحمد بن أحمد كذبا وافتراء، وهذا كذب وقف عليه رسل سلطان ماسينا

1-Ibid, Fo. 11 v .

2-Ibid .

أنفسهم، حاملوا الرسالة، يضيف الحاج عمر، عندما رأوا بأعينهم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، بعد إخراجها من دار الحاكم، لكي يراها ويشهد عليها الجميع<sup>1</sup>. فأعداء سلطان ماسينا، دخول سكان سنسند Sansandi تحت بيعته، بالإضافة لما سبق، بكذبه أيضا الشرع والعادة، لأنه في تقدير نفس المصدر، لا يمكن أن تكون مدينة من المدن أو قرية من القرى في بيعة لا تجري عليها أحكام تلك البيعة، والحالة هذه أن البيعة المذكورة للمسلمين في الوقت الذي توجد في المدينة المتنازع عليها في وسط المشركين، يجري عليها حكم المشرك سلطان البلد، فهل يصح في الأذهان أن تكون هذه المدينة خاضعة للكفر والإسلام في آن واحد<sup>2</sup>.

ولمن لم يقتنع بعد بحقيقة كفر سنسند ووثنيته، وخلو احتجاجات خصمه من أي مصداقية، واصل مرافعته بالتأكيد على أن أحمد بن أحمد لم تطأ قدماه قط هذه المدينة، ولم يصلها قبل هذا الوقت أي شخص بأمر منه، والسبب في ذلك هو أنه كلما فكر في زيارتها بنفسه أو إرسال جيشه، خاف من تكرار مقاومتهم ورفضهم للهيمنة الماسينية<sup>3</sup>.

وبما أن سكان سنسند، تابعين في شركهم لسيكو كما تبين، فإن دخول المجاهدين، إليها بأمر قائدهم صار واجبا « لكفر أهلها مطلقا

---

1-Ibid .

2-Ibid .

3-Ibid .

وتخليطهم أعمال الشرك بأعمال الإسلام لأنهم يدعون الإسلام، لفظاً ويعملون عمل الشرك فعلاً، ومن كان حاله هكذا فلا خفاء في وجوب قتاله لأنه كافر بلا شك»<sup>1</sup>.

### ج - مسألة سيكو Ségou:

مراعاة للإختصار، ربما، ونظراً لتشابه وضعية سيكو عقدياً مع باغون وسنسند، اكتفى الحاج عمر بالتركيز هنا، على ما اعتبره اعترافاً من خصمه بزييف كل ادعاءاته، وتراجعاً عن اتهاماته، وبراهاناً على صدق وجهة النظر العمرية، بخصوص كفر ووثنية هذه الأقاليم، وعدم توبة كفار سيكو. والوثيقة المستشهد بها ضد الخصم في «بيان ما وقع» هي الرسالة التي كتبها أحمد بن أحمد وشيخه الفا سليمان، وتوصل بها الحاج عمر بعد دخوله سيكو. ونظراً لأهميتها في اعتراف سلطان ماسينا بخطئه، ندرج النص بكامله على لسان الفقيه الفا سليمان، كما ورد في المصدر المذكور: «اعلم أيها الشيخ أنني رأيت تلميذنا أحمد بن أحمد، ما سيتدل به على أن جميع ما يقال في «صنبن» «وباغن» «وسنسند» ليس لشيء منه دليلاً (كذا) على جواز إرسال الجيوش إليكم، وليس الخبر كالعيان ومن ادعى أن له دليلاً على جواز إرسال الجيوش إليك لأجل ما يقال في «صنبن» أو لأجل ما يقال في «سنسند» أو في «باغن»، أو في «كرت» أو لأجل ما يقال في

---

1-Ibid .

«سغ» فليأتني بذلك الدليل، ولم أر قولاً: بجواز إرسال الجيوش إليك بسبب واحد من هذه الأقسام الخمسة ولو قولاً ضعيفاً»<sup>1</sup>.

ولكي يبرهن الحاج عمر على أن هذا الاعتراف صادر فعلاً من صاحبه ومكتوب بأمر منه، أورد تعليق سلطان ماسينا نفسه في أسفل الرسالة، ونصه: «أما بعد، فالسلام والإكرام من تلميذ الشيخ سليمان أحمد بن أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد إلى الشيخ عمر بن سعيد، قائلاً له اعلم أن براءة شيعي هذه هي براءتي والسلام»<sup>2</sup>. والحق ما شهدت به الأعداء يضيف مؤلف «بيان ما وقع».

من جهة أخرى، وعلى مستوى مناقشة بعض الآراء الفقهية، التي تذرع بها الخصم في رسائل احتجاجه لإدانة التجانيين وحملهم على الجلاء من الأقاليم المذكورة، تصدى الحاج عمر في تأليفه، لدحض استشهادات أحمد بن أحمد، المستقاة من أجوبة محمد بن عبد الكريم المغيلي على أسئلة الأسكيا<sup>3</sup>، مؤكداً أن كلام المغيلي حجة على سلطان ماسينا، لأن الحاكم الحقيقي أو السلطان عنده بالنسبة لأي بلد، هو الذي يرعى مصالح السكان الزمنية والدينية، وهو أمر غير وارد هنا، يضيف نفس المصدر، اللهم أن يكون أحمد بن أحمد تمنى ذلك في نفسه، فما زال

---

1-Ibid,Fo. 13 v .

2-Ibid .

3-Ibid,Fo. 10 v .

تمنيه يزداد في قلبه حتى ظنه كان، وهو تخيل فاسد<sup>1</sup>.

ولتسليط مزيد من الضوء على هذه المسألة، واصل الحاج عمر تحليله، بما يفيد أن كلام المغيلي، الذي احتج به خصمه، إنما هو، علاوة على ما سبق، في قوم مسلمين لهم أمير مسلم، تجري عليهم أحكامه لا في غيرهم، كما أن جواب المغيلي الذي نقله عبد الله بن فودي في ضياء التأويل، ينص على أن البلاد ثلاثة أقسام<sup>2</sup>:

**الأول:** بلاد سائبة ليس لأهلها أمير، فأجبرهم على مبايعتك والدخول تحت طاعتك، فإن أبوا ذلك فاجبرهم عليه ما استطعت، لأنه لا يحل للمسلمين أن يكونوا هملاً.

**الثاني:** بلاد لهم أمير يرعاهم في مصالح دينهم ودنياهم، بحسب الإمكان في هذا الزمان، وهؤلاء لا يحل لأحد منهم أن ينزع يده من طاعته... ما دام على طاعة الله. وفي الصحيح «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخير منهما».

**الثالث:** بلاد لهم أمير من هؤلاء الأمراء الذين وصفت، يأخذ المكس بالظلم وبالفساد وعدم الإصلاح، فإن استطعت أن تزيل ظلمه عن المسلمين من غير مضرة عليهم حتى تقيم عليهم أميرا عادلا فافعل، وإن

---

1-Ibid .

2-Ibid .



أدى ذلك إلى القتال وقتل كثير من الظلمة وأعوانهم وقتل كثير من أعوانك لأن من قتل منهم شر قتيل ومن قتل منكم خير شهيد<sup>1</sup>.

وبعد تقديم هذه الإيضاحات، خلص الحاج عمر، إلى البرهنة، على أن اعتماد خصمه على فتوى المغيلي ليس في محله، باعتبار أن التقسيمات الثلاثة تهم بلاد الإسلام لا بلاد الكفر<sup>2</sup>. وما دام أن جيوشه أخضعت أقاليم يدين سكانها بالكفر، فالاستشهاد بما أفتى به هذا الفقيه حجة على أحمد بن أحمد، ودليل على خطأ موقفه من حركة الجهاد العمرية التجانية. ومزيذا من إفحام خصمه أورد مؤلف بيان ما وقع هذا النص، الذي اعتمد فيه على أجوبة اسكيا ومصباح الأرواح في أصول الفلاح وكلاهما للمغيلي: «في جواب عن قوم يدعون الإسلام ويعظمون بعض الأماكن وبعض الأشجار والأحجار بالذبح والصدقة عندها، ويستعينون بالكهنة والسحرة. إن من كانت حالته هكذا فهو كافر بلا شك<sup>3</sup>...». وبما أن فتح سيكو سهل على الحاج عمر اجتياح ماسينا، فإنه حاول إثبات وثنية سكانها بكل ما أوتي من قوة كما سيأتي.

---

1-Ibid,Fo. 10 v et 11r .

2-Ibid,Fo. 11r .

3-Ibid,Fo. 12r .

## 2 - تسفيه أحمد بن أحمد ملك ماسينا وإثبات جهله بأمور

الدين.

لم يكتف الحاج عمر، في بيان ما وقع، بمحاولة نسف أطروحة خصمه، سياسيا وعسكريا، بل تعدى ذلك إلى حد النيل من سمعته، والطعن في تكوينه العلمي، والتشكيك في قدرته على فهم الشريعة الإسلامية، واستيعاب ما يؤهله منها لقيادة دولة إسلامية. ومما زاد هذا العجز تفاقما، تبعا لنفس المصدر، أن السلطان أحاط نفسه بجماعة من الجهال أيضا. إنها واجهة حربية أخرى فتحها ضد عدوه بغية تسفيه وإثبات جهله أمام الرأي العام والخاص بالسودان الغربي من جهة، والبرهنة على خطأ مواقفهم تجاه التجانيين من جهة أخرى، من جراء ما وُظف من نصوص سماوية ووضعية، عقلية ونقلية، توظيفاً سيئاً، قلب فيه الحقائق وشوه المعاني والمقاصد، فاستحق بذلك الخزي والعقاب، من الله، ومن

العباد آجلاً وعاجلاً في رأي الحاج عمر دائماً.

ومما زاد من فعالية هذا السلاح الفكري قدرة الحاج عمر الخارقة على استنطاق النصوص المقدسة، وتطويعها، بشكل مقنع وغير متعارض مع روحها، لإثبات وجهة رأيه، بسبب إحاطته الموسوعية بعلوم الدين. وما من شك في أن نجاح الشيخ الفوتي في استعمال الحرب الإعلامية النفسية إن صح التعبير، ضد العدو، كان وراء الإنتكاسات الماسينية المتلاحقة، التي أودت في النهاية بسقوط السلطة والسلطان، بغض النظر

عن المصير المؤلم الذي ستؤول إليه الدولة التجانية نفسها، فيما بعد.  
تناول الحاج عمر بالتحليل، منتقداً ومصححاً، المعاني والتفسيرات  
التي أعطاها أحمد بن أحمد للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدين  
زحف التجانيين على أراضي الغير وغزوهم واحتلالهم لها بقيادة شيخهم.  
ونقدم فيما يلي بعض النماذج فقط من ردود الحاج عمر هذه، مبتدئين  
بالنصوص القرآنية ومذكرين بالمناسبة، أننا لا نعلم شيئاً عن رأي سلطان  
ماسينا إلا من خلال ما ورد في «بيان ما وقع».

#### ١ - تأويل الحاج عمر للآيات القرآنية:

إن إيراد أحمد بن أحمد، في رسالته لقوله تعالى: <sup>1</sup> ﴿وَأَنْ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ <sup>2</sup>، يعتبر في نظر صاحب «بيان ما وقع»،  
إيراداً صدر عن جهل واحتجاجاً نشأ عن رضى عن نفس، وهو حجة عليه،  
لأنه مال عن صراط الحق بإباحة دماء المسلمين، ووقوفه إلى جانب  
المشركين. ومن المعلوم أن الحاج عمر يكفر سلطان ماسينا، لموقفه هذا،  
المؤيد لوثنيني سيكو. وهو نفس الجهل الذي كان وراء الإحتجاج بآيات  
أخرى، طبقاً لنفس المصدر، من قبل نفس السلطان وأهمها قوله تعالى: <sup>3</sup>

---

1 - سورة الأنعام، 153.

2-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.); op. cité, Fo. 6r.

3 - سورة البقرة، 42.

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾<sup>1</sup> ، وقوله  
جل وعلا أيضاً<sup>2</sup> : ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾<sup>3</sup> ، ثم قوله تعالى :  
﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾<sup>4</sup> .

هذه الآيات يؤكد الحاج عمر كلها حجج على خصمه مردودة عليه ،  
لأنه لا تلبس للحق بالباطل أكثر من التحالف مع أهل الكفر ضد أهل  
الإسلام ، لأن الحق هو الإسلام ، والباطل هو الكفر ، كما ورد عند كثير من  
المفسرين . واستشهد في هذا الصدد بتكملة الجلال السيوطي لتفسير  
الجلال المحلي ، وبتفسير البيضاوي والسراج المنير . ثم تصدى الحاج عمر  
لرد مزاعم خصمه بخصوص الآيات الآتية<sup>5</sup> :

- ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر  
منكم﴾<sup>6</sup> ...

- ﴿وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم﴾<sup>7</sup> ...

---

1-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.); op. cité, Fo. 6r.

2 - سورة هود، 85.

3-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.); op. cité, Fo. 6r.

4 - سورة الأعراف، 56.

5-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.); op. cité, Fo. 6r.

6 - سورة النساء 59.

7 - سورة النحل، 91.

- ﴿إِن الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾<sup>1</sup> ...

- ﴿فَإِنْ بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلَا الَّتِي تَبْغِي﴾<sup>2</sup> ...

يرى الحاج عمر أن استدلال أحمد بن أحمد بالآية الأولى، لا يفيد في شيء ولا يقوي موقفه، فهذه الآية يمكن التطرق إليها من شطريها، الشرط الأول هو الذي ينص على: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وهنا لا شك أنه يطلب منا يقول الحاج عمر أن نتبعه ونطيعه، وهذا شيء غير ممكن كما يعلم هو ذلك، وكما نص عليه في رسالته بقوله: «فإن خلع الإمام نفسه وتسليم الخلافة إلى غيره حرام إجماعاً»<sup>3</sup>. والحالة هذه أن الحاج عمر خليفة توجد بيعة كثير من الأهالي في عنقه. أما الشرط الثاني، وهو ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>4</sup>، فلا محل له من الاعراب هنا، يضيف المؤلف، لأننا لا ننازعه في شيء تكون المنازعة فيه مخالفة لعين الشرع، وإذا كان هناك نزاع، فهو البادي بالإعتداء<sup>5</sup>.

أما الآية الثانية المتعلقة بالوفاء بالعهد، فيقول في شأنها الحاج عمر: «فليس فيها ما يدل على شيء مما بيننا»<sup>6</sup>، بمعنى أن الطرفين لن يتعاهدا

1 - سورة الفتح، 10.

2 - سورة الحجرات، 9.

3-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.); op. cité, Fo. 6r.

4-Ibid. Fo. 6v. (سورة النساء 59).

5-Ibid.

6-Ibid.

على شيء قبل وقوع الخلاف بينهما وبما أن الشيخ الفوتي خليفة على أراض إسلامية أخرى بايعه سكانها بيعة الرضوان، فكيف يسمح سلطان ماسينا لنفسه، أن يطلب من خصمه ميابعتة، مما جعل الحاج عمر يعتبر مدلول آية البيعة، وهي الثالثة، في غير محله<sup>1</sup>، وصادر عن سوء فهم وجهل بأمور الشريعة، وتبقى الآية الرابعة الأخيرة المتعلقة بالبغي ﴿فَإِنْ بَغَتْ أَحَدَاهُمَا﴾ الآية، التي اعتبرها بيان ما وقع حجة على المستدل بها أيضا، وذلك لأن السلطان الماسيني وهو يستشهد بهذه الآية، إما أنه احتج بها على جواز قتال التجانيين، ليجد في ذلك مسوغا شرعيا له للإعتداء والوقوف إلى جانب المشركين، وهذا لا يخفي ما فيه من جهل مركب، وإما أنه قصد غير ذلك، وفي هذه الحالة يصبح إيرادها لها بدون فائدة، وخلص الحاج عمر بعد هذه الاعتراضات والانتقادات إلى القول، لتسفيه خصمه، بأن أئمة الحديث عدوا من أنواع التحريف إيراد الآية أو الحديث في غير محله، لكنهم عذروا فيه بالجهل ومن أجل التأكد من هذا القول الأخير حال المؤلف على نخبة الفكر للحافظ ابن حجر<sup>2</sup>.

### ب - تاويل الحاج عمر للأحاديث النبوية:

أبرز الأحاديث التي علق عليها الحاج عمر هي<sup>3</sup>:

1-Ibid.

2-Ibid. Fo. 6v et 7 r.

3-Ibid.

– « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ».

– « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ».

– « الدين النصيحة! قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وعن حذيفة قلت يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ».

– « من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية ».

– « من آوى محدثاً فعليه لعنة الله ».

– « يد الله مع الجماعة ».

– « من شد شد في النار ».

– « من أتاكم وأمركم جميع على رجل وأراد أن يشق عصاكم، فاضربوا عنقه كائنًا من كان »<sup>1</sup>.

عقب الحاج عمر على هذه الأحاديث الثمانية على الشكل الآتي:  
الأول: قال عنه أنه خال من المقصود بينهما، اللهم إلا إذا كان المستدل عني بذلك نفسه، واعتبر نفسه من تلك الطائفة، وهو أمر مشكوك فيه

---

1-Ibid. Fo. 6v et 7 r.

ويكذبه حاله لقيامه بخلاف السنة وإثارة نار الفتنة<sup>1</sup>.

**الثاني:** حجة عليه لأن الفتنة المنهي عنها إنما هي الفتنة الواقعة بين أصناف المسلمين، وهو نفسه أول من أيقظها بعد صولته علينا وإباحة قتالنا عناداً، واتخذ المشركين واتخذ المشركون عضداً ومدداً<sup>2</sup>.

**الثالث:** خال أيضاً من المقصود، إذ ليست النصيحة بيننا وبينه على زعمه وقوله وفعله ولو كانت واجبة بين المسلمين، والحالة هذه أننا ما رأينا منه نصيحة ولكن شتماً وفضيحة وجيشاً صائلاً واستحلالاً لقتالنا مائلاً<sup>1</sup>.

**الرابع:** لا يجوز الاستدلال والاحتجاج بهذا الحديث أيضاً، لأنه لم يوجب الله تبارك وتعالى على جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض بيعته واتباعه، وهو محال، إذ من المسلمين أئمة غيره وجماعات خلاف قومه، لم يوجب الله عليهم بل لم يبيح متابعتهم إياه في جميع هواه<sup>3</sup>.

**الخامس والسادس والسابع:** هذه الأحاديث الثلاثة، اكتفى بشأنها بذكر كلمة «كذلك» وهو ما يعني على ما يبدو، أن تعليقه عليها لا يختلف عن ما قاله في الحديث الرابع<sup>4</sup>.

---

1-Ibid.

2-Ibid.

3-Ibid.

4-Ibid.



**الثامن:** أراد به أحمد بن أحمد التلبيس على المسلمين فقط، وإلا فهو خال من المقصود أيضا، في تقدير الحاج عمر، الذي أضاف أن هذا الحديث يحتمل أن يستدل له المحتج به، لو دخلنا أرضا له عليها نفوذ، وبها مسلمون لهم بيعتهم في عنقه. وهذا كله منتق وفيه تحريف<sup>1</sup>.

وبالإضافة إلى كل هذه الردود والانتقادات والتصويبات التي كان الحاج عمر يهدف من ورائها إلى إرباك خصمه وإهانتة والخط من قيمته، فقد وجد في إحدى رسائل أحمد البكاي ما ساعده على تسفيه وتجهيل وتهزيء السلطان الماسيني، بما يشفي غليله. وما من شك في أن هذه الرسالة التي نجهل تاريخها، والمسيسة لسمعة أحمد بن أحمد، جرت وقائعها قبل التطورات المؤلمة التي آلت إليها المنطقة على إثر التهديد العمري لها، والتي كانت سببا في حدوث تقارب بين سادة تمبكتو الكنتيين وبين سلطنة ماسينا.

ونقدم فيما يلي مقتطفات من هذه الرسالة، التي وجد فيها الحاج عمر ما يعزز موقفه، والتي وبخ من خلالها البكاي، سلطان ماسينا وأغلظ له القول لادعائه ما ليس فيه ولا في أبيه وأجداده من السجايا والخصال الحميدة. يقول البكاي: «فإن دعواكم أنكم على بصيرة من دينكم ما دتم على طريقة شيخكم، إن كان دينكم هو دين الإسلام غير صحيحة، ولا

1-Ibid.

صادقة. كيف تكونون على بصيرة من دين الله وأنتم على سنة بشر غير  
نبي بل أنتم إذا والله على غير بصيرة وعلى غير بصر. وشاهد ما قلت أنكم  
ادعيتم أنكم لن تضلوا ما تمسكنم بسنة بشر ما غير نبي<sup>1</sup>... ثم أضاف  
«وما ذكرت من التمسك عين التهتك فالكل مكذوب والكل ضلالة، فما كان  
لبشر أن يسن إلا أن يكون نبيا ولا أن يدعو إليها ولا أن يستن به، وما ادعاه  
قبلكم قط أحد من البيضان العرب ولا البيضان العجم، فضلا عن  
السودان<sup>2</sup>...»، إلى أن قال: «وأیضا لا أقول في شيخیکم شیئا، ولكني  
أشهد أنكم لستم على سيرتهما إن كانا متبعين للسنة، فإن تعشير أموال  
المسلمين وخلط زكاتهم وتخويف البريء ظلما وإخراج المسلم من داره  
وتتريكه في ماله، كل هذا مخالف للسنة... فإن ادعيتموه من السنة كفرتم  
وإن جهلتموه فقد صدقت في تجهيلكم، وإن تعندتموه فقد صدقت في  
تظليمكم، فوحي شيخیکم ما أنتم على السنة ولو قطعتم لساني وأبعدتم  
مكاني<sup>3</sup>...» ونختم الحديث عن ما ورد في هذه الرسالة بمقطع أخير منها،  
وهو الأكثر تجاوبا بدون شك مع ما أراده عمر من إهانة لخصمه. «وأما  
علم الحق بالكتاب والسنة فوالله ما هو عندكم ولا

---

1-Ibid Fo. 7v.

2-Ibid .

3-Ibid Fo. 8r.

أنتم بأهله<sup>1</sup>....».

هذه الأفكار المنسجمة مع وجهة نظر الشيخ عمر هي التي جعلته يخبص إلى القول بخصوص تسفيهه وتجهيل صاحبه، أن « مثل هذا الذي صدر من أحمد بن أحمد لا يصدر من ذي عقل كما بيناه ولا من ذي دين أيضاً، فإن عامة الناس من الجهلة يتخذون آباءهم وأشياخهم حجة على الشرع، فيتبعونهم في التحليل والتحريم حتى يبلغوا غاية التقليد المفضي إلى الكفر<sup>2</sup>....».

### 3 - إثبات كذبه في ما نسب لسيكو من إسلام:

يسعى الحاج عمر إلى إثبات كفر بلاد سيكو، من خلال رده على رسالتي خصمه الرابعة والخامسة. وهما الرسالتان اللتان حملتا احتجاجات سلطان ماسينا وسخطه وغضبه، على ما قام به التجانيون من استباحة لدماء سكان هذا الإقليم، رغم اعتناقهم الإسلام، مدعماً رأيه ببعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال بعض المفسرين مثل الشيخ عثمان بن فودي في سراج الإخوان، وإبراهيم اللقاني في شرحه عمدة المريد.

ونبدأ بعرض أهم ما ورد في رد الحاج على رسالة سلطان ماسينا

---

1-Ibid .

2-Ibid Fo. 8v.

الرابعة، وأول ما ناقش فيها، حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»<sup>1</sup>... الحديث»، وهو الذي قال بشأنه إنه مردود على صاحبه، لأن المستدل به، وهو أحمد بن أحمد، لم يقاتل أمير سيكو ورعاياه حتى نطقوا بالشهادة، وأسلموا<sup>2</sup>. ونفس الحكم سار، في نظر «بيان ما وقع»، على الشطر الموالي من الحديث: «عصموا مني دماءهم»<sup>3</sup>، لأن أحمد بن أحمد لم يقاتلهم أصلا ولم يواصل قتاله حتى إجبار الكفار على النطق بالشهادة، بمعنى أن الذي قاتل المشركين هو الذي ينتهي عن قتالهم، إذا بدا له الغاية من هذا القتال تحققت، وهي حمل العدو على اعتناق الإسلام، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾<sup>4</sup>، وهو شيء لا يتأتى، إلا بعد حصول الغلبة، وهو ما تم على أيدينا فعلا، ولم يتم على يدي أمراء ماسينا، يضيف الحاج عمر، الذي دحض قول أحمد بن أحمد في نفس الرسالة: «ويحرم البحث عن سرائرهم وتحريك عقائدهم»<sup>5</sup>. وهو قول استفاد المستدل به من اللقائي لينبئه من خلاله خصمه، على ما يبدو، إلى أنه لا يجوز له شرعا الطعن في مستوى

1-Ibid Fo. 13v.

2-Ibid .

3-Ibid .

4 - سورة البقرة، 193.

5-Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.), op. cité, Fo. 14 r.

وهذا القول لأحمد بن أحمد سلطان ماسينا.

رعاياه بسيكو والتقليل من أهميته، وعو اعتراف ضمنى وإقرار بتواضع  
إسلام سكان هذه البلاد وضعف معرفتهم بأسس الدين الإسلامي وعدم  
ممارستهم لشعائره.

ولعل هذا المستوى المنحط من الاعتقاد والممارسة مع وجود قرائن  
أخرى، هي التي جعلت الحاج عمر يعد سيكو بلاد كفر، ويصف القول  
السابق في تحريم البحث عن السرائر وتحريك العقائد بأنه ضرب في  
حديد بارد، لأن ذلك القول في نظره « يتوجب على من حرك عقائدهم بعد  
صحتها ظاهرا واتصافهم بالإسلام قبلها، والحكم على الشيء فرع عن  
تصوره ». غير أن واقع الحال حسب نفس المصدر يقول العكس، باعتبار أن  
الرعايا المتحدث عنهم، لم يتصفوا قبل فتح التجانيين لبلادهم بأي صفة من  
صفات الإسلام الظاهري الذي يعصم دم صاحبه وماله. فبلاد سيكو إذن  
كانت على دين الشرك والكفر، بسبب عدم قدرة أحمد بن أحمد على فتحها  
« لأجل كراهة ظهور إبايتهم فقط » ، حسب تعبير بيان ماوقع. وهو أمر لم  
يعد يخفى على أحد، تبعا لنفس المصدر، بعدما تم من « إبطال أباطيلهم  
بخضرتهم، وكسر أصنامهم وأوثانهم... وانقيادهم لله وحده في جميع  
التصرفات حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله<sup>1</sup>... ».

وإذا كانت صفة الكفر ثابتة، بهذا الشكل، فهل يجوز لسلطان ماسينا

---

1-Ibid Fo. 13v.

أن يتحالف مع دولة الكفر هذه ويمنعنا بجيوشه من إعلاء كلمة لا إله إلا الله بها يقول الحاج عمر؟ وهل من يقف مثل هذا الموقف يصح له أن يطلب عصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ويحتج لها بالأحاديث والأقوال؟ ألا يدري أحمد بن أحمد أنه ورد أن «إخراج واحد من المسلمين من الإسلام أعظم من دخول ألف كافر فيه»<sup>1</sup>، بهذه التساؤلات ختم المؤلف رده على الرسالة الرابعة.

واصل الحاج عمر في الرسالة الخامسة، التي وصلته من أحمد بن أحمد نفس التكذيب، بنفس المنهجية المؤسسة على الاستدلال والاستشهاد بآراء الماضين والمعاصرين من الفقهاء والشيوخ وكبار الأئمة، وبرأي الخصم نفسه الذي اعترف في تصوره بذنبه، مع ملاحظة ما يرد من تكرار وعودة لبعض الأفكار التي سبق أن عالجها ورد عليها صاحبنا. ونتوقف هنا مع رده، على ما ورد في آخر هذه الرسالة، من قول منسوب لسلطان ماسينا: «ثم اعلم أن البناجرة (سكان سيكو) تابوا إلى الله تعالى وكسروا الأصنام وبنوا المساجد، وهذا مطلوب الله منهم، وهو الذي أمرنا أن نقاتلهم لأجله كما هو معلوم والسلام»<sup>1</sup>. وهو إخبار كاذب، قام الدليل على نفيه، بما وجد كسر من أصنام، من جهة، وبانعدام وجود أي أثر

---

1-Ibid Fo. 14r.

2-Ibid Fo.15r.

للمساجد بهذه البلاد، وأن ما أصبحت تنعم به من إسلام يعود فيه الفضل لعمل الجهاد العمري التجاني، ضد الوثنيين، في تقدير الحاج عمر. ولإثبات عجز سلطان ماسينا، وعدم قدرته على إخضاع سيكو للإسلام كما يدعي، استعان مؤلف «بيان ما وقع»، لإفحام مخاطبه، بموقف البكاي مرة أخرى من سلطان ماسينا، وبشهادة هذا الأخير على نفسه واعترافه بذنبه. وهكذا فقد نقل عن أحمد البكاي أنه قال مخاطباً أحمد بن أحمد الذي كان يريد حمله على مبايعة: «... لا أتبعك ولا تجري علي أحكام قوم عجم الألسنة، غلف القلوب يدعي فيهم المدعي أنه يكلم الله تعالى فلا يكذبونه<sup>1</sup>...». إلى أن قال له، ما وجد فيه الحاج عمر شفاء لجليه: «أما ترى أنك إلى الآن لم تملك غير الفلان<sup>2</sup>...». مما يعني أن بنابرة (البامبارا Bambara) سيكو وسنسند وباغون، لم يخضعوا لحكم إمارة ماسينا، ولم يدينوا بدينها الإسلامي، بل ظلوا محافظين على وثنياتهم، باعتبار أن الفلان هم وحدهم الذين خضعوا للحكم الماسيني والحالة هذه أن البنابرة ليسوا فولانيين. غير أن ما استدل به الحاج عمر لنسف مزاعم إسلام سيكو، وشكل ضربة موجعة لخصمه، هو اعتراف أحمد بن أحمد نفسه ثانية من خلال رسالته الخامسة، وعلى غرار ما ورد في رسالته الثالثة، يقوله: «... إلى الشيخ عمر ابن سعيد، ثم اعلم أيها الشيخ أن الوثيقة الأخيرة المتوجهة إليك لا يخفى

---

1-Ibid Fo.14 v.

2-Ibid Fo.14 v.

على الطفيلي مثلي، أن ما في تلك الوثيقة ليس حجة عليك، كيف استدل بما في الوثيقة على نفي قوم فتحوا من «سغ» ما فتحوا عنوة، وطمعوا في استئصال الباقي<sup>1</sup>....» وإذا كان هذا النص يؤيد موقف الحاج عمر، بشكل لا غبار عليه، ويضع سلطان ماسينا في موقف ضعف لا يحسد عليه، فإن الباحث يحتفظ لنفسه، بحق التحفظ والتساؤل حول مدى صحة أو عدم صحة نسبة هذا الاعتراف إلى صاحبه مرتين، مرة أولى في الرسالة الثالثة والثانية في الرسالة الخامسة، ومما يزيد من مشروعية هذا التحفظ، أن معظم الرسائل التي أورد الحاج عمر مضامينها في عمله، ونسبها لخصمه لم يتأت الحصول على نظائرها، من أجل التأكد والمقارنة.

غير أن الشيخ الفوتي لم يكتف بهذه الإثباتات والإدانات والتسفيه والتكذيب، بل سيجعل من النتائج التي توصل إليها توطئة وسلما لإصدار فتوى ضد سلطان ماسينا تخرجه من الإسلام وتحكم عليه بالكفر. سواء أصاب هذا الشيخ في تأويلاته أم لا، وبغض النظر، عن احتمال لجوئه إلى لي عنق بعض النصوص لجعلها تسعف هذا الطرح أو ذاك، فإن المؤكد هو أن تفوق الحاج عمر العلمي وأخذه بناصية الكتاب والسنة وتفسيرهما، مع إلمامه بأمهات كتب كبار الفقهاء والأئمة، جعله ينجح في مرافعته إلى حد كبير.

---

1-Ibid.



#### 4 - إثبات كفره:

لا يمكن تفسير رفض الحاج عمر الجنوح إلى السلم مع سلطان ماسينا رغم تراجع هذا الأخير عن اتهاماته واعترافه في النهاية بمشروعية ما قام به خصمه من فتوحات في بلدان الشرك والوثنية، إلا بكون مثل هذا الصلح في نظره، غير جائز شرعا، لأن أحمد بن أحمد خلع ربقة الإسلام عن عنقه، وامتطى ذروة سبيل الكفر، بتحالف مع جيش أعداء الله جهارا، «فحاربنا، واستحل محارم الله في جانبنا، وواخى أعداء الله وأعداء جميع المسلمين وأعداءنا نحن، وأعداءه هو، وأعداء آبائه، وتولاهاهم، ونصرهم، وحماهم منا، وخفرهم»<sup>1</sup>.

ولتبرير حكم الكفر هذا الذي أصدره، في حق أحمد بن أحمد، الأمير المسلم، بشكل لا يقبل الجدل، دعم الجزء الخاص بهذه القضية، والذي احتل نصف مؤلف بيان ما وقع، بكل ما يجب من الأدلة الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة وآراء بعض الفقهاء، مع عدم إغفاله شرح معنى الموالاة وهو المصطلح الذي يتمحور حوله كل هذا النقاش والجدل، ومحاولات التأويل لإثبات صفة الكفر على سلطان ماسينا. لذلك نقترح بسط الخطوط العريضة لموضوع التكفير هذا مبتدئين بمفهوم الموالاة، ثم الأدلة القرآنية فالحديث، والإجماع.

---

1-Ibid Fo.15r.

## أ - مفهوم الموالة :

يرى الحاج عمر، أن الموالة، مصدر والاه موالة، بمعنى نصره وظاهره على عدوه وهي على أقسام، تجب كلها على كل مومن في حق أخيه، ومنها موالة الكفار، وفيها تفصيل فيحرم منها بعض على المسلمين، ويجوز بعض ويباح بعض. وقسم هذه الأنواع الثلاثة من موالة الكفار كالآتي :

النوع الأول : موالة جائزة، وهي مواصلتهم و موالاتهم باللسان دون القلب خوفا منهم، وعلى هذه الموالة قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾<sup>1</sup>، وهو رأي البيضاوي وعثمان بن فودي<sup>2</sup>.

النوع الثاني : موالة معصية : وهي مواصلة الكفار وإظهار المودة لهم ليصيب الواصل ما في أيديهم من المال، وهي الموالة التي ورد فيها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>3</sup> وهو رأي البيضاوي أيضا، يضيف المؤلف<sup>4</sup>.

النوع الثالث : موالة كفر : وهي نصرهم على المسلمين وحمايتهم على شيء من تعدى حدود الشريعة، وعلى هذه الموالة معنى

---

1 - سورة آل عمران، 28،

21r Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L). op. cité F- 2

3 - سورة الممتحنة، 13

Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L). op. cité . F- 4

قوله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء <sup>1</sup> ﴾، وقوله عز وجل : ﴿ لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين <sup>2</sup> ... ﴾ الآية، وبين المؤلف رأيه في هذا التفسير <sup>3</sup> حسب، قوله، على ما ورد عند الجلال السيوطي في «التكملة» <sup>4</sup> . ثم أضاف أن هذه الموالاتة (الكفر)، هي التي عاد الله سبحانه وتعالى ليحذر من خطورتها بقوله : ﴿ ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير... ﴾ <sup>5</sup> ، أي إذا أقدم المرء على محالفة المشركين يحصل فساد كبير بقوة الكفر و ضعف الإسلام تبعا لتفسير السيوطي دائما، وعلى هذه الموالاتة، يضيف المؤلف، قول المغيلي في «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» <sup>6</sup> .

وبما أن سلطان ماسينا، تحالف مع المشركين من أجل المال، بغية إراقة دماء المسلمين، وإضعاف دينهم، فقد تعدى بذلك الشرع، ودخل في حكم هذا النوع الثالث من الموالاتة الذي قاده إلى الكفر، في تقدير «بيان ما وقع».

1 - سورة آل عمران، 28.

2 - سورة النساء، 144.

- Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L). op. cité . F 3 21r

-Ibid. 4

5 - سورة الانفال 73.

- Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L). op. cité . F 6 21r

## ب - الأدلة القرآنية :

كثيرة وكثيرة جدا، و نقدم بعضها فقط ، مثيرين الإنتباه و مذكرين أن الحاج عمر ميز بشكل أساسي بين نوعين من الموالات، وهي التي تهدف إلى نصره المسلمين، و موالاته مذمومة عنوة لتقوية المشركين وإضعاف رعايا الأمة المحمدية.

و من الآيات القرآنية المستشهد بها في موالاته المسلمين نذكر <sup>1</sup> :

- ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور و الذين

كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ <sup>2</sup>.

- ﴿إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة

ويؤتون الزكاة و هم راعون، و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا

فإن حزب الله هم الغالبون﴾ <sup>3</sup>.

- ﴿و المومنون و المومنات بعضهم أولياء بعض﴾ <sup>4</sup>.

- ﴿فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم﴾ <sup>5</sup>

---

1- Ibid, F° . 16 r et v.

2 - سورة البقرة 257.

3 - سورة المائدة 54، 55.

4 - سورة التوبة، 71.

5- سورة الانفال، 71.

- ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم﴾<sup>1</sup>.
- ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه﴾<sup>2</sup> الآية.
- ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾<sup>3</sup>.
- بعد الإستشهاد بهذه الآيات القرآنية، و تقديم آراء بعض المفسرين وأهل الإشارة حولها، أضاف قائلا: «فإذا ظهر لك وجوب موالاة المسلمين، علمت أن أحمد بن أحمد هذا نبذ هذا الوجوب»<sup>4</sup>.
- أما الآيات القرآنية التي تنهى عن موالاة الكفار، و تكفر من فعل العناد و البغي، حسب قول المؤلف، فنقدم بعضها منها أيضا<sup>5</sup>.
- ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء... الآية﴾<sup>6</sup>.

1 - سورة الأنفال، 46.

2 - سورة الشورى، 13.

3 - سورة الحجرات، 10.

4 - Mahibou (S.M) et Triaud (J.L.). op. cité, F° . 17 V.

5 - Ibid, F° . 18 V 19 r.

6 - سورة آل عمران، 28.

- ﴿إِلَىٰ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾<sup>1</sup>.
  - ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>2</sup>.
  - ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾<sup>3</sup>.
  - ﴿وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا، فَتَكُونُونَ سُوءًا﴾<sup>4</sup>.
  - ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>5</sup>.
  - ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا، الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ<sup>6</sup>...الآية﴾.
- و قبل أن يواصل المؤلف استشهاده بكتاب الله العزيز، و بتفاسير الآيات المستحضرة، توقف ليقول، معلقا، على ما مر منها، بقوله : «...و لا شك أن هؤلاء الذين ذكرهم ربنا مع شهادته عليهم بالنفاق و الكفر

1 - سورة آل عمران، 28.

2 - سورة النحل، 106.

3 - سورة آل عمران، 29.

4 - سورة النساء، 89،

5- سورة النساء، 138، 139.

6- سورة النساء، 140، 141.

أحسن حالا و أنصف مقالا من أحمد بن أحمد هذا الذي خذلنا<sup>1</sup>، ثم في الإستدلال بآيات أخرى<sup>2</sup> :

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾<sup>3</sup>.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ<sup>4</sup>﴾ الْآيَات.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>5</sup>.

- ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، لَبِيسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾<sup>6</sup>.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ

---

1- Mahibou (S.M.) et Triaud (J.L.); op. cité. F° . 19r.

2- Ibid, F° . 19 r . v et F° . 20 r .

3 - سورة النساء، 144.

4 - سورة المائدة، 51.

5 - سورة المائدة، 57.

6 - سورة المائدة 80.

استحبوا الكفر على الإيمان و من يتولهم منكم فأولئك هم  
الظالمون<sup>1</sup>.

- ﴿و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، ومالك من دون  
الله من أولياء، ثم لا تنصرون﴾<sup>2</sup>.

- ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله  
ورسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾<sup>3</sup>.

- ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي و عدوكم أولياء، تلقون  
إليهم بالمودة، و قد كفروا بما جاءكم من الحق﴾<sup>4</sup>.

- ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾<sup>5</sup>.

كل هذه الآيات، تشهد في نظر المستدل بها، على أن موالة المسلم  
للكافر تخرجه من الإسلام، و خصوصا قوله تعالى : ﴿ترى كثيرا منهم  
يتولون الذين كفروا لبيس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله  
عليهم﴾<sup>6</sup>. وذلك يعني في نظر الحاج عمر إما أن أحمد بن أحمد يفهم معنى

1 - سورة التوبة، 23.

2 - سورة هود. 113.

3 - سورة المجادلة، 22.

4 - سورة الممتحنة، 1.

5 - سورة الممتحنة 13.

6 - سورة المائدة، 80.



هذا النص القرآني، و يؤمن به، كباقي النصوص القرآنية الأخرى، و في هذه الحالة ما كان عليه أن يقدم محالفة الكفار، وإما أنه يفهمه و لا يؤمن به، ففعل ما فعل متعمدا، «فلزم بشهادة رب العزة التكفير... لأن واحدة من خصال الكفر تحبط ألفا من الإيمان<sup>1</sup>...».

أول استنتاج يمكن الخروج به من هذه المجموعة من الأحاديث التي استشهد بها المؤلف لمناقشة موضوع الموالاتة، هو تركيزها على وجوب موالاتة المسلم، لأخيه المسلم، و لم يرد أي حديث ضمنها ينص على ذم أو حظر موالاتة الكفار بأي شكل من الأشكال على غرار ما سار عليه في القسم الخاص بالأدلة القرآنية، فهل يمكن رد ذلك إلى غياب مثل هذه الأدلة في السنة النبوية، أم إلى كون الأحاديث المستشهد بها بخصوص حسن موالاتة المسلم ووجوبه، لأخيه المسلم، تجيب ضمنيا عن قبح موالاتة الكفار، لما في ذلك من توهين و إضعاف للإسلام نقدم في ما يلي معظم نصوص هذه الأحاديث، كما توجد في «بيان ما وقع».

- «المسلم أخو المسلم»، أخرجه أحمد و أبو داود و الحاكم عن عقبة بن عامر<sup>2</sup>.

- «المسلم أخو المسلم»، لا يظلمه و لا يسلمه لمن يظلمه»، أخرجه

---

1- Mahibou (S.M) et Triaud (J. L.). op. cité. F° 21 V.

2- iBID, F° 17r.

الشيخان وأحمد النسائي عن ابن عمر<sup>1</sup>.

- «المسلم أخو المسلم يسعهما الماء و الشجر، و يتعاونان على الفتن»، أخرجه أبو داود عن صفية<sup>2</sup>.

- «المسلم أخو المسلم لا يخرّيه و لا يكذبه و لا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه و ماله و دمه، التقوى هاهنا و أشار إلى القلب، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه»: أخرجه الترمذي عن أبي هريرة<sup>3</sup>.

- «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المومن ما يحب لنفسه» أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك<sup>4</sup>.

- «ترى المومنين في تراحمهم و تواددهم و تعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى»، أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير<sup>5</sup>.

و نظرا لما ينطوي عليه هذا الحديث الأخير من دلالة لموضوع الموالاتة، وكأنه يحمل كل الأحاديث السابقة، فقد اقتصر الحاج عمر على التعقيب عليه بمفرده، فأفاد، نقلا عن ابن جمرة، أن منطوق الحديث، في تراحمهم، معناه أن الرحمة التي جعلت في قلوب المومنين بعضهم لبعض،

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- Ibid.

4- Ibid.

5- Ibid.

هي من أجل أخوة الإيمان، و ليس لإحسان، أو لأي شيء آخر غير الإيمان، و توادهم، كناية عن التواصل بينهم و استعمالهم أسبابه، و أصله الإيمان، و أما التعاطف فهو تقوية بعضهم لبعض حسب نفس المصدر<sup>1</sup> الذي أضاف أن هذا الرأي وقع عليه الإجماع، بدليل اتفاق أهل السنة على وجوب موالاة المسلمين، و حجته في ذلك قول ابن أبي زيد في رسالته : «و على المومن أن يستغفر لأبويه المومنين، و عليه موالاة المومنين والنصيحة لهم<sup>2</sup>»، ثم شارح هذا القول النفزاوي في الفواكه الدواني الذي يرى أن المراد بموالاتهم الإجماع عليهم و إظهار المحبة لهم واجتناب ما يوجب المنافرة من الغل و الحسد بينهم، و موالاة الكفار<sup>3</sup>.

و في نهاية هذا العرض الخاص بالأدلة الشرعية التي استشهد بها الحاج عمر لإثبات كفر سلطان ماسينا، نود التأكيد على أن الآيات القرآنية على الخصوص، المستدل بها، أرفقها المؤلف بعدد كبير من آراء المفسرين والشراح و الفقهاء و كبار الأئمة. و نظرا لوضوح معاني تلك الآيات، الكريمة و جلاء خطابها في إبراز أهمية موضوع الموالاة، سواء بين المسلمين أو ضدهم، و تجنبنا لإثقال المتن بما لا يخدم بشكل مباشر

---

1- Ibid.

2- Ibid.

3- Ibid.

صلب الموضوع، فضلنا عدم إيراد مضمون تلك التفاسير و الشروح التي تتطلب صفحات و صفحات.

و نكتفي في هذا الصدد بإيراد أسماء أهم المؤلفات التي اعتمد عليها المؤلف في تفسير الآيات المذكورة، مما ساعد على إعطاء هذا العلامة قيمته العلمية الحقيقية، و نشرها بين القراء و المهتمين الناطقين بلغة الضاد، و المغاربة منهم على الخصوص، لما كان للمغرب من فضل في سطوع نجم هذه الجوهرة السوداء في سماء العلم و المعرفة و التصوف و الجهاد، أهله لخدمة شعوب السودان الغربي، عقديا، و ثقافيا، و روحيا، و مساعدتها على الإنعتاق من قيود الجهل و الوثنية و الإستبداد، فلا عجب إذن، إذا وجدنا ضمن لائحة الفقهاء المفسرين و المجتهدين الآتية أسماؤهم، عددا لا يستهان به من المغاربة.

و في ما يلي لائحة بأهم أسماء هؤلاء المفسرين و المصادر المنسوبة إليهم :

1- أحمد بن سعيد، «مختصر إكمال الإكمال»<sup>1</sup>.

2- عثمان بن فودي، «بيان وجوب الهجرة»<sup>2</sup>.

3- عثمان بن فودي، «سراج الإخوان»<sup>3</sup>.

---

1- Ibid, F° . 11v.

2-Ibid.

3- Ibid, F° . 22 r.

- عبد الله بن فودي، «ضياء السلطان»<sup>1</sup>.
- محمد بل، «مفتاح السداد»<sup>2</sup>.
- علاء الدين علي الخازن، «لباب التأويل»<sup>3</sup>.
- البيضاوي، «أسرار التنزيل»<sup>4</sup>.
- «تفسير الجلالين»<sup>5</sup>.
- أبو القاسم الزمخشري، «الكشاف»<sup>6</sup>.
- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، «التكملة»<sup>7</sup>.
- نور الدين الأجهوري، شرحه ألفية السير، ثم شرحه ابن شاس  
في كتاب الجواهر<sup>8</sup>.
- حاشية البناني<sup>9</sup>.
- المدونة<sup>10</sup>.

---

1- Ibid.

2-Ibid, F° . 25 v.

3-Ibid, F° . 23r.

4-Ibid, FF° 17 v et 19v.

5- Ibid, F° 19 v.

6- Ibid, F° . 20 v.

7- Ibid, F° . 23 v.

8- Ibid, FF° . 12 v et 23 v.

9- Ibid , F° . 13 r.

10- Ibid.

– العتبية<sup>1</sup>.

– عبد العزيز ، الدرر الملتقطة<sup>2</sup>.

– عبد السلام في شرح ابن الحاجب<sup>3</sup>.

– ابن حجر الهيتمي في شرح الأربعين النووية<sup>4</sup>.

– حاشية مصطفى الرماصي<sup>5</sup>.

أما المغاربة الذي استشهد بأرائهم، فهم محمد بن عبد الكريم المغيلي في كتابيه: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ثم أسئلة الأسكيا و أجوبة المغيلي. و عن هذا المؤلف الأخير أورد القول الذي يثبت تكفير أحمد بن أحمد و هو :«...و موالاتهم نصرهم، لأن الولي هو الناصر، فكل من يحمي يهودياً أو نصرانياً أو يحاميه على سيد من تعدى حدود الشريعة يكفر بما ظهر عليه من الموالاتة<sup>6</sup>...». و هذا ما ينطبق على خصمه في تقديره، ثم الفقيه اليوسي، الذي استرشد المؤلف برأيه في المحاضرات<sup>7</sup> إلى جانب اعتماده على مجموعة أخرى من المغاربة حذوا حذو المغيلي في التكفير،

---

1- Ibid.

2- Ibid, F° ; 24 r.

3- Ibid, F° . 25 r.

4- Ibid, F° . 26 r.

5- Ibid.

6- Ibid, F° . 23 r.

7- Ibid, F° . 24v.

لكن دون أن يذكر مؤلفاتهم، كما يتضح من قوله: «و ممن وافق المغيلي على المسألة الحافظ التنيسي و عيسى الماوردي، مفتي فاس و ابن زكري مفتي تلمسان، و القاضي يحيى ابن أبي البركات الغماري و عبد الرحمان بن سبع التلمسانيان و السنوسي<sup>1</sup>». و لعل سبب عدم ذكره لمصادرهم يرجع إلى كونه، لم يرجع إليها مباشرة، و اكتفى بنقل ما ذكره عنهم محمد بل في كتابه مفتاح السداد المنوه به سابقا.

و بعد أن نزل الحاج عمر بكل ثقله العلمي المعرفي في هذه المرافعة، إن جاز التعبير، التي ساعده على التألق فيها طبيعة تكوينه الموسوعي، خلص إلى القول في الخاتمة بأن سلطان ماسينا :

1 - بتليسه على المسلمين بادعاء توبة الكفار و احتجاجه على ترك قتالهم<sup>2</sup>.

2 - و بتليسه أيضا على المسلمين بقبوله الإنصات و الإصغاء إلى الكفار، و قبول توبتهم جزافا<sup>3</sup>.

3 - و بأخذه أموال سيكو و هو يعلم أن أخذه ذلك حرام عليه، كتابا وسنة وإجماعا، مقابل نصرة الكفار و قتال المسلمين بجنوده<sup>4</sup>.

---

1- Ibid, F° 26. v.

2- Ibid, F° 26. V.

3- Ibid, F° 27. V.

4- Ibid.

4 - و بإقدامه بذلك على أن يتخذ بين الكفر و الإيمان سبيلا.<sup>1</sup>

5 - و باستحلاله القتال بين المسلمين.<sup>2</sup>

فإنه من جراء كل هذا نادى على نفسه، بأنه ليس من أهل الملة الإسلامية.<sup>3</sup>

هذه إذن هي قصة مشكلة الحاج عمر الفوتي ، أمير الدولة التجانية مع خصمه سلطان دولة ماسينا، كما وردت في كتاب «بيان ما وقع»، الذي يعرض لأهم الأحداث التي عرضت المنطقة للخطر من وجهة نظر مؤلفه، الذي لم يأل جهدا في الإستشهاد بكل الأدلة المتاحة، لتحميل مسؤولية ما حدث من فتنة كبرى بين شعوب السودان الغربي خلال النصف الثاني من القرن 19، لأحمد بن أحمد. وقد وفق ذلك إلى حد كبير، من الناحية المنهجية الإجرائية، في عرض الأسباب والنتائج. غير أن أهمية هذا النجاح و قيمته و مصداقيته، ستظل موضع تشكك و ارتياب ما دام الطرف الآخر لم يكشف بعد عن وجهة نظره، و لم يعثر أحد إلى الآن عن مرافعته.

و نعود في الختام لطرح السؤال الذي عنبونا به هذا الفصل، مع اعترافنا بعجزنا عن الإجابة عنه، جوابا شافيا، و السؤال هو من المسؤول عن الإنهيار و السقوط، مغامرة التأويل أم حب السلطة و الرئاسة ؟

---

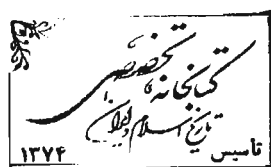
1- Ibid, F° . 28 r.

2- Ibid, F° . 28 v .

3- Ibid, F° 29 r .



# خاتمة



يعرف المشتغلون بفلسفة التاريخ، الحدث التاريخي بأنه هو الحدث الذي كانت له عواقب<sup>1</sup>. و بما أن قيام الزاوية التجانية في مطلع القرن التاسع عشر يعتبر حدثا تاريخيا فإن العواقب المترتبة عنه كانت تاريخية و بالغة الأهمية بالنسبة للمغرب على المستوى الداخلي و الخارجي.

### 1 - على المستوى الداخلي:

عندما وصل سيدي احمد التجاني إلى مدينة فاس و أسس زاويته بها في نهاية القرن 18 و بداية القرن 19 كانت كل أقاليم المغرب و مدنه تعج بالزوايا و الطرق الصوفية ذات المرجعية الشاذلية على الخصوص. و رغم ذلك فقد تمكنت الطريقة التجانية من التعريف بنفسها و فرض احترامها، مما أكسبها عطف قادة البلاد و في مقدمتهم السلطان المولى سليمان الذي صار تجانيا بشكل عملي.

و على عكس ما قيل في هذا الموضوع من أن هذا السلطان وقف إلى جانب الشيخ التجاني و ساندته ماديا و معنويا، بسبب موقف الطريقة التجانية من الوهابية التي وجدت في المولى سليمان مدافعا عنها، فإننا نرجح أن احتضان هذا الأخير للتجانية و شيخها يرد إلى مكانة الشيخ

---

1 - عبد الله العروي، علاقات المغرب بإفريقيا، ملاحظات أولية، مجلة كلية الآداب و العلوم

الإنسانية، أكادير، م.س، ص 14.

التجاني العلمية التي أبهرت الجميع بحضور السلطان و مجلسه العلمي، وبسبب السنية التي صارت عليها تعاليم هذه الطريقة و حرص شيخها على زجر كل من خالف روحها. و مما شجعنا على الدفع بهذا الطرح مكانة المولى سليمان العلمية و ورعه و تقواه. و بما أن السلطان يمتلك شرعا السلطتين الزمنية و الروحية، و بما أن فراسة المومن لا تخطئ، فقد تفرس في الشيخ التجاني رجل علم و ذكر و هيام في حب الله، لا رجل سياسة يتمسكن مؤقتا لتحقيق أطماع دنيوية كما نعته أبو القاسم الزياني بذلك. ولقد أظهرت تطورات الأحداث في ما بعد صدق فراسة المولى سليمان، عندما داهمه خطر الطريقة الدرقاوية و طرق أخرى، كانت تتطلع إلى النفوذ و السلطة، و هذا موضوع آخر.

و قد ظلت الطريقة التجانية و فية من خلال تعاليمها لروح الكتاب و السنة، سواء في عهد الشيخ المؤسس أو بعده، شعارها، حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»، و قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، و هدفها توحيد الله تبارك و تعالى و الاقتداء بسيرة نبيه، مما جعلها تلقى إقبالا شعبيا خاصا رغم بعض شروط الانخراط فيها الصارمة كضرورة التخلي عن التعبد بأية طريقة صوفية أخرى لمن أراد سلوك الطريقة التجانية. و مما يفسر الإقبال المتزايد على التجانية سرعة انتشارها بمدينة فاس و عدة

جهات من المغرب قبل وفاة الشيخ سيدي احمد التجاني.  
و لا يخامرنا شك في أن مساهمة الطريقة التجانية في تربية الناس  
و السمو بأخلاقهم لملامسة الإسلام الرفيع، و حثهم على ضرورة مراعاة  
تطبيق تعاليم هذا الدين في ممارستهم اليومية، قدمت مساعدة لا يستهان  
بها للسلطة المركزية، تتمثل في انشغال عامة الناس و خاصتهم في ذكر  
الله و علمهم اليومي، داعين للإمام بالنصر و التأييد في ختم الصلوات  
و تلاوة الأوراد و الأذكار، مما كان يخفف من وحدة الغليان و عدم  
الاستقرار السياسي الذي ميز فترة حكم المولى سليمان.

و لم يكن سيدي احمد التجاني صاحب أثر فقط بل كان صاحب نظر  
أيضا. و من بين الذين أنصفوا هذا الشيخ و حاولوا إبراز جانب العقلانية  
في تصوفه، الباحث جاك برك Jacques Berques في كتابه: L'Interieyr  
du Maghreb و قبله لويس رين Louis Rinn في مؤلفه Marabouts et  
Khouans. و لا يستبعد بناء على هذا أن تكون معاملة السلطان المولى  
سليمان التفضيلية للشيخ التجاني، نابعة من واقعية هذا الأخير بالإضافة  
إلى علمه و ورعه، و بذلك يكون المولى سليمان هو أول من أنصف هذا  
الشيخ قدره حق قدره.

لم تساهم الطريقة التجانية في تماسك المجتمع المغربي في شمال  
البلاد عن طريق الأخوة الإسلامية الناتجة عن الاعتزاز بالانتماء لنفس  
الشيخ الذي يعيد للناس طريق الوصول إلى الله و إلى محبة رسوله

فحسب، بل تعدى الأمر ذلك بعد وصول تعاليم الطريقة التجانية إلى جنوب البلاد الشنقيطي على يد الشيخ محمد الحافظ الذي شد الرحال من الديار المقدسة إلى فاس خصيصا لأخذ الطريقة التجانية قبل عودته إلى بلاد شنقيط، فازدادت الروابط بذلك متانة بين شمال البلاد وأقصى جنوبها، وبذلك يتحلى دور تعاليم هذه الطريقة في المساهمة في تحقيق الوحدة الوطنية الكبرى. تحقق المد التجاني نحو الجنوب الشنقيطي قبل وفاة سيدي احمد التجاني سنة 1815. و بعد هذا التاريخ، و على امتداد القرن 19 زاد الإشعاع التجاني توهجا داخل المغرب و خارجه، فكثرت أنصار الطريقة في كل بقاع المغرب. و على الحدود الجنوبية تعدت هذه التعاليم نهر السنغال لتتوغل في بلدان السودان الغربي.

## 2 - على المستوى الخارجي:

تمكنت تعاليم الطريقة التجانية خلال أقل من قرنين من الزمان من غزو الكثير من البلدان الإسلامية و غير الإسلامية ذات الأقليات المسلمة، في كل القارات تقريبا. لكن الباحث ركز جهوده في هذا العمل بالنسبة للخارج على بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، بسبب ارتباط المغرب العضوي و التاريخي بهذه الديار، و قصد النبش في التراث بغية معرفة الذات معرفة أفضل.

انتقلت تعاليم الطريقة التجانية من المغرب إلى السنغال و بلدان حوض النيجر عبر جنوبه الشنقيطي. و في حوالي أقل من نصف قرن

صارت التجانية الطريقة التي يتعبد بها الملايين من المسلمين من بلاد السنغال غربا إلى الحدود الغربية لنيجريا (سكوطو) شرقا. وإذا كان انتشار تعاليم الطريقة تحقق بالسلم في المغرب و في بلدان إسلامية أخرى فإن الأمر يختلف، إلى حد ما في إفريقيا جنوب الصحراء التي اقترن وصول التجانية إليها بقوة الحديد و النار. كما هو مسطر في الكثير من الوثائق و الكتابات الأجنبية، غير أن هذا لا يعني في تصورنا أن التجانية كانت في حاجة إلى استعمال القوة، كما تعتمد إظهار ذلك بعض الدارسين الأوروبيين.

إن الشخص المستهدف في هذه القضية المرتبطة بعنف التجانية في إفريقيا جنوب الصحراء هو الشيخ عمر الفوتي مؤسس الزاوية التجانية و ناشر تعاليمها بالسودان الغربي و هو يؤسس دولة إسلامية تجانية بنفس المنطقة. و دون الرجوع إلى الوراثة للتذكير بأهم مراحل حياة الحاج عمر العلمية و السياسية و العسكرية في المنطقة، المبسطة سلفا في ثنايا البحث، نرى أن الانتقادات التي وجهت ضد حركته سواء من داخل السودان الغربي أو من خارجه مسألة عادية جدا، لأن القادة العظام و كبار الأبطال قلما سلموا من سهام المناوئين لهم. فالحاج عمر كان يعتقد أنه صاحب رسالة، وعد نفسه بأداء واجبها حتى النهاية. لكن ماهو الخيط الرابط بين تصوفه التجاني و بين حركته الجهادية؟

يمكن تلمس هذا الربط في واقعية الحاج عمر و عقلانيته رغم تكوينه

الصوفي كما كان الشأن تماما بالنسبة لشيخه الأكبر سيدي احمد التجاني. فقد غادر الحاج عمر بلاده فوتاتورو (السنغال) قاصدا الحجاز لحج بيت الله الحرام وهو في ريعان شبابه، بعد أن تكونت له صورة قاتمة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها أفراد مجتمع بلاده، بسبب غطرسة حكامهم وظلمهم للرعية مسلمين وغير مسلمين. وفي طريقه مر ببلدان سودانية أخرى مثل ماسينا وسيكو، كانت تعيش شعوبها نفس أوضاع التردّي وشاهد بنفس المناسبة الحروب التي كانت تدور رحاها بين إمارتين مسلمتين هما سكوطو وكانم، كما سمحت له زيارة بلاطات هذه الدول سواء في رحلة الذهاب أو العودة والاجتماع بحكامها، باكتساب خبرة لا يستهان بها في تسيير شؤون الدولة.

عاد الحاج عمر من بلاد الحجاز متوجا بلقب خليفة التجانية بالسودان الغربي الذي منحه إياه محمد تالغالي خليفة نفس الطريقة بمكة والمدينة، وهو اللقب الذي سيجعله يعلو ولا يعلا عليه بين الشعوب الإسلامية بالمنطقة. هذه المشروعات الدينية (حج البيت الحرام) التي دأب حكام السودان الغربي على تحمل كل المشاق للحصول عليها منذ قرون مضت من أجل دعم نفوذهم السياسي كما كان يفعل ملوك مالي و سنغاي، دعمها الحاج عمر بمشروعات روحية لم يسبق لها مثيل في بلدان النيجر والسنغال تحدت في الترخيص له من قبل أعلى سلطة تجانية في ذلك الوقت بإعطاء أورااد التجانية وتعيين مقدمين لمساعدته على نشر تعاليم الطريقة بين



المريدين و الأنصار. و زاد من قيمة هذا اللقب علو كعب الحاج عمر في مختلف العلوم الإسلامية، مما جعل منه منارة باسقة العلو، اخترق إشعاعها كل أطراف إفريقيا جنوب الصحراء، و شاعت عنه أخبار الكرامات و الخوارق، فأقبل عليه الناس من كل حدب و صوب طلبا لأوراده، و من خلالها لبركته التي تشفي كل العلل.

و بناء على عقلانية هذا الشيخ التي تحدثنا عنها و واقعيتها و استنارته. و نظرا لوعيه بأهمية الرسالة التي كان عليه تنفيذها تجاه شعوب المنطقة الذين كانوا يرزحون تحت وطأة الظلم و الطغيان فسوف لن يتردد في توظيف سواعد أنصاره و مريديه لتحقيق هدفه القاضي بإعلان الجهاد ضد الفساد، لأن الحكام تجاوزوا المدى في البغي، و ضد الوثنية التي كانت لا تزال تحتفظ ببعض الجيوب بين نهري السنغال و النيجر، و ضد المسيحية المتمثلة في الهجمة الاستعمارية الفرنسية.

فأي عيب إذن في أن يقوم مجاهد مثل الحاج عمر بتوظيف عبقريته الروحية و الزمنية من أجل خلاص المحرومين و المعذبين، و بهدف إعلاء كلمة الله؟

حققت حركة جهاد الحاج عمر الكثير من أهدافها، و لم يكن بإمكان فرنسا التي عانت الكثير من ضرباته، أن تفرض هيمنتها على المنطقة لولا الفتنة الكبرى التي أجبرت الدولة التجانية على التقهقر و الإنهيار عندما وقفت إمارة إسلامية قادرة على الطريقة، هي ماسينا، في وجه زحف قوات

الحاج عمر، مساندة في ذلك بشيوخ تمبكتو القادريين و في مقدمتهم أحمد البكاي. وهذا لا يعني أن الحاج عمر لم يتحمل أية مسؤولية في هذا الإنهيار. فالأخطاء التي سقط فيها كبار قواده و معاناة السكان من معاملة جيش الجهاد السيئة لهم في كثير من الأحيان، كلها عوامل ساهمت في تآكل الدولة التجانية من الداخل، مما جعل صورة القائد الأعلى (الحاج عمر) تتعرض للتشويه و فتح الباب على مصراعيه للمعارضة والعصيان كما حدث لبطلنا ابن عبد الكريم الخطابي في المراحل الأخيرة من ثورته ضد الاستعمارين الإسباني و الفرنسي<sup>1</sup>. إلا أنه رغم هذا الجرح الغائر الذي أحدثه الاقتتال الإسلامي، فإن المتأمل لما يجد بعض العزاء في ما خلفته حركة هذا الشيخ الجهادية الإصلاحية من بصمات قوية تتجلى في توسيع رقعة الإسلام و تجديده و تصحيح مفاهيمه في كل الجهات التي وصلها إشعاعه.

و ما كان لكل هذا الخير أن يعم إفريقيا جنوب الصحراء لولا المدرسة المغربية الدائمة التجدد و الحريصة من خلالها فقهاءها و علمائها على مواصلة إرسال إشعاعها نحو بلدان السودان الغربي.

و أخيرا و نحن نخط السطور الأخيرة لهذا البحث، نود التأكيد على

---

1 - لحسن أغزادي، ابن عبد الكريم و حرب الريف (1921-1926) دكتوراه دولة في التاريخ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ظهر المهرز فاس، السنة الجامعية 1988-1989، ص

موضوع الطريقة التجانية، رغم الجهد الذي بذلناه، لم نتمكن من دراسة كل جوانبها، سواء داخل المغرب أو في السودان الغربي أو في بلدان إسلامية أخرى، وهو المشروع الذي ننوي تحقيقه فيما يستقبل من الزمان بحول الله، كما نأمل أن يقبل باحثون آخرون على الاشتغال في هذا الموضوع، خصوصا في القرن 20م الذي شهد تنامي التيار السلفي بالمغرب، وهو التيار الذي أخذ على عاتقه آنذاك الوقوف في وجه المستعمر، وتنقية الإسلام مما علق به من شوائب، ومن بينها الطريقة التي اتهمت بالشعوذة وتشويه مبادئ الإسلام الصحيح ووقوفها إلى جانب المستعمر.

وفي هذا الصدد تم تكفير التجانيين على يد الفقهاء وغير السلفيين مثل أبي شعيب الدكالي و محمد بن العربي العلوي، مما أثار حفيظة فقهاء التجانية، فتصدوا للدفاع عن الطريقة و شيخها، و ترتب عن هذا الصراع ظهور أدبيات كثيرة في الموضوع من قبل الطرفين المتصارعين.

و في إفريقيا جنوب الصحراء زادت التجانية تجذرا خلال القرن 20م في بلدان أخرى، غير تلك التي ركز عليها البحث. ففي غينيا مثلا، و في نيجيريا و ساحل العاج و غانا أصبحت التجانية هي الطريقة المفضلة، و لم تعد مقتصرة على الزوايا، بل غزت الميدان السياسي باعتبار أن كل من أراد أن يحظى بأغلبية الأصوات أثناء الإنتخابات كان لابد له من أن يخاطب ودّ التجانيين بأي ثمن.

أما موضوع دور الطريقة التجانية في تمتين علاقات المغرب بالبلدان

الإسلامية في باقي إفريقيا وآسيا على الخصوص، فهو موضوع خصب بكل تأكيد، و قمين بأن يعطي له كل الاهتمام.

كانت هذه بعض الأمثلة من الجوانب التي لازالت في حاجة إلى الدراسة بالنسبة للتجانية، خدمة لمعرفة أنفسنا، لأنه إذا كان لنا أن نكون قادرين على امتلاك تصور واضح للمستقبل، فلا بد لنا أن نقدر على تخيل الماضي و استحضاره، هو أمر يبدو أكثر إلحاحا حتى لا تضيع ذاكرتنا بشكل يؤدي إلى الشلل. وهنا يعجبنا أن نختم بهذا القول البالغ الدلالة بالنسبة لما نحن بصدده: «لم يتذكر أولئك الذين شهدوا الماضي سوى جزء منه، و لم يسجلوا سوى جزء مما يتذكرونه، و لم يبق من الزمن سوى جزء مما سجلوه، و لم يسترع نظر المؤرخين سوى جزء مما بقي من الزمن، و جزءاً فقط مما استرعى نظر المؤرخين صادق، و ما أمكن فهمه كان جزءاً فقط مما هو صادق، و جزء فقط مما فهم للمؤرخ تفسيره أو روايته ....»<sup>1</sup>.

و الحمد لله رب العالمين

---

1 - ابراهيم أبراش، قواعد المنهج العلمي في الدراسات التاريخية، الاتحاد الاشتراكي، عدد

## لائحة المصادر و المراجع

### I - المصادر العربية المخطوطة و المطبوعة على الحجر

#### 1 - من الخزانات المغربية

##### أبو القاسم الزياني:

- تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء و السفهاء، أثبتها الزياني ضمن كتابه التاج و الإكليل، مخطوط رقم 2752 ثم رقم 6180، الخزانة الحسنية الرباط.

##### أحمد بابا التمكني:

- معراج الصعود إلى نيل مجلوب السود، مخطوط رقم 7248، الخزانة الحسنية، الخزانة الحسنية، الرباط ثم رقم 1724 بالخزانة العامة، الرباط، ضمن مجموع.

- تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، مخطوط رقم D1641، ضمن مجموع الخزانة العامة الرباط.

- جلب النعمة و دفع النقمة بمجانية العلماء الظلمة، مخطوط رقم 5534، الخزانة الحسنية الرباط.

### **أحمد البكاي:**

- رسالة لأكنسوس في الطريقة التجانية، مخطوط رقم D bis1071  
الخزانة العامة الرباط.

- رسالة إلى أحمد بن أحمد ملك ماسينا، مخطوط رقم 147 ع، خزانة  
علال الفاسي، طريق زعير الرباط.

- الفتح القدوس في الرد على أبي عبد الله محمد أكنسوس، مخطوط  
رقم 2455، الخزانة العامة الرباط.

### **أحمد بن الأمين الشنقيطي:**

- درء النبهاني عن حرم الشيخ التجاني، طبع على الحروف بمصر  
عام 1912/1330.

### **أحمد بن عبد السلام بناني (أبو العباس):**

- المعيار المعرب في فضيحة التجاني بين أهل المشرق و المغرب.  
ذكره صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج II، ص 481.

### **أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي:**

- روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر الطريقة، (خزانة  
الباحث).

- الغضب اليمني في الرد عن شيخنا سيدي احمد التجاني. مخطوط  
رقم 2135/2 د، الخزانة العامة الرباط.

### أحمد التجاني (الشيخ سيدي):

- ورد الشيخ سيدي احمد التجاني، مخطوط رقم 1488 الخزانة العامة الرباط.

- وصيته لجميع الإخوان بأداء الفروض و أعمال البر، مخطوط رقم 2106 د، الخزانة العامة الرباط.

- رسائل أبي العباس التجاني، مخطوط رقم 659، الخزانة العامة تطوان.

### أحمد سكيرج:

- حضرة التداني من شرح أبيات ختم التجاني نسخة مخطوطة بخزانة الباحث.

- الحق المبين في انتصار التجانيين على علماء القرويين، أورد اسمه عبد العزيز التمسmani خلق في مجلة دار النيابة.

- الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية، المطبعة الحجرية، فاس 1329.

- النفحات الربانية في الأمداح التجانية المرتبة على حروف المعجم ترتيب العقد المنظم. طبع على الحجر بفاس (د.ت).

- اليواقيت الأحمديّة العرفانية الربانية في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة التجانية، طبع على الحجر بفاس عام 1318.

**ادريس بن الفقيه الوزير محمد بن ادريس:**

- قصيدة في مدح سيدي احمد التجاني، مخطوط رقم D1071  
الخزانة العامة الرباط.

**الحسين الإفرائي:**

- الخواتم الذهبية في الأجوبة القشاشية، نسخة من المخطوط  
بخزانة الباحث.

- ترياق القلوب من أدواء الغفلة و الذنوب، مخطوط في جزئين  
(خزانة الباحث).

**الطيب السفياني:**

- الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، مخطوط رقم 2106/9  
د، ثم رقم 900 د بالخزانة العامة الرباط. وقد اعتمدنا في البحث على  
النسخة المنشورة.

**عبد الحفيظ (السلطان):**

- كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع المتقولين الذين حادوا عن  
منهاج السنة و أحدثوا اعتقادات لم ترد عن شرح الدين و السنة، طبع على  
الحروف المطبعية المولوية بفاس عام 1327.

**عبد الرحمان الشنجيطي:**

- شهادة الجاني في اختصار أحكام طريقة شيخنا التجاني (خزانة  
الباحث).



### **العربي المشرفي:**

- الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب العجرفي، الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس، مخطوط رقم 2270 ك. الخزانة العامة الرباط.

### **عبد الله الفاسي:**

- مسلك الصلاح و ملهم الرشد و الفلاح في قضية انتصار أهل السودان بالسلطان الجليل المقدس مولانا الحسن، المطبعة الحجرية فاس 1325.

### **عبد الله عال:**

- هذا كتاب ابتداء جهاد شيخنا و وسيلتنا إلى ربنا أمير المؤمنين خليفة رب العالمين، عمر بن سعيد، مخطوط رقم 147 ع، خزانة علال الفاسي طريق زعير الرباط.

### **علي بن الطاهر الوتري المدني (أبو الحسن):**

- ما أبرزته الأقدار في نصرة ذوي المناقب و الأسرار، مخطوط رقم 1575 ضمن مجموع الخزانة العامة الرباط.

### **علي بن عبد الله الشاذلي (أبو الحسن):**

- مجموع الكلام الشاذلي، مخطوط رقم 1030 ضمن مجموع الخزانة العامة الرباط.

### **عمر بن سعيد الفوتي:**

- سيوف السعيد المعتقد في أهل الله كالتجاني على رقبة الشقي الطريد المنتقد التجاني، مخطوط رقم 1/2135 د الخزانة العامة الرباط.
- رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم، مخطوط رقم D1150 الخزانة العامة الرباط وقد اعتمدنا بشكل أساسي على النسخة المنشورة.

### **عمر بن شيخ الإسلام التونسي:**

- جواب على رسالة لعبد الوهاب النجدي، رد فيها على معتقد الوهابي، مخطوط رقم D1164 الخزانة العامة الرباط.
- الفاهم محمد الهاشمي**، رسالة سلاح التجانيين في الرد على المغترين (خزانة الباحث).

### **مالك سي (الحاج):**

- إفحام المنكر التجاني على طريقة سيدنا ووسيلتنا أحمد بن محمد التجاني. جزآن (خزانة الباحث).

### **محمد بن محمد أكنسوس:**

- إجازة أجاز بها علي بن أحمد الوكيل و عدد بها أساتذته الذين لازمهم بمراكش و فاس حتى بلغ بهم أحد عشر (11) شخصا، مخطوط رقم 3634 الخزانة العامة الرباط.
- المسالك الزنجفورية في الأجوبة الطيفورية، مخطوط رقم 1028/1 د، الخزانة العامة الرباط. وقد اعتمدنا على النسخة المنشورة.

- جواب عن رسالة أحمد البكاي، مخطوط رقم 1604 د الخزانة العامة الرباط. و قد اعتمدنا على النسخة المنشورة بالجزائر تحت اسم الجواب المسكت ...

### **محمد بن خليفة المدني:**

- بشارة الجاني و مزيلة ترح العاني في مدح القطب الرباني سيدنا ومولانا أحمد التجاني، أورده صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج I، ص 379.

### **محمد بن الأعرج السليمان:**

- اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب، مخطوط رقم 297، الخزانة الحسنية الرباط.

**محمد بن عبد الكبير الكتاني،** الكمال المتلالي و الاستدلالات العوالي في محاجة أهل التفريط و التعالي و أن فيضان الربوبية المحمدية لا ينقطع بل متتالي، المطبعة الحجرية، فاس 1918.

### **محمد بن عبد الكريم المغيلي:**

- تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار و ما يلزم أهل الذمة من الجزية و الصغار و ما عليه يهود الزمان من الجراءة و الطغيان، مخطوط رقم D1601 ضمن مجموع الخزانة العامة الرباط ثم نسختا الخزانة العامة بتطوان رقم 374 و 942/3.

- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مخطوط رقم 2013/8 د، ثم

رقم 2223 د الخزانة العامة الرباط.

**محمد بن محمد بن عبد السلام كنون:**

- الدر المنظوم في نصرة القطب المكتوم، مخطوط رقم 2/1991 د،

ضمن مجموع الخزانة العامة الرباط.

- النطق المفهوم في حل مشكلة الدر المنظوم، مخطوط رقم

6/2135 د، الخزانة العامة الرباط.

- حل الأقفال لقراءة جوهرة الكمال، طبعة حجرية عام 1320.

- رفع العتاب عمن ترك الزيارة من الأصحاب، مخطوط رقم

3/1028 د ضمن مجموع الخزانة العامة الرباط، طبع على الحجر بفاس

(د.ت).

- شرح ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق (خزانة الباحث)

- الصواعق المرسلّة إلى من أنكر الجهر في الفريضة بالبسملة

(خزانة الباحث).

**محمد بن عبد السلام الناصري:**

- قطع الوتين من المارق في الدين أو الصارم البتار فيمن أفتى ببيع

الأحرار، مخطوط رقم D1079 ضمن مجموع الخزانة العامة، الرباط.

**محمد بن المختار الكنتي:**

- الطرائف التالدة في كرامة الشيخين الوالد و الوالدة، مخطوط رقم

690، الخزانة الحسنية الرباط.

### **محمد بن المشـري:**

- الجامع لما افترق من درر الفائضة من بحار القطب المکتوم، جزآن (نسخة بخزانة الباحث).

- روض المحب الفاني فيما تلقيناه من أبي العباس التجاني، مخطوط رقم 1047 د، الخزانة العامة، الرباط، وهذا الكتاب لا يختلف مضمونه كثيرا عن السابق (الجامع لما افترق ...).

- مناقب سيدي احمد التجاني و هو نسخة مجددة مزیدة من الكتاب الذي كان وضعه علي حرازم برادة في هذا الموضوع حسب قول المؤلف، مخطوط رقم 1354، الخزانة الحسنية الرباط.

### **محمد بن محمد الصغير الشنجيطي:**

- الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على التجاني سيف الإنكار، مخطوط رقم 16. الخزانة الحسنية، الرباط.

### **محمد الحجوجي الحسني:**

- إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، ج I (خزانة الباحث).

### **محمد العربي بن ادريس العلمي اللحياني:**

- أرجوزة منحة الإخوان في الطريقة التجانية. طبعة حجرية، فاس 1320.

- رسالة الترغيب و الترهيب، طبعة حجرية فاس 1320. و توجد في

مجلد واحد مع التأليف السابق.

### **محمد المصباح اليعقوبي:**

- رسائل سيدي محمد أكنسوس مخطوط رقم 375، خزانة الفقيه  
ابن سودة، الزيات فاس.

### **المختار بن وديعة الله:**

- قصيدتان في مدح الشيخ أحمد التجاني، مخطوط رقم D1071  
ضمن مجموع، الخزانة العامة الرباط.

### **المختار الكنتي:**

- الكوكب الوقاد في فضل ذكر المشايخ وحقائق الأوراد، مخطوط  
رقم D16161 ضمن مجموع الخزانة العامة الرباط.

### **مصطفى بن محمد فاضل (ماء العينين):**

- إجازته للسلطان مولاي الحسن، مخطوط رقم D1597 الخزانة  
العامة الرباط.

- الفواكه في كل حين من بعض ألفاظ شيخنا ماء العينين، مخطوط  
رقم D1434 الخزانة العامة الرباط.

### **محيي الدين بن مصطفى البكري الصديقي:**

- الوصية الجليلة للسالكين طريق الخلوتية، مخطوط رقم D1674  
الخزانة العامة الرباط، ضمن مجموع.

## \* وثائق من مديرية الوثائق الملكية - حسان الرباط.

### أ - المخطوطة

- رسالة من المحجوب بن أحمد الجكولي إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 3 صفر 1303 / 1886 يخبره فيها بتهافت أعراب الصحراء وسماسرة السوس الأقصى على شراء الخيل بالأسواق المغربية لبيعوها في أسواق اندر (سان لوي) بالسنگال. سجل رقم 2226، كما توجد نسخة ثانية لنفس الرسالة و بخط أوضح في سجل رقم 2244.

- رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى الحاج عمر الطريس بتاريخ 13 صفر 1309 / 1892، تتطرق لموضوع الحدود المغربية الجزائرية و ما يتوجب على المخاطب الطريس من بذل كل ما يملك من حنكة سياسية لإثبات مغربية توات في التفاوض مع الفرنسيين. سجل رقم 23314.

رسالة من المعطي بن العربي إلى الفقيه السيد محمد الصغير بتاريخ 25 شوال 1311 / 1893 يبلغه فيها أمر السلطان بضرورة تزويد أهل تمبكتو بثلاث مكاحل ذات الست عشرة عمارة. (ملف السودان).

رسالة من علي بن الحاج إلى محمد التازي بتاريخ 10 ربيع الثاني 1301 / 1884 يخبره من خلالها عن استفحال أمر المهدي في السودان النيل. (ملف السودان).

- رسالة من الشيخ ماء العينين إلى السلطان المولى عبد العزيز بتاريخ 6 جمادى الأولى عام 1318 / 1900 يخبره فيها عن بعض أحوال

شنقيط و الصحراء و يشكره على نعمه عليه و أنه وصل إلى أهله بخير.  
سجل رقم 16245.

- رسالة من الشيخ ماء العينين إلى السلطان المولى عبد العزيز  
بتاريخ متم جمادى الأخيرة عام 1318 / 1900 يخبره فيها أن المنطقة  
هادئة باستثناء ما وقع بين نصارى السنغال و سكان أدرار من قتال  
سقطت فيه أرواح من الطرفين. سجل 16138.

- رسالة من محمد العباس الهاشمي السوداني أحد ملوك الخرطوم  
السابقين إلى الوزير أحمد بن موسى بتاريخ 27 حجة عام 1315, 1898  
يخبره فيها أنه مقيم بزاوية الشيخ سيدي احمد التجاني بفاس متغرب عن  
الأوطان، و يطلب منه أن يحقق رغبته في الالتقاء به قبل الرحيل. (ملف  
السودان).

- رسالة من الفقيه محمد بن أحمد الصقلي إلى السلطان مولاي  
الحسن بتاريخ 3 رمضان 1311 / 1893، تفيد بتعذر تقديم المساعدة  
العسكرية إلى كبراء السودان ضد الفرنسيين، بناء على أدلة شرعية. سجل  
رقم 16125،.

رسالة موقعة من قبل مجموعة من علماء فاس إلى السلطان مولاي  
الحسن بتاريخ 8 رمضان 1311 / 1893، تفيد باستحالة تقديم مساعدة  
عسكرية لحكام السودان الغربي المسلمين بتمبكتو، لما يحيط بالمغرب من  
مخاطر، من بين هؤلاء العلماء محمد بن رشيد العراقي، حميد بن محمد



بناني، سيدي محمد بن أحمد الصقلي ... سجل رقم 16128.

- رسالة من محمد بن عبد الرحمان التلميذ الجازولي إلى السلطان المولى عبد الرحمان بتاريخ 30 شعبان 1265 / 1849، يخبره من خلالها بأحوال الصحراء و السودان و بما أرسل إلى مقامه من هدايا قيمة و سلع. سجل رقم 18129.

- رسالة من الحاج عبد الواحد التازي إلى السلطان المولى الحسن بتاريخ 10 رمضان 1311 / 1893، يخبره فيها بمحاولة الفرنسيين التسلل إلى أطراف البلاد الصحراوية و السودانية مثل تمبكتو، و يطلب من السلطان ما يلزم من المدد و العون. م 13.

#### ب - المنشورة

- رسالة من السلطان مولاي سليمان إلى رعاياه سكان منطقة كورارة بإقليم توات. الوثائق المطبوعة الملكية الرباط 1976 - الجزء I، ص 448 الوثيقة رقم 138.

- رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام تتعلق بإرسال حجاج مغاربة من إقليم شنقيط إلى الحرمين الشريفين، الوثائق، ج II، ص 68، الوثيقة رقم 176.

- رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى عامل العرائش تتعلق بإرسال حاجين من إقليم شنقيط إلى الحرمين الشريفين، الوثائق، ج II، ص 125، الوثيقة رقم 196.

- رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى عامل  
العرائش يؤكد فيها أن البيض و شلالة و بوسمغون و تيوت من حساب  
المملكة المغربية، الوثائق، ج II، ص 70، الوثيقة رقم 177.

### **\* وثائق من أرشيف الخزانة الحسنية - الرباط**

- تيسير ركوب لحسن التكني قصد التوجه لأداء فريضة الحج على  
عهد السلطان مولاي عبد الرحمان، الوثيقة رقم 9/7، بتاريخ 1-8-1847

- تيسير ركوب محمد بن حم الكنتي و محمد الكوراني إلى  
الإسكندرية و أداء الكراء عنهما و منح كل واحد منهما كسوة على عهد  
السلطان المولى عبد الرحمان، الوثيقة رقم 16/6، بتاريخ 1-2-1846.

إذن بركوب سيدي احمد الشيخ بن ابراهيم الشنكيطي و تلامذته في  
مركب يوصلهم للإسكندرية من غير شيء يلزمهم و ذلك قصد أداء فريضة  
الحج على عهد السلطان المولى عبد الرحمان. الوثيقة رقم 13/6 بتاريخ  
شتنبر 1845.

- الأمر بإكرام ضيافة محمد المختار الكنتي و تلامذته الثلاثة حتى  
يتيسر ركوبهم إلى الإسكندرية قاصدين الحج و تزويدهم بما يلزم من

المال و زاد على عهد السلطان المولى عبد الرحمان. الوثيقة رقم 19/14،  
بتاريخ 18-7-1841.

- تيسير ركوب أناس من أولاد دليم متوجهين لأداء فريضة الحج  
على عهد السلطان المولى عبد الرحمان، الوثيقة رقم 11/7، بتاريخ  
20-8-1847.

## 2 - من الخزانات الأوربية و الإفريقية.

### 1 - الخزانة الوطنية بباريس (Paris)

توجد هذه الوثائق المخطوطة ضمن مستندات أرشيف  
Fonds Archinard.

مخطوط رقم 5259:

أ - رسائل من أحمد البكاي حول الحاج عمر، من الورقة 64 إلى  
الورقة 68.

ب - رسالة من أحمد البكاي إلى الحاج عمر ينعتة فيها بالدجال، من  
الورقة 71 إلى 73.

مخطوط رقم 5361:

أجوبة المختار بن وديعة الله على بعض الأسئلة من الورقة 4 إلى

## الورقة 6.

مخطوط رقم 5410:

يتضمن هذا المخطوط مجموعة كبيرة من الوثائق العربية السودانية،  
تطرقت لأغراض متعددة إما مؤلفة أو منسوخة فقط من قبل فقهاء و نساخ  
سودانيين تجانين. و نقدم فيما يلي بعضا من عناوين هذه الوثائق:

|                     |                                           |
|---------------------|-------------------------------------------|
| الورقات 51 إلى 54 : | قصيدة في وجود الله و صفاته.               |
| الورقات 54 إلى 61 : | أرجوزة مفسرة في النحو.                    |
| الورقات 61 إلى 65 : | نموذج في أدب فقه المعاملات.               |
| الورقات 66 إلى 70 : | قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير بن أبي سلمى. |

|                       |                                                                                  |
|-----------------------|----------------------------------------------------------------------------------|
| الورقات 71 إلى 75 :   | قصيدة في توحيد الله و التشبث بنبيه.                                              |
| الورقات 95 إلى 117 :  | منظومة بن عاشر في فقه المالكية.                                                  |
| الورقات 132 إلى 137 : | قصيدة في أبنية الأفعال و ما يتصل بها الإمام جمال الدين أبو عبد الله مالك الطائي. |
| الورقات 138 إلى 164 : | شرح القصيدة اللامية المسماة بأبنية الإفعال في علم التصريف للإمام جمال الدين.     |

|                       |                                          |
|-----------------------|------------------------------------------|
| الورقات 166 إلى 176 : | أوراق تحتوي على لغة الحيوانات و طبائعها. |
|-----------------------|------------------------------------------|

- الورقات 177 إلى 191 : نصوص في السيرة وكرامات الأولياء.  
مخطوط رقم 5422:
- الحاج سعيد، تقايد مما وصل إلينا من أحوال أمراء المسلمين  
سلاطين هوسا (إمارة سكوطو)، من الورقة 1 إلى 14.  
مخطوط رقم 5442:
- رسالة من شخص بتكانت Tagant إلى الحاج عمر، من الورقة 182  
إلى 184.  
مخطوط رقم 5457:
- تقرير حول سير بعض المعارك العسكرية لمحمد المكي وأحمد  
التجاني، من الورقة 1 إلى 5.  
مخطوط رقم 5480:
- أ - محمد بن أحمد الخليل التيشيتي يدعو قومه إلى مبايعة الحاج عمر  
و مناصرته. من الورقة 26 إلى 28.  
ب - رسالة اعتذار و ندم عما صدر إلى ألفا عمر. الورقة 72.  
مخطوط رقم 5484:
- رسائل أحمد العلوي الشنقيطي إلى تجانيي المغرب. من الورقة 114  
إلى 116.  
مخطوط رقم 5519:
- أ - قصائد في مدح عدة شيوخ تجانيين من الورقة 51 إلى 54.

- ب - عدد مهم من القصائد و المراسلات من تأليف الحاج عمر و أحمد البكاي و المختار بن وديعة الله. من الورقة 51 إلى 97.
- ج - قصيدة مدحية لمحمد بن عثمان بن أحمد. الورقتان 96-97. مخطوط رقم 5558:
- قصيدة مدحية لمجهول. الورقتان 182-183. مخطوط رقم 5559:
- أ - عقد الجمان لبعض من كرامات الشيخ عمر. من الورقة 41 إلى 50.
- ب - معلومات حول جهاد الحاج عمر و ضمنها إجراءات تحطيم أصنام سيكو. من الورقة 1 إلى 6.
- ج - رسائل محررة من قبل ألفا عمر بايلا Alfa Umar Baïla أحد قواد الحاج عمر البارزين، و ضمنها وصايا حول التمسك بحبل الله. الورقتان 164-165. مخطوط رقم 5561:
- أ - أحمد التجاني بن أحمد رزوق يصفاح النبي صلى الله عليه و سلم في المنام. الورقة 67.
- ب - رسالة حول التشبث ببيعة أحمد المدني بن الشيخ عمر بعد وفاة والده، من أحد مريدي الحاج عمر المسمى سعيد. من الورقة 67 إلى 70.

مخطوط رقم 5564:

مقتطفات من تاريخ فيتوكا Fittuga. الورقة 154.

مخطوط رقم 5569:

الحاج عمر، إفادة الطائفة الإنسية و الجانية من الورقة 17 إلى 23.

مخطوط رقم 5573:

أ - هداية المذنبين إلى كيفية الخلاص من حقوق الله و العباد، من  
الورقة 54 إلى 62.

ب - الحاج عمر، المقاصد السننية لكل موفق من الدعاة إلى الله من  
الراعي و الرعية. من الورقة 90 إلى 145.

ج - أبيات مجمع المثلث من الكلام للشيخ قطرب بن أحمد، من نقل  
محمد السنويسي الفوتاجلوني بلدا التجاني طريقة. من الورقة 146 إلى  
148.

مخطوط رقم 5581:

شرح لمتن الأجرومية للإمام الصنهاجي، من نسخ عبد الكريم  
الناقل. من الورقة 1 إلى 39.

مخطوط رقم 5582:

أ - وثيقة تتعرض بتفصيل لنسب الشيخ سيدي احمد التجاني. الورقة  
53.

ب - إشادة و تنويه بأحمد المدني و طلب معاونته لأداء فريضة الحج،

الورقة 58.

ج - رسائل الفقيه محمد أكنسوس إلى الحاج عمر. الورقة 57، ثم من  
الورقة 84 إلى 87.

مخطوط رقم 5598:

رسالة بيعة و مناصرة إلى أبناء الحاج عمر. الورقتان 128-129.

مخطوط رقم 5599:

أ - حول علاقة أحمد البكاي بمحمد بلو سلطان سكتو. من الورقة 10  
إلى 28.

ب - أجوبة الحاج عمر حول بعض الأجوبة، من الورقة 55 إلى 57.

ج - تأييدات ربانية للجماعة التجانية للمختار بن وديعة الله. من  
الورقة 58 إلى 63.

مخطوط رقم 5603:

أدبيات فقهية وعظية إرشادية لعبد الكريم بن محمد الفوتي. من  
الورقة 106 إلى 111.

مخطوط رقم 5605:

عمر بن سعيد، بيان ما وقع بين الشيخ عمر و أحمد بن أحمد ملك  
ماسينا. من الورقة 2 إلى 29.

مخطوط رقم 5608:

أ - جواب الحاج عمر على بعض الأسئلة. من الورقة 289 إلى 291.



مخطوط رقم 5608:

ب - نقل بعض فقهيات الحاج عمر من كتابه المقاصد السنية، الورقة

289.

مخطوط رقم 5609:

عمر بن سعيد، تذكرة الغافلين. من الورقة 19 إلى 34.

مخطوط رقم 5661:

وثيقة خطية من الحاج عمر يوصي فيها لابنه أحمدو بخلافته في

الحكم. من الورقة 67 إلى 70.

مخطوط رقم 5678:

شنقيطي مجهول الاسم يطلب الورد و النيابة و خطة القضاء من

الحاج عمر. من الورقة 64 إلى 66.

مخطوط رقم 5679:

حول وصول حفيد محمد الغالي إلى السودان الغربي. الورقتان 59-

60.

مخطوط رقم 5680:

من طلبية الحوض إلى الفاهم عمر بشأن النهي عن التعسف في جباية

الأموال. من الورقة 18 إلى 20.

أ - تعلق التجانية و الحاج عمر من تأليف محمد الفاضل بن ابراهيم.

الورقة 4.

- ب - رسالة من أحمد الثالث ملك ماسينا إلى الحاج عمر. من الورقة 6 إلى 11.
- مخطوط رقم 5683:
- تاريخ استخلاف أحمد الكبير (ابن الحاج عمر) لمحمد بن ابراهيم. الورقتان 150-151.
- مخطوط رقم 5684:
- أ - نظم كله دعوات للنجاة من الفتن. الورقة 15.
- ب - رسالة من الحاج عمر إلى أحمد الثالث ملك ماسينا بحمد الله. من الورقة 138 إلى 142.
- ج - قصيدة مدحية لمحمد المكي بن الحاج عمر. الورقة 151.
- مخطوط رقم 5693:
- أ - من عمر بن سعيد إلى محمد الكانمي. الورقتان 1-2.
- ب - قصيدة في مدح أحمد المدني بن الحاج عمر من تأليف المحبوب ابن الإمام عثمان. الورقة 3. ج - رسالتان من ساكنة حلوار Halwar (تورو Toro) إلى الحاج عمر المقيم بسكوتو. من الورقة 4 إلى 7.
- د - رسالة من محمد الجهري بن القاضي أحمد قاضي مرزوق موجهة إلى الحاج عمر، وهو مقيم آنذاك بسكوتو. الورقة 7.
- هـ - رسالة تنويه و تقدير مع طلب إعانة من أمير المومنين أحمد المدني. الورقة 8.

مخطوط رقم 5697:

تباكيات البكاي، من الورقة 29 إلى 42.

مخطوط رقم 5713:

أ - حول اعيذار أهل ولاته عن الإبطال عن الحاج عمر. من الورقة 33 إلى 36.

ب - محمد الهادي، محمد العاقب و محمد الماحي يراسلون أحمد المدني حول أحداث سنة 1862. الورقة 49.

ج - تقرير حول انتصارات الحاج عمر من إعداد أحد تلامذة هذه الأخير بسيكو، الورقة 49 - 50.

د - حول علاقة الحاج عمر السيئة ب يامبا ساخو Yimba Sakho، ملك جيكونو Jégunko الورقة 190.

هـ - فرح و طرب الشيخ محمد بن سيدي عبد الله بإجازة سيدي أحمد التجاني بـخط يمينه للشيخ محمد الشنقيطي الورقة 158.  
مخطوط رقم 5716:

أ - الطريقة التجانية أحسن الطرق لمولاي حبيب بن عبد القادر المراكشي، الورقتان 31-32.

ب - أحمد البكاي ينتقد كتاب الحاج عمر «سيوف السعيد» خاصة و التجانية عامة، من الورقة 32 إلى 40.

ج - رسائل عمر بن محمد الحويصي يرد فيها على أحمد البكاي

مدافعا عن التجانية. من الورقة 182 إلى 185.

مخطوط رقم 5718:

حول أهمية الجهاد من تأليف الحاج عمر الفوتي. الورقة 1.

مخطوط رقم 5721:

رسالة إلى أحمد المدني، من جعفر بن المهدي. الورقتان 81 – 82.

مخطوط رقم 5722:

نظم في الوعظ والإرشاد. الورقتان 134 – 135.

مخطوط رقم 5724:

رسالة سوق الحبيب إلى فهم أسئلة إبراهيم اللبيب من الورقة 61 إلى

66.

مخطوط رقم 5732:

قصيدة بلهجة الفولاني المحلية حول جهاد الحاج عمر. من الورقة

23 إلى 28.

مخطوط رقم 5734:

أ - في مدح التجانية و بعض التجانيين المقربين من الحاج عمر.

الورقتان 114 – 115.

ب - قصيدة لأحمد المدني تؤرخ لبداية جهاد الحاج عمر. من الورقة

116 إلى 127.

مخطوط رقم 5744:

الحث على الجهاد، لمحمد بن عثمان. الورقتان 71-72.

مخطوط رقم 5747:

شنقيطي من أرض الترارزة يخبر الفاهم عمر بسوء حاله من جراء  
نصرته للحاج عمر و حركته. الورقتان 70 - 71.

ب - الأرشيف المالي: مركز أحمد بابا للدراسات و التوثيق  
و البحث (C.E.D.R.A.B).

- محمد بن أحمد، بيان ما جرى، مخطوط رقم 27.

- رسالة من الفقيه محمد أكنسوس إلى الحاج عمر، مخطوط  
رقم 184.

- تخميس قصيدة الفقيه محمد أكنسوس من قبل محمد الأمين  
السوقي، مخطوط رقم 287.

- إجازة محمد بن عبد الواحد النظيفي في الأوراد التجانية  
لمولاي محمد بن مولاي البشير القاضي بتمبكتو مخطوط رقم 9201.

- أحمد البكاي، فتح القدوس في جواب أبي عبد الله أكنسوس ،  
مخطوط رقم 123.

- عمر بن سعيد، أجوبة على بعض الأسئلة الفقهية، مخطوط رقم  
257.

- رسالة من عمر بن سعيد إلى أحمد بن أحمد سلطان ماسينا

و رعيته، مخطوط رقم 947.

- عمر بن سعيد، بيان ما وقع بين الشيخ عمر و أحمد بن أحمد،

مخطوط رقم 182.

- رسالة من أحمد البكاي إلى أحمد بن أحمد ملك ماسينا حول

موضوع بارت Barth، مخطوط رقم 337.

## II - المصادر المحفوظة باللغات الأجنبية

### 1 - الأرشيف السنغالي (دكار - Dakar)

#### أ - وثائق محفوظة:

ANS : 1 B1, pièce 38, les instructions du Marichal de Castries, Ministre de la Marine en 1875, insistant sur la protection à accorder au commerce libre, ce qui nécessite plus par le passé l'intervention du Gouverneur.

2B22, Folio 24, 1843.

2B22, Folio 38, 25 Septembre, 1843.

2B73, Folio 25, 23 Septembre, 1874.

2B74, Folio 20, Années 1878 et 1879.

3B78, pièce 6 et suivantes, 25 Juin 1860.

3B89, pièce 171, lettre de Bouet au ministre de la marine, 6 septembre 1844.

3B97, circulaire de 27 Janvier aux chefs de Njambur.

1D37, pièce (1-2-7-11), 1878.

1D58, pièce 305, Années 1880-1881.

1D69, pièce 83 et 76 à 81, Années 1882-1883.

1D80, Télégramme du Directeur des Affaires politiques au gouverneur; 17 Février 1885.

1D97, pièce 157 et 158, 16 Juin 1889.

5D5, lettre du 18 Janvier 1864.

1G41, pièce 23.

1G50, pièce 11, 20 Novembre, 1879.

1G63, Notice historique sur Omar, pièce 2 (1878), indique que ce dernier est venu à Saint Louis en 1847.

13G5, Triaté du 10 Avril 1859 entre le Lam Toro Amany et le Colonel Faidherbe.

13G8, pièce 56 et 76 et pièce 112 (1854-1878).

13G23, pièce 5, 12 Juin 1856.  
 13G167, pièce 6, Dépêche du commandant de Sénudébu  
 au Gouverneur de saint Louis du 1<sup>er</sup> Juillet 1885. 13G167,  
 pièce 22, Dépêche du commandant de Bakel au Gouverneur  
 de Saint-Louis du 27 Novembre 1885.  
 13G167, pièce 22, dépêche du gouverneur de Bakel au  
 gouverneur de Saint-Louis, du 1<sup>er</sup> Janvier 1856.  
 15G1, pièce 6.  
 15Gç, Chemise 5, pièce 27 (1854 -1877).  
 15G59, pièce 25, 19 Juillet 1880.  
 15 G 62, pièce 1, Mai 1860.  
 15 G62, pièce 2, lettre parvenue à saint Louis le 19 Mai  
 1860.  
 15G62, pièce 7, lettre parvenue à Saint Louis le 23 Juin  
 1860.  
 15G76, pièce 101, expédiée à Kayés le 6 Novembre  
 1886.  
 15G 76, Chemise 3, notes de commandant de Kayés, 5  
 Octobre 1889.  
 15G76, Chemise 2, lettre d'Archinard à ahmadou, 6 No-  
 vembre 1889.  
 15G76, Chemise 2, lettre d'Archinard à Ahmadou, kay-  
 és, le 28 Décembre 1889.  
 15G76, Chemise 2, 16 Janvier 1890.  
 15G76, Chemise 2, ségou, 9 Avril 1890, lettre auto-  
 graphe d'Archinard.  
 15G76, Chemise 2, Dépêche n°1576 du 25 Septembre  
 1843.  
 15G79, Chemise 1, 2 Décembre 1880.  
 15G81, pièce 4, 24 Novembre 1888.



15G81, pièce 10, lettre d'Archinard à Ahmadou, 22 Février 1889.

- **Dupont, Commandant de Bakel**, notice sur la Sénégal (1818 -1821), Fonds Brevié, Cahiers 1 à 7, I.F.A.N/ U.C.A.D.

- **Fond Brevié cahiers 3 et 10.**

**Jwando Bokum (D.)**, el Haj Umar, bandes n°44-45-46 déposées au département de littérature et civilisation africaine de l'I.F.A.N/ U.C.A.D, cité par Madina Ly Tall, un Islam militant en Afrique de l'ouest, op. pp.76-77 et n. 77.

## ب - وثائق منشورة

**Annuaire du Sénégal**, des années 1858 à 1904, Saint Louis, Imprimerie du Gouvernement Bulletin administratif du Sénégal depuis 1819.

**Feuille officielle du Sénégal et Dépendances** (hebdomadaire) 1850-1856.

تجدد الإشارة هنا إلى أن هذه الجريدة (Feuille Officielle) سبقت

جريدة Le Moniteur du Sénégal Dépendances للوجود، ثم توقفت

عن الصدور لتحل محلها هذه الأخيرة من 1856 إلى 1860. وفي سنة

1862 عادت Feuille officielle لنشاطها حتى سنة 1863 لتعوضها

le Moniteur du Sénégal مرة أخرى من 1864 إلى 1891، لكن

بعد سنة 1892 استعادت Feuille officielle مكانتها بشكل نهائي

و كانت وفيه لحكومة المستعمرة الفرنسية بالسنگال و تنطق باسمها.

و الأعداد التي وثقنا بها بحثنا هي:

- Moniteur du sénégal et Dépendances du 25 Avril 1856.

- Moniteur du sénégál et Dépendances du 15 Septembre 1857.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 8 Février 1858.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 27 Avril 1858.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 4 Mai 1858.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 28 Septembre 1858.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 26 Octobre 1858.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 11 Janvier 1859.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 8 Mars 1859.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 5 Juillet 1859.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 30 Août 1859.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 7 Septembre 1859.
- Feuille officielle du Sénégal et Dépendances, 17 Juillet 1860.
- Moniteur du sénégál et Dépendances du 2 Mai 1865.

## 2 - الأرشيف الفرنسي

- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal I, 41b, lettre du 11 Mars 1855.
- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal I, 41b, lettre du 27 Juillet et du 1<sup>er</sup> Octobre 1855.
- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal I, 48, Instruction du ministre, Comte de Chasseloup-Laubat à Jauréguiberry, Orientation de la politique d'expansion vers les rivières du Sud (1861).
- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal I 40 à 44, 46

à 50, 56, 73. Correspondance générale avec le Gouverneur, 1859 - 65, 1869 -73, 1885 -6.

- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal II, 7 mémoires généraux de Carrère au sujet d'Oumar, 1855.

- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal III, 2 journal de voyage de l'ingénieur des Mines, grandin (1817).

- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal III, Instructions et rapports de mission Brédif et Chastellus (1817).

- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal III, 10 bis b, Mission Gallieni du haut-Niger (1880-1881).

- **Archives Nationales**, S.M.O, Sénégal IV 73.

Information par le gouverneur du Sénégal.

b) Chemise 344 : contient deux des trois exemplaires authentiques et signés du Traité de Nango.

Archives des Affaires Etrangères (Paris), Angleterre, correspondance politique, volume 152.

- La France dans l'Afrique Occidentale. Ministère de la Marine et des Colonies, Paris, 1844.

- Annales Sénégalises suivies de Traité passés avec les indigènes, Paris, 1885.



### III - المصادر و المراجع المنشورة و المرقونة

أ - باللغة العربية:

ابراهيم نياس (الحاج):

- كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس، مطبعة مصطفى باهي  
الخلبي، مصر 1952.

- البيان و التبیین عن التجانية و التجانيين، مطبعة قسا كانو،  
نجيريا، د.ت.

ابن بابا الشنقيطي العلوي التجاني:

- منية المريد في الطريقة التجانية، تونس، د.ت.

ابراهيم شحاتة:

- أطوار العلاقات المغربية العثمانية، الإسكندرية 1981.

أبو بكر القادري:

- الشيخ عبد القادر الجيلاني و دوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء  
العالمين الآسيوي و الإفريقي، الدار البيضاء 1999.

أبو طاهر المغربي:

- افحام الخصم المله في الدفاع عن الشيخ الممد، تونس 1347.

أبو بكر عتيق خضر الكشني التجاني:

- حصول الأمان في المقدم التجاني و نجيريا و طبع بإشراف مكتبة

القاهرة بالأزهر الشريف، مصر، 1956.

**أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي:**

– مسامرات الظريف بحسن التعريف. تحقيق و تعليق الشيخ محمد

الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي بيروت 1994، جرآن.

**أبو القاسم الزياتي:**

الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا، تحقيق و تعليق عبد

الكريم الفيلاي ودار نشر المعرفة، الرباط 1991.

**أحمد الأزمي:**

– مساهمة في دراسة العلاقات المغربية الفرنسية على عهد مولاي

إسماعيل (1672 – 1727)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ،

نوقش بكلية آداب المهران، فاس في شهر يونيو 1987.

**أحمد بن ابراهيم (أبو العباس) الماجري:**

– المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، المطبعة

المصرية 1923.

**أحمد بن الأمين الشنقيطي:**

– الوسيط في تراجم أدياء شنقيط القاهرة 1958.

**أحمد بن حجر (الشيخ) بن محمد آل أبو طامي آل بن**

**علي:**

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب : عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية  
و ثناء العلماء عليه. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، د.ت.

### **أحمد التوفيق:**

- التاريخ و أدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن أعمال  
ندوة : التاريخ و أدب المناقب، منشورات عكاظ. الرباط 1989.

### **أحمد بن خالد الناصري:**

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء 1956, 7

و8.

### **أحمد بن محمد التجاني الشنقيطي:**

- الفتوحات الربانية في الطريقة التجانية، دار الكتاب، الدار البيضاء.

د.ت.

### **أحمد بن محمد التجاني:**

- السر الأبهر في أورااد القطب الأكبر سيدي أحمد التجاني، دار

الكتاب الدار البيضاء، د.ت.

### **أحمد سكيرج :**

- كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب،

المكتبة الشعبية، ببيروت 1988.

- رفع النقاب بعد كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من

الأصحاب، قدم عليه و ترجم للمؤلف مقدم الزاوية التجانية الكبرى بفاس،

العلامة إدريس العراقي الحسني، مطبعة الأمنية الرباط 1975. أربعة أجزاء.

- سبيل الرشاد في المحاور بين ذوي الانتقاد و الاعتقاد، المطبعة الجديدة، فاس 1358.

- الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح، مطبعة النهضة، تونس 1357.

- السر الرباني في رد ترهات ابن مايابي العاني التي تبجح بها في تأليفه مشتهى الخارق الجاني، مطبعة العرفان. الدار البيضاء. جزآن:  
الجزء الأول سنة 1356 والجزء الثاني سنة 1357.

- رسالة الثناء الأحمدى التجاني على مظهر الفتح مولانا الشيخ فتح الله البناني - الرباط 1349.

- العدة من إنشاء همزية من البردة. تونس 1339.  
- الشطحات السكيرجية، مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر، مصر، 1352.

- النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية، مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر، مصر 1352.

- تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقتها إلا من كان له إذن صحيح طول الزمان و لا يصح تلقينها عمن يلقي غيرها من الطرق كيف ما كان. مطبعة النهضة، تونس 1921.



- بلوغ الأماني بالإجازة لمريد الورد التجاني، المطبعة الأهلية، درب  
الفاشي - الرباط، د.ت.

- طرق المنفعة في الأسئلة الأربعة، مطبعة شارع فرنسا  
1927/1345.

جناية المنتسب العاني فيما نسب بالكذب للشيخ التجاني دار الطباعة  
الحديثة 1389.

### **أحمد عامر صامب:**

- الأدب السنغالي العربي. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،  
الجزائر 1979.

### **ادريس العراقي:**

- اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني و بطريقته  
وزاويته الأم التجانية، مرقون ضمن أعمال ندوة الطريقة التجانية التي  
انعقدت بفاس من 23 إلى 29 دجنبر 1985.

### **امحمد بن أحمد بن يوره الديماني:**

- إخبار الاحبار بأخبار الابار، ترجمة بول مارتي Marty ص،  
تحقيق أحمد ولد لحسن، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط  
1992.

### **أمين محمد الفطواكي:**

- التربية في الطريقة التجانية في ضمن الأجوبة البعقلية دون ذكر

مكان الطبع و لا زمانه.

**ب.ج. روجرز:**

- العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900. ترجمة و دراسة و  
تعليق يونان لبيب رزق. الدار البيضاء 1981.

**ب.د. كورتن:**

- الاتجاهات الحديثة في البحوث التاريخية الإفريقية  
و إسهامها في التاريخ بصورة عامة، ضمن تاريخ إفريقيا العام، اللجنة  
الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا (اليونسكو 1980). المجلد I، الفصل III.

**ج.د. فاج:**

- تطور التدوين التاريخي في إفريقيا ضمن تاريخ إفريقيا العام،  
اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام. اليونسكو 1980. -  
المجلد I. الفصل I.

**ج. فانسينا:**

- المآثور المنقول و منهجيته، ضمن تاريخ إفريقيا العام. اللجنة  
الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا اليونسكو 1980 المجلد I، الفصل VII.  
**جرمان عياش**، دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية  
للناشرين الباحثين. الرباط 1986.

**حسين حسن الطماوي :**

- المورد الرحماني في رد حصول الأمانى طبع على نفقة عبد الكريم

العطار ناشر لواء الطريقة في جميع الأنحاء، دون ذكر مكان و لا زمان الطبع.

- هدم مشتهى الخارق الجاني من الأساس، القاهرة د.ت. و قد ألف هذا الكتاب للرد على ابن مايابي عدو الطريقة التجانية.

### **الخليل النحوي:**

- بلاد شنقيط، المنارة و الرباط. تونس 1987.

### **خير الدين الزركلي:**

- الإعلام دار العلم للملايين. بيروت 1992.

### **سليمان بن عبد الوهاب (الشيخ):**

- الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، مطبعة الكمال بجوار الأزهر الشريف مصر، د.ت.

### **شارل أندريه جوليان:**

- تاريخ إفريقيا، ترجمة طلعة عوض أبازة، مراجعة عبد المنعم ماجد. القاهرة 1968.

### **شوقي عطى الله الحمل :**

- المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس - الجزائر المغرب) القاهرة 1977.

- تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها، معهد الدراسات و البحوث الإفريقية، مكتبة الأنجلو المصرية 1971.

الطالب أحمد بن طوير الجنة الحاجي الوداني، تاريخ ابن طوير  
الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم، منشورات معهد الدراسات  
الإفريقية. الرباط 1995.

### **الطيب أحمد بن هاشم:**

- الفيض الرباني في مدح الشيخ أحمد التجاني، المطبعة الحسنية.  
مصر 1327/1909.

### **العباس أحمد بن عبد الله المكي الشنجيطي:**

- بلوغ الأمان في مناقب الشيخ أحمد التجاني. تونس  
1215/1878.

### **العباس بن إبراهيم المراكشي:**

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

المطبعة الملكية الرباط 1975، الجزآن 3 و 7.

**عبد الجليل التميمي،** بحوث و وثائق في التاريخ المغربي (1816  
- 1871)، الدار التونسية للنشر، 1972.

### **عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي:**

- موقف الحركة السلفية من التصوف و الصوفية، دار السلام  
للطباعة و النشر و التوزيع والترجمة، 1988.

### **عبد الحفيظ (سلطان المغرب) :**

- كشف القناع عن طوائف الابتداع، فاس 1327.

- الجامعة العرفانية الوفية بشروط و جل فصائل أهل الطريقة  
التجانية، تونس 1930.

### **عبد الرحمان بن زيدان:**

- اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الدار البيضاء  
1990. 5 أجزاء.

### **عبد الرحمان بن يوسف الجوسقي:**

- الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية. مؤسسة مكة للطباعة و  
الإعلام 1976. المدينة المنورة.

### **عبد الرحمان التجايجي:**

- الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي  
اعزازي، مراجعة محمد الأسطي الجماهيرية العربية الليبية الشعبية  
الاشتراكية، طرابلس 1982.

### **عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري:**

- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1960،  
جزآن.

### **عبد العزيز سليمان نوار و عبد المجيد نعنعي:**

- التاريخ المعاصر، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية  
الثانية، دار النهضة العربية، 1973.

**عبد العزيز الشناوي و جلال يحيى:**

- وثائق و نصوص التاريخ الحديث و المعاصر، دار المعارف،  
الإسكندرية 1969.

**عبد القادر زبادية:**

- مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، المركز الوطني للنشر  
والتوزيع، الجزائر، د.ت.

**عبد الله (سيدي) بن محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة  
العلوي التيشيتي:**

- ضالة ، تحقيق و دراسة أحمد ولد لحسن، منشورات المنظمة  
الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، اسيسكو ISESCO، 1996.

**عبد الله بن محمد بن فودي:**

- ضياء السياسات و فتاوي النوازل، مما هو من فرع الدين من  
المسائل، تقديم و تحقيق أحمد محمد كاني، الزهراء للإعلام العربي،  
القاهرة 1988.

**عبد الله التجاني الإبراهيمي:**

- الردود حول افتراءات محمد بن الأنصاري على الطريقة التجانية،  
نشر مكتبة جمهورية مصر بالقاهرة.

### **عبد الله الجراري:**

- ورقات في الأولياء الرباط و مساجده وزواياه، 1399 دون ذكر مكان الطبع.

### **عبد الله عبد الرزاق ابراهيم:**

- أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، القاهرة 1990.

### **عبد الهادي التازي:**

- رسائل مخزنية، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1970، و القسم الأول.

### **عبد الوهاب بنمنصور:**

- مناقب أهل الصحراء في تشييد صرح الأمة المغربية الغراء، المطبعة الملكية، الرباط، 1975.

### **عبيدة (سيدي) بن انبوجة الشنقيطي التيشيتي:**

- ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية مصر، د.ت.

### **عثمان بن فودي:**

- حصن الأفهام من جيوش الأوهام، مطبعة الزاوية التجانية بالقاهرة، د.ت.

### **علال الفاسي:**

- التصوف الإسلامي في المغرب، إعداد عبد الرحمان بن العربي الحريشي، مطبعة الرسالة الرباط 1998.

### **علي ابراهيم طرخان:**

- دولة مالي الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 1973.

### **علي حرازم برادة:**

- جواهر المعاني و بلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس  
التجاني، و بهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم لعمر  
ابن سعيد الفتوي الكدوي، دار الجيل بيروت 1988، جزآن.

### **على شود كيفيش:**

- الولاية و النبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، ترجمه  
من الفرنسية و قدم له الدكتور أحمد الطيب، دار الزرقاء للنشر و الخدمات  
الثقافية، مراكش 1999. Edition gallimard 1986.

### **عمر بن سعيد الفتوي:**

- رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم بهامش كتاب جواهر  
المعاني، دار الجيل بيروت 1988، جزآن.

### **عمر بن قدور الجزائري:**

-الإبتداء و الإعادة في مسلك سائق السعادة، الجزائر 1928.

### **عمر بن محمد علي بن الشيخ ابراهيم الرياحي:**

- تعطير النواحي بترجمة الشيخ ابراهيم الرياحي، مطبعة بكار،  
تونس 1320، جزآن.

### **فرج محمود فرج:**



- إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين،  
دراسة الأوضاع الإقليم السياسية و الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية مع  
تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد بن بابا حيدة،  
أطروحة الدور الثالث في التاريخ، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية  
- دائرة التاريخ الجزائر 1977.

### **فانسان مونتاي:**

- الإسلام في إفريقيا السوداء، ترجمة إلياس، بيروت 1983.

### **كعب بن زهير:**

- بانث سعاد : تحقيق و تعليق عبد الرحيم يوسف الجمل، المطبعة  
النموذجية، الحلمية الجديدة، مصر 1990.

### **لحسن أغزادي:**

- ابن عبد الكريم و حرب الريف 1921 - 1926 دكتوراه دولة في  
التاريخ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ظهر المهرار فاس، 1988 -  
1989 (مرقونة).

### **لوثرروب ستودارد:**

- حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض تعليق الأمير  
شكيب أرسلان، دار الفكر بيروت 1973، 4 أجزاء.  
**ليفني بروفانصال**، مؤرخو الشرفاء، ترجمة عبد القادر الخلافي،  
الرباط 1977.

**ماك كوك:**

- الروايات التاريخية عن تأسيس سجل ماسة و غانة، تعريب، وتعليق  
محمد الحمداوي، الدار البيضاء 1395.

**محمد الأخضر:**

- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، الدار البيضاء  
1977.

**محمد الأخضر بن ماياي الجكني الشنقيطي:**

- مشتهى الخارق الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، دار إحياء  
الكتب، مصر 1376.

**محمد أديب المكي:**

- رسالة بلوغ الأمان في مناقب الشيخ سيدي أحمد التجاني،  
مطبعة الحاج أحمد الأزرق، فاس، عام 1315.

**محمد أكنسوس :**

- الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجل ماسي،  
تقديم و تحقيق و تعليق أحد حفدته أحمد بن يوسف الكنسوسي، مراكش  
1994، الجزء الأول.

- الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التجاني  
بلا تثبت، المطبعة الثعلبية الجزائر 1913.

- الحل الزنجفورية في الأسئلة الطيفورية، دار الرشاد الحديثة الدار

البيضاء، د.ت، مع الإشارة إلى أن نفس العمل يوجد بالخزانة العامة  
مخطوط رقم 2028/1 د تحت عنوان المسائل الزنجفورية في الأجوبة  
الطيفورية.

### **محمد البرتلي الولاني:**

- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد ابراهيم  
الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981.

### **محمد بلو بن عثمان بن فودي:**

- انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي،  
منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 1996.

### **محمد بن أبي بكر بن محمد الشابي البيضاوي الأزرفي:**

- أزهار البساتين في المرحلة إلى السوادين. مطبعة الأندلس. الدار  
البيضاء، د.ت.

### **محمد بن الأعرج السليمان:**

- اللسان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب. مطبعة أمنية  
1971. محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الأنفاس و محادثة  
الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس. مصورة عن نسخة الطبعة  
الحجرية بفاس في 3 أجزاء.

### **محمد بن خطير الدين العطار:**

- الجواهر الخمس، دار الفكر، (د.ت).

### **محمد سالم بن لحبيب بن احسين بن عبد الحي:**

- جوامع المهمات في أخبار الرقيبات، تحقيق و تقديم مصطفى ناعمي، الدار البيضاء 1992.

### **محمد بن السيد المختار لبتجاني الشنقيطي :**

- غاية الأمان في مناقب و كرامات الشيخ سيدي احمد التجاني، دار العلم للجميع، د.ت.

- ترياق الفهوم في شم رائحة القطب المكتوم، المطبعة الإسلامية بالأزهر، مصر 1354.

### **محمد بن شريفة :**

- ابراهيم الساحلي و دوره الثقافي في مملكة مالي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 1992.

- ابراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب و بلاد السودان، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 1991.

- نساهمة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا خلال القرنين الخامس و السادس عشر : زيارة عبد الرحمان سقين إلى بلاد الحوس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 1993.

### **محمد بن عبد القادر الجزائري:**

- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح و تعليق الدكتور ممدوح حقي دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر

1964.

**محمد بن عبد الكريم المغيلي:**

– أسئلة الأسقية و أجوبة المغيلي، تقديم و تحقيق عبد القادر زبادية،  
الحركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، (د.ت.).

**محمد بن علي دينية،** مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء  
و صلحاء الرباط، مطابع الإيتقان الرباط 1986.

**محمد بن عبد الواحد النظيفي السوسي:**

– شرح الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة، دار الفكر 1984، 4  
أجزاء.

**محمد بن محمد الحجوجي الحسني:**

– تيسير الأمانى لقراء شهدة الجاني، المطبعة البلدية الفاسية  
بالمكينة 1338.

**محمد بن محمد الصغير بن انبوجة العلوي التيشيتي:**

– الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التجاني سيف  
الإنكار، طبع على الحجر بفاس عام 1319، و طبع بالقاهرة على هامش  
بغية المستفيد لابن السائح (د.ت)، و طبع مرة أخرى بالقاهرة مستقلا عام  
1 9 3 8 .

و على هذه الأخيرة اعتمدنا في بحثنا.

### **محمد تقي الدين الهلالي:**

- الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية 1977، دون ذكر مكان الطبع.

### **محمد الحافظ المصري :**

- الحاج عمر الفتوي سلطان الدولة التجانية بغرب إفريقيا، شيء من جهاده و تاريخ حياته، مصر 1383.

- أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية، دار الطباعة الحديثة 1963.

قصد السبيل في الطريقة التجانية، الزاوية التجانية الكبرى، مصر 1948.

### **محمد خليل الهجرسي:**

- الجوهر النفيس على صلوات ابن ادريس، بولاق مصر 1310. و هو مختصر شرحه الأكبر المسمى بالفتوحات المدنية على الصلوات القدسية الإدريسية بالمدينة المنورة.

### **محمد خير فارس:**

- المسألة المغربية، القاهرة 1961.  
- تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912 - 1939، دمشق 1972.

### **محمد الزهري الغمراوي:**

- أحزاب و إراد القطب الرباني والعارف الصمداني سيدي احمد  
التجاني، دار إحياء الكتب العربية، مصر 1340.

### **محمد سعد بن عبد الله الرباطي:**

- الدرر السنية في شروط و أحكام أورد الطريقة التجانية، القاهرة  
1955.

- الصراط المستقيم في الرد على من نسب للسادة التجانية بأن  
صلاة الفاتح أفضل من القرآن الكريم، القاهرة 1955.

### **محمد السيد التجاني:**

- غاية الأمان في مناقب و كرامات أصحاب الشيخ سيدي احمد  
التجاني، دار العلم للجميع (د.ت).

### **محمد الشافعي الطصفاوي:**

- الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، دار الكتاب، الدار  
البيضاء (د.ت).

### **محمد الضعيف الرباطي:**

- تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق و تعليق و تقديم أحمد العماري، دار  
المأثورات، الرباط 1968.

### **محمد الطاهري مغيري:**

- الشيخ ابراهيم نياس السنغالي، حياته و آراؤه و تعاليمه، بيروت

1981.

**محمد الطيب السفياني:**

- الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، مصر 1389 هـ.

**محمد عبد الله عنان:**

- فهارس الخزانة الملكية، المجلد الأول، فهرس قسم التاريخ و كتب الرحلات، الرباط 1908.

**محمد العربي بن السايح:**

- بغية المستفيد لشرح منية المريد، دار الفكر 1973.

**محمد علوان الجوسقي:**

- النفحة القدسية في السيرة الأحمدية التجانية، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د.ت).

**محمد الغربي:**

- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، (د.ت).

**محمد فال أباه بن عبد الله العلوي:**

- رشق السهام في ما في كلام المنكر على الشيخ التجاني من الأغلاط والأوهام، مطبعة الأمنية، الرباط 1974.

**محمد الفاهم الهاشمي:**

- الأجوبة الهاشمية عن الأسئلة المدنية، دار الطباعة التجانية،



القاهرة، (د.ت).

**محمد القبلي:**

- تقديم لموضوع ندوة التاريخ و أدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.

**محمد المختار السوسي:**

- المعسول، المحمدية 1960، ج 4.

**محمد مناشو،** مجموع قمع التعصب و أهواء أعداء التجاني بالمشرق و المغرب، تونس 1926.

**محمد النظيفي السوسي :**

- الدرة الخريدة : شرح الياقوتة الفريدة، دار الفكر، 1984، جزآن.  
- الطب الفائح و الورد السائح في صلاة الفاتح، مطبعة المشهد الحسني، القاهرة، (د.ت).

**محمد المنوني :**

- مظاهر يقظة المغرب الحديث، مطبعة الأمنية، الرباط، 1973.  
- من حديث الركب المغربي، تطوان 1953.  
- المصادر العربية بتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط 1989، جزآن.

**مصطفى محمد العلوي:**

- إفادة التجاني بما ليس في كتاب جواهر المعاني من عقيدة ، أقوال

السيد أحمد التجاني، مطبعة الأمنية. (د.ت) و لا مكان.

**محمد بن محمد اليدالي (الشيخ):**

– نصوص من التاريخ الموريتاني، تقديم و تحقيق محمد ولد بابه،  
بيت الحكمة قرطاج 1990.

**محيي الدين بن عربي:**

– عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب. المطبعة  
الرحمانية – مصر. (د.ت).

**محيي محمد ابراهيم:**

– مدرسة أحمد بن ادريس المغربي و أثرها في السودان، دار  
الجيل. بيروت 1993.

**مصطفى ناعمي:**

– الصحراء من خلال بلاد تكتة : تاريخ العلاقات التجارية  
والسياسية، منشورات عكاظ. الرباط 1988.

**منصف عبد الحق:**

– الكتابة و التجربة الصوفية (نموذج محيي الدين بن عربي)،  
منشورات عكاظ، الرباط 1988.

**نعيم قداح:**

– إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الجزائر 1975.  
**يحيي بن شرف الدين النووي،** شرح الأربعين في الأحاديث

الصحيحة التبوية. الإسكندرية. (د.ت).

**يوسف بن اسماعيل النبهاني :**

- جامع كرامات الأولياء. دار الفكر، بيروت 1993 جزآن.

- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، مطبعة الباي الحلبي،

القاهرة 1973.

**- يوسف وديعة الله صمب السوداني:**

- ضياء النهار لأبطال شبه الأنوار تونس. (د.ت).

## 2 - باللغة الفرنسية :

**Abadié (M. Colonel)**, Nos richesses Soudanaises et le chemin de Fer transsaharien, Paris, 1928.

**Abitbol Michel**, Tombouctou et les Arma, Maisoneuve et larose, Paris, 1979.

**Akhchichine Tamouh (Z)**, la Maroc et le Soudan au 19<sup>e</sup> s (1830 -1894), thèse de doctorat de 3<sup>e</sup> cycle, Paris, Sorbone, 1982 (dactylographié).

**Abun-Nasr jamil**, the Tijaniyya, a sufi order in the mader world, Oxford University press, London, New york, Toronto, 1965.

**Ancelles (J.Cap.)**, les explication au sénéral at dans les contrées voisines, Paris, 1886.

**André (P.J.Cap.)**, L'Islam noir, Tijaniya, Sénoussia, Ahmadia, contribution à l'Edude de confréries religieuses Islamiques en Afrique occidentale, Paris, 1924.

**Anonyme (faidherbe)**, Annales Sénégalaises, suivies de Traités passés avec les indigènes, Paris, 1985.

**Arcin (A)**, histoire de la Guinée française, Paris, 1911.

**Bâ Amadou (hampaté) et daget (J.)**, l'Empire peul du Macina (1818 -53), Dakar, I.F.A.N, 1955 et Paris 1962, Vol.1.

**Bah (T.M)**, Cheikhs et Marabouts maghrébins prédicateurs dans l'Adamawa (nord cameroun), Publication de l'I.E.A.R, 1995.

**Baptiste Labat (J.R.P)**, nouvelle relation d'Afrique occidentale, Paris, 1928 - 1731.

**Baron d'Estournelle de Constant**, les congrégations religieuses chez les Arabes et la Conquête de l'Afrique du Nord, Paris, 1987.

**Barralough (J.)**, Tendances Actuelles de l'histoire, Paris 1980.

**Barry (B.)**, le royaume du Walo: le sénégal avant la conquête, préface de samir Amin, paris, 1972.

**Barry (I.)**, le Royaume peul du Macina de 1845 à la veille de la conquête Toucouleur, Etude socio-Historique, bamako, école Normale Supérieure, Mémoire de maîtrise, 1975.

**Barth (H.)**, voyages et Découvertes dans l'Afrique septentrionales et centrale pendant les années 1849 à 1855, Paris, 1860, 4 Vol.

**Bathily (A.)**, Impérialism and colonial expansion in senegal in the nineteenth century with particular reference to economic social and political developpements of the Kingdom of Gajaga, Center of West Africa Studies if Birmingham, 1975.

**Ben Abdallah (A.)**, la Tajania : une voie Spirituelle et Sociale, Marrakech, 1999.

**Berque (J.)**, l'Intérieur du Magrehb, 15 - 19<sup>e</sup> s, Paris 1978.

**Bonifaco (A.)**, et Michaud (J.), l'époque contempo-

raine (1789 - 1970), Paris, 1975.

**Bonet Maury (G.)**, l'Islamisme et le Christianisme en Afrique, Paris, 1906.

**Boulègue (J.)**, la Traite, l'Etat, l'Islam : les ryaumes Wolof du 15 au 18 s, Thèse de Doctorat d'Etat, Paris, 1986.

**Boutaleb (B.)**, et autres, Histoire du Maroc, Casablanca, 1976.

**Boyer (G.)**, Un Peuple de l'Ouest Soudanais, les Diawara, dakar, mémoires I.F.A.N, 1953.

**Barasseur (P.)**, Bibliographie générale du Mali, I.F.A.N, Dakar, 1964.

**Breveté (G.Cmdt)**, la pénétration en Mauritanie, Paris, 1926.

**Brigaud (F.)**, Histoire Traditionnelle du sénégal, Saint-Louis, 1952.

**Bruguère (A.)**, dictionnaire des sciences historiques, Paris, P.U.F, 1986.

**Brunel (R.)**, Essai sur la confrérie religieuse des Aïssaoua au Maroc, Paris, 1926.

**Brunschwig (H.)**, le partage de l'Afrique noire, Paris 1971.

**Canale (J.S)**, l'Afrique noire, géographie, civilisation, Histoire, Paris, 1973.

**Caillé (R.)**, Journal d'un Voyage à Tombouctou et à Jenné pendant les années (1824 - 1828), Paris, 1830, 3 Vols.

**Carrère (F.) et Holle (P)**, de la Sénégalie française, Paris 1855.

**Cedetin**, l'Impérialisme française, Paris, 1980.

**Chtatou (M.)**, Using Arabic Script in Writing the languages of the people of the Muslim Africa, Publication de l'I.E.A.R, 1952.

**Cissoko (S.M)**, contribution à l'histoire politique des royaumes de khasso dans le haut Sénégal, des origines à la

conquête française, 17<sup>e</sup> s à 1890, Doctorat d'Etat, Université de Paris, 1979.

**Coppolani (X.), et Octave (D.),** les confréries religieuses musulmanes, Alger, 1897.

**Coquery Vidrovitch (C.) et Moniot (H),** l'Afrique noire de 1800 à nos jours, P.U.F, Paris, 1974.

**Cornevin (M.),** Histoire de l'Afrique contemporaine, Paris, 1978.

**Coursier (A.),** Faïdherbe du Sénégal à l'Amérique du Nord, Paris 1989.

**Cultru (P.),** Histoire du Sénégal du 15 s à 1870, Paris, 1910.

**Diafosse (M.),** Haut Sénégal - Niger, Paris 1912, T.1.

**Démougeot (A.),** note sur l'organisation politique et administrative de Labé Avant et depuis l'occupation française, Paris, 1914.

**Drague (G.),** Esquisse d'histoire religieuse, Cahier de l'Afrique et l'Asie, Paris, 1951.

**Dramani Issifou (Z.),** l'Afrique noire dans les relations internationales au 16<sup>e</sup> s, Analyse de la crise entre le Maroc et le Songhay, Paris, 1982.

**Duclerq,** Recueil des Traités de la France, Paris, 1880 - 1919.

**Ducoudray (E.),** el haj Omar, le prophète armé, Abidjan, 1983.

**Dumont (F.),** l'Anti-Sultan ou Al Hajj Omar Tal Fouta, combattant de la foi, Paris 1974.

**Elimine Kane (A.),** Influences culturelles dans les rapports Maroc-Sénégal, Publication de l'I.E.A.R, 1992.

**Faïdherbe (L.),** la France dans l'Afrique occidentale, Paris, 1889.

**Frey (L.),** Compagne dans le haut Sénégal et le haut

Niger, (1885 -1886), Paris, 1888.

**Frisson (R.)**, Djebel Amour, Paris, 1978.

**Froelich (J.C.)**, les musulmans d'Afrique noire, Paris, 1962.

**galliéni (J.)**, Deux campagnes au Soudan Français (1886-1888), Paris, 1891.

**Ghali (N.)**, Mahibou (S.M.) et Brenner (L.), Inventaire de la Bibliothèque Umarienne de Ségou, E.D. du C.N.R.S, Paris, 1985.

**Gouilly (A.)**, l'Islam dans l'Afrique occidentale française, Paris 1952.

**Gravier (G.Éditeur)**, Voyage à Ségou de Paul Soleillet (1842-1886), rédigé d'après les notes et journaux de Soleillet, Paris, 1887.

**Gros (J.)**, les Voyages et découvertes de Paul Soleillet dans le Soudan, Paris, 1980.

**Hardy (G.)**, La mise en valeur du Sénégal de 1817 à 1845. Paris Larose, 1921.

**Hargreaves (D.)**, Prélude to the partition of west Africa. Londres, Mac Millan, 1963.

**Hecquard (H.)**, voyage sur la Côte et dans l'intérieur de l'Afrique occidentale, Paris, 1885.

**Honoré (M.)**, le transsaharien, pénétration française en Afrique, Paris 1901.

**Hunwick (J.O.)**, les rapports intellectuels entre le Maroc et l'Afrique sub-saharienne à travers les âges, Publication de l'I.E.A.R, 1990.

**Issac (J.)**, et autres, de la Révolution de 1789 à la Révolution de 1848, Paris, 1960.

**Joly (A.)**, Etude sur les Chadelya, Alger, 1907.

**Joucla (E.)**, Bibliographie de l'Afrique occidentale française, Paris, 1937.

**Julien (C.A.)**, Histoire de l'Algérie contemporaine, Par-

is, 1946.

**Kane (M.)**, sur l'histoire littéraire africaine, Publication de l'I.E.A.R, 1992.

**Kane (O.)**, le Futa Toro des Satigi aux Almami (1512-1805), Dakar 1986, T1.

**Klédor (Baron)**, Histoire Africaine, Paris, 1829.

**Kanoré (Adam ba)**, les relations politiques et culturelles entre le Maroc et le Mali à travers les âges, Publication de l'I.E.A.R, 1991.

**Lazrek (R.)**, le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne, Dar El Kitab, casablanca, 1974.

**La veronne (Ch. de)**, Tanger sous l'occupation anglaise d'après une description anonyme de 1674, Paris, 1972.

**Le Chatelier (A.) :**

- L'Islam dans l'Afrique occidentale, Paris 1899.

Les confréries musulmanes du hégaz, Paris, 1887.

**Lemaire (J.)**, voyage aux îles canaries, cap vert, sénégal et Gambie, Paris, 1965.

**Lenz (O.)**, Tombouctou : voyage au Maroc, au Sahara et au saoudan, Paris, 1886.

**Levit Zion (N.)**, Muslims and chiefs in west Africa, Oxford, 1968.

**Ly Tall (M.)**, Un Islam militant en Afrique de l'ouest au 19<sup>e</sup> s, Paris, 1991.

**Magassouba (M.)**, l'Islam au Sénégal, demain les Mollahs? Paris, 1985.

**Mage (E.)**, voyage dans le Soudan occidental, Paris, 1868.

**Mahibou (S.M) et triaud (J.L.)**, voilà ce qui est arrivé (بيان ما وقع) d'Al Haj Umar Al Futi. C.N.R.S, Paris, 1983.

**Maikorema (Z.)**, les raisons d'une ambassade bornuane du Maroc en 1583, une réinterprétation, publication de l'I.T.E.R. 1991.



**Marthe (B.)**, Aurélie Tédjani, Princesse des sables, Paris 1925.

**Martin (A.G.P.)**, quatre siècles d'Histoire Marocaine, Rabat, 1994Æ

**Marty (P.) :**

- Etude sur l'Islam maure, Paris, 1916.

- Etude sur l'Islam et les tribus du Soudan, Paris, 1912, 4 Vols.

- L'Islam en mauritanie et au sénégal, Paris, 1916.

Mollien (G.), voyage dans l'intérieur de l'Afrique aux sources du Sénégal et de la Gambie, fait en 1818, Paris 1820.

Monteil (Ch.) :

- les Khassonke, Paris, 1915.

- Les Bambara de Ségou et du karta, Maisonneuve et la-rose, Paris, 1977.

**Ouane (I.M)**, l'Empire Toucouleur d'El hadj Omar l'Enigme du Macina, Monte Carlo, 1952.

**Ould Cheikh (Abdelwedoud)**, Nomadisme et pouvoir politique dans la Société maire précoloniale (11-19<sup>e</sup> s), Essai sur quelques aspects du Tribalisme, Tèse du Doctorat en socialogie, Paris V, 1985.

**Park (M.)**, voyage dans l'intérieur de l'Afrique, Introduction d'Adams, Paris, s.d.

**Person (Y.)**, samori : une révolution Dyula, Dakar, mémoire I.F.A.N, 1968 -75. T1.

**Puech (M.)**, les Rimahs, (D.E.S), dactylographié, Sou-tenu en 1967, U.C.A.D, Dakar,

**Raffenel (A.) :**

- Rapport sur le pays de Galam, le Boundou et le Bam-bouk, extraits des annales maritimes et coloniales, Paris, 1844.

- voyage dans l'Afrique Occidentale (1843 -1844), paris 1846.

- Nouveau voyage dans le pays des Nègres, Paris, 1856  
T1.

**Ralph willis (J.)**, the writing of al hajj Umar Al futi and Shaykh Mukhtar b. wai'at Allah: Literary themes, sources and influences studies in west African Islamic History. volume 1. the cultivators of Islamic, Princeton University, 1979.

**Requin (E.)**, Archinard et le Soudan, Paris 1946.

**Rézette (R.)**, le Sahara Occidental et les frontières marocaines. nouvelles éditions latines, Paris, 1975.

**Rinn (L.)**, marabouts et Khouan: Etude sur l'Islam en Algerie, Alger 1884.

**Robinson (D.)**, La guerre Sainte d'Al Hajj Umar, traduit de l'Anglais par henry Tourneux et jean-Claude vuillemin. Ed. karthala, Paris 1988.

**Sabatier (A.)**, le Sénégal, sa conquête, son organisation, (1364 - 1925), Saint Louis, s.d.

**Saint Martin (Y)**, L'Empire Toucouleur et la France : un demi siècle de relations diplomatiques (1946 -1893), Dakar 1967.

**Saulnier (E.)**, une Compagnie à privilège au 19<sup>e</sup> s: la compagnie de galam au Sénégal, paris, 1921.

**Schefer (CH)**, Instructions générales données de 1763 à 1870 aux gouverneurs et ordonnateurs des établissements français en Afrique occidentale, Paris, 1927, TII.

**Sémian (M.)**, les confréries islamiques en Algérie: Rahmaniyya, Tidjania, Tése de doctorat (Sciences politiques et économiques), soutenue le 8 Juin 1910 à la Faculté de droit, Université de Paris.

**Seydou (CH.)**, Bibliographie du Monde peul, Etudes Nigériennes, Université de Niamey, 1977.

**Soh Siré (A.)**, Chroniques du Futa sénégalais annotées, traduites de l'Arabe et introduites par Maurice Delafosse et Henri gaden, Paris, 1913.

**Spencer Trimingham (J.)**, A History of Islam in west Africa, Oxford University Press, 1962.

**Steff (Capitaine)**, Fonds Brévié, cahiers 1 à 7 I.F.A.N/U.C.A.D, 1913.

**Tauxier (L.)**, Moeurs et Histoire des peuples, Paris, 1937.

**Tyam (M.A.)**, la vie d'El Haj Omar : Qacida en popular, introduction et notes de Henri gaden, Paris 1935.

**Vajda (M.G.)**, Index général des manuscrits Arabes musulmans de la Bibliothèque Nationale de Paris, Paris 1953.

**Vansina (J.)**, de la tradition orale : essai de méthode, Tervuren n° 36 du Musée royal d'Afrique central, 1961.

**Vuillot (P.)**, l'exploration du Sahara, Etude historique et géographique, Paris 1895.

**Waïgalo (N.)**, Le Macina de 1853 à 1896, Ecole normale supérieure mémoire de maîtrise, 1977. Webster (J.B.), and Bhen (A.A.) with Idowu (H.O), History of west Africa, New York, 1972

## IV - الدوريات

### 1 - بالعربية :

#### أبو بكر بن عثمان الحضيري:

- عثمان بن عمر الحضيري ودوره في الحياة لبثقافية و الفكرية في فزان خلال القرن 13 هـ / 19م، ضمن سلسلة الدراسات التاريخية 16، أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا : واقعها و آفاق العمل حولها، زليطن سنة 1988، كلية الآداب و التربية ص 1345، هامش «ب».

#### أبو بكر القادري:

- نظرة على أحوال المسلمين لبعض أقطار إفريقيا الغربية، دعوة الحق، عدد 269، أبريل، ماي 1988.

#### أحمد العماري:

- رسالة الوتري في محاكمة السلفية الوهابية بالمغرب، مجلة كلية الآداب، فاس عدد خاص (2) عام 1985.

- تعقيب على تعليق عبد الله الصالح العثيمين، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد 11، 1990.

#### أحمد العلمي حمدان:

- استنصاح السودان لأحد فقهاء توات وتلمسان: تحقيق رسالة

للمغيلي في أمور السلطة، مع التقديم لها و القول في غرضها و غرض ما كتب من جنسها، مجلة كلية الآداب فاس، عدد خاص (5) عام 1989.

### **الأمين أبو منقّة:**

– الأسس الفقهية لهجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول من سكتو، دراسات إفريقية، مجلة نصف سنوية عدد 5 أكتوبر 1989، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم.

### **حسن ابراهيم حسن:**

– أثر العامل الديني في قيام الدولة المرابطية بالمغرب، مجلة أقلام، عدد 7، أذار 1968.

### **الحسن السائح:**

– رسالة المغرب الثقافية في إفريقيا، دعوة الحق، عدد 3، دجنبر 1973.

### **زين العابدين الكتاني:**

– الاختيار المغربي في دبلوماسيته الإفريقية، دعوة الحق، عدد 9 – 10، نونبر 1970.

– الاختيار المغربي في دبلوماسيته الإفريقية، دعوة الحق عدد 1 – 2، يناير 1971.

– الاختيار المغربي في دبلوماسيته الإفريقية، عدد 5، ماي 1971.

### **سعيد أعراب:**

- تعقيب حول مقال : أبو الحسن الشاذلي، دعوة الحق، عدد 1،  
أكتوبر 1963.

### **طه الولي (الشيخ) :**

- الإسلام و المسلمون في جمهورية تشاد، دعوة الحق عدد 1 - 2  
يناير 1971.

- الأسس التاريخية لوحدة المغرب العربي، دعوة الحق، عدد  
9 - 10، نونبر 1970.

### **عبد الحميد بن باديس:**

- الجواب الصريح في بيان مضادة الطريقة التجانية للإسلام  
الصحيح، مجلة الشهاب، المجلد الرابع، رجب 1357، نقلا عن الإيمان  
الصحيح، ص 8.

### **عبد السلام الأدغيري:**

– المذهب المالكي في نجيريا، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد الخامس عام 1985.

### **عبد العزيز التسماني خلو:**

– حياة أحمد سكيرج و آثاره (1878–1944)، مجلة دار النيابة، عدد 9، شتاء 1986.

### **عبد العزيز بن راشد العبيدي:**

– مراكز الحضارة في السودان الغربي، دراسات إفريقية، نصف شهرية، عدد 5، عام 1989، المركز الإسلامي، الخرطوم.

### **عبد القادر زبادية:**

– القضايا الإفريقية المعاصرة في التراث المكتوب للعلامة توينبي، مجلة المؤرخ العربي، عدد 7، عام 1978، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق.

### **عبد القادر القادري:**

– دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب و شرق إفريقيا، و مقاومة التبشير و الإستعمار، دعوة الحق، عدد 269، أبريل ماي 1988.

### **عبد اللطيف أحمد خالص:**

– بين مهمتين في إفريقيا، دعوة الحق، عدد 1، نونبر 1968.

### **عبد الله الصالح العثيمين:**

- تعليق على مقال الأستاذ أحمد العماري عن رسالة الوثري، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد 11، عام 1990.

### **عبد الله عبد الرزاق إبراهيم:**

- المسلمون والإستعمار الأوربي لإفريقيا، عالم المعرفة، عدد 139، يوليو 1989.

### **عبد الله العروي:**

- علاقات المغرب بإفريقيا : ملاحظات أولية، مجلة دراسات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، أكادير، عدد 2، عام 1988.

### **عبد المجيد الصغير:**

- حول الطرقية و العلاقات المغربية الجزائرية إبان السيطرة العثمانية، مجلة دار النيابة، عدد 5 شتاء 1985.

### **عثمان سيد أحمد إسماعيل:**

- حركتا الشيخ عثمان بن فودي (1754-1817) و محمد أحمد بن عبد الله المهدي (1844-1885) و آثارهما، دراسات إفريقية، نصف سنوية، عدد 2 أبريل 1986، المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم.

### **علال الخديمي:**

- الشيخ ماء العينين و مقاومة التدخل الفرنسي في المغرب، مجلة



دراسات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، أكادير، عدد 1، سنة 1987.

**علي سيد رضوان:**

- البيروني و منهجه في البحث التاريخي، مجلة المؤرخ العربي،  
عدد 14 سنة 1980، بغداد، العراق.

**عمر أحمد سعيد:**

- دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، دراسات  
إفريقية فبراير 1990، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم.

**مبارك زكي:**

- المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية  
المعاصرة، المجلة التاريخية المغربية عدد 29-30، يوليوز 1983،  
تونس.

**محمد إبراهيم الكتاني:**

- مصادر تاريخ إفريقيا خلال المخطوطات المغربية، مجلة  
الأكاديمية، عدد 4، نونبر 1987.

**محمد المنصور :**

-الضغوط العثمانية و أثارها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من  
خلال حالة طنجة، مجلة دار النيابة، عدد 5 شتاء 1985.

- الكتابة التاريخية بعد الإستقلال : ملاحظات عامة، ضمن ندوة  
البحث في تاريخ المغرب، حصيلة و أفاق، منشورات كلية الآداب، الرباط،

1989.

**محمد المنوني:**

- التكامل الثقافي بين المغرب وإفريقيا في العصر الحديث، من خلال المصادر العربية، دعوة الحق، 269، أبريل ماي 1988.

**محمد المحمود:**

- الجذور التاريخية للعلاقات الإفريقية العربية، مجلة الوحدة، عدد 97، أكتوبر 1992.

**2 - باللغة الأجنبية :**

**Abdal Aziz (A.)**, "Au Introductory note on the impact of Sidi al Makhtar al Kunti", J.H.S.N, 6-4 (1973).

**Abiserrou (M.Rabbin)**, De Mogador au Djbel Tabayoudt : résumé du journal de Voyage par Henri Duveyrier, mémoires, notices, Société de Géographie, Décembre 1875.

**Abitbol (M.)**, le Maroc et le commerce transsaharien du 17 e au début du 19 e s, R.O.M.M, n°30, 1980.

**Al Haj Umar (Tall):**

-Tadhkirat al Mustarshidin wa attalibin : épître d'Al Haj Umar Tall, édition critique du texte arabe et traduction annotée par Claudine Gerresch, Bulletin de l'I.F.A.N, T4, série B, n° 3, 1908.

-Tadhkirat al Ghafilin, ou un aspect pacifique peu connu de la vie d'al Hajj Umar : Introduction historique, édition critique de texte arabe et traduction annotés par Claudine Gerresch, Bulletin de l'I.F.A.N, T .39, série B, n°, 1977.

**Al Harazim (S. Din)**, "the origin and progress of Islam in Sierra Léone", S.L.S, old Series, 21 (1939).

**Ali Merad**, Ben Badis, in les Africains, Paris, 1977, T2.

**Al Maghili (M.)**, Réponses aux questions posées par El Hadj Muhammed, Empereur Gao, traduit et annoté par El Hadji Ravane M'Baye, Bulletin de l'I.F.A.N, T 34, série B, n° 2 1972.

**Amar (S.)**, " la vie d'El Hadj Omar par Cheikh Moussa Kamara" , B.I.F.A. N, B (1973).

**Arnaud (M.)**, Siège d'Aîn Madi par El Hadj Abdelkader Ben Mohi ED-DIN, Avenue africaine, Année 1864.

**Awad (M.)**, Un fondateur de confrérie religieuse maghrébine : Sidi Ahmed Al Tijani (1737-1815), Revue Maroc Europe, n° 2, 1992.

**Bathily (A.)**, la conquête française du haut fleuve (Sénégal), (1818-1887), Bulletin de l'I.F.A.N, Série B, n° 1, 1972.

**Bellaire (M/)**, Essai sur l'histoire des confréries marocianes, Hesperis, T1, 2<sup>e</sup> semestre, Année 1921.

**Bernus (S.)**, Relations entre Nomades et Sédentaires des confins Sahariens méridionaux : Essai d'interprétation dynamique, R.O.M.M, n° 32, 2<sup>e</sup> semestre, 1981.

**Bonté (P.)**, L'Emirat de l'Adrar après la conquête coloniale et la dissidence de l'Emir Sidi Ahmed (1909-1932), Journal des Africains, 54, 2 (1984).

**Booker (W.S.)**, Négritude et Germanité, Université de Dakar Annales de la Faculté des lettres et Sciences humaines, n°6, P.U.F, Paris, 1976.

**Bouchez (lieutenant)**, Historique de Dinguiray, Bulletin du comité de l'Afrique Française, Documents coloniaux, n° 7, 1913.

**Carrère (F.)**, "Siège de Médine", RC 19 (1857).

**Chailley (M. comdt)**, "Paul Soleillet", Encyclopédie mensuelle d'Outre-Mer, 1952.

**Chappelle (F. de la)**, Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, Hesperis, T11, 1930.

Cissoko (S.M.) :

- "El Hadj Omar Tall et le mouvement du Jihad dans le Soudan occidental", Revue Sénégalaise d'histoire, n°1, Octobre, 1980, vol. 1.

- Famine et épidémie à Tombouctou et dans la Boucle du Niger du 16<sup>e</sup> au 18<sup>e</sup> s, Bulletin de l'I.F. A.N, T30 Série B, n° 3, 1968.

**Constantin (F.)**, et Coulon (C.), Espace Islamique et Espace politiques dans les relations entre l'Afrique du Nord et l'Afrique du Nord et l'Afrique Noire, Annuaire de l'Afrique du Nord, T17, 1978.

**Coulon (C.)**, Les musulmans et le pouvoir en Afrique noire : religion et contre religion, Karthala, Paris, 1983; in Cahiers des religions africaines, n° 36, Juillet 1984, vol, 18.

**Coutouly (F.)**, "une ville Toucouleur de la Guinée française, Dinguiray", Renseignements coloniaux, n°17 Juillet, 1913.

**Curtin (R.D)**, Jihad in west Africa, Early phases and interrelation in Mauritania an Sénégal, Journal of African History, XII, I, 1972.

**David (R.)** L'almamy Abdoukader et la révolution musulmane du Sénégal au 18<sup>e</sup> s, les Africains ,T10, Edition jeune Afrique, 1978.

**Delafosse (M.)** :

- Les débuts des Troupes noires du Maroc, Hesperis, T II, 1932.

-Traditions historiques et légendaires du Soudan occidental, traduites par Maurice Delafosse, Bulletin du comité de

l'Afrique française, renseignements coloniaux, Octobre 1913.

Diallo (T.), la mission du DR Bayol au Fouta Pjulon (1881) ou la Signature du 1er Traité de protectorat de la France djallon, Bull, de l'I.F. A. N, serie B, n° 1, 1972.

**Diamon (B.I.)**, Notices socio-historiques sur l'ancien royaume du Gadiaga, présentées par Abdoulay Bathily, B.I.F.A.N, T31, 1969.

**Dieng (S.)**, El Hadj Omar et le rayonnement de l'Islam en Afrique, in actes du colloque international, tenu à Tombouctou sur la culture arabo-Islamique en Afrique au Sud du Sahara :

Cas de L'Afrique de l'Ouest (Août 1995). Publications de la Fondation Tmimi pour la recherche scientifique et l'information, Zaghouan, Tunis, 1997.

**Djenidi (A.) :**

- Cheikh Moussa Kamara et sa réflexion sur l'exercice du pouvoir au Futa Toro, Université d Dakar, Annales de la Faculté des lettres et sciences humaines, n°6, 1976, P.U.F, Paris.

La place du livre dans la formation de l'Intelligentsia maraboutique au Sénégal, Université de Dakar, Annales de la Faculté des lettres et sciences humaines, n° 9, 1979, P.U.F, Paris.

**Djibi (O.M.)**, la contestation par correspondance : Rivalité entre la Kuntya et la Kuntiya et la Tijaniya Bulletin des Etudes Africaines de l'I.N.A.L.C.O, (Institut national des langues et civilisations orientales), vol 5, n° 10, 1985.

**Dolwell (H.)**, "LE sénégal sous la domination anglais", R.H;C.F (1916);

**Emerit (M.)**, les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au 18 e et au début du 19e s, Travaux de l'institut de recherches Sahariennes, T.11, 1er semestre, 1954, Université d'Agler.

**Fautre (C.),** le premier Séjour de Duranton au Sénégal, Revue d'Histoire des colonies françaises, T. II, année 1912.

**Flize (L.),** "Le Gadiaga, in Moniteur du Sénégal et Dépendances, Saint Louis, Mardi 15 Janvier 1857.

**Gautier (E.F.),** l'Or du Soudan dans l'Histoire, Annales d'Histoire économique et sociale, n° 32,31 Mars, 1935, T. VII.

**Gerrsch (C.) :**

-Jugements du Monteur du Sénégal sur Al Hajj Umar, de 1857 à 1864, Bulletin de l'I.F.A.N, T. 35, Série B, N° 5, 1973.

-"Une lettre d'Amed al Bakkay de Tombouctou à Al Hajj Umar", Bulletin de I.F.A.N, T . 38 Série B.n °4 , 1976.

**Guebhard (P.),** "l'Histoire du Fouta et des Almamys", B.C.A.F/R.C, 1909.

**Hamés (C.),** Pour une histoire de Boutilimit (Sahel mauritanien),journal des Africanistes, 55 (1-2) 1985.

Hardy (G.), L'Affaire Duranton, (1828-1838) Annales et mémoires du comité d'études historiques d'A.O.F, 1917.

**Karama (C.M.) :**

-"Histoire du Boundou ", traduction et annotation par

Moustapha NDiaye, Bulletin de l'I.F.A.N.T. 37, Série B, n°4, 1975.

- "La vie d'El Hajj Oumar" , traduite et annotée par Amar Samb, Bulletin de l'I.F.A.N , Série B, N°1, 1970.

-"Histoire de Ségou", Présentation, Traduction et annotation par Moustapha Ndiaye, Bulletin de l'I.F.A.N, Série B, n°3, 1978.

- "Condamnation de la Guerre Sainte" : présentation et traduction par Amar Samb, Bulletin de l'I.F.A.N, T . 38, Série B, n° . 1, 1976.

- "L'Islamisme et le christianisme, traduction et annotation par Amar Samb, Bulletin de l'I.F.A.N, Série B, n° 2, 1973.

**Lhote (H.)**, le Cycle caravanier des Touaregs de l'Ahaggar et la Saline d'Amadrar, leurs rapports avec les centres commerciaux du Soudan, Bulletin de l'I.F.A. N , T 31, Série B, n°4 1969.

**Levers (J.E)**, "El Kanemi, le Cheikh restaurateur du pouvoir au Bornou", les Afrains, Paris 1977, T VII.

**Lonis (R.)**, Une contribution à la connaissance de l'Afrique noire dans l'Antiquité : le colloque de Dakar, Annales de la Faculté des lettres et sciences humaines, n°6, 1976, Paris, P.U.F.

**Ly Tall (M.)**, "Le jihad Omarien dans le royaume de Ségou", Bulletin de l'I.F.A.N, Série B, T. 35, n°3-4, 1983/

**Marion (J.)**, "The economic foundations of an Islamic theocracy :the case of Macina", JAH (1976).

**Marone (I.)**, "Le Tijanisme au Sénégal", Bulletin de l'I.F.A.N, Série B, n° 1, Janvier 1970, Dakar.

**Marquet (Y.)**, "des Ikhwan al Safa à Al Haj Umar", Arabica, Revue d'études arabes, T15, fascicule I, 1968.

**Marty (P.)**, l'Islam en Guinée (Futa Djallon), R.M.M, n° 34, 1916-1918.

**Miége (J.L.)**, le commerce transsaharien au 19 e s, Essai de quantification, R.O.M.M, n°32 1981-2.

**Momar (G.D)**, les trois objectifs et les quatre caractères de la lutte d'El Hadj Oumar Tall, héros musulman de notre résistance Nationale, vers l'Islam, Dakar, mi- Juin 1956.

**Moniot (H.)**, Pour une Histoire de l'Afrique Noire, Annales E.S.C, 17<sup>e</sup> Année, n° 1 Janvier- Février . 1962.

**Mouser (B.):**

- "Trade coasters and conflicts in Rio Pongo FROM 1790 To 1808", J.A.H, 14, 1 (1973).

- "The Nunez affaire", Bulletin des séances de l'Académie Royale des sciences d'Outre-Mer (Bruxelles), 1973.

**Napoléon (N.)**, les confréries musulmanes et leur rôle politique, Bruxelles, 1891.

**Pascal (S.L.)**, "Voyage au Bombouk et retour à Bakel" R.A.C, 1860.

**Péfontin (H.)**, histoire de Tmbouctou, de sa fonction à l'occupation française, Bulletin du comité d'études historiques et scientifiques de l'A.O.F, 1922.

**Perraut (lieutenant)**, "Rapport sur son voyage à Nioro, Moniteur du Sénégal et Dépendances, Mardi 1<sup>er</sup> Août 1865.

**Raffénel (A.)**, "exploration en 1844 du Pays de Galam et du Bambouc, RC, 4(1844).

**Rançon (A.)**, "le Bondou", B.S.G.C.B, 17 (1894).

**Raphaël (F.)**, le travail de la mémoire et les limites de l'histoire orale, (Annales E.S.C), 35<sup>e</sup> Année, n° 1, Janvier-Février, 1980.

**Rodney (W.)**, Jihad and Social revolution in Futa Djallon in the Historical Society of Nigeria, vol 1, n°é, 1968.

**Saint-Martin (Y.) :**

- L'Artillerie d'El Hadj Omar et d'Ahmadou, Bulletin de l'I.F.A.N, T .27 , Série B, n° 3-4, 1965.

- La volonté de paix d'El Hadj Omar et d'Ahmadou dans leurs relations avec la France, Bulletin, de l'I.F.A.N, Série B, n°, 1968.

**Saint-Martin (J.H)**, " les Sarakollé du Guidimakha, Bulletin, du comité d'études historiques et Scientifiques de l'A.O.F, Paris, 1925

**Salenc (J.)**, Manuscrit arabe de la Zaouia de FES (Anonyme de FES), recueilli et traduit par Jules Salenc, Bulletin, du C.E.H.S de l'A.O.F, T1, n°3, Paris, 1918.

**Salvy (G.Cap)**, les Kounta du Sud Marocain , travaux



de l'institut de recherches Sahariennes, T.7, 1951, Université d'Alger.

**Seck (B.E)**, "voyage par terre entre le Sénégal et le Maroc, RMC, 1 (1861).

**Seydou(M.)** Panorama de la littérature peuple, Bulletin de l'I.F.A.N, T, 35, Série B, n° 1, 1973.

**Sissoko (M.)**, chronoque d'El Haj Omar et du Cheikh Tijani", Bulletin de l'enseignement de l'Afrique occidentale Française, 95-97 (1936-1937).

**Touré (H.M.)**, critiques socio-religieuses dans les ouvrages de Cheikh El Hadji Malick Sy et Cheikh Ahmadou Bamba Mbacké, Bulletin, de l'I.F.A.N, T 40, Série B, n°4, 1978.

**Triaud (J.L.)**, le renversement du Souverain injuste : Un débat sur les Fondements de la légitimité Islamique en Afrique noire aux 19 e s , A.E.S.C, Mai-Juin , n°3, 1985.

Wane (y.):

- Etat actuel de la documentation au Sujet des Toucouleurs, Bulletin, de l'I.F.A.N, Série B, n°3-4, T. 25, 1963.

- "De Halwar à Dégemberée ou L'Itinéraire Islamique de Shaykh Umar Tal" , B.I.F.A.N, Série B, T. 31, n° 32, 1969.

- "Les Toucouleurs du Sénégal et la modernisation", Bulletin, de l'I.F.A.N, Série , B, T. 32, n°1970.

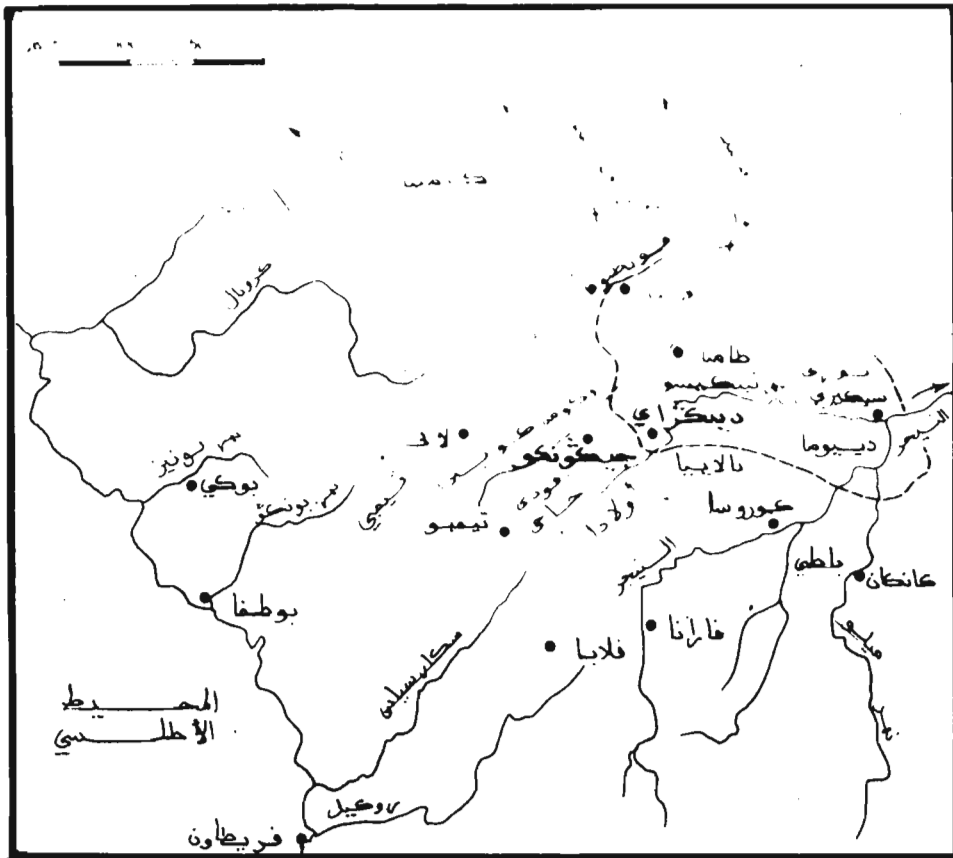


ملحق

خاص بالخرائط



من جهة رقم 14 فو تاحلون و طامبا في شمالها الشرقي وقد اطلقت جيش الجهاد فأتى من ديكراي التابعة لحاكم طامبا بعد ان هاجر اليها من عمار من حبيكو.

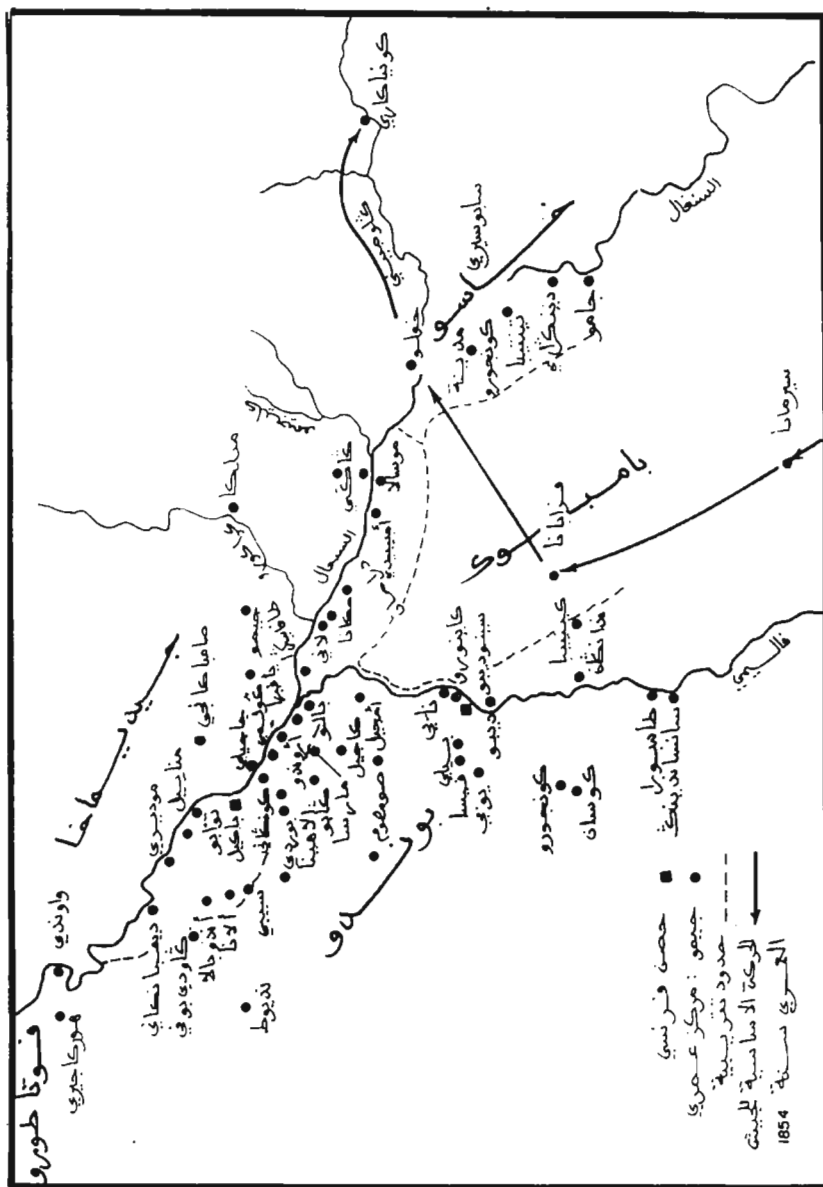


المصدر: Robinson (D) La guerre Sainte Al Hajj Umar

انظر الجزء الثالث، الصفحة 10



خريطة رقم ١٥ : سينغامبيا الشرقية ما بين ١٨٥٤ و ١٨٦٠



الحدود : ١٨٥٤ Robinson (D.), la guerre sainte d'Al Haj Omar

انظر الجزء الثالث، الصفحة ٩١

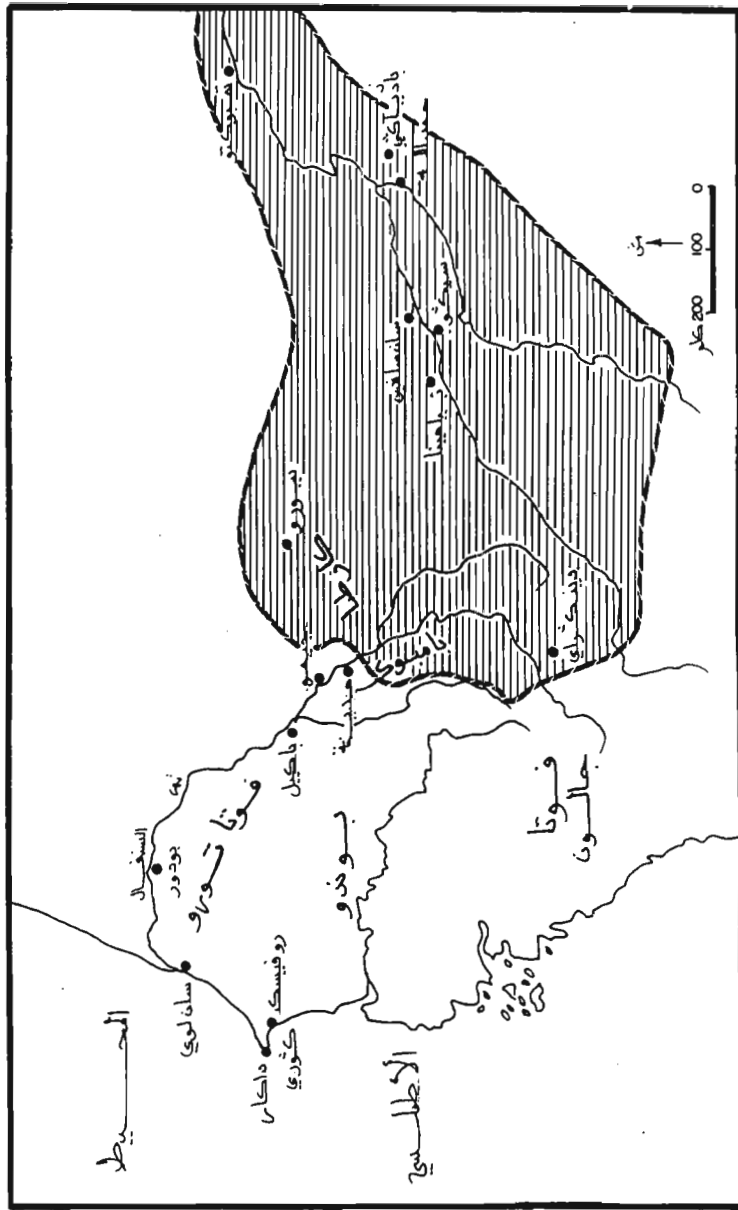








خريطة رقم ١٦: المنطقة الهائلة اللون التي يعبرها خط متقطع توخخ أقصى الحدود  
التي وصلت إليها لاجئاً لجمهورية الحاج عمر التجاني.

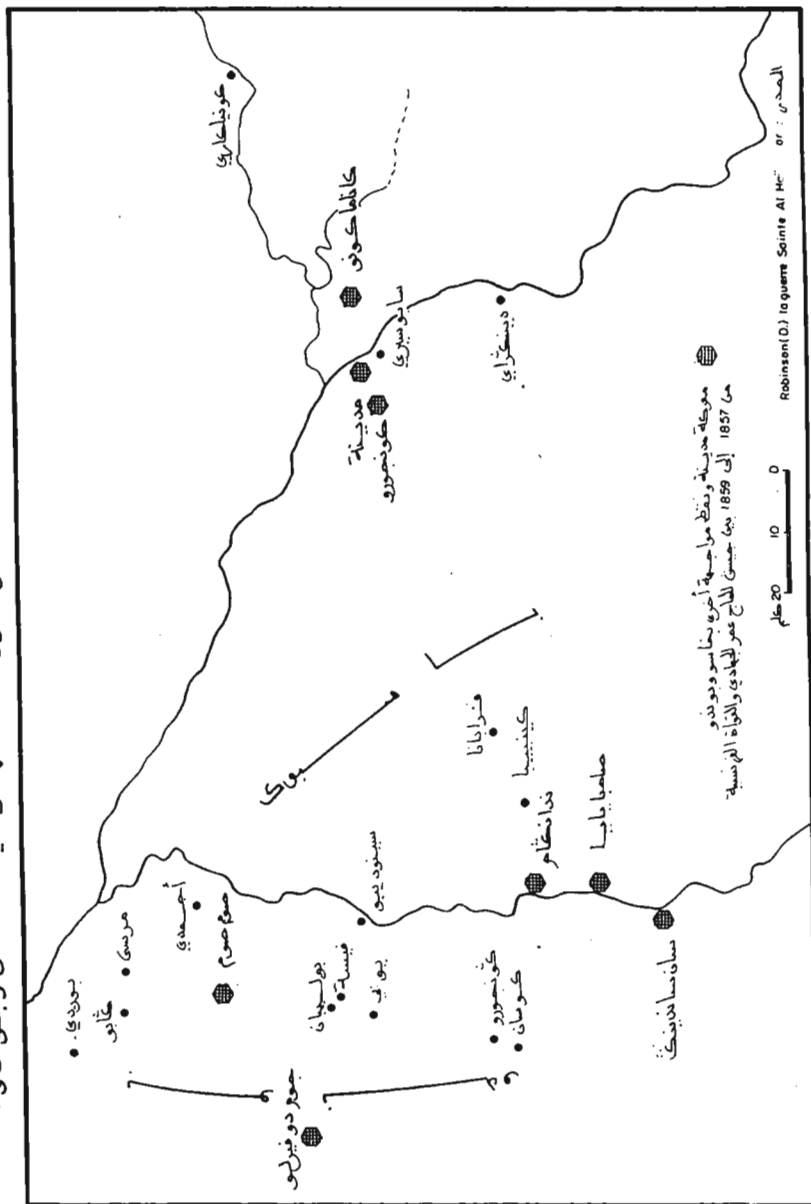


المصدر: Jean Surin, Géographie, Civilisation, Histoire.

انظر الجزء الثالث، الصفحة 110



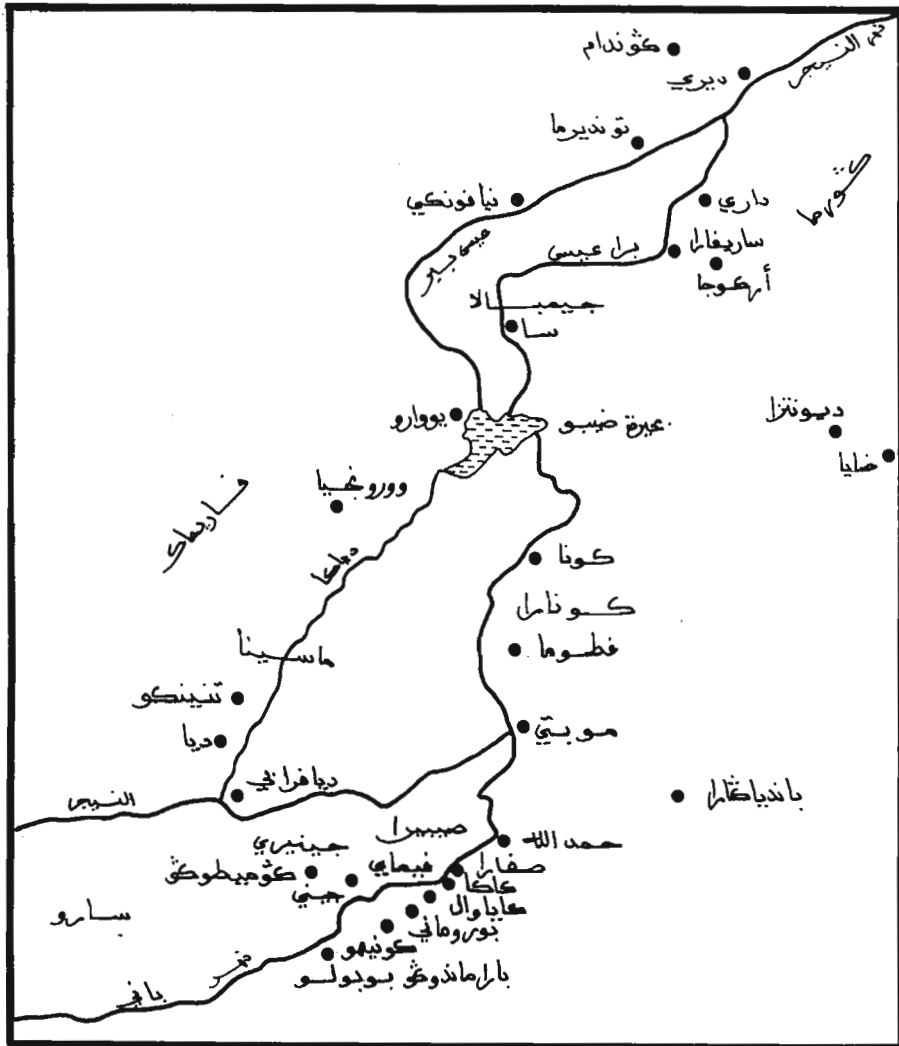
خريطة رقم 8، الواجبات التي تطلبها لعلاج وعمر القوات الفرنسية في خاسو وجوندو.



انظر الجزء الثالث، الصفحة 132



## خريطة رقم ١٩: ماسينا خلال القرن ١٩



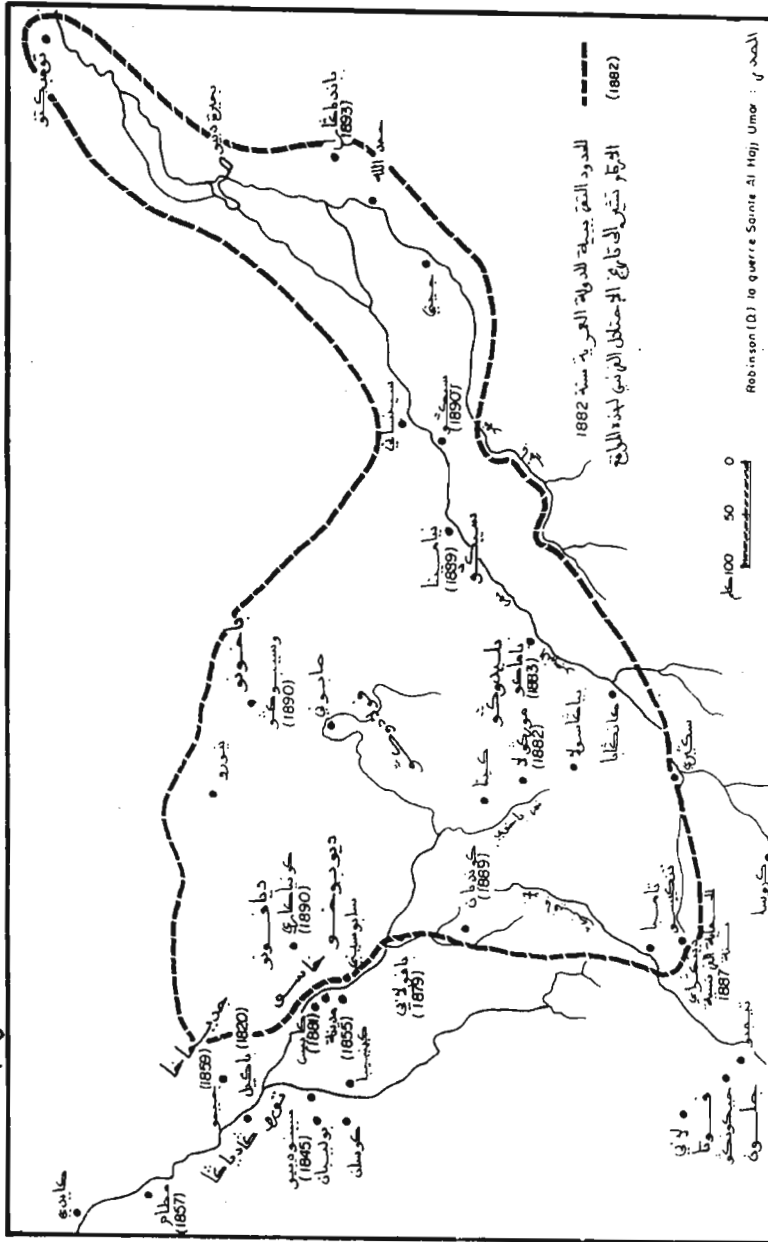
المصدر: Robinson (O.), la guerre sainte d'al Hajj Umar.

انظر الجزء الثالث، الصفحة 140





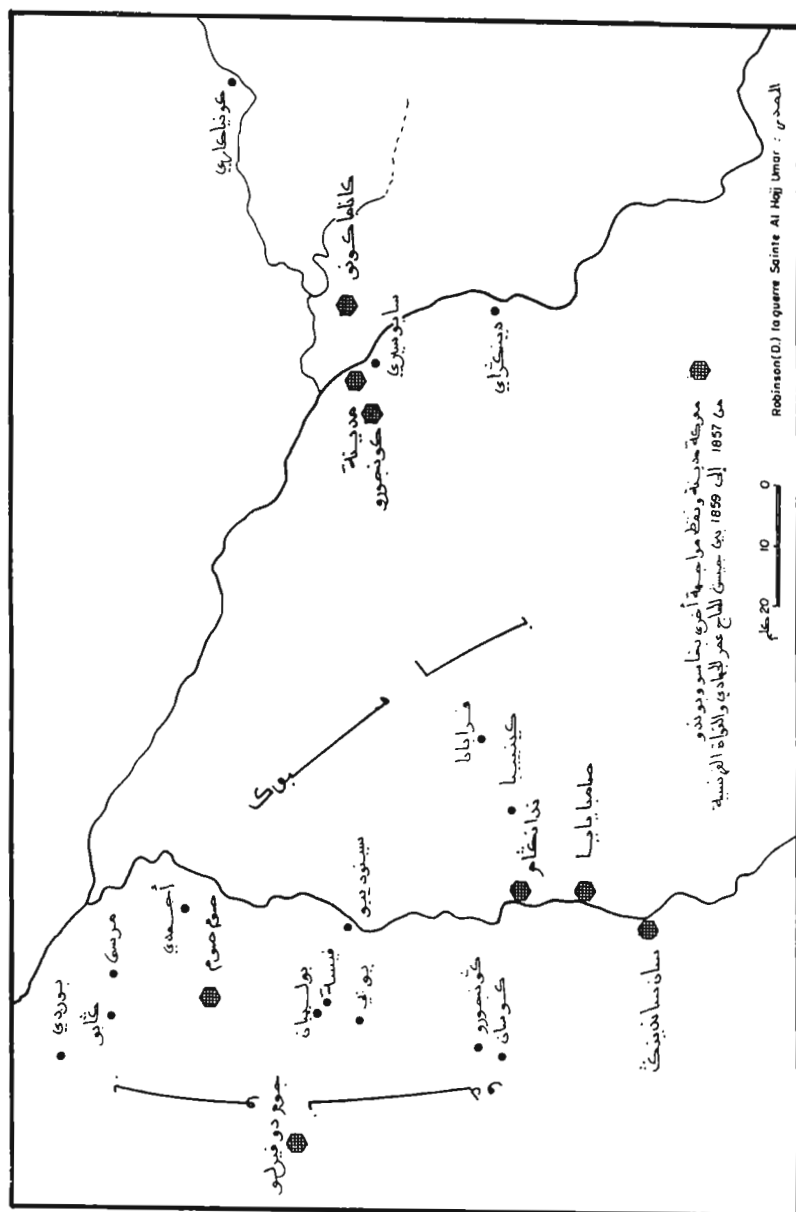
## خريطة الدولة العصرية والغزو الفرنسي رقم 20



انظر الجزء الثالث، الصفحة 153



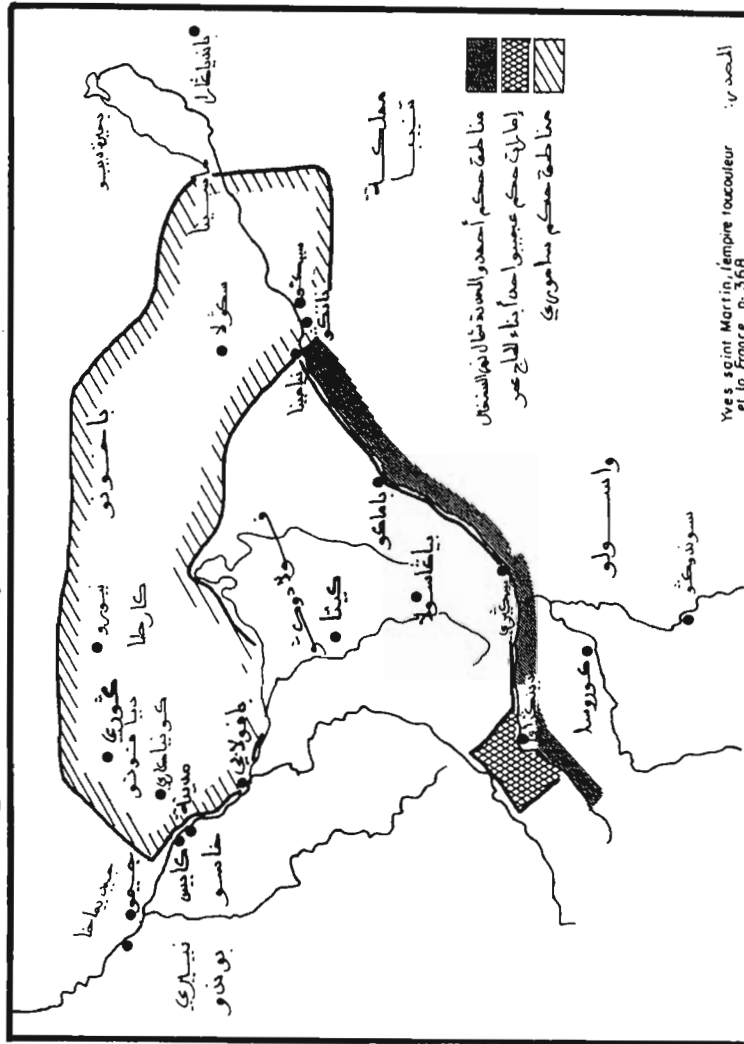
خريطة توضح المواقع التي ارتب بها الحاج عمر والقوات الفرنسية في خاسو وجوندو.



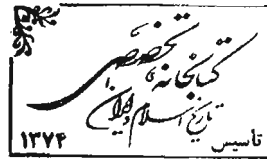
انظر الجزء الثالث، الصفحة 401



خريطة رقم ٤٤: الوضعية السياسية في السودان الغربي سنة ١٨٨٨  
كل هذه المناطق مستخضعة للاستعمار الفرنسي خلال العقد التاسع من القرن ١٩

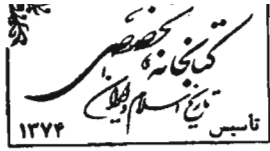


انظر الجزء الثالث، الصفحة 480



## فهرس الجزء الثالث

|                                                                    |     |
|--------------------------------------------------------------------|-----|
| الفصل الثاني : قيام الزاوية التجانية ونجاح مؤسسها في تكوين         |     |
| امبراطورية إسلامية بالسودان الغربي .....                           | 3   |
| I - نشأة الزاوية التجانية وانتشار تعاليمها : الأرضية والوسائل .... | 7   |
| 1 - قيام الزاوية في ظل شروط موضوعية ملائمة .....                   | 7   |
| 2 - انتشار تعاليم الطريقة : العوامل المساعدة والوسائل المسخرة      |     |
| لذلك .....                                                         | 19  |
| II - قيام الامبراطورية التجانية بالسوطان الغربي كتجسيد للتصوف      |     |
| العملي .....                                                       | 59  |
| 1 - تساؤلات حول حقيقة شخصية الحاج عمر .....                        | 59  |
| 2 - الإعداد العملي للمواجهة والهجرة إلى دينكراي Dinguiray .....    | 67  |
| 3 - انطلاق عمليات الجهاد المفضية إلى تأسيس الامبراطورية التجانية   |     |
| بالسودان الغربي .....                                              | 81  |
| الباب الخامس : الإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي .....        | 185 |
| الفصل الأول : إنتاج فكري دعوي، وعظي ومدحي .....                    | 191 |
| I - إنتاج فكري دعوي .....                                          | 193 |
| 1 - مؤلفات الحاج عمر .....                                         | 194 |
| 2 - مؤلفات مجموعة من تجانيي السودان الغربي .....                   | 208 |
| II - إنتاج فكري في الفقه والوعظ والإرشاد .....                     | 216 |
| 1 - مؤلفات الحاج عمر .....                                         | 217 |
| 2 - مؤلفات أخرى لمجموعة من تجانيي السودان الغربي .....             | 240 |



|     |                                                                    |                       |
|-----|--------------------------------------------------------------------|-----------------------|
| 255 | ..... إنتاج فكري مدحي                                              | III - إنتاج فكري مدحي |
| 255 | ..... 1 - في مدح الحاج عمر                                         |                       |
| 269 | ..... 2 - في مدح التجانية وبعض التجانيين المقربين من الحاج عمر     |                       |
| 281 | ..... الفصل الثاني : إنتاج فكري دفاعي تبريري وتاريخي تثقيفي        |                       |
| 283 | ..... I - إنتاج فكري دفاعي تبريري                                  |                       |
| 291 | ..... 1 - مؤلفات الحاج عمر وبعض طلبته                              |                       |
| 301 | ..... 2 - كتابات بعض التجانيين الآخرين                             |                       |
| 305 | ..... II - إنتاج تاريخي وتنويري تثقيفي                             |                       |
| 306 | ..... 1 - إنتاج التاريخي                                           |                       |
| 318 | ..... 2 - إنتاج تثقيفي تنويري                                      |                       |
|     | ..... الفصل الثالث : بعض مظاهر الحضور المغربي في الإنتاج الفكري    |                       |
| 347 | ..... التجاني بالسودان الغربي                                      |                       |
| 351 | ..... I مجموعة كتابات شمال المغرب                                  |                       |
| 351 | ..... 1 - مجهول فاس : تأليف حول حياة الحاج عمر                     |                       |
|     | ..... 2 - محمد الصغير بن إبراهيم بن عمر الداري التجاني : حول       |                       |
| 355 | ..... وصول حفيد محمد الغالي إلى السودان الغربي                     |                       |
| 357 | ..... 3 - ثلاث رسائل من الفقيه محمد أكنسوس إلى الحاج عمر           |                       |
| 368 | ..... II مجموعة كتابات جنوب المغرب                                 |                       |
|     | ..... 1 - أحمد العلوي التجاني الشنقيطي كمؤرخ لبعض أحداث الدولة     |                       |
| 369 | ..... التجانية بالسودان الغربي والتعريف ببعض رجالاتها              |                       |
|     | ..... 2 - شنقيطي مجهول الاسم، يطلب الورد والنيابة وخطة القضاء      |                       |
| 381 | ..... من الحاج عمر                                                 |                       |
|     | ..... 3 - نقل بعض فقهيات الحاج عمر من كتابه المقاصد السامية على يد |                       |
| 383 | ..... محمد بن محنض التجاني اليعقوبي الشنقيطي                       |                       |
|     | ..... 4 - محمد بن أحمد الخليل الشنقيطي يدعو قومه إلى مبايعة الحاج  |                       |
| 385 | ..... عمر ومناصرته                                                 |                       |



- 388 5 - حول اعتذار أهل ولاته عن الإطاء عن الحاج عمر .....
- 6 - من طلبه الحوض إلى الفاهم عمر بشأن النهي عن التعسف في
- 390 جباية الأموال .....
- 392 7 - شنقيطي من أرض الترازة يخبر الفاهم عمر بسوء حاله .....
- 395 الباب السادس : المأزق والنكسة : سقوط الأمبراطورية التجانية .....
- 401 الفصل الأول : سقوط الأمبراطورية التجانية وقيام الاستعمار الفرنسي
- 405 I مساعي فرنسا السلمية لاحتواء الدولة التجانية .....
- 405 1 - المساعي السلمية حتى وفاة الحاج عمر سنة 1864 .....
- 424 2 - المساعي السلمية بعد وفاة الحاج عمر .....
- II مرحلة الصدام والقوة في المساعي الفرنسية لإخضاع الدولة التجانية
- 1 - أبرز مظاهر الإعتداءات والخروقات الفرنسية ضد الدولة التجانية
- 435 قبل فترة حكم أرشينار Archinard .....
- 2 - بعض فصول القوة المفضية إلى الإجهاز على الأمبراطورية التجانية
- 462 في عهد أرشينار .....
- الفصل الثاني : من المسؤول عن الانهيار والسقوط، مغامرة التأويل
- 487 أم حب السلطة والرئاسة؟ .....
- I - وجهة نظر سلطان ماسينا وموقفه من الحاج عمر .....
- 493 1 - موقف سلطان ماسينا .....
- 507 3 - موقف أستاذ سلطان ماسينا الفا سليمان .....
- II - وجهة نظر الحاج عمر الفتوي وأطروحته : إدانة سلطان ماسينا
- 521 وتكفيره .....
- 1 - إثبات كذب أحمد بن أحمد في ادعائه خضوع باغون Baguna
- 522 وسنسند Sansandi وسيكو Ségou له .....
- 629 2 - تسفيه السلطان أحمد بن أحمد وأثبت جهله بأمر الدين .....

545 ..... 3 - إثبات كذبه في ما نسب لسيكو من إسلام

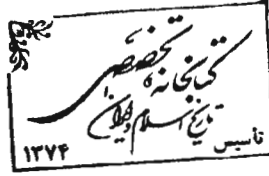
551 ..... 4 - إثبات كفره

567 ..... خاتمة

657 ..... ملحق خاص بالخرائط

579 ..... لائحة المصادر والمراجع

677 ..... الفهرس



رقم الإيداع القانوني: 2000 / 1738

مطبعة أفقالة

زنتة ابن زيدون - المحمدية (المغرب)

الهاتف: 32. 46. 45 (023) الفاكس: 32. 46. 43 (023)

الطريق إلى التميز  
في المغرب والسودان الغربيين

المملكة المغربية  
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

| تاريخ | تصنيف |
|-------|-------|
| ٢     | ٦     |
| ١٩    |       |

